منشورات جامعة حلب

معهد التراث العلمي العربي

أبحاث المؤتمر السنوي السادس لتاريخ العلوم عند العرب

المنعقد في جامعة حلب

باشراف

معهد التراث العلمي العربي

٢٢ - ٢٣ جمادى الثانية ١٤٠٢ هـ

١٥ - ١٦ نيسان (ابريل) ١٩٨٢ م

تحرير

الدكتور خالد ماغوط

محمد علي خياطة

١٩٨٤

مكتبة المهتدين الإسلامية



http://www.al-maktabeh.com

أبحاث

المؤتمر السنوي السادس

لتاريخ العلوم عند العرب



مكتبة المهتدين الإسلامية



http://www.al-maktabeh.com

الطبعة الاولى ١٩٨٣

لا يسمح بنشر هذا الكتاب او اي جزء
منه سواء بالطباعة او بالتصوير او بأي شكل
اخر الا باذن خطي من صاحب حق النشر ٠

معهد التراث العلمي العربي ـ جامعة حلب

المدقـق اللغوي :

محمـد حمـامي

مكتبة المهتدين الإسلامية


http://www.al-maktabeh.com



أبحاث

المؤتمر السنوي السادس

لتاريخ العلوم عند العرب



مكتبة المهتدين الإسلامية



http://www.al-maktabeh.com



تقديم

يهدف المؤتمر الى التعريف بالاسهام الذي قدمه العرب للحضارة الانسانية في مختلف فروع العلوم ، وبأهمية هذه المناسبة ·

والى تقديم أبحاث أصيلة في موضوعات تتعلق بالترجمة والابداع عند العرب انسجاما وأهداف معهد التراث العلمي العربي والجمعية السورية لتاريخ العلوم للنهوض بالابحاث المتعلقة بتاريخ العلوم والقيام بالدراسات والبحوث الاساسية الرامية الى بيان مكانة العلوم العربية ومدى ما أسهم به العلماء العرب في تقدم العلوم عامة ولاقامة علاقات مع المؤسسات والجمعيات المماثلة لها في مختلف أنحاء العالم ·

وكانت موضوعات المؤتمر :

١ ـ بواكير الترجمة وتوسعها في العصر العباسي ·

٢ ـ أثر اللغة الفارسية في مجال الترجمة ·

٣ ـ أثر الناطقين بالسريانية في مجال الترجمة ·

٤ ـ الاسباب التي أدت الى قيام حركة الترجمة ·

٥ ـ المراكز الثقافية المهتمة بالترجمة والتي أثرت في الحضارة العربية ·

٦ ـ أبرز المترجمين العلميين العرب ·

٧ ـ أهم المؤلفات العلمية المترجمة وتأثيرها في الغرب ·

٨ ـ أهمية الترجمة حضاريا ، وأثرها في نشر الوعي العلمي الذي يعد الخطوة الاولى نحو الابداع والابتكار ·

٩ ـ الرد على ادعاء أن « العرب نقلة للعلوم فقط » ·

١٠ ـ هل تستطيع الترجمة العلمية اليوم القيام بالمهمة الحضارية التي قامت بها في عصور الازدهار العربي ·

١١ ـ نتائج الترجمة :ـ

أ ـ تطوير حضارة عربية راقية بتفاعل الفكر القديم والفكر الحديث ·

ب ـ حصيلة الترجمة نشوء حضارة ذات طابع أصيل من غير أن تؤثر في الثقافة العربية ·

مكتبة المهتدين الإسلامية

اللجنة التنظيمية

الدكتور خالد ماغوط	**مدير معهد التراث العلمي العربي**
الاستاذ محمد امام	**أمين جامعة حلب**
السيد وجيه هبراوي	**مدير مكتب مجلس جامعة حلب**
الآنسة أمل رفاعي	**مديرة المكتب الخاص ـ جامعة حلب**
السيد مصطفى موالدي	**رئيس دائرة معهد التراث العلمي العربي**
السيدة حياة تادفي	**مديرة العلاقات الثقافية ـ جامعة حلب**
الآنسة نادية قازان	**رئيسة دائرة كلية الآداب ـ جامعة حلب**

كما شكلت لجان عدة من أسرة جامعة حلب أنيط بها تنفيذ المهمات التنظيمية والعلمية تحقيقا لبرنامج المؤتمر ·

واشترك في المؤتمر خمسة وعشرون باحثا من القطر العربي السوري والاقطار العربية الشقيقة ·

وتمت مناقشة البحوث خلال جلسات علمية ·

وعرضت أفلام سينمائية عن الحضارة العربية الاسلامية ·

وتم الاجتماع السنوي للهيئة العامة للجمعية السورية لتاريخ العلوم ·

وقد رافق انعقاد المؤتمر تنظيم عدد من المعارض تنسجم وأهدافه أقيمت في قاعات معهد التراث العلمي العربي والمكتبة المركزية لجامعة حلب وهذه المعارض هي :

ـ معرض الكتب العلمية والتراثية المترجمة	**المكتبة المركزية ـ جامعة حلب**
ـ معرض صور من حلب القديمة	**المكتبة المركزية ـ جامعة حلب**
ـ معرض أصداء معهد التراث ومطبوعاته في الصحف والمجلات العربية والاجنبية	**معهد التراث العلمي العربي**
ـ معرض آلات رفع الماء العربية	**معهد التراث العلمي العربي**

http://www.al-maktabeh.com

ـ معرض الادوات الفلكية القديمة	**معهد التراث العلمي العربي**
ـ معرض المخطوطات	**معهد التراث العلمي العربي**
ـ معرض المنتجات الحرفية التقليدية	**معهد التراث العلمي العربي**

وقد استطاعت هذه المعارض أن تبرز الانجاز الذي قطعه المعهد بتعاونه والجمعية السورية لتاريخ العلوم في مختلف الميادين العلمية .

مكتبة المهتدين الإسلامية

جـ ـ ظهور عبقريات علمية خلقت هذه الحضارة الجديدة ٠

د ـ توفر حركة الترجمة والنقل مادة حضارية أتاحت لعلماء العصرين الوسيط والحديث استكمال ما قدموا للعالم من اختراعات وابتكارات وتطورات علمية ٠

هـ ـ اتساع اللغة العربية بالمصطلحات العلمية والتعابير والافكار الجديدة ٠

و ـ ازدهار بعض الحرف كحرفة الوراقة ٠

ز ـ تحول نطاق من الجدل الديني البحت الى الاهتمام بالابحاث العلمية والفلسفية ٠

http://www.al-maktabeh.com

معلومات عامة عن المؤتمر

عقد في جامعة حلب تحت رعاية السيد الدكتور عبد الرؤوف الكسم رئيس مجلس الوزراء المؤتمر السنوي السادس لمعهد التراث العلمي العربي والجمعية السورية لتاريخ العلوم خلال يومي ٢٢ و ٢٣ جمادى الثانية ١٤٠٢ هـ الموافق ١٥ و ١٦ نيسان (أبريل) ١٩٨٢ م ٠ وقد مثل السيد الدكتور أسعد عربي درقاوي وزير التعليم العالي السيد رئيس مجلس الوزراء الدكتور عبد الرؤوف الكسم راعي المؤتمر ٠

وكان الهدف الاساسي لانعقاد المؤتمر التعريف بما أسهم به العلماء العرب وما قدموه من خلال الترجمة في مختلف مجالات العلوم وبأهمية هذا الاسهام ٠

وقد شكلت لجنة للاشراف العام على تنظيم المؤتمر وتحقيق أهدافه من :

الاستاذ علاء الدين زيتون	**أمين فرع جامعة حلب لحزب البعث العربي الاشتراكي**
الاستاذ الدكتور محمد علي حورية	**رئيس جامعة حلب**
الاستاذ الدكتور خالد ماغوط	**مدير معهد التراث العلمي العربي ورئيس الجمعية السورية لتاريخ العلوم**

اللجنة العلمية

رئيس المؤتمر :

الدكتور محمد علي حورية	**رئيس جامعة حلب**
الدكتور ابراهيم نحال	**وكيل جامعة حلب للشؤون العلمية**
الدكتور عبد الرحمن ابريق	**وكيل جامعة حلب للشؤون الادارية والطلابية**
الدكتور خالد ماغوط	**مدير معهد التراث العلمي العربي**
الدكتور عبد الكريم شحادة	**الاستاذ في كلية الطب ـ جامعة حلب**
الدكتور محمد ألتونجي	**الاستاذ في كلية الآداب ـ جامعة حلب**
الدكتور محمد نذير سنكري	**الاستاذ في كلية الزراعة ـ جامعة حلب**
الدكتور طه اسحق الكيالي	**الاستاذ المحاضر في كلية الطب ـ جامعة حلب**

مكتبة المهتدين الإسلامية

المشاركون في المؤتمر

الدكتور عبد الرحمن ابريق	جامعة حلب
الدكتور محمد ألتونجي	كلية الآداب ـ جامعة حلب
الاستاذ محمد امام	جامعة حلب
الاستاذ جورج انطاكي	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
الاستاذ الخور فسقفوس برصوم يوسف أيوب	باحث ـ حلب
الدكتور محمد زهير البابا	كلية الصيدلة ـ جامعة دمشق
الدكتور عبد الرحيم بدر	باحث ـ الاردن
الاستاذ محمد معن برادعي	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
السيدة حياة تادفي	جامعة حلب
الدكتور عارف تامر	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
السيدة رياض الجابري	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
الاستاذ فريد جحا	مديرية التربية بحلب
الاستاذ محمد عادل جواد	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
الاستاذ عبد الله حجار	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
الاستاذ محمود حريتاني	المديرية العامة للآثار والمتاحف بحلب
الاستاذ حمصي الحمادة	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
الدكتور نشأت حمارنة	كلية الطب ـ جامعة دمشق
الدكتور صبحي حمامي	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
الدكتور عبد الرزاق حمامي	كلية الطب ـ جامعة حلب
الاستاذ عبد الحميد حمد	الجمعية السورية لتاريخ العلوم

http://www.al-maktabeh.com

الاستاذ فؤاد حوري	الجمعية السويرة لتاريخ العلوم
الدكتور محمد علي حورية	جامعة حلب
الاستاذ صلاح الدين الخالدي	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
الاستاذ صلاح الدين الخراط	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
الاستاذ محمد يحيى الخراط	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
الاستاذ صلاح خوام	مديرية التربية بحلب
الدكتور شحادة الخوري	المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
الاستاذ محمد علي خياطه	معهد التراث العلمي العربي
الدكتور فائز الداية	كلية الآداب ـ جامعة حلب
الدكتور أسعد عربي الدرقاوي	وزير التعليم العالي
الاستاذ بشر الدواليبي	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
الاستاذ مصطفى الدواليبي	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
السيدة نهلة دويدري	كلية الآداب ـ جامعة حلب
الآنسة أمل رفاعي	جامعة حلب
الاستاذ محمد علي الزركان	مديرية التربية بحلب
الاستاذ علاء الدين زيتون	جامعة حلب
الدكتور محمد مروان السبع	كلية الزراعة ـ جامعة حلب
الدكتور محمد نذير السنكري	كلية الزراعة ـ جامعة حلب
الدكتور محمد السويسي	المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
الدكتور عبد الكريم شحادة	كلية الطب ـ جامعة حلب
الاستاذ كمال شحادة	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
الدكتور شوقي شعث	المديرية العامة للآثار والمتاحف بحلب
الاستاذ أحمد شعيب	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
الآنسة دلال شعيب	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
الدكتور سامي شلهوب	معهد التراث العلمي العربي

مكتبة المهتدين الإسلامية

الاستاذ ابراهيم أدهم الشهيد	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
الاستاذ حسن ملا عثمان	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
الدكتور عبد السلام العجيلي	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
الاستاذ عبد العظيم العجيلي	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
الاستاذ محمد فؤاد عنتابي	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
الاستاذ عبد السلام عيروض	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
الدكتور محمد مخلص الغبرة	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
الاستاذ محمود فاخوري	كلية الآداب ـ جامعة حلب
الإستاذ محمد كامل فارس	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
الآنسة ابتسام فاني	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
الاستاذ محمد عصام فاني	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
الدكتور موفق فنصة	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
الآنسة نادية قازان .	كلية الآداب ـ جامعة حلب
الاستاذ محمد سمير قمند	معهد التراث العلمي العربي
الدكتور محمد بشير الكاتب	كلية الطب ـ جامعة حلب
الاستاذ شحادة كرزون	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
الدكتور ادوارد كنيدي	معهد التراث العلمي العربي
السيدة ماري هلن كنيدي	معهد التراث العلمي العربي
الاستاذ سعد زغلول الكواكبي	رئيس جمعية العاديات
الدكتور طه اسحق الكيالي	كلية الطب ـ جامعة حلب
الدكتور ريتشارد لورش	معهد التراث العلمي العربي
الدكتور خالد ماغوط	معهد التراث العلمي العربي
السيدة سليمى محجوب	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
الدكتور محمد عبد الرحمن مرحبا	باحث ـ الجامعة اللبنانية
الآنسة صفاء مسلاتي	معهد التراث العلمي العربي

http://www.al-maktabeh.com

الحكيم أحمد بن ميلاد	باحث ـ تونس
الاستاذ مصطفى موآلدي	معهد التراث العلمي العربي
الدكتور ابراهيم نحال	جامعة حلب
الدكتور محمود ناظم النسيمي	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
الاستاذ رشيد نيشلي	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
الاستاذ عبد الهادي نصري	مديرية التربية بحلب
الاستاذ محمد بسام النعسان	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
الاستاذ وجيه هبراوي	جامعة حلب
الدكتور غانم هنا	كلية الآداب ـ جامعة دمشق

مكتبة المهتدين الإسلامية

http://www.al-maktabeh.com



مكتبة المهتدين الإسلامية


http://www.al-maktabeh.com

كلمة ممثل السيد رئيس مجلس الوزراء
الدكتور عبد الرؤوف الكسم راعي المؤتمر

الدكتور أسعد عربي درقاوي
وزير التعليم العالي

أيها الاخوات والاخوة :

كان السيد رئيس مجلس الوزراء الدكتور عبد الرؤوف الكسم يود لو يتاح له أن يحضر شخصيا مؤتمركم السنوي السادس الذي تكرم برعايته غير أن زحمة العمل حالت بينه وبين ما أراد ·· فأنابني عنه وكلفني أن أقرئكم سلامه وأبلغكم عظيم اهتمامه بالمؤتمر وشديد حرصه على نجاحه وتحقيق أهدافه · ويسعدني أن أرحب باسمه وباسمي الشخصي السادة العلماء ، ضيوفنا الاكارم الذين وفدوا الى الشهباء من البلدان الشقيقة والصديقة يشاطروننا البحث والتفكير في تراث علمي مشترك بين العرب من جهة ، وبينهم وبين الانسانية من جهة أخرى وانا لنتمنى لهم طيب الاقامة في هذه المدينة العريقة التي انطوت على بعض أهم ما أنجزه العرب وتنطوي اليوم على بعض بذور ما يتطلعون الى انجازه غدا · ولجامعة الشهباء التي تحتضن المؤتمر اليوم دور كبير الى جانب شقيقاتها في دمشق واللاذقية وحمص في عمليتي التأصيل والتحديث ، وهما عمليتان متلازمتان ترسخان الذاتية الثقافية العربية وتجلواتها · والامر الذي يدعو الى الاطمئنان ويشيع الثقة والبهجة في النفس هو شعور كل جامعة من جامعاتنا شعورا عميقا برسالتها العلمية والقومية الانسانية وهي اليوم محط أمل شعبنا وقائد شعبنا الرئيس حافظ الاسد الذي يوليها الكثير من اهتمامه ويجزل لها في العطاء ·

أيها الاخوات والاخوة :

اننا نسعى الى ترسيخ جذور العلم والتكنولوجية في تربة وطننا الفكرية ومن الوسائل الكثيرة المعروفة التي نتوسل بها الى تحقيق ذلك استخدام لغتنا العربية في التعبير عنهما نظرا وعملا ، ودراسة ما خلفه لنا الاجداد في مجالهما وتقويمه ونشره ووضعه بين أيدي طلبتنا يرجعون اليه وينطلقون منه ·

ان في التعريف بتراثنا العلمي ما يدعونا ، نحن العرب ، الى الاعتزاز اعتزازا مشروعا وان في هذا التعريف ما لا يعود بالفائدة علينا وحدنا فحسب ، بل على الناس جميعا ذلك لانه جزء من تراث الانسانية · وهذا من أهم ما دعانا الى انشاء معهد التراث العلمي العربي ، وهذا ما دعانا وما يدعونا الى الاهتمام بنشاطه والسعي الى توفير الوسائل التي يحتاج اليها لاداء رسالته وتوطيد صلته بالمعاهد المماثلة له في شتى أنحاء المعمورة ·

مكتبة المهتدين الإسلامية

العلم هو الذي يكون الفكر ويحدد صورة الواقع • فتقدم الفكر وتقدم معرفتنا للعالم منوطان اذن بتقدم العلم • ومن خلال دراسة تاريخ العلوم انما نستطيع أن نحدد في كل مرحلة من مراحل تكونها مضمون الفكر والصورة التي نكونها لانفسنا عن العالم • فلا عجب اذن أن يصبح تاريخ العلوم من أهم مقومات الابستيمولوجية المعاصرة • وسيجني أبناؤنا طلبة معهد التراث العلمي العربي ثمرات طيبات من توسيع اطلاعهم على الابستيمولوجية هذه • ومن يدري ، فقد يشاركون يوما في صنعها وتطويرها •

أيها الاخوات والاخوة :

ان جزءا عزيزا علينا من تراثنا الذي نجتمع اليوم لدراسة بعض جوانبه مهدد اليوم كما تعرفون تهديدا خطيرا في فلسطين المحتلة • ان وجود العرب هناك أمر لا يطاق بالقياس الى اسرائيل ، وكنوزهم الثقافية قذى في عينها •• انها تغتصب أرضهم قطعة قطعة ويوما بعد يوم ، وتمعن في الاعتداء عليهم • تروعهم وتسجنهم وتقتلهم وتشردهم وتطمس معالم حضارتهم وتتهيأ للقضاء عليها نهائيا •

انها تريد التهويد الشامل •••

البطش والغدر وفرض الامر الواقع : تلك هي سياسة اسرائيل • الحقد والتعصب والعدوان : تلك هي سمات الصهيونية •

ان الاستعمار الاستيطاني الصهيوني أكبر فضيحة في القرن العشرين • ان جرائم هذا الاستعمار المتلاحقة المتعددة الصور بحق الانسانية والمواثيق الدولية أخطر تحد للضمير العالمي •

ان العرب الذين يدافعون اليوم عن حقهم في الوجود انما يدافعون اليوم عن الانسان في كل مكان • فمعركتهم هي معركته وانتصارهم هو انتصار له •

وتعرفون دور سورية العربية في هذه المعركة قيادة وشعبا •

أيها الاخوات والاخوة :

لا أريد أن أطيل • حسبي أن أقول : انه سيكون لنا من بحوثكم قطاف طيب يزيد في غنى مكتبتنا ، جزاكم الله خيرا عنا • واني لاشكر باسم السيد رئيس مجلس الوزراء وباسمكم وباسمي الشخصي لجامعة حلب رئيسا وادارة مساعيها التوجيهية والتنظيمية الطيبة ، وأشكر لمعهد التراث أساتذة وعاملين جهوده السخية ، وأتمنى للمؤتمر التوفيق والسلام عليكم •

http://www.al-maktabeh.com

كلمة رئيس جامعة حلب
الدكتور محمد علي حورية

الاستاذ الدكتور أسعد عربي درقاوي وزير التعليم العالي

ممثل الرفيق الدكتور عبد الرؤوف الكسم

رئيس مجلس الوزراء راعي المؤتمر ·

أيها الرفاق ···

أيها السادة الباحثون والمشاركون ··

أيها الضيوف ·· أيها الحفل الكريم ··

يسرني ويسعدني أن أرحب بكم أجمل ترحيب في مستهل افتتاحنا للمؤتمر السنوي السادس لتاريخ العلوم عند العرب في رحاب جامعة حلب باسمها وباسمي شخصيا ، وانه لمن دواعي سعادتنا أن تكون جامعتنا ، جامعة حلب الاولى بين شقيقاتها السوريات والعربيات التي خصت بسبق احداث معهد للتراث العلمي العربي ، لانه يأتي انسجاما ومنطلقات قطرنا العربي السوري ، وحزبنا حزب البعث العربي الاشتراكي المبدئية في كل ما يتعلق بقضايا أمتنا العربية ، فقطرنا كان وما يزال في ظل القيادة الحكيمة للرفيق المناضل حافظ الاسد الامين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي يولي القضايا القومية المقام الاول من اهتماماته العربية والدولية والاقتصادية ، ومن هنا لم تكن اقامة معهد التراث في جامعة حلب مصادفة بل نتيجة لذلك الالتزام الوطني والقومي ·

أيها الحفل الكريم ·· أيها الباحثون ··

ان جامعة حلب تهتم اهتماما كبيرا بمختلف العلوم والهندسة والصحة ، وتتوسع وتنمو في كل منها ، وسيكون التركيز بدءا من هذا العام على تدعيم الدراسات العليا في مختلف الاختصاصات لتكون العمود الفقري للتعليم العالي في هذا القطر وذلك ضمن خطة وبرنامج كل من مكتب التعليم العالي والبحث العلمي القطري ، ووزارة التعليم العالي ، واستنادا الى توجيه الرفيق حافظ الاسد والى قرار اللجنة المركزية وقيادة الحزب بهذا الصدد ، فان هذا العام سيكون عاما تاريخيا في انعطاف التعليم العالي بالقطر ، وتوجيهها له لخدمة المصلحة الحقيقية للشعب وخطة التنمية وتحسين المعيشة والقدرة على الصمود ومواجهة العدوان وتحرير الارض · هذا ونود أن نشير الى أن هذه الجامعة قد تجاوزت في انجازها (٦١٥) كتابا جامعيا خلال العام الجامعي الحالي حتى هذا التاريخ فقط ، ولا يقدر هذا الانجاز الضخم الا من عاصره من ادارة

مكتبة المهتدين الإسلامية

وأساتذة وموظفين وعمال • ان هذا الانجاز ليس لطلبة هذه الجامعة والجامعات الشقيقة بالقطر فحسب بل للجامعات العربية الشقيقة حيث نورد الكتاب لعدد من الجامعات في الاقطار العربية كما أن هذه الجهود تدعم التدريس باللغة العربية وتسهم في تحقيق ديمقراطية التعليم ونقل المعرفة والتكنولوجيا الى جميع فئات الشعب على حين كانت معرفة العلوم والتكنولوجيا مقصورة على من يعرف اللغات الاجنبية •

وبالرغم من ضخامة برنامج الكتاب الجامعي فانه لا محالة من استكمال أسباب نقل المعرفة وتعميمها من أجل التنمية والقوة وهذا لا يتم الا برفد برنامج الكتاب ببرنامج قوي مكثف وسريع للترجمة أولا والعناية بتعليم اللغات الاجنبية الحية ثانيا ، اضافة الى اللغة العربية الاصيلة وذلك حتى يتمكن الباحث والمواطن من الاطلاع على الدوريات العلمية والكتب الحديثة دون الانتظار سنة أو أكثر لترجمتها • وقد أخذ كل من مكتب التعليم العالي القطري ووزارة التعليم العالي ذلك بالحسبان فوضع برنامج للترجمة • وان تركيز مؤتمركم هذا على الترجمة هو بداية لذلك ، ونرجو لبحوث السادة المشاركين في هذا المضمار أن تكون غنية ومثمرة •

ولقد كان شعبنا أصيلا في هذا المجال حيث كان رائدا في السابق في مضمار الترجمة والتأليف وعلينا أن ندرس ذلك الانجاز في الماضي القديم لنستفيد منه للحاضر الجديد •

أيها السيدات والسادة •••

ان ربط الماضي القديم بالحاضر الجديد قضية أساسية تتبلور في ضرورة تجديد الحياة العربية مع الاحتفاظ بشخصيتها وقيمها ومقوماتها الاصلية ، وهي مقومات اكتسبتها بفضل قدرتها على الاخذ والعطاء وقدرتها على التمثل والانتاج • ومن هنا فان انتقال البلاد العربية من النظرة القطرية المحلية المحدودة الى النظرة العربية الوحدوية الشاملة ، ومن الفكر التقليدي الحالي الذي قوامه التكرار الى الفكر العلمي الذي قوامه الاجتهاد والبحث العلمي أخذ يصحبها الاتجاه نحو الجمع بين الماضي القديم والحاضر الجديد في صورة تحفظ الثقافة العربية والحياة العربية كلها اصالتها وتجديدها ، ومن هذا الاصل قدرة العقل العربي على البحث والاستقصاء واستعداده للاخذ والعطاء وقدرته مع هذا على الاحتفاظ بقيمه وخصائصه في سياق متطور متغير ومن هنا يكون التجديد هدفا أساسيا للعقل العربي كما كان دائما • ومن أجل ذلك علينا تجاوز المستوى اللفظي أو الكلامي بالنسبة الى الاعتزاز بالشخصية العربية القومية والتراث القومي الى ممارسة هذا الاعتزاز بفهم مقوماته وما في التراث من معان وظيفية تفيد في مواجهة المتطلبات الصعبة للمعيشة وفي مواجهة تحديات العصر والتقدم والمحافظة على الوجود •

http://www.al-maktabeh.com

أمام ذلك يكون من واجب معهد التراث أن يضع نماذج تنفيذية للربط بين القديم والجديد ، بين الماضي والحاضر بعد دراسة نماذج تطور كثير من البلدان التي سبقتنا في التطور والنمو ، وألا يضيع جهوده وموارده في الماضي القديم فقط ، وان كليات جامعة حلب تخطو خطوات سريعة ومتسارعة في هذا المجال برغم الصعوبات الكبيرة ٠

قلنا انه يجب على معهد التراث ان ينحو منحى قوميا عربيا أي أن يكون للعرب جميعا لا للقطر العربي السوري فقط ٠

أيها المنتدون ٠٠٠

أيها السادة الباحثون ٠٠٠

اننا نؤكد لكم دعمنا الوثيق لكل ما تقدمونه من أبحاث قيمة مفيدة ، ولكل ما تكشف عنه أبحاثكم القيمة من خدمة للعلم والمعرفة والتقدم في سبيل تدعيم أسس الثقافة والتربية العربية في طموحها القومي على امتداد الوطن العربي منطلقين من حقيقة وحدة الامة العربية أملا ومصيراً في الماضي والحاضر والمستقبل ٠

وأخيرا اسمحوا لي بأن أتوجه بالشكر الى الرفيق المناضل حافظ الاسد لدعمه المستمر لهذه الجامعة والتعليم العالي في هذا القطر ، وللرفيق الدكتور عبد الرؤوف الكسم رئيس مجلس الوزراء لتكرمه برعاية هذا المؤتمر ، ولدعمه المستمر للتعليم العالي في القطر ، وللسيد الدكتور أسعد عربي درقاوي لتكرمه بالحضور ممثلا للرفيق رئيس مجلس الوزراء ولجهوده المستمرة في مجال تطوير التعليم العالي والبحث العلمي بالتعاون مع الرفيق الدكتور وهيب طنوس رئيس مكتب التعليم العالي والبحث العلمي القطري ، كما أتوجه بالشكر الى جميع من عمل وأسهم في هذا المؤتمر ٠

أيها السادة الباحثون والمشاركون ٠٠

أكرر الترحيب الحار بكم جميعا في رحاب جامعة حلب راجيا لمؤتمركم أن يحقق أسباب النجاح والموضوعية والفائدة المرجوة ، والسلام ٠٠٠

مكتبة المهتدين الإسلامية



http://www.al-maktabeh.com

كلمة مدير معهد التراث العلمي العربي
ورئيس الجمعية السورية لتاريخ العلوم

الدكتور خالد ماغوط

السيد ممثل رئيس مجلس الوزراء ـ راعي المؤتمر :
السادة الحضور :

يسرني باسمي وباسم معهد التراث العلمي العربي وباسم الجمعية السورية لتاريخ العلوم أن أرحب بكم في ربوع جامعة حلب في هذا المؤتمر الذي يلتقي فيه سنويا المهتمون بتراثنا العلمي العربي العظيم ليقدموا نتاج ما توصلوا اليه من كشف وتحقيق في كنوز هذا التراث الذي بقي وسيبقى فخرا للامة العربية وللحضارة الانسانية ·

أيها السيدات والسادة ،

قد يظن أحد ، خطأ ، أن اهتمامنا بالتراث العربي يعني اكتفاءنا بهذه الامجاد الغابرة والاستسلام لنشوة الفخر فننسى حاضرنا ومستقبلنا · وهذا خطأ كبير · فنحن اذ نهتم بهذا التاريخ العلمي المجيد فليس ذلك الا تطلعا لمستقبل علمي أفضل ، وليس الا تزكية لثقتنا بأنفسنا عندما نرى ما قام به أجدادنا من انتاج وعطاء علميين كان لهما الفضل الاكبر في النهضة العلمية الاوروبية ·

ثم ، أليس من الواجب علينا الاهتمام بهذا التراث العظيم بينما ما تزال مكتبات العالم زاخرة بكنوز مخطوطاتنا ؟ ففي مكتبة الكونغرس الامريكية يوجد مثلا (١٧٠٠) ألف وسبعمائة مخطوطة ، منها (١٣٠٠) ألف وثلاثمائة باللغة العربية ، ويوجد في مكتبة جامعة برنستون Princeton تسعة آلاف مخطوطة عربية من أصل عشرة آلاف ، ويوجد في جامعة ييل حوالي (٢٧٠٠) ألفين وسبعمائة مخطوطة منها أكثر من ألفين باللغة العربية(١) · والامر كذلك في أكثر المكتبات الاوروبية العريقة ·

وقد كان تحقيق هذه المخطوطات ونشرها مقصورا على علماء الغرب · لكننا في جامعة حلب ، والآن في معظم الاقطار العربية ، بدأنا نهتم اهتماما جادا بدراسة تراثنا ونحاول ابراز جوانبه المشرقة ودحض ما دس عليه عن قصد أو عن جهل · ان الكثير من معلوماتنا مشوه بسبب تقاعسنا عن دراسة تاريخنا العلمي · اننا ندرس في كليات العلوم مثلث أعداد باسم « مثلث

---

١ ـ أخبار التراث العربي ، العدد صفر ، السنة الاولى ، (معهد المخطوطات العربية ـ الكويت) ١٩٨٢ م ·

مكتبة المهتدين الإسلامية

باسكال » ، وقد سمعت حديثا عن هذا المثلث من التلفزيون العربي السوري ، وننسى أن عمر الخيام وكثيرا من علماء الحضارة العربية بعده قد درسوا هذه الاعداد ووضعوا قوانينها قبل أكثر من (٤٠٠) عام من باسكال • ونسمي بعض الطرائق الرياضية « الغوريتمات » وهي كلمة يستعملها الغرب من تسمية العالم العربي « الخوارزمي » وكان الاحرى بنا أن ننطق هذه الكلمة بأصلها العربي « الخوارزمية » • وهناك الكثير من الامثلة التي تبين وجوب اهتمامنا بتراثنا العلمي وعدم الاكتفاء بما يقوم به غيرنا من دراسات •

لهذه الغاية أنشىء معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب وأسست الجمعية السورية لتاريخ العلوم وأنشئت المراكز الاخرى في بعض الاقطار العربية • ولهذه الغاية أيضا اهتمت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بانشاء معهد للمخطوطات في الكويت ، وتقوم المنظمة مشكورة على دراسة مشروع اعتماد مركز لتنسيق الدراسات في تاريخ العلوم العربية ايمانا منها بأهمية هذه الدراسات •

أيها السيدات والسادة :

هذا هو المؤتمر السنوي السادس الذي تنظمه جامعة حلب عن طريق معهد التراث العلمي العربي فيها • وقد اخترنا موضوعا أساسيا لهذا المؤتمر « الترجمة والابداع عند العرب » لابراز أثر العرب ، لا من حيث هم نقلة للعلوم بين الحضارات القديمة والحديثة فقط ، وهو عمل عظيم في ذاته ، بل لانهم فضلا عن ذلك ، كانوا عندما يترجمون يضيفون وعندما ينقلون يفنون ما ينقلونه كما أنهم أغنوا العلم والحضارة الانسانية بابداعهم الذاتي وعبقريتهم الخاصة بعد أن اطلعوا على علوم من سبقهم • ونذكر بهذه المناسبة ابن الهيثم الذي عارض أقليدس وبطليموس في نظرية الرؤية ، والبتاني الذي ترجم لبطليموس ولكنه لم يكتف بأن صحح له بعض قياساته الفلكية فقط بل بعض نظرياته وكان الاب الحقيقي لعلم المثلثات قبل ريجيومونتانوس Regiomantanus بمئات السنين ، كما نذكر ابن النفيس الذي اكتشف أول مرة في تاريخ الطب الدورة الدموية الصغرى • وغيرهم من العلماء العرب المبدعين عدد كبير •

أيها السيدات والسادة :

ان هذا المؤتمر والمؤتمرات السنوية الخمسة السابقة والندوتين العالميتين ليست الا جزءا من نشاطات معهد التراث العلمي العربي خلال السنوات الست التي مضت على وجوده • فقد قام المعهد ـ بمؤازرتكم جميعا له وتعاونكم معه ـ بنشر عشرات الكتب وباصدار أربع دوريات وبتهيئة مكتبة غنية بالكتب وبالمخطوطات وبصور عن المخطوطات الموجودة في المكتبات العالمية ، كما قام بتهيئة نواة لمتحف لتاريخ العلوم سيتم افتتاحه ومبنى المعهد الجديد قريبا باذن الله •

وأخيرا شكرا لكم لمشاركتكم في هذا المؤتمر وأتمنى لكم كل توفيق ، والسلام •

http://www.al-maktabeh.com

كلمة الباحثين المشاركين

الدكتور محمد السويسي

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

معالي وزير التعليم العالي ممثل السيد رئيس الوزراء :
سيدي رئيس جامعة حلب :
سيدي مدير معهد التراث العلمي العربي :
سيداتي ، سادتي :

يسعدني ويشرفني أن أتحدث باسم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وباسم زملائي المشاركين في المؤتمر السادس لتاريخ العلوم عند العرب ، وأن أتقدم بجزيل الشكر الى المشرفين على معهد التراث العلمي والمنظمين للمؤتمر ، اذ منحونا فرصة التلاقي مع اخوان لنا من مختلف البلدان العربية والتحادث معهم في أمور تهمنا جميعا لما فيها من اثبات لذاتنا ودعم لكياننا وتوثيق لما يجمع بيننا من وشائج الاخوة وروابط الروح وعرى اللغة والحضارة والتفكير الموحد ، كما أسدي شكري لجامعة حلب النشيطة وما توليه من دعم لبرامج معهد التراث قصد صيانة ثروتنا الحضارية المشتركة واحياء معالمها وضبط مميزاتها وتحديث معطياتها ٠

سيداتي ، سادتي :

من تونس الخضراء أحمل لحلب الشهباء ولشعب سوريا الاشم ، أطيب التحيات وأزكى التسليم وأجل عبارات التقدير ٠ فبين تونس وحلب ، عبر عصور التاريخ ، الكثير من أوجه الشبه في مختلف الميادين ٠٠ والشبيه لصنوه أميل ٠٠ فكلتاهما كانت ، في العصور الاولى ، تشعر بعبء المسؤولية ازاء الآمة العربية والاسلامية ، وكانتا كلتاهما ثغرين حاميين لحمى الامة من العدوان الخارجي ومن غدر الغادرين برا وبحرا ، وكانت قلعة حلب رمزا للصمود ، كما كانت رباطات تونس درعا واقيا للبلاد من الغارات البحرية ، حتى صار البحر الابيض المتوسط ، في وقت من الاوقات ، بحرا عربيا صرفا ، لا يحمل على ظهره خشبة رومية ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

وأما من الناحية الثقافية والادبية والعلمية فحدث عن حلب ولا حرج ، فقد ملأ صيتها الآفاق ، وكانت منارة العالم ، ولا سيما في عهد الحمدانيين وواسطة عقدهم سيف الدولة ؛ وفيها تفتقت قريحة شاعر العروبة الفحل أبي الطيب المتنبي ، وفيها علا نجم ابن تربتها ، أبي فراس الحمداني ، فجمع بين رقة العاطفة ومتانة الشهامة والمروءة ٠

وكذلك كانت تونس في زهرة عصورها حتى تخيل بعض الناس أن شمس الحضارة كانت في تلك العصور تشرق من الغرب ٠

سيداتي ، سادتي :

اني أشعر بأني خرجت بعض الشيء عن موضوع هذه الجلسة وأقصر كلماتي على الحديث اللائق بالمناسبة ٠ ولكني ربما قصدت الى ذلك قصدا ، اذ وددت أن أذكر معهد التراث ان الطائر العربي ذو جناحين ، امتد احدهما الى خراسان وما وراء النهر ، حتى حدود الصين والهند ، وامتد الآخر الى حدود المحيط الاطلسي ٠

اذن فقد أوحي الى المعهد أن عليه ، بحسب هدفه الرامي الى المحافظة على التراث العربي ، أن تشمل عنايته الآثار العربية في مشارق الارض ومغاربها ؛ ولئن خصصت الندوات للاحتفال بألفيات أعلام الشرق ولئن باركنا الاهتمام بابن الهيثم والفارابي وابن سينا وغيرهم من الاعلام فكم كنا نود أن يذكر أن لهؤلاء الاعلام خؤولة وأعماما في المغرب العربي الكبير ، وكم كنا نود أن تمر مثلا ألفية ابن الجزار الطبيب القيرواني دون أن يخص بحديث وأن تجمع آثاره وأن يشار الى ما تشتمل عليه من طرائف ومبتكرات مجربات ٠

سيداتي ، سادتي :

ليس ما مر من القول من باب العتاب ، بل هو من باب الاشارة الى سعة الميدان الذي تحمله معهد التراث العلمي العربي بعبئه الثقيل ؛ وعلى كل حال نجد أنه عودنا أنه دوما على استعداد ، في كل المواطن ، للعمل الجاد المثمر ، متصفا بالتواضع والسكينة ، الصفتين الاساسيتين للعمل العلمي الحق ٠٠٠ ولا غرو فان هذا الاستعداد من صفات حلب المتميزة ، فاذا ما نادى منادي الامة قالت : لبيك ! وقديما قال شاعرها :

سيذكـــرنـــي قومـــي اذا جـــد جـــدهم

وفي الليـــلة الظلـــماء يفتقـــد البـــدر

سيداتي ، سادتي :

اسمحوا لي في الختام أن أكرر شكري لمنظمي هذا المؤتمر وأن أدعو له بالتوفيق في العمل وبالنجاح في النتائج والسلام ٠

http://www.al-maktabeh.com

توصيات المؤتمر

بعد أن توجه المشاركون في المؤتمر ببرقيات شكر للسيد الرئيس حافظ الاسد رئيس الجمهورية العربية السورية على دعمه الكبير للعلم والعلماء ، وللقيادتين القومية والقطرية وللسيد الدكتور عبد الرؤوف الكسم رئيس مجلس الوزراء على رعايته المؤتمر وللسيد الدكتور أسعد عربي درقاوي وزير التعليم العالي لتمثيله السيد راعي المؤتمر ولما يلقاه معهد التراث العلمي العربي من رعاية ودعم ٠

انطلاقا من أهمية احياء التراث العلمي العربي وضرورة تطويره ، وربطه بواقعنا ومستقبلنا وتمشيا مع أهداف معهد التراث العلمي العربي بحلب فقد انعقد المؤتمر السنوي السادس لتاريخ العلوم عند العرب في حلب ، وكان موضوعه الاساسي « الترجمة والابداع عند العرب » خلال يومي الخامس عشر والسادس عشر من نيسان ١٩٨٢ م ٠

ولقد قدمت في هذا المؤتمر أبحاث في مجال الترجمة دارت حولها مناقشات مثمرة مستفيضة ، وبنتيجة ذلك قرر المؤتمرون تبني التوصيات التالية :

١ ـ التأكيد على ضرورة احداث مؤسسة للترجمة والنشر في القطر العربي السوري تتولى ترجمة الكتب والمؤلفات العلمية المختلفة من اللغات الاجنبية وعلى الاخص ما يرفد منها البحث العلمي والدراسات العليا ٠

٢ ـ تخصيص الجامعات لجوائز مالية سنوية لافضل كتاب مترجم ، مع التأكيد على استثناء جوائز التأليف والترجمة والعمل الفكري من قانون التفرغ العلمي ٠

٣ ـ رفع مستوى تعليم اللغات الاجنبية في جميع مراحل التعليم ، مع الشروع بتعليمها في المراحل الابتدائية ، واقامة دورات تدريبية مكثفة في جامعات القطر للراغبين في تحسين مستواهم للغات الاجنبية ٠

٤ ـ العناية المستمرة بالمصطلحات العلمية ومراجعتها واغناؤها بما يتلاءم وحركة التطور العلمي والتعاون في هذا المجال مع مكتب « التنسيق والتعريب » في الوطن العربي بالرباط ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

٥ ـ دعوة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الى وضع خطة قومية للترجمة ترمي الى تنسيق حركة الترجمة في مختلف الاقطار العربية وتنشيطها ·

٦ ـ التأكيد على ضرورة دعوة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الى احداث مؤسسة عربية للتأليف والترجمة والنشر والتوثيق تعمل بقدرة كبيرة على نقل امهات الكتب والمراجع في العلوم والمعارف المختلفة الى اللغة العربية ·

٧ ـ التأكيد على دعوة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الى اقامة (معهد عربي للترجمة) لاعداد المترجمين الاكفاء لتغطية حاجة الهيئات العربية والاسلامية والدولية ولا سيما بعد أن اعتمدت اللغة العربية لغة رسمية في أغلب الهيئات العالمية ·

٨ ـ التعاون مع وزارة الثقافة والارشاد القومي على اصدار الكتب التراثية العربية العلمية مترجمة الى اللغات الاجنبية الاخرى لاطلاع العالم على ما قدمه العرب في الحضارة الانسانية ·

٩ ـ اعادة ما سبق طبعه من المخطوطات ونفذت نسخه وغدا نادرا ليتسنى للباحثين في شؤون التراث العلمي العربي الاطلاع عليها باستمرار ·

١٠ ـ التأكيد على ضرورة تدريس كافة العلوم باللغة العربية في مختلف مراحل الدراسة ولا سيما في الدراسات الجامعية في جميع الاقطار العربية ·

١١ ـ تشجيع مالكي المخطوطات على السماح لمعهد التراث العلمي العربي بتصوير المخطوطات التي بحوزتهم لقاء مكافآت معنوية ومادية والاشادة بأريحيتهم حفاظا على تراثنا ·

١٢ ـ التأكيد على مراقبة المخطوطات الموجودة في المكتبات العامة ، والتشديد على عدم تسربها خارج أماكنها ·

١٣ ـ دعم اقتراح جمعية العاديات والمتضمن اقامة ندوة عالمية عن تاريخ حلب خلال عام ١٩٨٣ م ·

١٤ ـ دعوة معهد التراث للقيام بالاتصال باليونسكو لتنظيم دورة تدريبية لصيانة المخطوطات وترميمها ·

١٥ ـ دعم اللجنة التحضيرية للجمعية العربية لتاريخ العلوم وتكليف معهد التراث العلمي العربي والجمعية السورية لتاريخ العلوم بذلك ·

١٦ ـ نشر الابحاث والدراسات التي ألقيت خلال المؤتمر السنوي السادس لتاريخ العلوم عند العرب ضمن مجلد واحد ·

http://www.al-maktabeh.com

الابحاث العامة

مكتبة المهتدين الإسلامية

٢ ـ للفارسية فضل النقل ، وللعربية فضل الحفاظ على هذه المنقولات ٠ فقد حافظت العربية على تراث اليونان ٠ اذ تبين للاغريق ان جزءا من تراثهم المفقود موجودة ترجمته العربية ، فأقبلوا على العربية يستعيدون منها علومهم ٠ وكذلك الامر بالنسبة الى الفرس بل أوسع ؛ فقد ترجمت كتب فارسية كثيرة الى العربية ، فضاع الاصل وبقيت الترجمة ، وقد ذكر ابن النديم في فهرسته عددا منها ٠ أشهرها كليلة ودمنة ، وألف ليلة وليلة ، وخداينامه ٠ بالاضافة الى أقوال حكمائهم وفلاسفتهم وملوكهم ، مما تجده منثورا في بعض كتب الادب العربية كالعقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي وعيون الاخبار لابن قتيبة ٠ بل ان بعض جذور لغتهم ضاعت ، فوجدوها في كتب المعربات العربية ٠

٣ ـ كان الفرس تابعين في ترجماتهم لا متبوعين ، ملبين أوامر الخلفاء والعلماء في كثير من الاحيان ٠

٤ ـ أحس العالم آنئذ بأن العربية مصب العلوم ، ولغة العصر والحكم والعلم ولهذا تسابق المترجمون ، وعدوها حرفة رابحة ٠

هذا ، وانني أعتبر كل ما ألف في العربية عربيا ، وان كان المؤلفون غير عرب ٠ فما كتبه ابن سينا والخوارزمي والخيام والزمخشري والفيروز آبادي والطبري بالعربية عربي ، لا يحق للفرس أو لغير الفرس نسبته اليهم ٠ فلو لم ينضووا تحت لواء العروبة والاسلام لما عرف هؤلاء ولما عرف علمهم ٠ ولو لم تكن العربية هي السائدة لما برزت مؤلفاتهم ٠ فان هم أعطوا قرائحهم فان تاريخنا أعطاهم شهرة ولغة يكتبون بها ، وحضارة يتلاءمون بها ٠ فلو أن مؤلفا عربيا كتب بالفارسية ألا يتسابقون الى تبني هذا المؤلف ، ونسبته الى حضارتهم ؟ وما زلنا نرى الصراع مستمرا بين أفغانستان وايران وروسية على الطبري وابن سينا والبيروني ٠ كل أمة تحاول نسبتهم اليها ، وهم ما برعوا ولا عرفوا الا في أراض عربية وبلغة عربية ٠٠ ويمكن الاحتفاء بهم عن طريق منافعهم للانسانية ٠

http://www.al-maktabeh.com

المراكز الثقافية المهتمة بالترجمة
والتي أثرت في الحضارة العربية

الخورفسقفوس برصوم يوسف أيوب

ان التفاعل الحضاري العلمي في القرون الميلادية الثلاثة ـ السابع والثامن والتاسع ـ بين سائر الآداب كان النقطة الجوهرية التي ارتكزت عليها ثقافة العرب وان المهمة الرئيسة التي قام بها مشاهير المترجمين والنقلة السريان كان له أبعاد علمية وفكرية في الشرق كافة ، لذا كان لا بد لنا في عجالتنا هذه أن نطرح على بساط البحث والاستقصاء وان كان الطرح موجزا أثر المراكز الثقافية المهتمة بالترجمة لنعبر مع ثقافات الامم الشرقية المختلفة الجسر الذي عبرت منه الثقافة الى العرب وأثرت في حضارته ٠

ولعل القرون الثلاثة المذكورة تعكس الصورة الجميلة عن أهمية الترجمة في حياة الشعوب فالمترجم يضيف الى معرفته علم أمة أخرى أجاد لغتها والناقل يفيد من يلوذ به من عصارة تمخضت عن ثقافة عميقة لدى غيرها ٠ ولا بد لكل أمة أن تستقي من الاخرى فالصرح البشري لا تبنيه مداميك حضارة أمة دون سواها ٠

ولكي نتعرف على فضل الترجمة علينا أن نتأمل أثر السريان القيادي في هذا المضمار ، فالسريان ترجموا ناقلين حضارة أمة عريقة في الغرب الى أمة ذات أرومة سامية في الشرق ، فالحضارة الغربية المتمثلة باليونان تجسدت في الثقافة الشرقية المتمثلة بالعرب والسريان الذين يمثلون عمق التفكير الشرقي الرصين وصح بهم بعد ذلك قول أصحاب الاختصاص : ان اللغة السريانية صارت جسرا لنقل حضارتي فارس والاغريق الى العرب عن طريق الترجمة الى السريانية ثم الى العربية ٠

ان شغف العلماء بالعلم وتعمقهم بالمعرفة كان لهما الفضل في بروز نهضة الحركة الفكرية ولقد رأى هؤلاء المثقفون من الخلفاء ورجالات البلاط اسناد هذه المهمة السامية الى علماء سريان ليكونوا واسطة العقد في حركة الترجمة والنقل التي نشطت على أيديهم أكثر من سائر الامم ايمانا منهم بقدرة هؤلاء على القيام بهذه المهمة العلمية الشاقة يساعدهم في ذلك مرونة لغتهم الام (السريانية) واحاطتهم الشاملة بالعلوم التي ترجموها اضافة الى تضلعهم العميق منها بالاضافة الى تعمقهم في آداب اللغتين العربية واليونانية مما استراح اليه الخلفاء وزادوا من مكافأة المترجمين في سبيل تمتين عرى الثقافة الى فيوض من العطاءات ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية



http://www.al-maktabeh.com

الترجمة من الفارسية في العصر العباسي الاول

الدكتور محمد ألتونجي
كلية الآداب ـ جامعة حلب

ترامى الى أسماع بعض المثقفين أن اللغة الفارسية هي اللغة الاولى التي نقل منها تراث الحضارة ، وتليها اللغة اليونانية ٠ ولما كان بحثي مقصورا على ما ترجم من الفارسية في العصر العباسي الاول ، وهو مجال اختصاصي ، فقد أحببت أن أوضح بديهيات غمض بعضها ، وانحرف الرأي في بعضها الآخر عن جادة الصواب ، علما أن هذه المقولة تكاد تكون صحيحة ٠

نحن لا ننكر أن الفكر العربي استفاد من الترجمة فوائد جمة ، ولكن الترجمة شيء والانطباع بهذه الترجمات شيء آخر ٠ اذ لو لم تكن الأمبراطورية العربية عصرئذ ذات حضارة رفيعة لما استقبلت هذه الترجمات ٠ ولو لم تكن تلك الامم التي نقلت عنها العلوم تشعر بهذه المكانة للعرب لما نقلت اليهم علومها ٠

ولقد واكبت مرحلة الترجمة الفارسية مرحلة نشوء أكبر امبراطورية قوة وحضارة عرفها العالم ، ألا وهي الامبراطورية العربية العباسية ٠ فالعرب كانوا على جوار متين مع الفرس قبل الاسلام سلما وحربا ، غير أن فكرة الترجمة لم تكن واردة أصلا ٠ واستمرت فكرة عدم الترجمة حتى نهاية العصر الامــوي ٠

ولعل أحد أسباب بروز العنصر الفارسي الذي نحن بصدده ، ولا سيما المثقف منه ، وبالتالي ترجمة الكتب الفارسية ، هو قومية الامويين الشديدة التي كانت تنظر الى كل ما هو غير عربي نظرة جفاء وازدراء ٠ وهذا ما دعا الفرس ، خاصة ، الى تلبية أول دعوة مناوئة لعروبيتهم ، والاشتراك في الاطاحة بحكمهم ٠ وهذا ما دعا العباسيين الى أن يستغلوا في الفرس المسلمين هذا الشعور بالاحتقار ، فرفعوا من مقامهم ليستفيدوا من قوتهم ٠ ولكن الفرس لم يكتفوا بفكرة المساواة التي عرفت في الاسلام ، بل سرعان ما نظروا الى العرب نظرة استعلاء ، بشكل يفوق الشعور الذي كان لدى الامويين نحوهم ٠ وحتى يضمنوا لانفسهم تلك المكانة نراهم منذ نشوء الخلافة العباسية يستأثرون بالمناصب العالية ، ولا سيما الوزارات ٠ ويتزعمون القيادات العسكرية ٠ حتى الكتابة الديوانية والانشائية تمسكوا بها ، لانها مرتبطة بالبلاط ارتباطا مباشرا ٠ وما زالت أذهاننا تحمل اسم : ابن المقفع ، وسهل بن هارون ، وعمرو بن مسعدة الصولي ٠٠٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

الى البهلوية من الهندية • وزاد عليها « برزويه » الطبيب المروزي ، كما أضاف عليها جميعا ابن المقفع نفسه ، وغير الاسم الاصلي لها •

و « ألف ليلة وليلة » نقلت الينا من البهلوية ، وعنوانها الفارسي « هزار أفسانه » ألف خرافة ، ولكن أغلب حكاياته جاء من الهندية ، بالاضافة الى ما زاده العرب على هذه الحكايات ، والحكايات العربية الموضوعة معروفة •

وفي مجال الفلك أمر أبو جعفر المنصور ترجمة كتاب هندي عن حركات النجوم الى العربية • وطلب الخليفة أن يؤلف من هذا الكتاب كتاب عربي يتخذ أصلا في معرفة حركات النجوم • فتولى « محمد بن ابراهيم الفزاري » ــ وقيل : بل سبقه أبوه ــ هذا الامر ، وعمل منه كتابا يسميه المنجمون « السند هند الكبير » ومعنى السند هند عند الفلكيين الهنود هو (الدهر الداهر) • وكان هذا الكتاب أساس جداول الخوارزمي الذي عمل منه « زيجه » المشهور ، أي تقويمه •

أما في مجال الطب فان أول مستشفى نعرف عنه معلومات مفصلة كان في بلدة « جند يشابور » الذي أنشىء في عهد الملك « شاهبور » المتوفى عام ٢٧١ م • ويرجح العلماء أن التعليم فيه كان أولا بالسنسكريتية الهندية • وقد غلبت عليه الطرق الطبية الهندية ، في بادىء الامر ، بالاضافة الى ما رفده علماء الاغريق المهاجرين بمعارفهم • كما أن كثيرا من الاعشاب والادوية التي نقلت الينا من الفارسية هندية الاصل ، حتى اسمها فارسي ، مثل : صندل ، تمر هندي ، كافور ، ناركيل ، نيلوفر •••

والمأمون العباسي أمر بترجمة الرياضيات عن اليونانية والهندية ، ولم يذكر الفارسية ، لان المأمون يعرف الفارسية من أمه وزوجه الايرانيتين ، ويعلم أن الرياضيات هندية الاصل • فكان مترجمه في هذا الميدان «يعقوب بن طارق» • وأبو الريحان البيروني ألف كتابه المشهور « ما للهند من مقولة » مستفيدا من الثقافة الهندية المعروفة آنئذ ، وهو كما نعلم عالم فارسي يكتب بالعربية • و « محمد بن موسى الخوارزمي » صاحب الجبر والمقابلة ألف كتابه موفقا بين علوم الاغريق والهنود • وأغلب هؤلاء كتبوا علومهم بالعربية كالبيروني وعمر الخيـــام •

حتى الارقام جاءتنا من الهنود عن طريق الفـــرس • يقــول القفطـــي (ص : ٢٦٦) « ومما وصل الينا من علومهم (علوم الهند) حساب العدد الذي بسطه أبو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي • وهو أوجز حساب ، وأخصره وأقربه تناولا وأسهله مأخذا • يشهد للهند بذكاء الخواطر وحسن التوليد وبراعة الاختيار والاختراع » • فما نسميه اليوم « الارقام العربية » لم يخترعه

http://www.al-maktabeh.com

العرب ولا الفرس ، بل الهنود · أما الفرس فانهم استعملوا أبجديتهم كالاغريق عوضا عن الارقام · ثم اقتبسوها عن العرب كما اقتبسوا الالفباء العربية ·

حتى كتب الحكم والنصائح « أي الاندرزها والبندها » فان قسما منها يرجع الى أصل هندي · وقد عرف الهنود بالحكمة أكثر من الفرس ·

أما ما ترجم حقا عن الفارسية فهو تلك الكتب التاريخية التي حملت أسماء « تاجنامه » أي كتاب التاج ، و « شاهنامه » و « خداينامه » والاثنان بمعنى كتاب سيرة الملوك · ويتبعها كتب « الآيين » أي القواعد والرسوم · ونلاحظ أن النوعين يشرحان تاريخ الملوك الفرس ، وطرائق معاملاتهم ، ومراسلاتهم ، وأوامرهم ، وما يخص رسومهم · والنوع الثاني من الكتب الفارسية هو كتب الديانات الشرقية كالزردشتية ولا سيما كتابها « الاوستا » أي الابستاق ، وكتب الديانة البوذية وأهمها « بلوهر وبوداسف » وكتب مزدك وقد ترجم ابن المقفع أحـدها ·

ونلاحظ أن ما ترجم عن الفارسية :

١ ــ كتب فارسية يغلب عليها طابع التوجيه الملكي ·
٢ ــ كتب فارسية يغلب عليها طابع الديانات غير السماوية المعروفة ·

وهذان النوعان مهمان بالنسبة اليهم في تحقيق هدف طالما صبوا اليه ، وهو الرفع من شأن ملوكهم ودياناتهم ·

٣ ــ كتب علمية ، وهي ثلاثة أنواع أيضا :

أ ــ نوع ألف بلغة هندية ، فكانت الفارسية جسرا لايصالها الى بغداد ·
ب ــ نوع ألفه ايرانيون ولكن بلغة عربية ، فحمل طابع العروبة ·
ج ــ ونوع ألفوه بلغتهم ، ثم ترجم الينا ·

لغــة العلم :

لو لم تكن العربية مرنة ، مطواعة ، مكتملة ، لما حوت كافة علوم عصرها ، مما هو مترجم أو مبتكر · ولو كانت الفارسية لغة علمية أصيلة لاحتفظت بعلومها لنفسها · ويثبت هذا القول ما نراه في كتبهم العلمية اليوم من الالفاظ العربية ، التي يفوق عددها أحيانا أكثر من ربع الالفاظ ·

نتائج الترجمة :

١ ــ لا شك أن ما نقل من كتب عن الفارسية زاد من مستوى الحضارة العربية ، ولكنه لم يكن سببا في رقي العرب ·

مكتبة المهتدين الإسلامية

وقد ساعد الناطقون بالسريانية في نجاحهم المنقطع النظير في الترجمة اخلاصهم للعلوم التي ترجموها ونقلوها فكانت أعمالهم درة ناصعة رصع بها تاج المعرفة لذا استحقت لغتهم السريانية أن تكون قلادة نفيسة طوقت جيد العلوم فانحنت لها ·

وقد وقف العلماء السريان المترجمون والنقلة حياتهم لخدمة العرب والفكر الشرقي ولعل أهم البواعث الاساسية على هذه الحركة الفكرية الحضارية :

أ ـ احتكاك العرب بغيرهم من الامم ·

ب ـ غلبة النفوذ الفارسي ·

جـ ـ نقل العاصمة من الشام الى العراق ·

د ـ دخول كثير من الامم المختلفة في الاسلام ·

هـ ـ حاجة العرب الى علوم ليست عندهم من هندسة وطب ونجوم ·

و ـ القرآن الكريم وحثه على التفكير ، والقرآن حافل بآيات تحث على التفكير في خلق السماوات والارض وتركيب جسم الانسان ·

ز ـ والعلم من توابع استبحار المدنية (١) ·

ومن العوامل التي ساعدت السريان على نقل الفلسفة والعلوم ونشرها :

أ ـ وضعهم الاجتماعي وبلوغهم درجة تؤهلهم قبول المبادىء المنطقية ·

ب ـ المنافسة الدينية التي نشأت بين فرقهم المذهبية ، فكل فريق كان يتخذ الفلسفة للدفاع عن نظريته ودحض نظرية خصمه وحث الآخرين على مقتهـا ·

جـ ـ احتياج السريان والنساطرة والكلدان الى ما يتقربون به من الملوك وأولي الامر فكانت الفلسفة خير الوسائل التي تحقق هذه الامنية (٢) ·

أما مراكز الاشعاع العلمي والينابيع الثقافيـة المهتمـة بالترجمة أو الوسائل التي اتخذها السريان لنشر الفلسفة والعلوم بينهم وبين بقية شعوب آسيا الغربية فكانت المدارس والمعاهد العلمية التي كان لها الاثر الجليل في تاريخ الشرق قاطبة قبل الميلاد وبعده وقد أنبتت كثيرين من العلماء والادباء والشعراء ، وقد انتشرت هذه المدارس انتشارا عجيبا غريبا جعلتهم في طليعة شعوب الشرق بالثقافة والبلاغة (٣) ·

(والسريان أهل ذكاء ونشاط فكانوا كلما اطمأنت قلوبهم وخواطرهم من مظالم الحكام وتشويش الفاتحين انصرفوا الى الاشتغال بالعلم فأنشؤوا المدارس

http://www.al-maktabeh.com

للاهوت والفلسفة ونقلوا علوم اليونان الى لغتهم وشرحوا بعضها ولخصوا بعضها الآخر) (٤) ٠

وجاء في كتاب « ضحى الاسلام » للبحاثة (أحمد أمين) : « كان للسريان فيما بين النهرين نحو خمسين مدرسة تعلم فيها العلوم السريانية واليونانية وكانت هذه المدارس تتبعها مكتبات » ، وقال أيضا : « ان السريان كانوا نقلة ثقافة يونانية الى الامبراطورية الفارسية ثم الى الخلافة العباسية وقد اتسع نطاق الثقافة عندهم حتى أناف عدد مؤلفيهم في العصر الذهبي على أربعمائة كاتب أو مؤلف » (٥) ٠

انتشرت مدارس العلم واحتضنتها المدن الكبيرة والاديرة الشهيرة في الدولة العباسية ، وكانت هذه المراكز العلمية منارة العلم والمعرفة وتخرج فيها عدد كبير من رجال الدين والدنيا وأهمها : الرها ، وتكريت ، وملاطية ، وبغداد ، ونصيبين ، وجندي سابور (٦) ٠

ومن أشهر الاديرة « دير قرتمين » ودير « مار زكا » قرب الرقة ودير « العامود » ودير « مار برصوم » ودير « مار متى » ٠

وقد ذكر الشابشتي في كتابه « الديارات » (٥٣) ديرا في عصره (٧) ٠ كما ذكر صاحب معجم البلدان أديرة عدة (٨) ، وصنف البطريرك أفرام برصوم ديورة طور عبدين ومنها (٢١) ديرا (٩) ٠

مدرسة الرها :

مدينة الرها من أقدم مدن الشرق عهدا وأكثرها مجدا وأجلهـا آثارا وأوسعها تاريخا وأخبارا ازدهرت مدرستها التي أنشأها ملوك الرها الاباجرة ازدهارا رائعا منذ القرن الثاني قبل الميلاد حتى القرن الخامس للميلاد (١٠) ٠

أنشأ السريان سكان ما بين النهرين شمال العراق مدرسة تعلم اللاهوت في الاكثر وتعلمه باللغة السريانية وكانت مدرسة الرها تدرس الثقافة اليونانية باللغة السريانية (١١) وفيها ابتدأ السريان يشتغلون بفلسفة أرسطو في القرن الخامس وبعد أن تعلموها أخذوا ينقلونها الى لسانهم فتعلموا المنطق في أواسط القرن المذكور ، ثم أتم دراسة المنطق (سرجيس الرأس عيني) الطبيب المشهور وفي المتحف البريطاني نسخ خطية من ترجمة (ايساغوجي) الى السريانية وكذلك مقولات أرسطو (لفيرفوريوس) وكتاب « النفس » وغيرها (١٢) ٠

وقد تخرج في هذه المدرسة نوابغ كثيرون أتحفوا العالم بمجلدات كثيرة من نفثات أقلامهم وأشهرهم : مار أفرام وآبا وأسونا وزينوب ويوليان وكل

مكتبة المهتدين الإسلامية

وازدادت وفود الفرس الى بغداد ، طامحة باحدى تلك الوظائف السامية الحساسة • ولكن هذا لا يعني أن الفرس جميعا في العصر العباسي الاول مسلمون، بل ان الاسلام لم يعم أرجاء بلاد فارس وخراسان الا في نهاية القرن الرابع ومطلع القرن الخامس (هـ) • وعلى هذا فان الفرس الذين واكبوا العصر العباسي الاول ثلاث فئات :

١ ـ مسلمون معتدلون ، لا يرتضون العداء ، وقانعون بمسألة المساواة ، واسمهم الموالي •

٢ ـ وثنيون رفضوا الاعتناق بالاسلام وحاربوه سرا وعلنا بشتى الوسائل • وهم المجوسيون ، والمزدكيون ، والمانويون •

٣ ـ منافقون يظهرون الاسلام ويبطنون الوثنية • وهؤلاء أشد عداء للعرب والاسلام من الفئة الثانية • ومن هاتين الفئتين عرفت « الشعوبية » • فالشعوبيون هم المعادون للعرب باسم المساواة معهم •

والحقيقة أن موقع بغداد القريب من بلاد فارس ساعد على مزيد من الالتصاق والاحتياج ، وسهل عملية اندماج الشعبين • ولا عجب فان الحيرة ـ وهي غير بعيدة عن موقع بغداد ـ كانت هي أيضا موئل الفرس ، ونقطة استقطاب لفئات مختلفة منهم • ولعل أول نقطة علمية أذكرها تدل على مدى تأثر العباسيين بالفارسيين أن كلمة بغداد فارسية معناها « عطاء الله » • وان مهندسها فارسي اسمه « نوبخت » أي الحظ الجديد ، بناها في عهد المنصور سنة ١٤٤ هـ ـ ٧٦٢ م ، لكن مخطوطات المدينة مع الاسف ليست في أيدينا•وأبرز من شجع على الترجمة من الخلفاء العباسيين : المنصور ، الرشيد ، المأمون • وأبرز من شجع عليها من الفرس بنو بويه •

دوافع الترجمة :

كان للترجمة عن الفارسية دافعان ، وكلاهما مهم وذو أسباب حافزة • الدافع الاول للعرب أنفسهم • فالخلفاء العرب أرادوا معرفة حضارة الفرس التي ورثوها ، ورغبوا في معرفة حسن الادارة ، وقواعد الحكم ، وسبل معاملة الرعية ، وهي موجودة في الادب الفارسي • ومن العرب أدباء رغبوا في معرفة ما يفكر به صنووهم من الفرس • وهكذا فان النية العربية كانت نية طيبة علمية بحتة •

والدافع الثاني هم الفرس • فقد دفعهم الى الترجمة رغبتهم في احياء تراثهم ليباهوا به العرب أصحاب الفكر والعقل ، ليعلنوا على الملأ أنهم لا يقلون

http://www.al-maktabeh.com

عن العرب حضارة ومعرفة ، بل يزيدون • واذا كان العرب يفوقونهم شعراً ، فان لديهم من الكتب ما يعادل الشعر أو يفوقه • والسبب الثاني الذي دفعهم الى الترجمة أنهم أرادوا تذكير العرب بأمجاد أكاسرتهم الذين حكموا امبراطورية كبيرة في حين من الزمان •

ثم انهم عرفوا بالترجمة منذ القديم ، بل ان قسما مهما من تراثهم مترجم عن لغات أغلب الامم في الشرق ، ولا سيما الهند • وهم اذا كانوا ينقلون تلك العلوم الى لغتهم فانهم يستطيعون نقلها ثانية الى لغة تمكنوا منها وأتقنوها •

بهذين الدافعين ، مع أسبابهما ، نشطت حركة الترجمة نشاطا واسعا ، ساعدها ما هيأته حضارة العصر ، والنشاط العلمي والادبي ، وحرص عدد من الخلفاء ، وعلى رأسهم ، المأمون على تهيئة الاجواء الملائمة لذلك ، وما رأوه من تقديرهم للشعراء والكتاب والاطباء ، على غير عادة الاغريق الذين ما كانوا يكرمون الاطباء ، وعلى غير عادة الفرس الذين ما كانوا يهتمون بالادباء ، ما لم يكن الاديب موبدا (رجل دين) أو واعظا •

مادة الترجمة :

الامر الذي يسترعي الانتباه أن مرحلة الترجمة الاولى لم تكن أقل نشاطا من مرحلة ازدهارها • أعني أن الترجمة منذ بدأت بدأت مزدهرة • ولكن بعض الموضوعات سبق بعضها الآخر • أما المواد التي نقلت الى العربية فأحسب أنها شملت أغلب علوم العصر : من أدب ، وعظة ، ودين ، وطب ، وفلسفة ، ورياضيات ••

غير أن جزءا كبيرا من هذه الترجمات لم يكن فارسيا • صحيح أن هذه الكتب نقلت عن الفرس ، لكن أصولها كانت هندية أو صينية أو اغريقية • وقد أخطأ بعض السادة الباحثين في نسبة عدد من العلوم الى الفارسية ، لانها مترجمة عن لغتهم • فنحن حين نترجم رواية فرنسية عن الانكليزية لا يجوز أن ننسبها الى الانكليز ، بل يجب أن نرجعها الى أصلها الفرنسي •

فابن المقفع نقل عن اليونانية بعض مقولات المنطق • وابن المقفع حتما لا يعرف اليونانية ، ولهذا نرجح أن يكون نقلها عن البهلوية أي الفارسية القديمة • كما أنه نقل الينا القصة الرمزية « بنجه تنتره ــ Panchā Tantrā » ومعناها الحكايات الخمس عن البهلوية ، ووضع لها عنوانا عربيا هو (كليلة ودمنة) • وقد اشترك في تأليف هذا الكتاب عدد من أمم الشرق • أغلب قصصه هندي ، ولكن وجدت له جذور يابانية وصينية وفارسية • هذه الحكايات الخمس الاصلية هي : باب الاسد والبقرة ، باب صداقة الحمامة والغراب ، باب البوم والغراب ، باب القرد والغيلم (السلحفاة) • وأعتقد أن هذه الحكايات نقلت

مكتبة المهتدين الإسلامية

منهم كان كاتبا وشاعرا (١٣) • وأشهر من نبغ من هذه المدرسة بعد مار أفرام (رابولا الرهاوي + ٤٣٥ م) ومار يعقوب السروجي الملفان (+ ٥٢١ م) الشاعر السرياني العجيب ومار فيلكسينوس المنبجي (+ ٥٢٣ م) صاحب كتاب « طريق الكمال » الذي ترجم الى الانكليزية ونشر الاصل والترجمة •

مدرسة نصيبين :

أنشأها في النصف الاول من المائة الرابعة مار يعقوب أسقف نصيبين الشهير وذكر صاحب « المسالك والممالك » أنها من مدن الجزيرة وأكثرها حضارة (نصيبين وهي مدينة كبيرة لها دير عظيم وحواليها ديارات وصوامع للنصارى كثيرة وبالقرب من نصيبين جبل ماردين) (١٤) •

كانت جامعة حقيقية مقيدة بقوانين وقد كتب عنها علماء أوروبا أصولا مطولة حتى انهم قالوا متذهلين « ان المدينة المطروبولطية الكبيرة للنساطرة نشأ داخل أسوارها أول كلية لاهوتية وأول جامعة درس فيها علم الالهيات » (١٥) .

ومدرسة نصيبين الاولى التي أنشأها مار يعقوب أسقفها الشهير كانت أرثوذكسية ومدرسة نصيبين الثانية التي أسسها برصوم النصيبيني ونرساي الملفان فقد تقاطر اليها الطلاب من جميع مدن الشرق وفارس وما بين النهرين وأخذ عددهم يتكاثر حتى بلغ الالف في أوج عزها وقد نالت هذه المدرسة شهرة عظيمة ليس في الشرق فحسب بل اجتازت مملكة الرومان وبلغت ايطاليا وأفريقيا (١٦) وعاشت مائتين وخمسين سنة وخرجت مئات من العلماء الاعلام أجادوا اللغة السريانية والعلوم اللاهوتية والفلسفية وتركوا مؤلفات نفيسة •

مدرسة دير قنسرين :

(قنسرين لفظة سريانية مركبة من « قن » ومعناها « عش » ونسرين ومعناها « النسور » فهي « عش النسور ») •

أسس هذا الدير العلامة مار يوحنا بن أفتونيا سنة ٥٣٩ م على شاطىء الفرات تجاه جرابلس الحالية وازدهرت هذه المدرسة في عهد رئيسها العلامة سايورا سابوخت (٦٦٧ م) الذي انقطع لدرس الفلسفة واللاهوت والعلوم الرياضية قبل الفتح العربي وللعلامة سايورا مؤلفات كثيرة نشر المستشرقون بعضها ، وكتب تعليقا على (أرمانوطيقا) لارسطو وتعليقا آخر على (أنا ليطيقا الاول « القياس ») وشرح بعض المعضلات في خطابة أرسطو (ريطوريقا) وكتب في البروج والاسطرلاب ، ويذكر أول مرة الارقام الهندية خارج بلاد الهند (١٧) •

http://www.al-maktabeh.com

ونوابغ هذه المدرسة كثيرون وأعمالهم العلمية والادبية عظيمة وأشهرهم : توما الحرقلي (+ ٦٢٧ م) وأهم أعماله أنه صحح نسخة العهد الجديد على أربع نسخ يونانية وعرفت هذه النسخة باسم (الحرقلية) نسبة اليه ونقل بعض النقول من اليونانية • مار يعقوب الرهاوي الذي نقل من اليونانية الى السريانية المقولات العشر لارسطو (قاطيغورياس) وألف في الفلسفة واللاهوت وهو أول المؤلفات بنحو اللغة السريانية وضوابطها وأهمها :

مار أثناسيوس البلدي الذي اشتغل بالعلوم الفلسفية ونقل من اليونانية الى السريانية ايساغوجي بورفيريوس وايساغوجي آخر ورسائل القديس سويريوس الانطاكي الكبير • مار جرجس أسقف العرب (٧٢٥ م) وقد نقل الى السريانية كتاب (الارغانون) للمعلم الاول وهو أحسن المؤلفات الفلسفية عند السريان ، هؤلاء وغيرهم ممن تجلت عبقريتهم في مدرسة هذا الدير وأتحفوا السريانية بنفائس مؤلفاتهم (١٨) •

مدرسة دير مار متى اللاهوتية :

وهي مدرسة تقع في جبل ألفاف شمالي الموصل وقد بدأ التعليم فيها في أواخر القرن السادس وبقيت حتى أواخر القرن الثالث عشر وازدهرت في عهد مار ماروثا مفريان المشرق كما اشتهر فيها علماء لغويون أشهرهم : يشو عسبران وأثناسيوس رئيس دير كوختا وساويرا زاديقا وايليا الاردي والراهب أفرام والعلامة اللاهوتي مار سويريوس يعقوب البرطلي صاحب المؤلفات النفيسة في اللاهوت والفلسفة والشعر والموسيقا والادب واللغة (١٢٤١ م) وديوسقوروس جبرائيل البرطلي وقد ترك أشعارا ورسائل تدل على تضلعه من اللغة السريانية (١٣٠٠ م) وأبو نصر البرطلي وله مؤلفات باللغة السريانية •

مدرسة باشهاق :

أسس هذه المدرسة في غضون القرن السادس الاستاذ سبروي العالم اللغوي وكانت في ناحية نينوى وفيها تخرج ولداه راميشوع وجبريل وحفيده الاستاذ سبر يشوع الذين ضبطوا القراءة وصححوا الكتب وأتقنوا تفاسير الكتاب وتعاليم الملافنة •

مدرسة جند يسابور :

سنة (٥٥٥ م) أنشأ كسرى أنو شروان في جند يسابور معهدا للطب والفلسفة وكان عدد وافر من كبار أساتذته من علماء النصارى وكانوا يلقون دروسهم باللغة السريانية من هؤلاء : جورجيس بن بختيشوع عميد المعهد وهو

مكتبة المهتدين الإسلامية

الذي استدعاه أبو جعفر المنصور سنة (٧٦٥ م) في استشارة طبية وعرض عليه الدخول في الاسلام وقال له : « أنا أضمن لك الجنة » فكان جـوابه : « قد رضيت حيث آبائي في الجنة أو في النار » (١٩) وجورجيس هذا مؤسس أسرة من الاطباء استأثرت بممارستها الطبابة في دار الخلافة واستمرت هذه المدرسة ستة أجيال أو سبعة وكان ابنه بختيشوع (ت ٨٠١ م) رئيس الاطباء في مستشفى بغداد في خلافة الرشيد (٢٠) ٠

وهناك مدارس أخرى ذكرت في سياق الحوادث التاريخية أسسها السريان في غضون القرن السادس أو بعده وأهمها مدارس بيت قيقي وبيت ترلي وتلصلما وبيت بني وشورزق في قرى بنوهدرا (دهوك) ومدرسة عظيمة في نينوى في أواسط القرن السابع وجد فيها العالم الجليل الربان داود بن فاولوص من آل ربان ٠ ومدرسة دير مار سرجيس في جبل سنجار المعروف بالقاحل وتخرج فيها العلامة موسى بن كيفا صاحب المؤلفات في علم النفس ٠

ويذكر تاريخ الكنيسة الشرقية أن للنسطورية أديرة كثيرة تخرج فيها علماء ثم يذكر أيضا مدارس في أمهات مدن ما بين النهرين وفارس امتازت بتقديم أعظم المساعدات للثقافة الشرقية عامة والعربية خاصة أهمها :

مدارس أرزون وبيث العيون (بيث عيناثا) وتماتون وبلد وأربيل وتحشيرون وبيت ايبرابي (منبت الاجنحة) وبيت رستاق وقميثا وأدراني مبار وكرخ سلوخ وخربة جلال (حرباث كلال) وبلاشبار وأواثا والحـيرة وكشكر وريحا وميشان وشوشتر وكرخ ليدان وشوشان وبيث لافاط وريوارد أشـير ومرو وغيرها (٢١) ٠

وفي أثنا حديثنا عن المراكز الثقافية لا ننسى بيت الحكمة في بغداد الذي يعد أعظم بيوت الحكمة وأشهر معاهد العلم آنذاك فهو أكاديمية عظيمة بل جامعة متقدمة جدا شكلت من حيث هي خزانة كتب في عهد أبي جعفر المنصور (٧٥٢ ــ ٧٧٤ م) ووسع في عهد الخليفة هارون الرشيد (٧٨٦ ــ ٨٠٨ م) ثم بلغ قدرا كبيرا جدا من التوسع والازدهار في خلافة عبد الله المأمون (٨١٣ ــ ٨٣٣ م) اذ تم تنظيمه على غرار المدارس المسيحية الشرقية والفارسية ، وضم اليه أقطاب الترجمة ومشاهير العلماء أمثال : محمد وأحمد والحسن أبناء موسى بن شاكر وسهل بن هارون وسعيد بن هارون وأبي جعفر محمد الخوارزمي ويوحنا بن البطريق وكان يوحنا بن ماسويه يشرف عليه (٢٢) ٠

وكان المال متوافرا بفضل سخاء الخلفاء والوزراء والاعيان كما كان العمل جماعيا وفيه كثير من التخصيص (٢٣) ٠

http://www.al-maktabeh.com

ويقول ابن خلدون : ان الاسلام مدين الى هذا المعهد العلمي باليقظة الاسلامية الكبرى التي اهتزت بها أرجاؤه • ودامت هذه الاعمال أعمال الترجمة الخصبة المثمرة ما بين عامي (٧٥٠ و ٩٠٠ م) وفي هذه المرحلة عكف المترجمون على نقل أمهات الكتب من السريانية واليونانية والفهلوية والسنسكريتية الى اللغة العربية وعلى رأس المترجمين المقيمين في بيت الحكمة طبيب نسطوري هو حنين ابن اسحق (٨٠٩ ـ ٨٧٣ م) وقد ترجم وحده ـ كما يقول هو نفسه ـ الى اللغة السريانية مائة رسالة من رسائل جالينوس ومدرسته العلمية ، والى اللغة العربية تسعا وثلاثين رسالة أخرى وترجم حنين فضلا عن الرسائل المذكورة كتب الطبيعة والمقولات والاخلاق الكبرى لارسطو ، وكتب الجمهورية ، وطيماوس والقوانين لافلاطون وعهد ابيقراط وكتاب الاقرباذين لديوسقريدس وكتاب الاربعة لبطليموس (٢٤) •

وكان ابنه اسحق بن حنين يساعده في أعمال الترجمة ونقل هو الى العربية من كتب أرسطو كتب ميتافيزيقا والنفس وفي توالد الحيوانات وفسادها ، كما نقل اليها شروح الاسكندر الافروديسي وهو كتاب له أثر كبير في الفلسفة الاسلامية (٢٥) وكتابه في الطبيعة الذي ترجمه عن اليونانية شرحه ابن السمح وابن عدي ومتى بن يونس وأبي الفرج بن الطيب (٢٦) ، ونسب إبن العبري الى حنين عدا ترجماته أعمالا أخرى مكونة خمسة وعشرين مجلدا ، كما نسب اليه نظريات عربية كثيرة في الطب (٢٧) ، وكان حنين وابنه اسحق وابن أخيه حبيش بن الحسن الاعصم من بين الاوائل القادرين حيث أمدوا المسلمين بكل شيء تقريبا مما عرفوه من علوم اليونان ، وقد ترجموا عن اليونانية أولا الى السريانية ثم بعد ذلك الى العربية ، ولكن أكثر هذه الاعمال ظهر بعد ذلك تحت اسم حنين أو نسبت مؤخرا الى حنين (٢٨) وبذلك سمي حقا (شيخ المترجمين السريان) (٢٩) •

وقد واصل المترجمون السريان نقل الفلسفة اليونانية الى السريانية ثم الى العربية ، وقد بين علماء الغرب قيمة خدمتهم الجليلة للعلوم والمدنية ، مقدرين لهم ذلك ، لذلك نجد أن العرب قد استقوا أولى معلوماتهم عن أرسطو من المصادر السريانية (٣٠) •

كما اعتمد المسلمون على العلماء السريان في نقل الكتب اليونانية الى لغتهم السريانية ثم الى العربية (٣١) •

وتم تعريب العالم الاسلامي كله في مطلع القرن الثالث الهجري ـ التاسع الميلادي وهو عصر حنين (٣٢) •

وقد نقل أطباء السريان كثيرا من كتب الطب من اليونانية الى السريانية

مكتبة المهتدين الإسلامية

ثم نقلوها الى العربية وترجم سرجيس الرأسعيني كتب جالينوس الى السريانية ثم نقلها في الاسلام موسى بن خالد الى العربية (٣٣) ٠

ولهم في النجوم مؤلفات كثيرة ألف سرجيس الرأسعيني في تأثير القمر وحركة الشمس ، والسبكتي في صور الابراج والرهاوي وداود البيثرباني وموسى بن كيفا وعمانوئيل البرشهاري ٠

واشتغلوا أيضا في الكيمياء والحساب والرياضيات ، وقد استغرقوا في آداب اللغة اليونانية وشعرها فترجموا الالياذة والاوديسا الى لسانهم وقام بذلك ثيوفيل الرهاوي سنة ٨٧٥ م (٣٤) ونقل ماسرجويه كناش آهرون من السرياني الى العربي وهو ثلاثون مقالة زاد عليها ماسرجويه مقالتين (٣٥) ٠

وفي سنة ٦٤٣ م تقريبا نقل علماؤنا العرب من بني طيء وتنوخ وعاقولا (الكوفة) الانجيل المقدس الى العربية لامر البطريرك الانطاكي يوحنا أبي السدرات استجابة لرغبة عمر بن سعد بن أبي وقاص أمير الجزيرة (٣٦) ٠

بقي أن نقول : ان هذه المراكز العلمية التي اهتمت بالترجمة والعلماء المترجمين والنقلة السريان خدموا الامة العربية وآدابها ولغتها وحضارتها بكل أمانة واخلاص ولا بد لنا أن نقر بفضلهم وتأثيرهم في الحضارة العربية ٠

http://www.al-maktabeh.com

هوامش البحث

١ ــ تاريخ الفكر العربي للدكتور عمر فروخ ص ١٩٤ / ١٩٦٢ ، و « حركة الترجمة والنقل في العصر العباسي » موسى يونان غزال ص ١٣ ــ ١٤ ٠

٢ ــ « حركة الترجمة والنقل » ص ٣٩ ٠

٣ ــ « مدارس السريان ومشاهير جهابذتهم » للفيكونت فيليب دي طرازي ٠ « النشرة السريانية الحلبية » ص ٢٧١ / ١٩٤٥ ٠

٤ ــ « تاريخ آداب اللغة العربية » ــ جرجي زيدان ج١ و ٢ ص ٣٣٥ ٠

٥ ــ « المجلة البطريركية بدمشق » ص ١٢٦ / ١٩٦٢ ٠ و « اللغة السريانية » لصاحب المقال ص ٣٧ ٠

٦ ــ « عصر السريان الذهبي » لطرازي ص ٣٩ ٠

٧ ــ « الديارات » للشابشتي ص ٥ تحقيق كوركيس عواد ٠

٨ ــ « معجم البلدان » لياقوت الحموي ج٤ ص ١١٩ ٠

٩ ــ « تاريخ طورعبدين » بالسريانية للبطريرك أفرام برصوم ترجمة المطران بولس بهنام ص ٢١٧ / ١٩٦٣ ٠

١٠ ــ « مجلة الحكمة » بالقدس ص ٤٥٧ / ١٩٢٩ والنشرة السريانية بحلب ص ٢٧٢ و ٣٩٣ / ١٩٤٥ ٠

١١ ــ « تاريخ العرب قبل الاسلام » ــ علي جواد مج ٦ ص ٧٣ ٠

١٢ ــ « تاريخ آداب اللغة العربية » ــ جرجي زيدان ج١ و ٢ ص ٣٣٥ واللغة السريانية ص ٣٨ ٠

١٣ ــ « اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية » للبطريرك أفرام برصوم ٠ طبعة حمص ص ٢٠٣ / ١٩٤٣ ٠

١٤ ــ « المسالك والممالك » ــ الكرخي ص ٥٢ ــ ٥٣ ٠

١٥ ــ لابور ٣٠١ ومجلة المشرق الموصلية ص ٣١٠ / ١٩٤٦ ٠

١٦ ــ لاند ٢ : ٧٧ والسمعاني ٣ : ٢ : ٩٢٧ ٠

١٧ ــ مجلة المشرق الموصلية ص ١٩٤٦/٣٥٨ والنشرة السريانية الحلبية ص ١٩٤٥/٢٩٥

١٨ ــ حركة الترجمة والنقل ص ٦٢ و ٦٣ واللغة السريانية ص ٣٨ ٠

١٩ ــ تاريخ الحكماء ــ القفطي ص ١٥٨ ــ ١٦٠ والفهرست ٣٩٦ ، وابن العبري ص ٢١٣ ــ ٢١٥ ، ابن أبي أصيبعة مج ١ ص ٢٥ ٠

٢٠ ــ تاريخ سوريا ــ الدكتور فيليب حتي ج٢ ص ١٧٦ ٠

٢١ ــ قصة مار آبا الجاثليق ، وكتاب العفة ليشوع دناح ، والتاريخ السعردي وتوما المرجي وبيجان ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

٢٢ ـ بيت الحكمة ـ سعيد الديوهجي ص ٣١ ـ ٣٤ / ١٩٧٢ وتاريخ الفكر العربي ص ٦١ ٠

٢٣ ـ آثار حنين بن اسحق ـ للسامرائي والعلوجي ١٩٧٤ بغداد ٠

٢٤ ـ قصة الحضارة ـ ول ديورانت ج٢ مج٤ ص ١٧ ٠

٢٥ ـ الطبيعة ـ أرسطوطاليس ترجمة اسحق بن حنين جزءان طبع القاهرة ١٩٦٤ ٠

٢٦ ـ دوفال ص ٧ / ٢٧٦ ٠

٢٧ ـ رايت ص ٢١٣ ، دوفال ص ٢٧٧ و ٢٨٦ ، بومشتارك ٣٠ / ٣٢٩ ، وتاريخ الادب السرياني من نشأته الى العصر الحاضر للدكتورة زاكية محمد رشدي ص ٣٢٣

٢٨ ـ حنين بن اسحق ـ د٠ يوسف حبي ص ٢٨ / ١٩٧٤ ٠

٢٩ ـ الفهرس ص ٣٦٩ والطبيعة لارسطوطاليس ج١ ص ٢١ ٠

٣٠ ـ علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب ـ د٠ لاسي أوليري ٠

٣١ ـ ابن العبري ص ٢٢٠ ، تاريخ سورية للدبس ج٣ ص ٢٩٧ ، الغزي ص ٤٤ ٠

٣٢ ـ الفهرست ص ٢٩٥ ، القفطي ص ٢٦٢ ، تاريخ سورية د٠ حتي ج٢ ص ١٧٧ ٠

٣٣ ـ طبقات الاطباء ج١ ص ١٨٩ ٠

٣٤ ـ تاريخ التمدن الاسلامي ج٢ ص ١٥٩ ٠

٣٥ ـ طبقات الاطباء ج١ ص ١٠٩ وتاريخ التمدن الاسلامي ص ١٣٤ ٠

٣٦ ـ تاريخ مار ميخائيل الكبير مج ٢ ص ٤٣١ وتاريخ الرهاوي المجهول ج٢ ص ٢٣٦ والتاريخ الكنسي لابن العبري مج ١ ص ٢٧٥ وكنيسة أنطاكية سورية ص ٣٦ ٠

http://www.al-maktabeh.com

الالفاظ والمصطلحات السريانية في الطب العربي

الدكتور محمد زهير البابا
استاذ العقاقير وتاريخ الطب والصيدلة
في كلية الصيدلة ـ جامعة دمشق

لقد قام غبطة البطريرك المرحوم ماراغناطيوس أفرام الاول ، عضو المجمع العلمي العربي بدمشق ، بتحرير مقالات عدة في مجلة المجتمع ، نشرت بين عامي ١٩٤٨و١٩٥١ م ، ثم جمعها في كتاب نشر تحت عنوان (الالفاظ السريانية في المعاجم العربية) وذكر في مقدمة كتابه ما ياتي :

« ان الذي دعانا الى تأليف هذه الرسالة المشتملة على ما أدخل في اللغة العربية من الالفاظ السريانية ، أننا في أثناء مطالعتنا لمعاجم هذه اللغة ، وقفنا على ألفاظ سريانية الاصل معربة ، وهي على أربعة أضرب » :

١ ـ ضرب أفصحت المعاجم (العربية) بأصله ، ولكنها قصرت في تحديده واشتقاقه ٠

٢ ـ ضرب آذنت بكونه معربا ، غير أنها لم تشر الى اللغة التي نقل منها ٠

٣ ـ ضرب مرت به سراعا ، ولم تقم بحق بيانه مع بروز عجمته ، أو أنها وسمته بالمعرب أو المولد أو الدخيل ، على سبيل الحدس والظن ٠

٤ ـ ضرب أخطأت في نسبته الى لغة دون لغة ، تقصيرا من مؤلفيها في تحقيق أصله ، بالاستقصاء من أهل اللغة السريانية وغيرها » ٠

وبعد أن وصف غبطته الجهد الذي بذله ، والمصادر التي رجع اليها لتحقيق مصادر تلك الالفاظ الدخيلة على اللغة العربية ومعرفة هذه المصادر قال :

« وهذه الامة السريانية التي كان صدور علمائها يضطلعون باللغة اليونانية والعلوم الفلسفية والطبيعية على أصنافها ، لم تلق عند تلاميذها العرب ما كان يوجبه عليهم حق العلم ، فبدلا من التصريح باسمها (أي اللغة السريانية) اذا بهم ينحلونها على الغالب اسم النبط أو النبطية » ٠

لقد كان لهذا الكلام أثر عميق في نفسي ، ذلك لانني أعلم كغيري من الباحثين في تاريخ الحضارة العربية ، أن علماء العرب والمسلمين ، دون كثير من علماء الامم الاخرى ، قد اعترفوا بفضل بعض الاقوام عليهم ، ذميين كانوا أم وثنيين ٠ واسبغوا على علماء تلك الاقوام ألقاب التعظيم ، لما استفادوه منهم ٠ لهذا السبب آليت على نفسي أن أتعمق بدراسة تاريخ الشعب السرياني ولغته ، لاتعرف على منجزاته ولا سيما في الحقلين الطبي والعلمي ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

أ ـ لمحة تاريخية عن الشعوب التي قطنت سورية :

يقول الدكتور فيليب حتي ، في كتابه تاريخ سورية ، ان أول شعب سامي بحث عن موطن له في البلاد السورية وأقام فيها ، هو الشعب الآموري (العموري) ٠وقد اتخذ هذا الشعب من مدينة ماري، الواقعة بالقرب من مصب الخابور عاصمة له ٠ وانتقل بعد ذلك من حياة الرعي الى حياة الاستقرار حوالي ألف عام قبل الميلاد ٠

ويعد الكنعانيون ثاني شعب هام ظهر في سورية ، وقد أطلق عليهم اليونان اسم الفينيقيين ٠ وينتسب كل من الكنعانيين والآموريين الى الموجة نفسها من الهجرة التي صدرت عن بادية الشام ، لذلك فانهم ينتمون الى العرق البشري نفسه ، الا أن الآموريين اندمج قسم منهم بالسومريين والحوريين ، كما اندمج الفينيقيون ببعض الاقوام المحلية التي كانت تقطن الساحل السوري ٠ وقد دلت الدراسات الاثرية على أن الاختلاف اللغوي بين الشعبين الاموري والكنعاني كان اختلافا في اللهجة فقط ، لان اللغتين كانتا من النوع السامي الغربي الذي يضم العبرية ٠

وقبل منتصف الالف الثاني قبل الميلاد استوطنت بعض القبائل الرحل ، الضاربة في بادية الشام ، ضفاف وادي الفرات الاوسط ، حيث نشأت قوميتها ولغتها ، وعرفت باسم الشعب الآرامي ٠ وقد أطلق الآموريون على أفراد هذه القبائل اسم الاخلامو ، التي تعني الرفاق و (الاخلاء) ٠

أسس الآراميون ، شأن الكنعانيين الذين سبقوهم ، دويلات عدة في بلاد الهلال الخصيب ، وأشهر تلك الدويلات (آرام فدان) وكان مركزها مدينة حران ، و (آرام النهرين) وآرام دمشق ٠٠ وكانت الاخيرة أهم تلك الدول ، وقد أسست في أواخر القرن الحادي عشر قبل الميلاد ٠ وامتد نفوذها من نهر الفرات شمالا الى وادي اليرموك جنوبا ، الا أن جبل لبنان كان عائقا دون توسع الآراميين نحو الغرب ٠

ب ـ العلاقة بين الآراميين وبين الانباط :

نشأت دولة الانباط قبل الميلاد ، في المنطقة الشمالية الغربية من جزيرة العرب ، في المكان الذي أطلق عليه اليونان والرومان اسم العربية الحجرية (البتراء) ٠ والانباط ، كما اتفق عليه أغلب المؤرخين ، هم قوم من جبلة العرب ، وان تبرأ العرب منهم ، وعابوا عليهم لهجتهم ، حتى جعلوا لغتهم من لغات العجم ، لانهم تثقفوا بثقافة الآراميين وكتبوا بكتابتهم وتأثروا بلغتهم ٠

ويقول المسعودي في معرض حديثه عن أهل نينوى « وكان أهل نينوى ممن

http://www.al-maktabeh.com

سمينا نبيطا وسريانيين ، والجنس واحد واللغة واحدة ، وانما بأن النبط عنها بأحرف يسيرة في لغتهم » ٠

ويقول صاحب تاج العروس عن أنباط بلاد ما بين النهرين « انهم جيل من العجم نزلوا البطائح بين العراقين وسموا بذلك لكثرة النبط عندهم وهو الماء » ٠

ويوضح الدكتور جواد علي الفرق بين أنباط البتراء وبين أنباط الرافدين فيقول : « والنبط الذي يقصدهم الاخباريون هم بقايا الشعوب القديمة ، خاصة النازلين في البطائح ، ومنهم ترسبات الآراميين في العراق والشام ، وذلك قبيل الاسلام وبعده ٠ وكانوا يتكلمون بلهجات عربية ولكن برطانة أعجمية ، وهم غير أنباط البتراء » ٠

لقد شملت مملكة أنباط البتراء ، وهم من أصل عربي ، في أوج أيامها ، منطقة واسعة ضمت مدينة دمشق والقسم الجنوبي من لبنان، بالاضافة الى القسمين الجنوبي والشرقي من فلسطين ٠ ويطلق المؤرخ اليهودي (يوسيفوس) اسم النبطية على منطقة واسعة تمتد من نهر الفرات شمالا حتى البحر الاحمر جنوبا ، وهي المناطق التي انتشر فيها أولاد اسماعيل ٠ ويظهر أن هذا المؤرخ ، كما يقول الدكتور جواد علي ، كان يرى وجود صلة بين اسم (نبايوت) ، وهو اسم اسماعيل في التوراة ، وبين اسم النبط ، وهي كالصلة التي تربط بين الشعب الآرامي وآرام ، الابن الخامس لسام بن نوح ، كما جاء في الكتاب نفسه ٠

قامت في سورية ، قبيل الميلاد وبعده ، دويلات عدة تشبه دولة الانباط بأصلها ولغتها وكتاباتها ، وذلك في مدن تدمر وحمص والرها وغيرها ٠ وتدل كتابات تلك الدول على أن أبناء هذه الدويلات استعملوا الخط الآرامي ، أما لغة كتاباتهم فكانت مزيجا من عربية وآرامية ويونانية ولاتينية ٠

جـ ـ العلاقة بين اللغتين الآرامية والسريانية :

لقد قام التجار الآراميون بنشر لغتهم ، وهي ـ كما رأينا ـ فرع من مجموعة اللغات السامية الغربية ، فأصبحت اللغة الآرامية حوالي القرن الخامس قبل الميلاد لغة التجارة والحضارة لجميع دويلات الهلال الخصيب ، وكان فوزها على شقيقاتها اللغات السامية ، بما فيها العبرية ، فوزا تاما ، وأصبحت لغة السيد المسيح وشعبه بعد ذلك وبانتشار اللغة الآرامية انتشرت الابجدية الفينيقية التي كان الآراميون أول من أقتبسها ٠

وتفرعت اللغة الآرامية الى لهجات محلية عدة ، منها النبطية والتدمرية

مكتبة المهتدين الإسلامية

ولهجة سكان الرها . وحينما اصطفى المسيحيون الآراميون اللهجة الاخيرة وجعلوها لغة الكنيسة والادب صاروا يعرفون باسم السريان كما عرفت لغتهم باسم السريانية .

لم يكن للغة السريانية كتب نحو ، اذ كان أهلها يتكلمون بها بفصاحة فطرة ، شأنها في ذلك شأن اللغة العربية . وقد ظلوا على هذه الحال مدة طويلة ، لكنهم لما وقفوا على كتاب النحو اليوناني (الغراماطيق) الذي ألفه ديونيسوس القورنثي ، نقلوه الى لسانهم ومنه اقتبسوا أصول النحو ، ويعد يعقوب الرهاوي ، وهو من علماء القرن السابع للميلاد ، أول من رسم طريق النحو السرياني ، وقد نقل عنه العالم ابن العبري وغيره بعد ذلك .

أما المعاجم فلم يؤلف السريان الغربيون شيئا منها ، وانما كانوا يعتمدون على مصنفات المشارقة . وأكثر هذه المعاجم شهرة قاموس الاطباء لحنين بن اسحق وقاموس الحسن بن بهلول ويسوع بن علي وغيرهم ممن عرف في العصر الاسلامي .

لقد كان لظهور الديانة المسيحية في بلاد الشرق الادنى دعم لانتشار اللغة السريانية فيها . ويقول الدكتور حتي : « كانت اللغتان اليونانية والسريانية تستعملان في العبادة وأداء الطقوس الدينية منذ عهد الرسل . وبعد ان ارتقت انطاكية الى مركز الصدارة في الجزء الذي كان يتكلم أهله اليونانية ، بدأت الرها بالارتقاء الى مكانة مشابهة في البلاد التي تتكلم السريانية . وأصبحت الرها أقدم مركز للمسيحية في شمال سوريا وبلاد الرافدين ، كما اعتبرت أعظم مهد للادب السرياني » .

لقد ظهرت الكنيسة التي استعملت اللغة السريانية منذ القرن الثاني للميلاد . وحينما انتشرت الديانة المسيحية انتشارا رسميا في أوائل القرن الرابع للميلاد ، فرضت اللغة السريانية نفسها تجاه اللغة اليونانية في كثير من الكنائس الشرقية ، ولا سيما تلك التي كانت تقول منها بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح .

كان السوريون منذ ذلك الوقت يعرفون لغات عدة ، لذلك فان الذي اهتم منهم بالحصول على وظائف في الدولة فضل التعمق في دراسة اللغة اللاتينية . أما الذين فضلوا دراسة العلوم والفلسفة فقد فضلوا تعلم اللغة اليونانية . وتمسك عامة الشعب باللغة السريانية التي عدت اللغة القومية للبلاد .

لقد ظلت اللغة اليونانية لغة العلم والثقافة في بلاد الشرق الاوسط حتى أوائل الفتح الاسلامي . وقد تنافست مدينتا الاسكندرية وانطاكية على حمل

http://www.al-maktabeh.com

لواء الحضارة اليونانية حتى ذلك الوقت · الا أن مدينة الاسكندرية كانت لها الاهمية في المجالين العلمي والعملي بينما عرفت مدينة انطاكية بالفلاسفة ورجال الاصلاح الديني ·

علاقة علم الطب باللغة السريانية :

من المعلوم ان أكثر المعجزات التي قام بها السيد المسيح كانت تجلى بتقديم الخدمات الصحية للمرضى والعاجزين وقد أخذ رجال الدين المسيحي يقلدونه وأفردوا أجنحة خاصة في الكنائس والاديرة لمساعدة المرضى واعتادوا على تقديم المعونات الروحية والصحية · وبما أن التراتيل والتعاويذ والايقونات لا بمكنها أن تشفي دائما من جميع الامراض ، لذلك لجأ كثير من الكهان والرهبان الى دراسة الطب اليوناني ، ورحل بعضهم الى مدرسة الاسكندرية وراء هذا القصد · وقد تخرج فيها خلال المرحلة الممتدة ما بين القرنين السادس والثامن للميلاد بعض الاطباء المعروفين من مثل اهرن القس والعالمين سرجيوس الرأسعيني ويعقوب الرهاوي وغيرهم · ويقال : ان سرجيوس كان امام عصره في الطب (٥٣٦ م) وهو أول من نقل العلوم اليونانية الى السريانية ، كما عرف أهرن القس بكناشه الذي وضعه في علم الطب ، وقد قام بنقله من اللغة السريانية الى اللغة العربية الطبيب ماسرجويه في زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز ·

يقول ابن أبي أصيبعة المؤرخ المشهور : ان أطباء مدرسة الاسكندرية المتأخرين قد اختصروا مؤلفات جالينوس الاساسية في الطب ، وعددها ستة عشر كتابا ، وجعلوها على شكل مجاميع ، لكي تسهل دراستها على طلاب الطب ·

ان هذا القول يجعلنا نعتقد ان الاطباء السريان ، قبيل العصر الاسلامي ، لم يطلعوا على أمهات كتب الطب اليوناني ، التي كانت محفوظة في خزائن الدولة البيزنطية في ذلك الوقت ، وانما اكتفوا بدراسة جوامع الاسكندرانيين المذكورة آنفا ·

وحينما أنفذ الرشيد الرسل الى امبراطورية الروم ليشتروا المخطوطات اليونانية ، كان أكثر ما حصل عليه من مادة الطب · وهذا ما جذب انتباه أطباء بيماستان جنديسابور ، من عائلة بختيشوع ، فأسرعوا للاستفادة من تلك الكتب ، التي لم يكونوا يعرفونها ، والتي لم يكن باستطاعتهم الحصول عليها · وقد عملوا قبل كل شيء على ترجمتها الىاللغة السريانية ، ثم ترجمت خلال مدة قصيرة بعدها الى اللغة العربية · وبعد ذلك أصبحت الترجمة تتم مباشرة من اليونانية الى العربية ، بعد أن اتقن الاطباء السريان معرفة تلك اللغة ــ ويقول العالم أوليري في كتابه مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب ــ « كانت الترجمة من اللغة اليونانية الى السريانية تعمل خصيصا لطلاب العلم والاصدقاء من النصارى

مكتبة المهتدين الإسلامية

أما الترجمة من اللغة اليونانية الى العربية فقد خصصت للخلفاء والوزراء ولبعض الاسر الفنية المهتمة بالعلم والثقافة من المسلمين » .

الالفاظ والمصطلحات السريانية الموجودة في اللغة العربية :

ذكرنا سابقا أن غبطة المرحوم أغناطيوس أفرام الاول قد قام بدراسة لغوية متعمقة للالفاظ السريانية والدخيلة التي عرفها العرب واقتبسوها من الشعوب المجاورة لهم ، والتي تعايشوا واياها خلال التاريخ . وقد رتب تلك الالفاظ بحسب حروف المعجم ، وجعلها في زمرتين :

١ ــ الالفاظ التي يرجح أصلها السرياني أو الآرامي .
٢ ــ الالفاظ التي اتفقت فيها السريانية والعبرانية ، أو السريانية والعربية ، أو اتفقت فيها اللغات الثلاث .

كما قام أيضا بجمع بعض الالفاظ الواردة في اللغات ألسامية القديمة كالآشورية فصنفها وقارن أيضا بينها وبين تلك اللغات . وقد بلغ مجموع هذه الالفاظ جملة (٦٦٠) لفظا تقريبا .

والجدول الآتي يبين عدد كل زمرة من تلك الالفاظ وأصلها :

	العدد
ــ ألفاظ سريانية بحت	٣٥٢
ــ ألفاظ يرجح أنها ذات أصل سرياني	٢٧
ــ ألفاظ مختلف أصلها بين الآرامية وبين الفارسية	١٥
ــ ألفاظ اتفقت فيها السريانية والعبرانية	٤٣
ــ ألفاظ عبرانية الاصل دخلت السريانية والعربية	١١
ــ ألفاظ اشتركت فيها السريانية والعربية	٣٠
ــ ألفاظ اشتركت فيها السريانية والعربية والعبرانية	٢٨
ــ ألفاظ سامية الاصل	٣٣
ــ ألفاظ توافقت فيها الآشوريةوالسريانيةوالعبرانية والعربية	٤٤
ــ ألفاظ توافقت فيها الآشورية والسريانية	٨
ــ ألفاظ توافقت فيها الآشورية والآرامية والعبرانية	٩
ــ ألفاظ توافقت فيها الآشورية والآرامية والعبرانية والعربية	٦
ــ ألفاظ آشورية الاصل	٦
ــ ألفاظ لاتينية دخلت العربية عن طريق السريانية	٣
ــ ألفاظ يونانية دخلت العربية عن طريق السريانية	٢٧
ــ ألفاظ سنسكريتية الاصل	٣
ــ ألفاظ فارسية الاصل	١٥
	٦٦٠

http://www.al-maktabeh.com

ولقد قمت بدراسة مجملة وبتصنيف لتلك الالفاظ ، وانتخبت ما له علاقة بعلوم الطب ، فوجدت ما يأتي :

أ ـ أسماء نباتات ومصطلحات نباتية ، وعددها سبعون تقريبا ، هي :

أب ـ أترج ـ أجاص ـ أرز ـ آس ـ أسل ـ أشنة ـ اكار ـ باكورة ـ بطم ـ بطيخ ـ بلوط ـ بور ـ ترعة ـ تنوم ـ توت ـ جرجير ـ جعقيل ـ جنة ـ حاج ـ حاشا ـ حزاز ـ حلتيت ـ حلفا ـ حندقوق ـ حور ـ حوك ـ خربق ـ خروب ـ خس ـ خلات ـ خوض ـ دالية ـ دراقن ـ دفران ـ دقل ـ دلب ـ زعرور ـ زوفا ـ سرو ـ شرش ـ شواصرا ـ صفصاف ـ عاقر قرحا ـ عفص ـ عقار ـ عكوب ـ غبيراء ـ غرب ـ فاشرشين ـ فجل ـ فرفح ـ فستق ـ فل ـ فيجن ـ قطونا ـ قنابري ـ كتان ـ كراث ـ كمثرى ـ لفت ـ من ـ ورد ـ يبروح ·

ب ـ ألفاظ ومصطلحات طبية وغذائية ، وعددها ثلاثون تقريبا ، هي :

آسي ـ بحران ـ برشانة ـ برشعثا ـ بز ـ تامور ـ تلميذ ـ حريف ـ حواري ـ خبيص ـ خناق ـ دبس ـ دوغ ـ ذقن ـ سريس ـ سفوف ـ ساعور ـ سرم ـ عقار ـ عليل ـ عنين ـ غرلة ـ فالج ـ فسر (تفسرة) ـ قيروطي ـ كناش ـ ميرون ـ ميمر ـ ناسور أو ناصور ـ ناسوت ·

جـ ـ أسماء أدوات مختلفة ، تستعمل في الطب والصيدلة أو في الامور المنزلية وعددها (ثمانية عشر) هي : ابزن ـ اتون ـ اجانة ـ أصيص ـ انبوب ـ باطية ـ بستوقة ـ تنور ـ ثقل ومثقال ـ زق ـ كوب ـ جريب ـ خابية ـ طاجن ـ قوصرة ـ مرجل ـ مزراب ـ نبراس ·

د ـ أسماء حيوانات وطيور ، وعددها عشرون ، هي :

باشق ـ بط ـ بعير ـ بازي وبيزار وبيزرة ـ تنين ـ زغلول ـ سخلة ـ سلوى ـ سنور ـ شبوط ـ شفنين ـ صحنا ـ صرصور ـ ظبي ـ حرذون ـ خنوص ـ دبور ـ دراج ـ شقراق ـ لقلق ·

هـ ـ أسماء معادن ومواد كيميائية ، وعددها خمسة عشر ، هي :

ابار ـ أنك أو آنك ـ بلور ـ تبر ـ زجاج ـ رق ـ زفت ـ كبريت ـ جص ـ جير ـ زرجون ـ غراء ـ مرقشيتا ـ نفط ـ نورة ·

الالفاظ والمصطلحات الطبية السريانية الواردة في كتاب البراهين الحسية :

في عام ١٩٦٩ م نشر غبطة المرحوم البطريرك مار أغناطيوس يعقوب الثالث

مكتبة المهتدين الإسلامية

بطريرك أنطاكية وعضو مجمع اللغة العربية بدمشق كتاباً تحت عنوان « البراهين الحسية على تقارض السريانية والعربية » ذكر في مقدمته ما يأتي :

« اللغتان الشقيقتان ، السريانية والعربية ، تفرعتا عن الدوحة السامية الكبرى ، لكي تظل الواحدة في معزل عن الاخرى دهرا طويلا ، ثم تصب الواحدة على الاخرى ، فتلتقيان لتعيشا متعانقتين متآزرتين متقارضتين » ٠

ولمعرفة مكان ظهور تلك اللغة الام استند غبطته الى ما ورد في سفر التكوين ، فقرر أن المشرق أي بلاد العراق اليوم ، هو الوطن الاول للدوحة السامية ، كما رأى أن السريانية الآرامية هي أكبر سنا من شقيقتها العربية ، ولكنه لم يدل بدليل واضح على صحة رأيه الاخير ، لكنه أضاف قائلا : « بيد أن اللغة العربية أقرب من السريانية الحالية الى اللغة الام ، وأكثر منها شبها بها ، اذ بذتها باحتفاظها بكثير من العناصر اللغوية الاصيلة المتحدرة اليها منها » ٠ ويعزو السبب في ذلك الى أن اللغة العربية عقيب انفصالها عن اللغة الام انزوت دهرا طويلا في بقعة نائية عن العالم بينما تأثرت اللغة السريانية الآرامية عقب تفرعها عن دوحتها بألسنة شتى العناصر التي اصطدمت بها في طريق انتشارها ٠

وكتاب البراهين الحسية مؤلف من ستة وعشرين فصلا قام فيها غبطة البطريرك بدراسة لغوية متعمقة لمجموعة من الالفاظ السريانية التي دخلت اللغة العربية كما درس مجموعة كبيرة من الالفاظ المتشابهة الموجودة في اللغتين »٠

ويقول غبطته في معرض مقارنته بين السريانية والعربية ما يأتي :

« لقد تشابهت في كلتا اللغتين مئات من الالفاظ معنى ولفظا ، وهي اما مما توارثناه عن اللغة الاكادية أو مما استقرضته كل منهما من الاخرى » ٠ أما كيف تم هذا الاستقراض وفي أي زمن فيقول : « استقرضت اللغة العربية من السريانية أولا عن طريق اللهجة العامية الشرقية الدارجة في شمال العراق ٠ ثانيا : عن طريق الترجمات التي قام بها علماء السريان » ٠

لقد قمت بدراسة عامة للالفاظ والمصطلحات الواردة في كتاب البراهين الحسية وحاولت أن أعزل منها ما يختص بعلوم الطب فوجدت أن اللغتين قد تمازجت ألفاظهما تمازجا غريبا ، حتى ان اللفظ كان يحتفظ غالبا بمعناه مع تغير بسيط في أحد حروفه ، فهنالك ألفاظ سريانية تحول حرف ال p فيها الى B باللغة العربية ، مثل يشب ـ صابون ـ شراب ـ بطيخ ـ بلغم ـ بشم ـ قنب ـ كبر ـ برشان ـ يستوقة ٠

وهنالك ألفاظ سريانية تحول حرف V فيها الى F باللغة العربية مثل : زفت ـ طفح ـ تحف ٠

http://www.al-maktabeh.com

وهنالك ألفاظ سريانية تحول حرف الجيم المصرية فيها الى غين مثل : غبب ـ غدير ـ غرا ـ غم ـ غرارة ـ غشي ـ صمغ ـ رغوة •

وهنالك ألفاظ سريانية تحول حرف الجيم المصرية فيها الى ك مثل : كلأ ـ كفرى ـ سكر •••

وهنالك ألفاظ سريانية تحول حرف الجيم المصرية فيها الى ق مثل : قرصة ـ زئبق ـ زرق •• وهكذا •

مناقشة وخلاصة :

١ ـ ان اللمحة التاريخية التي أوردناها تدل دلالة لا تدعو الى الشك على أن جميع المؤرخين متفقون على أن الاموريين والكنعانيين والآراميين هم قبائل جاءت من أطراف بادية الشام واحتلت أقساما من بلاد الهلال الخصيب • وكلها ذات أصل سامي ولغاتها شديدة التشابه ، لذلك عدت هذه اللغات فروعا من دوحة واحدة مجهولة الاصل والمكان •

٢ ـ ان الاقوام التي نشأت عن هجرة هذه القبائل قد وجدت وتعايشت مراحل طويلة من الزمن ، وهذا ما نجم عنه اختلاط وتوالد وتبادل فكري ولغوي وحضاري ، مما يصعب علينا فهمه أحيانا أن نميز الانجازات الحضارية لكل شعب من هذه الشعوب وحده •

٣ ـ لقد قام الانباط ، وهم ذوو أصل عربي حميري لا يطوله الشك ، بتدوين لغتهم بالخط الآرامي ، شأنهم في ذلك شأن شعوب بلاد الشأم الاخرى ، وهذا ما يجعل من العسير أحيانا معرفة أصل الالفاظ التي استعملها كل شعب من تلك الشعوب •

٤ ـ لقد درس غبطة البطريرك مار أغناطيوس أفرام الالفاظ التي عدت دخيلة في المعاجم العربية فوجد أن نصفها تقريبا ذو أصل سرياني ، فعد ذلك دليلا من الادلة على أن السريان قد سبقوا الشعوب العربية في ميدان الحضارة ، ونحن وان كنا لا نناقش في هذا الامر ، الا أننا نحب أن نلفظ الانظار الى ما يأتي :

أولا ـ اذا تأملنا الالفاظ التي عدت سريانية بحت نجد أن بامكاننا أن نصنفها في خمس زمر هي :

أ ـ أفعال وأسماء تتعلق بالطقوس الدينية عموما •

مكتبة المهتدين الإسلامية

ب ـ أسماء لنباتات أو حيوانات أو أحجار وهي مما يصادف في بلاد الشام أو بلاد الرافدين ويندر وجودها في أرض الجزيرة العربية •

جـ ـ أسماء أدوات فخارية أو زجاجية أو حجرية يستعملها أهل المدن ولا يحتاج اليها أهل البادية •

د ـ عدد قليل من أسماء أعضاء الانسان أو الحيوان وبعض أسماء الامراض المنتشرة في المدن •

هـ ـ بعض أسماء أدوية مركبة أو مأكولات سريانية الاصل أو مستمدة من احدى اللغتين اليونانية أو الفارسية •

ثانيا : اذا رجعنا الى الكثير من كتب التاريخ التي تبحث في حضارة الشعب السرياني ، مثل كتاب اللؤلؤ المنثور وكتاب آداب اللغة الآرامية ومؤلفات الكونت فيليب دي طرازي وجدنا أن الاطباء السريان المؤلفين لكتب الطب كانوا قليلي العدد وقد ظهر أقدمهم بين القرنين الخامس والثامن للميلاد أكثرهم معرفة لدى الباحثين سرجيوس الرأسعيني (٥٣٦ م) وأطناس الآميدي وفيلفريوس وشمعون طيبوثه • ويقول العالم ابن العبري : ان سرجيوس كان أول من وقف السريان على مؤلفات أرسطو بوساطة تراجمه وشروحاته ، أما الاطباء الآخرون فلم يذكر لهم مؤلفات معروفة •

ثالثا : من المعلوم أن جالية يونانية هي التي قامت بتأسيس أول بيمارستان عرفه الشرق الاوسط في مدينة جند يسابور وذلك خلال القرن الثالث للميلاد ، وكان آخر العاملين فيه من الاطباء النساطرة السريان • ومما يلفت النظر أن جميع البلاد المنتشرة في منطقة الهلال الخصيب ، التي سادتها الحضارة السريانية ، لم تظهر فيها بيمارستانات أخرى تقدم الخدمات الصحية ، وبقي الطب الكهنوتي والطب الشعبي هما السائدان في تلك الاقطار •

رابعا : لقد تعمق الاطباء السريان بالعلوم الطبية اليونانية عقب انتشار الترجمة انتشارا واسعا في العصر العباسي • وبما أن اللغتين السريانية والعربية لم تسعفا المترجمين في ايجاد الالفاظ المناسبة لذلك لجأوا الى تعريب الالفاظ اليونانية فأطلقوا اسم القيفال والباسيليق على بعض العروق كما اطلقوا اسم الطرخشقوت والبنطافلون على بعض النباتات واسم الايلاوس والديابيطس والقولنج على بعض الامراض •

ولما أعاد بعض الاطباء والمترجمين السريان ، ولا سيما حنين اسحق وتلاميذه منهم ، النظر في الترجمات التي تمت سابقا صادفوا كثيرا من الاخطاء

http://www.al-maktabeh.com

اللغوية والعلمية فأصلحوا بعض ما عثروا عليه ، كما استبدلوا ببعض الالفاظ المعربة ألفاظا عربية أصيلة كانوا يجهلونها ٠

واذا رجعنا الى معاجم اللغة العربية وكتبها التي ألفها الفراهيدي والاصمعي والدينوري وغيرهم وجدنا عددا كبيرا من الالفاظ العربية الدالة على أسماء الحيوان والنبات وأعضائها وأمراضها وصفاتها مما لا يوجد ما يماثله في اللغات الاخرى ، وهذا يدل على غنى هذه اللغة بالمفردات ، بالاضافة الى أصالتها وعمق جذورها ٠ وعلى هذا الاساس يمكننا أن نفسر الرحلة التي قام به حنين بن اسحق الى البصرة حيث تتلمذ على علماء اللغة فيها ، تماماً كما فعل حينما رحل الى بلاد الروم وعاد متمكنا باللغة اليونانية ٠

وختاما لا بد لي من كلمة أقولها وهي أنه لم يكن يوجد بين الشعوب السامية الخارجة من بطن بادية الشام ، متجهة نحو المناطق الخصبة من الهلال ، أستاذ وتلميذ ، لانها شعوب خرجت من بيئة واحدة وفي مراحل متقاربة ، وكلها تحمل مؤهلات متشابهة ٠ الا أن درجة تحضرها كانت تتناسب ودرجة تكيفها في الوسط الذي عاشت فيه ، والمدة الزمنية التي قضتها في ذلك الوسط ٠

أما التنافس الذي حدث بين اللغات السامية ، ولا سيما السريانية والعربية ، فهو أمر طبيعي ، يحدث بين جميع اللغات المتعايشة ، تماما كما هو حادث بين اللغتين الانكليزية والفرنسية ٠ وكلما كانت قابلية اللغة على استيعاب الالفاظ الجديدة والتعبير عن المعاني المبتكرة أكبر كتب لتلك اللغة البقاء وسعة الانتشار ٠ واللغة أشبه ما تكون بكائن حي ينمو ويتوالد ويموت ، والبقاء دوما للاصلح ٠ كما أن ألفاظ اللغة كالاعضاء اذا لم تستعمل ضمرت وزالت ٠

وكلنا يعلم ان الحرب التي تخوضها الامة العربية ضد اسرائيل هي حرب متعددة الجوانب ٠ ومن أهم مظاهر هذه الحرب الدراسات التاريخية والثقافية التي استعدت لها اسرائيل منذ أمد طويل ولم ننتبه لها الا متأخرين ٠

لقد دلت الحفريات التي قامت بها البعثات الاثرية في سورية خلال العقود الاخيرة على أن أرض هذا الوطن لم تكن معبرا للحضارات الاخرى فحسب ، بل كانت مقرا لحضارات أصيلة سامية تنتمي الى الالف الثالث قبل الميلاد ٠ وبما أن الاوابد والرقم الشاهدة على تلك الحضارات قد نقشت بخطوط ولغات شرقية وغربية ، فانه لا يوجد لدينا من يستطيع أن يفك رموزها ، لذا كنا نلجأ الى الخبراء الاجانب لمساعدتنا على ذلك ٠ لهذا لا بد لنا من العمل على ايجاد جيل من الخبراء يحسنون قراءة تلك اللغات ، ونستطيع عندئذ أن نجد المكان والزمان لتلك الدوحة الكريمة التي نشأت منها لغتنا العربية ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

لقد اسهمت اللغتان السريانية والفارسية اسهاما كبيرا في تطوير اللغة العربية ، وكانتا شبيهتين بجسرين عبرت عليهما حضارة أمتين عريقتين هما الهندية والاغريقية ٠

لهذا كله أتوجه الى السادة المسؤولين عن سياسة التعليم العالي ، راجيا العمل على احداث أقسام للغات السامية والغربية القديمة ، التي تعد جزءا لا يتجزأ من حضارتنا وحضارة العالم ٠ وسيكون لتلك الاقسام فائدة لا تقدر في دعم نشاط معهد التراث ومديرية الآثار وغيرهما من المؤسسات التاريخية والثقافية الهامة والسلام ٠



http://www.al-maktabeh.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المعاجم الفلكية المعاصرة

الدكتور عبد الرحيم بدر
الاردن

باديء ذي بدء ، يجب أن أعرب عن ايماني بأن المعاجم العلمية في لغة من اللغات لا تكون ذات فائدة كبيرة الا اذا بلغت الامة صاحبة اللغة شأوا من العلم فيصبح الدارسون والباحثون محتاجون كثيرا الى هذه المعاجم • وتزداد الحاجة الى المعاجم العلمية ازديادا متناسبا ومدى رقي الامة في العلوم • وتقدم الدراسات العلمية في أمة من الامم ــ هو في الحقيقة ــ أهم كثيرا من وجود المعاجم • وتقدم الدراسات والمحاضرات التي تلقى في الجامعات والبحوث التي يقوم بها العلماء هذه الاعمال كفيلة بأن تشذب من المصطلحات وتهذب من التعابير وتحدد معاني الالفاظ • وهي نفسها تقوم بهذا العمل تلقائيا ، بحسب الحاجة ومستلزمات الدقة ومراعاة الجمال •

ولو اتفقت الامة العربية على استعمال اللغة العربية من حيث هي لغة دراسية في كل جامعاتها ، لوجدنا بذور المعاجم قد أخذت تنشأ تلقائيا في مختلف العلوم ، وما هي الا بضع سنوات حتى تصل لغتنا العربية الى المستوى المقبول في هذا المضمار •

ومن دون ادخال اللغة العربية الى جميع الجامعات العربية ستظل لغتنا على ما هي عليه الآن من الضعف في التعابير العلمية والمصطلحات الفنية •

ولا شك في أن وضع معاجم علمية في الايام الحاضرة عمل جبار ، قد يكون ذا فائدة،لكنها فائدة قليلة بسبب قلة من يدرسون العلوم بالعربية•لكنه في الوقت نفسه عمل مرهق لواضعه ، اذ سيفتش عن الكلمة المناسبة ويضع تعريفا لها • ولكنه قد يصل بعد كل تعبه وجهده الى أن يجد محاضرا في احدى الجامعات التي تدرس بالعربية قد استعمل اصطلاحا جديدا أو تعبيرا جديدا جدا ، وأهمل الكلمة التي تعب من أجلها لانه لم يجدها مناسبة • وبهذا يضيع تعب المحقق الاول هباء •

ومن هنا كان من المناسب أن توضع المعاجم بالقرب من الجامعات وما فيها من بحوث •

وبغير هذا لن تكون المعاجم التي توضع قريبة من الكمال ، وانما تبقى محاولات وجهودا مشكورة من اللغويين •

مكتبة المهتدين الإسلامية

ويصدق هذا الكلام على جميع فروع العلوم ·· الا الفلك · فهو العلم الوحيد الذي قد يوضع فيه معجم قريب من الكمال اليوم · وذلك راجع الى طبيعة هذا العلم ·

فالقسم الضخم من المعجم الفلكي سيكون عن أسماء النجوم ، والمادة العظمى من هذه الاسماء ذات أصل عربي · وسيكون هناك قسم في المعجم طبعا عن المناظير والمراقب والعدسات وما فيها من تقنية (تكنولوجيا) ، وعن الاشعة وأنواعها والتحليل الطيفي وغير ذلك من المكتشفات الحديثة · ولكن هذه كلها لن تكون القسم الكبير من المعجم · ولهذا نستطيع ان نعد ان المعجم الفلكي العربي هو أول معجم علمي تيسرت مواده ، وهي جاهزة للنشر ·

لكننا يجب ألا نحسب أن الامر بهذه السهولة · فان أسماء النجوم كما عرفها الفلكيون العرب قد مرت بمراحل تطورية حتى آلت الى ما آلت اليه في الفلك الغربي الحديث · فنجد أسماء لا تزال كما عرفها العرب ولكن بحروف لاتينية ، ونجد أخرى قد جرى عليها بعض التحوير ، ونجد أسماء عربية لم يعرفها العرب بل قام بوضعها المترجمون اللاتين الذين ترجموها من العربية (مثل اللسعة Lesuth والثعبان Thuban والمئزر Misar) فهذه أسماء عربية لبعض النجوم لم يعرفها العرب القدماء ·

واختيار أي كلمة من الكلمات المتعددة ووضعها في معجم يسترشد به الفلكيون الراصدون ، هو أمر قد يحتاج الى أكثر من شخص واحد لاختيار الكلمة المناسبة أكثر من غيرها ·

واذا ما تم وضع معجم فلكي بعد تخطي هذه الصعوبات ، فان المعجم اليوم ربما يكون ذا فائدة كبيرة نظرا الى قلة أعمال الرصد الفلكي في العالم العربي ·

وفي كلمتي التي ألقيتها في هذا المؤتمر في السنة الماضية ، وضعت مقالة ملحقة تحت عنوان « حظ الفلك العاثر في العالم العربي الحديث » ، بينت فيها أسباب ركود الدراسات حول الفلك من حيث الرصد والمزاولة العملية · وكان أحد الاسباب الهامة صعوبة اقامة المرصد واستعمال المراقب وعدم وجود دليل يرشد الراصد · وبظهور كتابي « دليل السماء والنجوم » قبل بضعة شهور (ظهر في أواخر سنة ١٩٨١ م) ، يكون هواة الفلك قد تخطوا هذه العقبة · وما يكاد الكتاب ينتشر بين المثقفين حتى نجد ان ممارسة الرصد قد شاعت باذن الله ·

ومهما يكن من أمر ، فالراصد العربي المبتدىء سيجد أنه يفتقر الى معجم فلكي يسترشد به · فالمعاجم الفلكية المعاصرة الموجودة اليوم — على ما أعلم — هي :

http://www.al-maktabeh.com

١ ـ **المعجم الفلكي** ـ لامين فهد معلوف · دار الكتب المصرية ١٩٣٥م · نفذت طبعته ·

٢ ـ **القاموس الفلكي** ـ لمنصور حنا جرداق · المطبعة الاميركانية · ١٩٥٠ م · أعادت مكتبة لبنان طباعته ·

٣ ـ **قاموس صغير خاص** ببدائع السماء وهو الكتاب الذي ترجمته عن جيرالد هوكنز · وهو خاص بالمصطلحات الفلكية الواردة في نص الكتاب · وهو قسمان انجليزي عربي وعربي انجليزي · يحتوي كل قسم منهما على حوالي ٢٥٠ كلمة · وهو في نهاية الكتاب ·

٤ ـ **مصطلحات الفلك** ـ للاستاذ محمد بن زيان · والمصطلحات هذه منشورة في العددين الخامس عشر والسادس عشر من مجلة اللسان العربي ، التي تصدر عن مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي في الرباط ·

٥ ـ **معجم الفلك** ـ الذي أقره مؤتمر التعريب الثالث في العدد ١٥ من اللسان العربي ·

٦ ـ **مصطلحات الفلك في التعليم العالي** ـ أقره مؤتمر التعريب الثالث · العدد ١٥ من اللسان العربي ·

وفيما يلي شيء عن كل معجم منها ـ

١ ـ المعجم الفلكي ـ أمين فهد معلوف :

من الظاهر أن الاستاذ معلوف لم يكن فلكيا ، وانما كان أديبا لغويا · فهو عضو في المجمع العلمي العربي ، ومن سعة اطلاعه في اللغة الانجليزية وجد أن أسماء كثيرة من أسماء النجوم عربية النطق · وهذا ما يلمح اليه في المقدمة · فنشر مقالا في مجلة المجمع عن ذلك سنة ١٩٢٩ م ، وتابع الدراسة والاستشارات فوضع معجمه ونشره سنة ١٩٣٥ م ، في وقت كانت معلومات العرب عن مآثرهم الفلكية تكاد تكون معدومة · وهو نفسه يقول في نهاية المقدمة :ـ

« هذا مؤلف صغير لكنه مبتكر في العربية ، لم ينسج على منواله قبلا ، فلا غرو اذا كثر الخطأ والنقص فيه ··· » ·

ولكن لم تكن هناك أخطاء بمعنى الاخطاء ، وانما سار في بحثه سير العالم المسترشد البحاثة الذي يسند كل رأي فيه الى عالم أو كتاب · وكان هدف هذا المعجم ـ كما هو ظاهر من شعور المؤلف بعروبته ـ التركيز على أسماء النجوم وابراز أصولها العربية ·

مكتبة المهتدين الإسلامية

والمعجم مرتب بحسب الحروف الهجائية الافرنجية ، ويبتدىء من يمين الكتاب الى يساره ، ويذكر اسم النجم العلمي المعهود منذ تلك الايام ، وهو بالحرف اليوناني الذي يدل عليه ثم اسم المجموعة التي هو منها • ومقابل ذلك يكتب الاسم العربي (أو أكثر من اسم اذا وجد) • ثم يعلق بعد ذلك تعليقا ، قد يكون في جملة واحدة أو قد يبلغ نصف صفحة ، مسندا رأيه الى هذا العالم أو ذاك الكتاب •

ان في الكتاب بحثا علميا يدل على أمانة الكاتب ودقة بحثه وسعة اطلاعه ، وهو ذو فائدة كبيرة لمن أراد البحث في أسماء النجوم • لكن فائدته محدودة لمن أراد الرصد العلمي ومتابعة الفلك الحديث •

واذا كان هناك نقص فلا نستطيع أن نرده الى جهد هذا العالم أو تقصيره ، وانما الى قلة المصادر التي كانت متيسرة له • فهو لم يتيسر له كما يبدو كتاب « صور الكواكب الثمانية والاربعين » للصوفي ، فاعتمد على ترجمة هذا الكتاب الفرنسية التي قام بها Schielletap وكذلك لم يتيسر له كتاب الآثار الباقية للبيروني فاعتمد على الترجمة التي قام بها ساخو لهذا الكتاب • وكذلك اعتمد على ترجمة زيج الغ بك التي قام بها سيديلو وعلى ترجمة عجائب المخلوقات للقزويني التي قام بها هيرمان ايثيه •

ومع ذلك ، فان الكتاب لا يوجد في الاسواق ، اذ نفدت طبعته كما يبدو منذ زمن بعيد •

٢ ــ القاموس الفلكي ــ منصور حنا جرداق :

مؤلف هذا القاموس هو أستاذ الشرف للرياضيات العالية وعلم الفلك في الجامعة الامريكية في بيروت ــ كما هو مسجل على غلاف الكتاب المطبوع سنة ١٩٥٠ م • ونجد أن السبب في انكبابه على دراسة المصطلحات والاسماء هو السبب نفسه الذي دفع أمين معلوف الى دراستها • يقول في بداية المقدمة :

« بدأنا خريف سنة ١٩٠٠ م درس علم الفلك والنجوم ومجاميعها وصورها أو كوكباتها • ولفت نظري حينئذ بعض الاسماء والاصطلاحات الانكليزية المنقولة من العربية مثل السمت والنظير والمقنطر والواقع ، فصرت أنقلها وأدونها وأجمعها وأرتبها » •

وقد أتاحت له دراساته في المجال المتخصص فيه أن ينتج لنا قاموسا قيما • فهو لا يقصره على التركيز على أسماء النجوم وانما أصبح في هــذا القاموس اقتراب علم الفلك من حيث هو علم • فهناك فصول في مقدمة الكتاب تتكلم على الشمس والقمر والنظام الشمسي وعلى النجوم •

http://www.al-maktabeh.com

والقاموس نفسه فيه كثير من الصور عن الكوكبات وفيه من الخرائط ما يجعله أكثر عونا لدارس الفلك ·

وهو يتبع الاسلوب نفسه الذي اتبعه المعلوف في وضع أسماء كثيرة للكوكبة أو للنجم مما يؤدي الى حيرة القارىء أيها يختار وأيها يدع · فكوكبة Auriga مثلا يضع أمامها الاسماء التالية : ذو الاعنة ، ذو العنان ، ممسك الاعنة ، ممسك العنان ، صاحب المعز ، العناز ، العنز · بينما كان المعلوف قد وضع لها خمسة أسماء · ولا أظننا نستطيع أن نلوم العلماء في هذه المرحلة على وضعهم هذه الاسماء الكثيرة ، فهي مرحلة بحث وتفتيش عن التراث العربي · وللفلكيين الراصدين أن يختاروا بعد ذلك ما يشاؤون ·

ونجد أن المراجع التي أستند اليها أكثر من تلك التي استند اليها المعلوف في معجمه ، ولكنها لا تزال محدودة أيضا · فهو لا يزال يذكر في المراجع الاجنبية ترجمة كتاب صور الكواكب للصوفي ، وترجمة الآثار الباقية للبيروني وجداول أولغ بك ، وعجائب المخلوقات للقزويني · وقد أضاف الى ذلك كتاب ريتشارد هنكلي آلن عن « أسماء النجوم وحكاياتها » وهو كتاب شهير عن البحث في أسماء النجوم ، وبعض المصادر التي كانت قد نشرت بالاجنبية في تلك المرحلة ·

أما في المراجع العربية ، فنجده يذكر الآثار الباقية مرة أخرى وكذلك عجائب المخلوقات للقزويني وكتاب صور الكواكب للصوفي ، ويبدو أنه كان قد حصل على طبعات عربية لها ·

ومهما يكن من أمر ، فاننا نستطيع ان نعد قاموس جرداق خطوة الى الامام في خدمة علم الفلك ·

٣ ـ قاموس ملحق ببدائع السماء ـ الدكتور عبد الرحيم بدر :

حين ترجمت كتاب Splendorin The Sky لمؤسسة فرانكلين ، تأليف جيرالد هوكنز ، سنة ١٩٦٥ م ، وهو كتاب يبحث في الفلك عامة وكانت فيه اصطلاحات فلكية كثيرة ، وضعت في نهاية الكتاب قاموسا فلكيا ، انجليزي عربي وآخر عربي انجليزي أبحث فيهما عن معاني الكلمات الواردة في الكتاب ، وأضع تعريفات فلكية لها · وكان في كل واحد من القاموسين حوالي مائتين وخمسين كلمة تقريبا · فالقاموس ـ على الرغم من أنه خاص بالكتاب وبالكلمات الواردة فيه ، الا أنه قد يكون ذا نفع للقارىء الباحث في الفلك ·

٤ ـ مصطلحات الفلك ـ فرنسي عربي انجليزي ـ للاستاذ محمد بن زيان :

منشور في مجلة اللسان العربي التي يصدرها مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي ـ الرباط · في العددين ١٥ و ١٦ ·

مكتبة المهتدين الإسلامية

وهذا المعجم مؤلف من ١٠٢٤ كلمة أساسية غير ما يشتق منها • ويسلك فيه ابن زيان أسلوب البحث العلمي الصحيح • فهو حين يذكر نجما يلحقه باسمه بالحرف اليوناني ويذكر المجموعة التي هو فيها ثم يذكر اسمه أو اسماءه باللغة العربية • ويظهر مجهودابن زيان في اعداد هذا المعجم ، وعنايته في ترتيب الكلمات بالانجليزية والفرنسية • ونظرا الى اعجابي بمحاولة الاستاذابن زيان وعنايته ، فاني ساورد بعض الملاحظات التي أرجو منه أن يأخذها بالحسبان عندما يصدر المعجم في طبعته النهائية •

وسأحاول فيما يأتي ذكر بعض التعليقات على سبيل المثال فقط ، لا الحصر ، مشيرا الى كل كلمة بحسب رقمها في المعجم الذي وضعه الاستاذ ابن زيان •

والاستاذ ابن زيان يضع لبعض الكلمات معاني عدة ، فيجعل من معجمه هذا شبه قاموس لا معجما للمصطلحات الفلكية • مثلا :

كلمة رقم ١ ــ Aberration زيغ ، زيفان ، انزياغ فلكي •

٢٣٢ ــ Tailofacomet ذنب أو ذيل المذنب •

وكنت أفضل في الكلمة الاخيرة أن يستعمل ذنب المذنب ، على الاقل لان أكثر الكتب الفلكية تذكره هكذا • كان يجب أن يضع كلمة رئيسة بخط واضح ظاهر ، ويضع المعاني الاخرى ــ اذا أراد ذلك ــ على شكل تفسير لها بخط أصغر ، لكي يدل القارىء على أن هناك اصطلاحا • فهو بالشكل الذي وضعه فيه يبدو قاموسا •

٢٤ ــ Alioth يترجمه العيوق •

ان العيوق في كتاب « صور الكواكب الثمانية والاربعين » لعبد الرحمن الصوفي موجود في صورة الدب الاكبر ، وهو النجم الثالث في الذنب ، القريب من المغرز ، ويرمز اليه الصوفي بحرف (كه) ويكتب عليه في الصورة (الجون) • أما في الجدول الذي يضعه لهذه الكوكبة فيكتب في الشرح ـ كه = الاول من الثلاثة التي على الذنب وهو الذي على مغرزه الجون •

ونجد الشيء نفسه في القانون المسعودي للبيروني •

فلا الصوفي ولا البيروني يذكران كلمة العيوق أبدا •

وفي كتابي « دليل السماء والنجوم » أذكر ما يأتي :

ابسلون الدب الاكبر ، وهو الجون Alioth بعده ٦٨ سنة ضوئية •

http://www.al-maktabeh.com

أما اسم (الالية) كترجمة لكلمة Alioth فهو موجود في كتاب « النجوم ـ معاني أسمائها وحكاياتها » لريتشارد هنكلي ألن ٠

Star names, their Lore and meaning, Richard Hinkly Allen .

وعند ذكر ابسلون الدب الاكبر ، يقول ألن ما يأتي : وردت باسم اليوث كما يبدو في الطبعة الاولى من جداول الفونس ٠ وظهرت في شعر تشوسر باسم أليوت (نقطتان على التاء الاخيرة) ٠ ونقلها باير عن سكاليجر (ألياث) ٠٠ وعن ريكولي ٠٠٠ الخ ٠ ويقول سكاليجر أن أصلها من ألية ، وهي الدهن في مؤخرة الخاروف ٠ ويذكر كثيرا من الاسماء الاخرى المقاربة لهذا الاسم ، حتى ان بعض الفلكيين سماها الحور والحوت ، وسماها باير أيضا ميكار وميراك وميزار ٠

وقال البيروني انها تسمى في الهند أوجيراس ٠٠

وهي تسمى في الصين يوه كانج ٠

وهكذا يذكر لنا حوالي عشرين اسما لهذا النجم ، وهو لا ينسى أن يقول ان الاسم الشهير له هو الجون ٠

ولكنا لا نجد اسم العيوق بين هذه الاسماء الكثيرة ٠

واذا لجأنا الى حجة هذا العصر في أسماء النجوم ، الدكتور بول كونيتش ، وراجعنا كتبه الثلاثة عن هذا الاسم فاننا لا نجد اسم العيوق بين أسماء أبسلون الدب الاكبر ٠

فمن أين جاء الاستاذ ابن زيان بهذه الكلمة ؟

ان كلمة العيوق اسم ألفا ممسك الاعنة فقط ٠ هكذا عرفها العرب وهكذا نجدها في كل المراجع الموثوقة ٠ ومن الخطأ أن نضعها ترجمة لكلمة (اليوث) ٠

١٢ ــ Aquilla يقول بن زيان أمامها ما يأتي :

كوكبة شمالية ، تسمى أيضا بالنسر أو النسر الطائر ، وأحيانا بالغراب ٠ وينبغي اجتناب هذه التسمية لانها أطلقت على مجموعة أخرى ٠

والصوفي يضع عنوان هذه المجموعة « العقاب وهو النسر الطائر » ولا يذكر أسماء أخرى ٠

والبيروني في القانون المسعودي يذكر « العقاب » فقط ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

وفي قاموسي الذي وضعته في نهاية « بدائع السماء » أذكرها « مجموعة العقاب » ٠

وهي عند بول كونيتش العقاب ٠

وعند ألن « العقاب » و « النسر الطائر » ولكن ألن في تعليقاته يقول : ان شخصا اسمه الاجزجي Al Achsasi (وقد تكون تركية بمعنى الصيدلي) ــ ذكرها باسم الغراب ٠ ويقول ألن : ان هذه هي الحالة الوحيدة التي سمع فيها ان اسم الغراب يطلق على هذه المجموعة ٠

وأنا شخصيا ، على كثرة قراءاتي لاسماء النجوم والمجموعات لم تكن كلمة الغراب قد لفتت نظري كاسم آخر لمجموعة العقاب الا عندما قرأتها في معجم ابن زيان ٠ ورحت أراجع المصادر الموثوق بها حتى عثرت بتعليق ألن عليها ٠

ما كان يجب أن يذكر ابن زيان هذا الاسم في هذا الموضوع ، فهو يبعث البلبلة في ذهن القارىء ٠

١٦ ــ Alcor ، السهى أو السها ٠ من الخطأ أن يصفه ابن زيان بأنه يجاور المئزر ، فبهذا التعبير يضيع القارىء ٠ وقد كان يجب أن يصفه بأنه ملاصق للمئزر ، وهو الوصف الذي يصفه به الصوفي ٠ ولشدة قربه منه كان العرب يمتحنون به أبصارهم ٠ والصوفي يذكر أسماء أخرى للسها مثل السنا والصيدق ونعيش والخوار ٠ فلماذا أهمل هذه الاسماء ؟ ٠

٣٥ ــ Globrilar cluter and Galactic cluster .

ان ترجمة الكلمة الاولى (عنقود مجري) جيدة ، ولكن يقول أيضا بين قوسين : انها (عنقود مجرات) ٠ وهذا خطأ فني كبير ٠ فالعنقود المجري هو تجمع نجوم في داخل المجرة ، مثل الثريا ، وسميت بهذا الاسم لانها تقع داخل المجرة ، ولكن نفرق بينها وبين الكلمة الاخرى ، « العنقود الكروي » ، وهو تجمع نجوم على شكل كرة ، وقد يبلغ عدد النجوم في هذا التجمع ثلاثين ألفا تقريبا ٠ والعناقيد الكروية تقع حول مجرتنا ، وحول المجرات الاخرى ٠

٢٧ ــ العناق ، جاما المرأة المسلسلة ٠

كلمة العناق تطلق على أكثر من نجم ، أحدها جاما المرأة المسلسلة ثم على زيتا الدب الاكبر الذي هو النجم الاوسط من ذنب الدب الاكبر والملاصق للسها ، والذي اسمه الآن بالاجنبية ميزار (أو المئزر) ٠

http://www.al-maktabeh.com

أما جاما المرأة المسلسلة فأحد أسمائه العناق ، ولكن الصوفي في الشرح عنه يقول « عناق الارض » •

وأنا أسميه في دليل السماء والنجوم « رجل المرأة المسلسلة اليسرى » •

واليك ما يقوله الصوفي عنه :

وأما الخامس عشر ، النير الذي على رجل المرأة المسلسلة ، فانهم اختلفوا فيه • فروى بعضهم عن العرب أنها سمته عناق الارض ، ورأى آخرون أن العناق هو النير الذي على رأس الغول من صورة برشاوش •

فاختيار كلمة العناق في هذا الصدد يزيد من تشويش القارىء •

٨٥ ـ في الحديث عن الكوكبات يقول ـ أكبرها سيريس الذي يبلغ قطره نحو ألف كيلو متر •

ان كلمة نحو أو حوالي ، تستعملان في ذكر الارقام المشكوك فيها • أما في حالة سيريس فان قطره معروف • فهو يبلغ ٤٢٧ ميلا أو ٦٨٣ كيلو مترا • فلماذا لم يذكر الرقم الصحيح ؟

١١٦ ـ المذبح Ara

ان كلمة المذبح تفسير للاسم اللاتيني • فلماذا يستعملها ويترك الاسم العربي الاصيل لهذه المجموعة ولا يذكره ؟ ان اسمها الذي عرفها به العرب هو « المجمرة » •

١٢٣ ـ اسم المجموعة هو « الميزان » • أما الكفتان معا فهما جزء منه ، وليس صحيحا أن نطلق اسم الكفتين على الميزان كله •

ألفا الميزان ـ نجم اسمه الزباني الجنوبية ، وليس الكفة الجنوبية كما هو مذكور •

بيتا الميزان ـ اسمه الصحيح هو الزباني الشمالية •

٢٠٠ ـ اسم هذه المجموعة هو « الكلب الاصغر » فقط • وهي كذلك عند الصوفي والبيروني وفي دليل السماء والنجوم • ولا داعي لاسماء جديدة آتية من صفات أطلقها عليها شعوب أخرى •

ووصف الاستاذ بن زيان لها بأنها (فوق التوأمين) غير صحيح • وفي الاصل ، يجب عندما نتكلم في الفلك على مواقع النجوم ألا نقول فوق أو تحت أو يمين أو يسار • وانما نقول شمال وشرق وغرب وجنوب • والكلب الاصغر يقع الى الجنوب من التوأمين • والناظر الى التوأمين يرى الكلب الاصغر تحتهما وليس فوقهما • فهو مخطىء حتى بتعبيره الخطأ •

مكتبة المهتدين الإسلامية

١٩٥ ـ Finder هي الواجد · هكذا ذكرتها في دليل السماء وفي كتاباتي الاخرى ·

٢١٢ ـ Circumpalar Stars النجوم الابدية الظهور · هكذا هي عند البيروني وفي دليل السماء والنجوم ·

٢٣٢ ـ Halley's Comet يقول أثبت وجوده العالم الفلكي الانجليزي هالي سنة ١٦٨٢ م فاشتهر باسمه ·

هذا غير صحيح · فقد كان هذا المذنب يأتي منذ قرون عدة ، وكان معروفا ، ولكن أول من وصفه هو « هالي » ·

٢٨٨ ـ الاسم الوحيد لها هو الدلفين · أما (الصليب) فتطلق على النجوم الاربعة ألفا وبيتا وجاما ودلتا فقط ·

٣٤٠ ـ دائرة البروج فقط · ولا اصطلاح آخر · وهي الكلمة التي يستعملها البيروني لهذا الاصطلاح واستعملتها في دليل السماء والنجوم وفي بدائع السماء ·

٣٣٠ ـ Grinding هي النحت فقط · ولا كلمة غيرها ·

٣٩٣ ـ Expauding Universe يقول في تفسيرها :

مما يبدو للناظرين الى الاجرام السماوية أنه يبتعد بعضها عن بعض فترتب على هذه الظاهرة أن أبعاد الكون تزيد عظمة مع مر الزمان ·

ان هذا التفسير يدل على أن واضعه يجهل ما هو تمدد الكوْن · فهو شيء لا يبدو للناظرين ، وانما هو نتيجة أبحاث في التحليل الطيفي كان أول من قام بها أدوين هابل سنة ١٩٢٥ م · يجب على واضع تعريفات فنية من هذا القبيل أن يكون قد درس الموضوع واستوعبه ·

★ ★ ★

أرى اني أكثرت من ضرب الامثال على الاخطاء الموجودة في معجم ابن زيان · ومع كثرتها الا أنها على سبيل اعطاء الامثلة فقط لا على سبيل الحصر · وسبب اطالتي في هذا الصدد هو أني لمحت جهدا غير قليل في اعداد هذا المعجم وترتيبا جيدا بحيث أصبحت أرى أنه يمكن أن يكون أساسا لمعجم جيد اذا ما صيغت التعابير الفنية فيه في قالب صحيح بحيث تعطي المعنى الدقيق المقصود ، واذا ما أستعان الاستاذ ابن زيان بالمراجع الآتية التي لا غنى عنها لكل من يكتب في هذا الشأن :

http://www.al-maktabeh.com

١ ـ كتاب صور الكواكب الثمانية والاربعين ـ للصوفي ٠ مطبوع سنة ١٩٥٤ م في دائرة المعارف العثمانية في حيدر أباد ـ الدكن الهند ٠

لكن صدرت طبعة جديدة لهذا الكتاب في بيروت عن دار الآفاق الجديدة ، وهي سرقة متقنة عن طبعة الهند ، ويمكن الاعتماد عليها لانها تصوير مطابق للاصـــل ٠

٢ ـ القانون المسعودي ـ للبيروني ٠ طبعة دائرة المعارف العثمانية أيضا ٠

٣ ـ Star Names : Theirlore and Meaning — R. H. Allen .

٤ ـ Arabische Sternnamen in Europa — Paul Kunitzsch .

٥ ـ Unter Suchungen zur Sternnomenklatuv der Graber .

٦ ـ Der Almagest — P. Kunitzsch .

والكتب الثلاثة الاخيرة هي للعالم الكبير بول كونيتش ، وتعد المرجع النهائي اذا رأى الباحث خلافا بين بعض المراجع الاخرى ٠

★ ★ ★

٥ و ٦ ـ معجم الفلك ومصطلحات الفلك في التعليم العالي ـ معجمان أقرهما مؤتمر التعريب الثالث ٠

لن أطيل الوقوف عند هذين المعجمين ٠ فهما غريبـــان حقـــا ٠ لانهما لا يساويان ما بذل فيهما من تعب ٠ فقد سلق هذا المعجمان سلقا لتقديمهما للمؤتمر الذي لم يكن فيه ، كما يبدو ، عضو واحد يهوى الفلك هواية جادة ٠

يكفي أن نلقي نظرة على بعض الكلمات فيهما فنجد الامر كما يأتي :

الدبران Aldebaran .

الغــول Algol .

الطائـــر Altair .

وفي (المصطلحات) يضع (بيتا برشاوش) بالقرب من الغول ٠ ان وضع هذه الكلمة بالقرب من الغول تدلنا على الاقل ان هذا النجم من مجموعة برشاوش ٠ أما الكلمات الاخرى فان الطالب لا يستطيع أن يستفيد شيئا منها ، فكل الذي أمامه نقل للحروف الافرنجية بحروف عربية فقط ٠ فهل هذه الاسماء هي أسماء نجوم أو سدم أو مجرات أو أسماء آلات فلكية ؟ ان المعجم لا يدلنا على شيء من هذا أو من ذاك ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

وبالاضافة الى أخطاء متفرقة في أسماء النجوم والمصطلحات ، والى أنه لا يأتي بذكر لمعنى كلمة Astrology وهي التنجيم سواء في المعجم الاول أو في المعجم الثاني • وهناك بعض حقائق هامة مثل أشباه النجوم Quasars والنابضات Pulsars والثقوب السوداء Black holes لا وجود لذكرها في هذين المعجمين •

وعلى سبيل المقارنة ـ في مكتبتي قاموسان ـ انجليزي عربي • أحدهما القاموس العصري لالياس أنطون الياس والآخر قاموس النهضة لاسماعيل مظهر • وقد قارنت الفائدة الفلكية التي يمكن أن أحصل عليها منهما ، فوجدت في الحقيقة أنهما أكثر نفعا من المعجمين السابقين • على الاقل تعرف منهما أن الدبران نجم في مجموعة الثور ، أو هو نير الثور • وفي نهاية القاموس العصري تسع صفحات عن الاجرام السماوية وبعض الاصطلاحات الفلكية ، يستفيد المرء منها شيئا •

ونجد في المعجمين أربعة نجوم تحت حرفي Al وهي الدبران والغول والطائر والردف • بينما نجد في القاموس العصري ٣١ كلمة تحت حرفي Al هذا بالاضافة الى أنه عندما يذكر النجم يذكر المجموعة التي هو منها • ونجد في قاموس النهضة ٣٨ كلمة تحت Al وهو يذكر المجموعة التي يقع فيها كل نجم •

ولا أدري في الحقيقة لماذا أضاع المؤتمر الثالث للتعريب وقته في قراءة هذين المعجمين اللذين يخلوان من أية فائدة •

http://www.al-maktabeh.com

أثر الترجمة في الحضارة العربية

الدكتور عارف تامر

الترجمة ، والنقل ، والتعريب ٠٠ كلمات ثلاث ذات مدلول واحد ٠٠ ومعناها الحركة الثقافية ، أو النهضة الفكرية في تاريخ العلوم ٠٠ أما عند العرب فهي التعبير عن اسهامهم في معركة التطور والحضارة ، ومجاراة الامم الناهضة في اعتماد العلوم أساسا لبناء المجتمع ، ولحياة الامة ٠ وهذا الموضوع سبق لنا أن قرأنا عنه ودرسناه كثيرا من الدراسات والبحوث ، ولكن ما قرأناه لم يعبد لنا الطريق ، ولم يوصلنا الى الهدف ، لانه جاء من مصدر واحد ٠ وليس فيه أي جديد ٠ وأمام هذا الواقع كان لا مندوحة لنا عن التحري ، وبذل الجهود للعثور على مصادر أخرى تنير أمامنا الدروب ، وتدنينا من الواقع والحقيقة ٠

فالعرب ٠٠٠ كما هو معروف ومتداول ٠٠ عاشوا قبل انبثاق رسالة الاسلام السمحاء في « جاهلية » أقل ما يقال عنها أنها كانت متخلفة بنظمها وقوانينها ومبادئها وأفكارها ٠٠ تسيرها وتتحكم بوجودها القبلية الموروثة الخالية من كل فكر ومعرفة وأدب وروحية وحضارة ٠ واننا لا ندري ماذا نقول عن أقوام اتخذوا من الاصنام أربابا يحرقون لها البخور ، وينحرون أمامها القرابين ٠٠ وعن رجال قبائل يتسابقون على وأد بناتهم ، وهم في صحرائهم القاسية يتقاتلون على الكلأ ومناهل المياه ، وعلى النفوذ والسيادة ٠٠ جاعلين من الغزوات والغارات مبدأ عاما لحياتهم ، وقانونا يستمدون منه وجودهم وبقاءهـم ؟

ولكن عندما نذهب بعيدا ، أو نحاول سبر الاغوار ٠ نرى لزاما علينا أن نعود الى أنفسنا لنسألها ونحن بأمس الحاجة الى المعرفة ٠ هل كانت عقول أبناء هذه القبائل مغلقة كليا ، وآفاق نفوسها مسدودة عموما ؟ ٠٠ ويأتي الجواب لينير الجوانب ، وليؤكد :

أن عناصر الفضيلة وكرم الاخلاق والصدق والوفاء وعزة النفس كلها صفات كانت حية في أعماقهم ، ومتيقظة في ضمائرهم ٠٠ هذا الى جانب عقل كان يرنو متلهفا الى قبس ينير سبيله ، ويضفي عليه الضياء ويلقحه بالمعرفة الانسانية ، وبالدم الجديد الذي يهيىء له الاسباب للخروج من الظلمات الى النور ٠٠ فللعقل اشراق يغيب ويحضر ٠٠ يظهر تارة ، ويخبو عندما تكون الاسباب ممهدة ، والظروف مواتية ٠ فالشجرة اليابسة لا تقبل اللقاح ، ومحال أن يعيد الغيث اليها النضارة والحياة مهما استمر دفقه وتوالى تهطاله ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

أجل ·· ان التلاقح الفكري عندما يستمد قواه ، ويستكمل عناصره ·· يحرك العقل ويدفعه في سبيل الخير والسمو والسير في مجال المعرفة والتطور والرقي واكتساب العلوم · والامم المتحضرة اعتمدته في حياتها ، وجعلته أساسا لبقائها ، ودعامة لديموميتها ·

واني لعلى يقين بأن العقل العربي كان في تلك المرحلة يرقد في كهوف الروحية المقيدة بالنوازع والعوائق التي لم تقف بوجه تطلعاته فحسب ·· بل منعته من قبول العلم والمعرفة وحمل الامانة ، والاضطلاع بالرسالة ·

وتشاء الاقدار ·· بعد انتظار طويل ، ومخاض عسير ·· أن تنعم الجزيرة العربية بالعهد الفتي ، والغيث الروي ·· فيظهر قبس الاسلام من خلال الظلام حاملا نفحات الامل ، ونسائم الاطمئنان ·· فينقلب العرب بين عشية وضحاها الى أمة كبرى ، لم تلبث أن أخذت تتطلع الى أبعد من حدودها ··· سائرة دونما توقف في طريق النمو والتطور ··· فالنور لا ينبثق الا من خلال الظلام ، والفرج لا يأتي الا بعد الضيق ·

فالاسلام الذي خص الله به هذه الجزيرة العربية ، ما جاء الا ليضفي عليها الضياء بعد الظلمة ، والسعادة بعد الشقاء ـ والحضارة بدل الجاهلية · وكأني بحامل هذه الرسالة العظيم أبى ألا أن يجعل من أقوام الصحراء أمة ذات كيان ، ودولة مرهوبة الجانب تحت الخطى لتأخذ مكانها تحت الشمس ، وتبرز على المسرح العالمي ، وبأيديها مشعل الحرية والمعرفة ، وعلم المدنية والحضارة · فهذا الاسلام أذكى جذوة المعرفة في نفوس العرب ، ودفعهم بقوة الى طلب العلم ، عندما قال لهم : « اطلبوا العلم ولو كان في الصين » ·

وهكذا ، لم يمض سوى نصف قرن ، حتى أخذت العلوم المختلفة تأخذ طريقها الى عقول هذه الامة خاصتها وعامتها ·· وأخذ العقل العربي ينمو ويخصب وينتج الى أن أصبح موردا عذبا ، ومنهلا صافيا للامم والشعوب كافة · وقد عزز ذلك ـ الامتزاج الجنسي واللغوي والثقافي بين العرب والشعوب المستعربة عن طريق السكنى والجوار والتقارب والاختلاط ·· مما ساعد على الازدهار ، ومهد الطريق للوصول الى الاهداف المثلى ·

هذا المدخل الى البحث ··· كان لا بد من عرضه ·· ونحن في طريقنا الى التحدث عن أثر الترجمة في الحضارة في العربية..فهذه الترجمة التي اعتمد عليها العرب في عهود نهضتهم المبكرة ، وبعد قيام دولتهم الكبرى ·· كانت وليدة الحاجة ، فواقعها في الحياة ، وأحوالها الاجتماعية والسياسية فرضت عليها السعي للتزود من المعرفة ، والوقوف على انتاج عقول الامم السالفة في مضمار العلوم والآداب ·· مضافا الى ذلك ـ أن المكتبة العربية ـ اذا صح أن افترضنا

http://www.al-maktabeh.com

وجود هذه المكتبة ـ كانت خالية من كل أسفار العلوم والمعارف ، ومن كل ما يمكن أن يلبي حاجة المتعلمين والدارسين اليه •

كلنا يعلم •• أن العصر العباسي الاول أسهم بأكبر قسط من أعمال الترجمة والتعريب •• ولكن قبل الدخول والتفصيل في هذه الامور ، لا بد لنا من العودة الى ما قبل هذا العصر •• حيث تطالعنا الوقائع التالية :

ان « خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان » يعد أول عربي فكر بالتعريب ، بل هو المؤسس الاول ، أو الواضع الحجر الاساسي للترجمة في العالم العربي •• ومن الانصاف أن نقول :

انه استطاع ان يقيم للعلم وللمعرفة دولة هي في نظرنا أسمى وأبقى من الدولة التي شادها آباؤه وأجداده •• فالاولى خالدة ، والثانية زائلة •

ويذكر التاريخ :

أنه استطاع أن ينقل الكثير من الكتب الفلسفية والطبية والفلكية الى العربية ، ووضعها في أماكن خاصة ، وأباح للمهتمين والدارسين حق الاستفادة منها •• واستقدم الى دمشق بعض المترجمين اليونان الذين كانوا يقيمون في مصر ، وأناط بهم ترجمة بعض الكتب في الطب والفلك والكيمياء ، كما استعان بغيرهم لترجمة بعض الكتب التي كانت قد ترجمت الى اللغة القبطية • ومن الذين ترجموا له « اسطفان القديم » الذي نقل بعض الكتب في الكيمياء عن اليونانية ، و « جبلة بن سالم » الذي ترجم بعض الكتب عن الفارسية •

ومن الجدير بالذكر •• أن خالدا نفسه كان بصيرا بعلم الطب الذي درسه على « يحيى النحوي » وبالكيمياء التي تعلمها من الراهب « مريانوس » السرياني •• يعزز هذا القول الرسائل الكثيرة التي خلفها بعلم الكيمياء ، وهي تدل على طول باعه في هذا العلم ، ومنها كتاب « الحرارات » و « الصحيفة الكبرى والصغرى » و « الوصية » لابن عمه في علم الكيمياء •

وعندما جاء « عمر بن العزيز » الى كرسي الخلافة ، أمر بترجمة عدد من كتب الطب « لاهرن بن أعين » كما أدخل اصطلاحات كبرى على معهد انطاكية العلمي ، وأناط ببعض العلماء مهمة ترجمة الكتب الى العربية في هذا المعهد •• وهكذا فعل الخليفة هشام بن عبد الملك ، فقد أمر بترجمة بعض الكتب عن الفارسية ، ومنها تاريخ « الساسانيين » •

وكل هذا يحملنا على القول :

ان الترجمة من اللغات الاجنبية الى العربية بدأت بعهد الدولة الاموية ،

مكتبة المهتدين الإسلامية

ولكنها ظلت محدودة وضيقة ، وقد يكون سبب ذلك أمور سياسية ، وظروف غير ملائمة ·· وانه لمن دواعي الاسف أن يغفل التاريخ أسماء الكتب التي ترجمت في ذلك العهد ، على حين ورد ذكر أسماء المترجمين الذين أسهموا بأعمال الترجمة ، وأكثرهم ذهب الى بغداد بعد سقوط الدولة الاموية ، وجندوا أنفسهم للاسهام بالترجمة واضعين نصب أعينهم أن رسالة العلم لا تقف عند الاشخاص أو الدول ، وأنها فوق الظروف السياسية والزمنية ·· ومن هؤلاء :

« ماسرجويه » الطبيب ، وكان معاصرا للخليفة عمر بن عبد العزيز · « وقسطا بن لوقا » وهو يوناني الاصل ، ولد في بعلبك ، وكان طبيبا ومهندسا ومترجما يجيد العربية والسريانية واليونانية · و « أبو عثمان الدمشقي » و « عبد المسيح الحمصي » المعروف « بابن الناعمة » و « زروبا بن ماجوه الحمصي » و « هلال بن هلال » و « حنين بن اسحق البغدادي » وهذا الاخير من نصارى الحيرة في العراق ، وكان والده صيدلانيا ذهب الى العراق بعد سقوط الدولة الاموية ، وعمل عند « حنا بن ماسويه » ، ثم اختلف عنه وذهب الى بلاد الروم حيث تعلم اليونانية ، وقد عرف باجادته للغات اليونانية والفارسية والسريانية والعربية ·

ومما يجب أن نذكره :

أنه أصبح بعهد الخليفة العباسي المتوكل مديرا لدار الحكمة ، وقد خلفه بعد موته ابنه « اسحق بن حنين » ·· ومنهم أيضا : « حبيش بن الحسن الاعسم » ، ويعد من أنجب تلاميذ « قسطا بن لوقا » ·

هذا في العهد الاموي ·· أما في العهد العباسي ، فالمصادر التاريخية أجمعت على ذكر :

ان الخليفة العباسي المنصور أول من قرب المنجمين ، وعمل بأحكام النجوم ، وكان يعاونه « نوبخت المجوسي » و « ابراهيم الفزاري المنجم » و « علي بن موسى » · كما أنه أول خليفة عباسي فتح باب الترجمة على مصراعيه · ففي عهده تمت ترجمة كتاب « كليلة ودمنة » وكتاب أرسطو في المنطق ، ومجسطي « لبطليموس » وأرثماطيقي وأقليدس عن اليونانية · ومن الجدير بالذكر أنه أولى الكتب التي تبحث في علم «الهيئة» والنجوم وحركات الكواكب والافلاك اهتمامه ، فأمر بترجمة أكبر عدد منها عن الفارسية والهندية واليونانية ، وكان يقوم بذلك علماء استخدمهم من فرقة « الصابئة » الذين عرفوا باطلاعهم الواسع على هذا العلم ، وبأنهم ورثة الكلدانيين في علم الفلك والنجوم ·

ومن المعروف عن هذا الخليفة أنه أستدعى سنة ١٤٨ هـ « جورجيس بن جبريل بن بختيشوع » كبير أطباء بيمارستان « جنديسابوز » وهو من النساطرة ،

http://www.al-maktabeh.com

وجعله طبيبه الخاص ، وأناط به علاوة على ذلك ترجمة أكبر عدد من الكتب اليونانية ، وفي عهده لمع اسم « يحيى البطريق » فاستخدمه ، وولجه بترجمة أكبر عدد من كتب « أبقراط » و « جالينوس » في الطب وذكر :

أنه في سنة ١٥٤ هـ وفد عليه من الهند جماعة من العلماء كان في عدادهم أحد علماء الفلك المتفوقين ، وله كتاب في اللغة السنسكريتية ، فكلفه المأمون باختصاره ، واتخذ منه أصلا في حساب حركات الكواكب ، بعد أن أمر « ابراهيم الغزاري » بترجمته الى العربية ·

وفي عهد الرشيد نشطت الترجمة ، وحصرت دائرتها في دار الحكمة التي تحولت في ذلك العهد الى مؤسسة حكومية لها ميزانيتها ومخصصاتها ومترجموها وكتابها ، وأكثرهم جاء من بلاد الروم ، وكان يشرف عليها « يوحنا بن ماسويه » الطبيب النسطوري المشهور الذي كان يعمل في « جند يسابور » ومن الجدير بالذكر أنه أنيط به ترجمة الكتب العلمية والطبية خاصة التي استولى عليها العرب عند فتحهم أنقرة وعمورية وبلاد الروم · ومن الذين أسهموا بالترجمة في عهد الرشيد أيضا « جبريل بن بختيشوع » وكان والده « جورجيس » من الذين عاصروا المنصور كما ذكرنا ·

هذا ·· ويجب ألا نغفل أسهام « البرامكة » وزراء الرشيد بحركة التعريب ·· فهؤلاء كان من مبادئهم تعميم الثقافة الفارسية في البلاد العربية ، لذلك شجعوا الترجمة ، وأمروا بنقل الذخائر الفارسية النفيسة الى العربية ·· وقد ذكر :

أن يحيى بن خالد البرمكي طلب الى بطريرك الاسكندرية ان يترجم له كتابا في موضوع الزراعة عن الرومية ــ كما أناط « بالفضل بن نوبخت » أن يترجم أكبر عدد ممكن من الكتب الفارسية ·

ومن أبرز المترجمين الذين استخدمهم لنقل التراث الفارسي : « محمد بن جهم البرمكي » و « زادويه بن شاهويه » و « بهرام بن مرداشاه » و « موسى ابن عيسى الكسروي » و « عمربن الفرخان » و « سلم » القيم على خزانة كتب دار الحكمة ، و « سهل بن هرون » الذي حصرت مهمته بمراجعة الترجمات ، والتأكد من صحتها ومطابقتها للاصل ، ويدخل في عداد هؤلاء « متى بن يونس » و « يحيى بن عدي التكريتي » و « الخمار » و « عيسى بن زرعة » ·

أما الكتب التي ترجمت فمنها :

أمثال بزر جمهر ، وعهد أزدشير بابك الى ابنه سابور ، وكتاب جاويدان خرد ·· في صنوف الآداب ومكارم الاخلاق ، وكتاب هزار أفسانه ، وهو أصل من أصول ألف ليلة وليلة ·

مكتبة المهتدين الإسلامية

والتعليل ، والميل الى الماديات والواقع والعقل ، بينما الفكر الهندي تميز بالتأمل ، وبالطابع الشعري والتصويري والخيالي القريب من العاطفة والزهد والتصوف • أما الفكر الفارسي فكان كالوعاء الاكبر لاستيعاب الثقافات كلها مع الميل الى الافكار الهندية من حيث هي أرق عاطفة وتحريكا للخيال وللشعور •

ومما يجب أن نشيد به :

ان العرب مدينون للسريان في كل ما حصلوا عليه من ثقافات ، ولولاهم لما استطاعوا تأسيس هذا التراث الضخم ، ولا كانت لهم مكتبات ومعاهد • فالمعاهد أسهمت اسهاما كبيرا في الترجمة والتعليم ، وعندما نتطرق الى ذكرها ••• نضع في المقدمة « معهد الاسكندرية » الذي كان مركزا مهما من مراكز العلم قبل الاسلام •• وحينما استولى العرب على مصر ـ جعلوا من هـذا المعهد منطلقا لنقل العلوم الى العرب •• ولكن الاسكندرية لم تلبث ان انهارت أمام الحروب المستمرة ـ ولا سيما بعد أن انفصلت عن الدولة البيزنطية ، وبعد أن أصبحت دمشق عاصمة للدولة الاموية •• وفي هذا الوضع كان من الطبيعي أن ينتقل نشاطها الى الشرق ، أو الى أي مكان يتكلم أهله اللغة السريانية •

وأخيرا : ألحقت بأنطاكية بعهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ، فأصبحت هذه المدينة الواقعة على حدود الامبراطوريتين ـ العربية والبيزنطية ـ مركز ثقل ، يتنازعها العرب واليونان ، وبالرغم من ذلك تمكن العرب من الحصول على الكثير من المصادر والمخطوطات ، فترجموها وأضافوها الى تراثهم •

ويأتي بعد ذلك معهد « جنديسابور » وهي مدينة في خوزستان ـ الاهواز ـ والمعروف أن سابور بناها وأسكن فيها الفلاسفة اليونان الذين أخرجهم « جوستنيان » •• وهؤلاء كانوا يعلمون اليونانية باللغة السريانية وأحيانا بالفهلوية ـ أي الفارسية القديمة • وقد استمرت هذه المدرسة على ازدهارها حتى أيام العباسيين ثم تحولت الى مركز كبير لنقل أكبر عدد من الكتب اليونانية الى العربية •

أما « حران » الواقعة في العراق الاعلى على مقربة من الرها « ما بين النهرين » ، فأهلها كانوا من الصابئة عبدة النجوم ، ولم يكونوا يهتمون الا بعلم الفلك والرياضيات •• ومن المعروف أنها فتحت بعهد الخليفة عمر بن الخطاب ، وأن الحضارة اليونانية انتقلت اليها عن طريق الاسكندرية أولا ، ثم عن طريق انطاكية ثانيا ، وكل هذا مهد لها مهمة الاضطلاع بقسط وافر من الترجمة الى العربية •

وهناك معهد الرها ـ التي تعرف باسم أورفه ، وهي ما بين النهرين أيضا ، وقد فتحت بعهد عمر بن الخطاب والآن هي في الاراضي التركية •

http://www.al-maktabeh.com

ومن المعاهد التي أسهمت بالنشاط الفكري ٠٠ معهد « نصيبين » وهي مدينة تقع ما بين النهرين على نهر جفجغ ضمن الاراضي التركية ، وبجوار مدينة القامشلي السورية ٠٠ وبعده يأتي معهد « قنسرين » الذي كان أساتذته يعلمون اللاهوت ، ويتوافرون على ترجمة التراث اليوناني الى السريانية ٠٠ ثم معهد « بلخ » وهذا المركز كانت مهمته تصدير الثقافة الفارسية والهندية الى العرب ، ومتى علمنا أن معبد « نوبهار » البوذي كان موجودا في هذه المدينة أدركنا أي مهمة كان عليه أن يؤديها بالنسبة الى الثقافة الهندية ٠

بعد هذا العرض المبسط عن حركة التعريب ، والمراحل التي مرت بها ٠٠ أرى لزاما علي أن انتقل الى موضوع آخر ، وهو حركة الترجمة من العربية الى اللغات الاخرى ٠٠ وأستهل حديثي بالتساؤل الآتي :

هل استطاع العرب بعد أن حققوا هذه الانتصارات العلمية ، باستيعابهم الجزء الاكبر من الفلسفة اليونانية ، وآداب الفرس والهند ، أن يتحولوا الى مصدرين للثقافة ؟

المصادر التاريخية التي بين أيدينا لا توضح لنا ، ولا تسمي كتابا معينا ترجم من العربية الى لغة أخرى الا بعد قرابة قرن من وفاة ابن سينا ٠٠ ففي خلال القرون الوسطى انبثقت في أوروبا حركة فكرية كان من برنامجها الحصول على مؤلفات هذا العبقري ، ولا سيما كتاب « الشفاء » فترجموه الى اللاتينية على مرحلتين :

الاولى : في النصف الثاني من القرن الثاني عشر للميلاد ٠٠ والثانية : بعد مئة عام ٠

ومن الجدير بالذكر أنهم في تلك المرحلة ترجموا « ايساغوجي » وعدوه خطا من تاليف أرسطو كما ترجموا كتاب « الطبيعيات » على مراحل ٠٠ أولها القسم الاول والثاني والسادس في علم النفس ، ثم « الالهيات » في جزأين ، وأخيرا أكملوا ترجمة الاجزاء الاخرى ٠٠ وأضافوا بعد ذلك اليها جزءا من النجاة والاشارات ، وبعض الرسائل الصغيرة ، كما انهم حصلوا على كتاب « القانون » في الطب في عهد مبكر ٠

لقد كانت حركة الترجمة من العربية الى اللاتينية شبيهة شبها ما بحركة الترجمة من اليونانية الى العربية في عهودها الاولى ٠٠ ومن الواضح أنه لم يتوافر لها الاجادة والاتقان ، بل ظلت ترجمة حرفية خالية من كل تعريف أو تفسير للرموز ، أو ايضاح للنصوص وللاصطلاحات ٠٠ فاللاتين ترجموا أيضا عن اليونانية وعن العبرية أيضا ، وأعطوا الفلسفة والطب المقام الاول ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

أما الادب فلم يحظ باهتمامهم • وكان المترجمون يعرفون لغتين لا أكثر •• ولكن يبدو أنهم أرادوا أخيرا أن يستعيضوا عن النقص ، فأنشؤوا عددا من المعاهد لتعليم اللغات الاجنبية ــ واخراج أكبر عدد من المترجمين • فكانت طليطلة ، و « بالرم » في صقلية •• وهذا المعهد ازدهر في القرن الثالث عشر للميلاد ، وأصبح صلة الوصل بالمفكرين العرب •• وقد ذكر أن شروح ابن رشد على أرسطو ترجمت فيه •

وهناك ناحية لا بد من الاشارة اليها •• وهي أن الاوروبيين اعتمدوا في تلك المرحلة على سرقة الكتب ونسبتها اليهم •• وقد جلي ذلك عندما اقتحم الصليبيون سنة ٤٧٢ هـ مكتبة « دار العلم » في طرابلس الشام التي أسسها « علي بن عمار الفاطمي » ، وكانت تضم مائة وخمسين ألف مجلد في مختلف العلوم والفنون والآداب •• وهذه المجلدات نقلت الى أوروبا ووضعت في تصرف العلماء ، وترجم عدد كبير منها الى اللغات المتفرعة من اليونانية ، دون الاشارة الى مصادرها وأسماء مؤلفيها •• وحول هذا الموضوع قال « غاستون باري » :

ان أغلب القصص والكتب العربية التي انتشرت في أوربا جاء بها الاوروبيون من البلاد العربية ، اما عن طريق اسبانيا ، أو عن طريق سورية •

وقال « رينان » :

من المسلم به أن أوروبا استفادت من العرب فن القصة والروايات والحكم والامثال •• ومثل هذه الاعمال الادبية كانت تنتشر في القرون الوسطى انتشارا سريعا ••• فكان أي كتاب يصدر في القاهرة أو في دمشق أو بغداد أو مراكش يعرفه أدباء باريس وكولونية وروما في مدة قصيرة •

ومما يجب الاشارة اليه : ان الاسبان ترجموا عن العربية الكتب التي تبحث في الفلسفة والرياضيات والطب خاصة وقام بذلك العلماء العرب الاندلسيون • وذكر :

ان الرياضي الاندلسي الكبير « المجريطي » جاء الى المشرق بعد أن أوفده الاسبان ، وعاد وفي حقيبته مجموعة من الكتب العربية النادرة ، فوضعها بتصرفهم ، ومنها رسائل اخوان الصفا ورسالة الجامعة ، حتى ان بعضهم نسب هذه الرسالة خطأ اليه من حيث انه أول من أدخلها الى الاندلس •• ولا ندري اذا ما كانت هذه الرسالة قد ترجمت الى لغة أجنبية أولا ؟

وما يقال عن اللاتينية ، يقال عن السريانية •• فعلماء هذه الطائفة تطلعوا الى انتاج ابن سينا الخصب ، والى ما تركه الفارابي ، فأولوهما العناية والاهتمام الزائد ، وأقبلوا على ترجمتها الى السريانية معتمدين على عقيدتهم الراسخة بأن

http://www.al-maktabeh.com

هذه المصادر تمثل الايمان المطلق بالله ، بينما الفلسفة اليونانية تجنح الى الوثنية ·· ومن العلماء السريان الذين تأثروا بابن سينا » ابن المعدني « بطريرك انطاكية ، و « ابن العبري » وغيره ·· فقد ذكر : أن ابن المعدني ترجم الى السريانية « رسالة الطير » لابن سينا شعرا فجاءت في مائة وخمسة وعشرين بيتا ، كما ترجم ابن العبري الاشارات والتنبيهات ·

اذن نستطيع أن نؤكد :

أن العرب ، منذ مطلع القرن الخامس للهجرة أصبحوا أمة مصدرة للعلوم وللحضارة ·· وفي هذا الوقت كانت دولتهم الفكرية قد استكملت عناصر يقظتها ، ومؤهلاتها التي ساعدتها على الوصول الى الذروة ، والسير على رأس الامم الحضارية الكبرى ·



مكتبة المهتدين الإسلامية

وذكر :

أن أبان بن عبد الحميد نقل الى الشعر العربي كتاب كليلة ودمنة ، وأهداه الى جعفر بن يحيى البرمكي ، وقد جاء بأربعة عشر ألف بيت ، كما نقل الى الشعر العربي سيرة أزدشير وسيرة أنو شروان ٠

وفي عهد الخليفة المأمون لم تتوقف حركة الترجمة ، بل اتسعت دائرتها ، وامتدت لتشمل تراث الهند ، وقد استهل عهده باستقدام عدد من أطباء الهند للعمل في بيمارستان بغداد الكبير ، وفي الوقت نفسه أوكل اليهم مهمة ترجمة الكتب العلمية والادبية الهندية الى العربية ٠ كما أرسل بعثات عدة الى خارج العراق ، وعلى رأسها « يوحنا بن ماسويه » لشراء الكتب النادرة ، والمصادر القيمة ٠ وذكر :

أنه تمكن من استحضار الكثير من الكتب النادرة من جزيرة « قبرص » التي كانت محفوظة في مكتبات سرية ، وبعض هذه الكتب أرسلها اليه حاكم قبرص عندما وقع مع المأمون الهدنة ٠

أما أبرز المترجمين في عهده فهم : « يحيى بن البطريق » وكان يجيد اللاتينية بالاضافة الى اليونانية وهذا العالم ترجم قصة طيماوس لافلاطون ، ومختصر علم النفس لارسطو ، وسر الاسرار الذي وضعه للاسكندر ، وكتاب الترياق لجالينوس ، وكتبا أخرى في الآثار العلوية ، وفي علم الحيوان ٠ أما « عبد المسيح بن ناعمة » فقد ترجم عن اليونانية كتاب الاغاليط لارسطو ٠

وفي عهد المتوكل تم نقل كل ما في مكتبة انطاكية الى حران عاصمة الصابئة المعروفة بأنها تضم علماء الفلك والرياضيين ، وهذه المدرسة كان يديرها « ثابت بن قره » وأولاده وتلاميذه ، وهؤلاء أسهموا بحركة الترجمة ، ونقلوا الى العربية أقوم الكتب في مختلف العلوم والآداب والفنون التي أصبحت بعد ذلك نواة لمكتبتي المدرسة النظامية والمستنصرية ٠ و « ثابت بن قرة » هذا ولد في حران ، ثم ارتحل الى بغداد ، فاتخذه المتضد صديقا وقربه اليه قبل أن يصبح خليفة ، وكان مشهورا بتفوقه في الترجمة ، ومعرفته الواسعة باللغة العربية ، وكذلك ابنه « سنان » الذي أصبح طبيبا للمقتدر ، ومترجما لاكبر عدد من الكتب المفيدة ٠

ان حركة التعريب تلك أفسحت المجال بعامة أمام الدارسين العرب للوقوف على انتاج أفلاطون وأبقراط ، وجالينوس ، وأرسطو الفلسفية ، وما أنتجته قرائح علماء الهند وفارس في التاريخ والشعر والآداب ٠

ولا بد لنا من الاشارة :

http://www.al-maktabeh.com

الى أن العلماء العرب في تلك الازمنة كانوا يجدون صعوبات كثيرة في تفهم رموز الفلسفة اليونانية ، والاصطلاحات العلمية التي كانت في الحالات العظمى تنقل من لغة الى أخرى ، وربما الى لغة ثالثة ثم تترجم الى العربية ، ففي مثل هذه الطريقة تأتي « حرفية » وخالية من التوضيح والمحصل والمعنى الدال عليها ٠٠ وفي هذا يقول « نالينو » :

ان بعض المترجمين كانوا ضعافا في العلوم ، يترجمون ترجمة حرفية ، دون أن يفهموا ما يترجمون أو معنى ما يترجمون ٠٠ لهذا فان بعض الترجمات كانت تأتي وافية للقصد ، وبعضها غير واف له ٠٠ ولعل هذا كان من الاسباب التي دفعت بعض العلماء المبرزين الى تعلم اللغات الاخرى ، لكي يتفادوا الاغلاط ، ويقرؤوا الكتب بلغتها الاصلية ٠٠. فنحن حين نقرأ بعض كتب ابن سينا في الطب والفلسفة نجد فيها بعض الاصطلاحات والكلمات اليونانية ، ونرى الى جانبها ما يقابلها ، وما يدل على معانيها في العربية ٠٠ مما يدل على أن مؤلفها كان بارعا باللغتين،وقد سبقه الى ذلك«اخوان الصفا» ففي رسائلهم وجامعة رسائلهم توجد ألفاظ وتعابير يونانية وفارسية ومدلولاتها بالعربية٠٠أما في كتاب « الكرماني » « راحة العقل » فتظهر بعض الرموز والاصطلاحات الفارسية والعبرية ٠٠ وعلى ضوء ذلك نستطيع القول :

ان أكثر الترجمات الى العربية في عصورها المبكرة كانت عن السريانية ، لا اليونانية مباشرة ٠ والسريانية ما كانت في يوم من الايام الا شقيقة اللغة العربية ٠٠٠ فهذه اللغة في جميع مراحلها وتاريخها ومنذ أقدم العصور سبقت غيرها في الوقوف على ينابيع المعرفة ولا سيما اليونانية ، وعندما تكون أمامها صعوبات ومغمضات فان الترجمات اليها كانت تؤخذ عن العبرية ٠

ومهما يكن من أمر ٠٠ فان الاقبال على قراءة الكتب الفلسفية والعلوم الاخرى ، جعل العقل العربي أكثر ميلا وتطلعا الى الاستعاضة بهذه الكتب عن الكتب الدينية التي كانت تطغى على مجتمعات الدارسين والمثقفين ٠٠ وهكذا قامت النهضة الفكرية العربية على أسس ودعائم جديدة ، مما أوجد جوا من الانقسام الفكري ، والتناقض في الآراء وظهور مذاهب فلسفية متعددة الاهداف ، ومختلفة الابعاد ، وكل هذا لم يكن في صالح الاسلام بل كان عاملا على اشاعة الفرقة ، وتسرب عناصر غريبة الى رحابه ٠

ومن الواضح ٠٠ أن العلماء العرب عزفوا في مستهل نهضتهم عن الادب اليوناني ، واستساغوا الفلسفة والمنطق والحكمة فقط ٠٠ فالمصادر التاريخية لم تذكر أنهم ترجموا الى العربية أي تاريخ أو أدب أو ملحمة شعرية عن اليونانية ٠٠ بل أخذوا ذلك كله عن الهند وفارس ، ويبدو أنه كان أكثر تأثيرا في نفوسهم ، وأقرب الى شعورهم ٠٠ فالفكر اليوناني امتاز بالعمق والتحليل

مكتبة المهتدين الإسلامية

http://www.al-maktabeh.com

أثر الترجمة في النهضة العربية الحديثة

الاستاذ فريد جحـا

— ١ —

الترجمة لغة : نقل الكلام من لغة الى أخرى ، وهي نوعان :

- التعريب : وهو النقل من اللغات غير العربية الى لغتنا ·
- والتعجيم : وهو النقل من اللغة العربية الى لغات أخرى ·

والترجمة نوع من أنواع النشاط الفكري قريب الشبه بالادب ، لان المترجم والاديب انما يتعاملان باللغة التي هي أداتهما المشتركة في تقديم نتاجهما ·

ووجود الترجمة في مجتمع ما يعني يقظة هذا المجتمع ونهضته وسيره في طريق التقدم ، وفقدانها يعد نذيرا بالتدهور والانحطاط · ذلك أنها تقيم جسرا بين الامم أساسه الالتقاء الذي من شأنه تدعيم صلات القربى والود بين البشر ، لانها تنقل تراث الانسانية في العلوم والمعارف والآداب ، وتدخل على اللغة المنقول اليها ايقاعا جديـدا يضفي عليهـا حيـوية لم تعرفها من قبـل ·

فللترجمة أهميتها التي تدركها الامم ، حتى المتقدمة منها ، يكفي أن نتذكر عناية الامم المتطورة بها ، فمن احصاء عن ألمانيا الديمقراطية نتبين أن ثلثي الكتب المنشورة ، في عام ما ، كانت كتبا مترجمة ، ومن نشرة لليونسكو عن عام ١٩٦٦ نتعرف أيضا أنه نشر في ذلك العام ٤٦٠،٠٠٠ كتاب ، كان منها ٣٩،٦٢٠ مؤلفا مترجما، وبلغت نسبة الكتب المترجمة بذلك الرقم تسعة بالمائة ·

— ٢ —

أسهمت الترجمة اسهاما كبيرا في تاريخ البشرية ، فالحضارة التي ننعم بظلالها اليوم ثمرة لقاء الامم المختلفة ، وتلاقح حضاراتها المتنوعة ، ولم يتم هذا التلاقح ، ولا ذلك اللقاء الا عن طريق الترجمة · فلقد ثبت أن الحضارة انما ولدت في بلادنا العربية (مصر وبلاد الشام وما بين الرافدين) ، وفي الصين والهند ، ثم انتقلت الى اليونان عن طريق كريت ، ثم تحولت بعد هذا الى العرب بعد الاسلام ، ثم عادت ثانية الى أوربا بعد عصر النهضة الحديثة ··· كان انتقال الحضارة هذا بين الشرق والغرب انما يتم عن طريق

مكتبة المهتدين الإسلامية

الترجمة •• واذا كنا لا نعرف معرفة واضحة سبل انتقال الحضارة المشرقية الى اليونان ، فاننا نعرف معرفة واضحة كيف نقل العرب بعد الاسلام تراث الأمم القديمة التي اتصلوا بها • فكتبنا القديمة تتحدث عن حركة الترجمة هذه : متى بدأت وكيف تطورت وازدهرت ، وما هي عوامل ازدهارها ، ومن هم الذين حدبوا عليها ، ونعرف كذلك أسماء النقلة عن اللغات اليونانية والفارسية والهندية ونعرف كذلك أسماء الكتب التي نقلت • ولسنا هنا في معرض الحديث عن حركة الترجمة في العصر العباسي ، فذلك موضوع آخر ، حسبنا أن نشير اشارة موجزة الى أن حركة الترجمة انما بدأت في العصر الاموي ، وازدهرت في العصر الذي تلاه ، بتشجيع من الخلفاء العباسيين ، ونخص بالذكر منهم المنصور والرشيد والمأمون ، ومذكرين (ببيت الحكمة) الذي كان مكتبة ضخمة ، ومدرسة جامعة ، ومركزا لترجمة الكتب المختلفة ••• ونشير كذلك الى أن علماء التاريخ قد قوموا عاليا حركة الترجمة هذه : فقد أكبروا الموقف الذي اتخذه العرب من ثقافات الامم ، فأجدادنا على الرغم من كونهم الفاتحين ، وفي مركز القوة ، لم يتورعوا قط عن التتلمذ على الامم التي غلبوها ، فحققوا بذلك ، كما سجل المؤرخ (لوكلير) في كتابه (تاريخ الطب العربي) مفخرة عربية أولا ، وانسانية ثانيا ، فاذا كان للعرب أن يفخروا بموقفهم هذا ، فان على الانسانية أن تعتز بما قدم العرب ، لان الغرب الاوربي انما تعرف الحضارة اليونانية عن طريقهم أولا ، فكانوا هم الذين أثاروا اهتمامه بها ، ودعوه الى العودة الى التراث الاغريقي القديم •

كذلك نعرف حركة الترجمة من التراث العربي الى اللغة اللاتينية التي بدأت في العصور الوسطى في صقلية واسبانيا ، ونعرف كذلك مدينة (طليطلة) التي أنشأ فيها أحد الملوك الاسبان مدرسة خاصة لنقل ما يطلبه من كتب اللغة العربية •• وهكذا ترجم عن العربية تراث ضخم ، كان له التأثير البارز في انتقال أوربا من العصور الوسطى ، الى العصور الحديثة ، فحققت بذلك النهضة الاوربية التي كانت الحضارة العربية أهم مصادرها ، واننا لنجد مصداقا لهذه المقولة في كتابين هامين صدرا مؤخرا ، أولهما : باللغة العربية ، وعنوانه : أثر العرب والاسلام في النهضة الاوربية ، والثاني باللغة الانكليزية وعنوانه عبقرية الحضارة العربية ، مصدر النهضة

Genius of Arab civilization source of senaissance.

— ٣ —

واقتضت سنة الحضارة أن تبلغ حضارتنا العربية بعد الاسلام أوجها في القرون الرابع والخامس والسادس الهجرية ، ثم تأخذ بعد هذا في الوقوف ، وفي الانحدار بعد أن فقد العرب السلطة لانتقالها الى أيدي الاعاجم ، وللغزوات الاجنبية التي تعرض لها الوطن العربي من الشرق مع المغول ، ومن الغرب مع

http://www.al-maktabeh.com

الفرنجة ، تلك الغزوات التي أحرقت كتب التراث ، ودمرت المدارس والمدن ، وزرعت الدمار والرعب في طريقها ٠

ونام العرب على أمجادهم وعاشوا عصور الانحدار بكل ما فيها من اجترار للماضي ، وعدم تجديد ، وبعد عن مناحي الحضارة التي انتقلت الى أوربا بعد عصر نهضتها ٠٠٠ وكان أول لقاء جديد للعرب ، مع الحضارة الحديثة ، في مصر ، فلقد استفاقوا على أصوات نابليون ومدافعه ، ليروا تخلف الواقع الذي يحيط بهم ، وتأخرهم عن هؤلاء الغزاة المتقدمين في كل شيء ٠

هذا اللقاء الدامي مع الغرب ، أشعل شرارة اليقظة والانبعاث ، فهز العرب رؤوسهم ، واستفاقوا وتطلعوا الى استعادة مكانتهم اللائقة بهم ٠٠ ولقد تبين لهم أن العودة الى الحياة ، والى الحضارة ، لا تتم الا بعد السير في طريقين :

احياء التراث العربي في أزهى أيامه ، والاغتراف من الحضارة الوافدة هـذه ٠

وهكذا بدأت النهضة العربية الحديثة في مصر ، وفي لبنان ، وفي حلب ، تعمل على نشر كتب التراث العربي أولا ، وتتصل بأوربا المتقدمة حضاريا ثانيا ٠٠ ولقد تم هذا الاتصال عن طريق ثلاثة سبل : أولها ايفاد البعوث الى البلاد الاوربية المختلفة ، وثانيها جلب الخبراء للافادة منهم في الوطن الام ، ٠٠ وكان الطريق الثالث والهام طريق الترجمة التي بدأت في العشرينات من القرن الماضي في مصر ، بطريقة منظمة بعد انشاء دار الالسن ، ثم البدء في نقل العلوم العصرية التي لها صلة بالجيش الذي كان محمد علي معنيا بأمره ٠

لقد ترجمت كتب في الطب والحكمة والكيمياء والرياضيات ، والعلوم العسكرية ، وكانت الكتب الادبية المترجمة قليلة ، والفلسفية شبه معدومة ، وكان ذلك طبيعيا ، بالنسبة الى فهم محمد علي ، والى رغبته في الاسراع بتكوين جيش حديث ٠

كذلك قامت نهضة مماثلة في تونس ، وأخرى في لبنان ، وترجمت فيهما عشرات من الكتب غلب عليها الطابع الادبي ٠

لكن هذه النهضة في ميدان الترجمة لم يتح لها أن تؤتي أكلها لسببين :

أولهما : أنها كانت محصورة بأهداف ضيقة ، والثاني : مجيء الاستعمار

مكتبة المهتدين الإسلامية

الغربي الذي هيمن على مقدرات البلاد العربية ، وفرض تعليم لغته الإجنبية ، وفرض معها تدريس العلوم المختلفة بها ، لا باللغة القومية .

وهكذا تراجعت حركة الترجمة ، منتظرة الخمسينات من هذا القرن ، أي موعد استقلال الاقطار العربية ، واستعادتها السيطرة على مقدراتها ومصيرها ، ومن بينها النظام التعليمي الذي أخذ يرجع الى العربية في أغلب الاقطار العربية ، حتى في المغرب العربي حيث كان المستعمر قد وفق الى حد بعيد في الهيمنة بلغته على لغة التعليم .

وقامت ، منذ ثلاثين سنة حركة ترجمة نشيطة مزدهرة في أغلب الاقطار العربية ، ونقلت الآلاف من الكتب عن اللغات الاجنبية الى لغتنا ، معيدة بذلك اتصال العرب بالحضارة الحديثة ومقدمة لهم بشائر نهضة سيكون خيرها عميما ذات يوم .

الا أن هذه الترجمات لم تف بالغرض المطلوب ، ولم تقدم الفائدة المرجوة للاسباب التالية :

١ ـ قامت بها ، في الاحوال العظمى ، مؤسسات خاصة كانت أهدافها محصورة في الربح ، وكانت تتبنى لذلك الكتب الرائجة لا الكتب القيمة .

٢ ـ غلبت العلوم الانسانية والفنون والفلسفة على الكتب التي ترجمت ، ونحن مع حاجتنا الى هذه الانواع من الكتب ، فاننا بحاجة أمس الى الكتب ذات الطابع العلمي .

٣ ـ كانت الترجمة تتم حتى في المؤسسات الرسمية ـ بصورة عشوائية ، ودون خطة واضحة .

٤ ـ تبعثرت جهود المترجمين في سائر أقطار الوطن العربي ، دون أن يكون بينهم تلاق ، أو اتفاق على خطة ، أو اهتمام بما يترجم ، كيلا تضيع الجهود بترجمة أثر ما مرتين مثلا .

ـ ٤ ـ

وما دامت للترجمة أهميتها الخاصة هذه ، فلا بد لنا من أن نتخذ السبل الكفيلة بجعلها تؤدي مهمتها الرائدة في اغناء الفكر العربي الحديث أولا ، وفي نقل العرب الى حضارة القرن الحادي والعشرين ثانيا .

وانما يكون ذلك باتباع ما يلي :

http://www.al-maktabeh.com

١ ـ ايمان العرب جميعا بأهمية الترجمة ، وبضرورة توفير المناخ الملائم لها ، لكي تتم في شكل سليم ، ووقت مناسب ، وتؤدي عطاءها الموعود ٠

٢ ـ احياء سنة السلف الصالحة ، بانشاء ما يشبه (دار الحكمة) وهي مؤسسة للترجمة تكون تابعة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، يكون لها جهاز مركزي ، وفروع في مختلف الاقطار العربية ٠

٣ ـ رصد الاموال الكافية والمجزية لهذه المؤسسة (مؤسسة الترجمة) ، لكي تقوم بمهمتها عربيا في المركز ، وقطريا في المراكز الفرعية ٠

٤ ـ وضع خطة واضحة للترجمة تلتزم بها المؤسسة المركزية والمراكز الفرعية لئلا يحدث تناقض أو بعثرة للجهود ٠

٥ ـ انشاء كليات في كل قطر عربي ، كليات تلحق بالجامعات ويكون همها تخريج المترجمين الذين يتقنون جميع اللغات التي يحتاج الى الترجمة عنها ٠ ويكون البدء باللغات الاوربية (الفرنسية والانكليزية والروسية والايطالية والالمانية والاسبانية) ، ثم اللغات الشرقية (الصينية واليابانية والهندية) ٠

٦ ـ احصاء جميع الكتب التي ينبغي ترجمتها ، وتصنيفها بحسب أهميتها، والبدء في توزيع الاهم فالمهم على مؤسسة الترجمة المركزية ، وعلى فروعها في البلاد العربية ٠ وذلك بعد وضع خطة طويلة الامد أولا ، وأخرى سنوية ثانيا ٠

٧ ـ تفريغ عدد كاف من المترجمين الممتازين في كل قطر ، ينتقى بعضهم للعمل في المؤسسة المركزية ٠ ومن نافلة القول التذكير بأن هؤلاء يجب أن تدفع لهم أجور كافية مناسبة لكي يحيوا حياة لائقة تساعدهم في عملهم ٠

٨ ـ عدم الاقتصار على التعريب ، أي على الترجمة من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية فقط ، بل ينبغي أن يواكب ذلك حركة تعجيم ، أي نقل الكتب الممتازة الى اللغات الاجنبية تعريفا بتراثنا الماضي ، وبنتاجنا الحاضر ، ودفاعا عن قضايانا القومية أيضا ٠

٩ ـ المضي في العمل من أجل تأليف معاجم من اللغات الاجنبية ، الى العربية ، ومن العربية الى تلك اللغات ، معاجم تكون علمية دقيقة حاوية ، جميع المصطلحات العلمية والفنية والفلسفية ٠

١٠ ـ الاهتمام الاول لترجمة كتب العلوم والتكنولوجيا المختلفة ، دون اهمال ترجمة كتب العلوم الانسانية ، فالحضارة ليست عقلا فحسب ، بل هي أيضا قلب وذوق واحساس ، وكتب الفنون والآداب والفلسفة هي التي تقوم باغناء تلك الجوانب المختلفة من حضارة الانسان ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

وبعد : فان معركتنا مع العدو الذي يهددنا في وطننا ووجودنا وحضارتنا معركة ثقافية قبل كل شيء ، وينبغي أن نهتم كل الاهتمام بالوصول الى مستوى لائق بأمتنا أولا ، ومساعد لنا في معركتنا الكبرى ثانيا ٠ وانما يكون ذلك بالاهتمام بجميع الاسباب التي تعيننا على ذلك ، وفي رأس هذه الاسباب الاتصال بالحضارة الحديثة ، وتمثلها ، ونقل تراث الانسانية العلمي والفكري والفني عن طريق الترجمة معتمدين على الطريق التي بيناها فيما سبق ٠

ان نقل تراث الانسانية الى اللغة العربية ، ووضعها بين أيدي جماهير أمتنا عمل عظيم ، يساعد على نقلنا الى مشارف العصر الحديث ، ويفتح أمامنا طريق النصر في معاركنا القومية ضد التخلف والاستعمار والصهيونية ٠



http://www.al-maktabeh.com

في حلب خزائن كتب عامرة وعلماء عباقرة
وأثر ذلك في حركة الترجمة

اعداد
الاستاذ محمود حريتاني

أيها السادة ،

يقول الشيخ كامل الغزي في كتابه نهر الذهب في تاريخ حلب : « معلوم أن النهضة العلمية في مدينة حلب ، بدأت في أيام سيف الدولة الحمداني ، ومنذ ذلك الوقت أخذت تكثر الكتب والاسفار العلمية في حلب على قدر الحاجة اليها ، الى أن كانت دولة نور الدين محمــود بن زنكي ، ازدادت النهضة العلمية فازداد عدد الكتب في حلب ، الى أن جاءت دولة السلطــان صــلاح الدين الايوبي ثم خلفه أولاده وأحفاده وأقرباؤه ومماليكه، فاقتدوا به فكثرت المدارس في حلب وتمت تلك النهضة العظمى في العلوم والفنون ، حتى أصبحت حلب تعد في معارفها من أمهات الممالك الاسلامية » (١) ٠

وحول ولع الحلبيين باقتناء الكتب يستطرد الغزي فيقول : « ان ولع الحلبيين باقتناء الكتب ، كان ولم يزل ، غريزة فيهم ٠ فقد أدركنا الكثيرين من علماء حلب وأغنيائها من هو شديد العناية باقتناء الكتب المخطوطة النادرة ، حتى انهــم كانــوا يتسابقــون الى اقتنائهــا ويبــذلون الامــوال الطائــلة في استنساخها » (٢) ٠

ولو أردنا أن نجري مقارنات صغيرة بين عدد المراكز العلمية في حلب وبين عدد سكانها ، لتبين لنا مدى التطور الذي وصلت اليه حلب في أوائل القرن الحادي عشر الهجري ٠ فقد بلغ عدد سكان حلب ٢٨٥ ألف نسمة(٣) ، وبلغ عدد المدارس المتخصصة بالبحث والنقاش والدراسة ١٤٠ مدرسة والى جانبها ٧٣ خانقاها تضم المنقطعين الى العبادة والدراسة ٠ وأما الزوايا والتكايا ، ولها حظ في البحث ، فقد بلغت ٩١ زاوية و ٣١ تكية ٠ ومن ثم يلحق بها

١ ــ الجزء الاول ، الصفحة ١٦٨ ، المطبعة المارونية بحلب ١٩٢٥ م ٠
٢ ــ الجزء الاول ، الصفحة ١٦٩ ، المطبعة المارونية بحلب ١٩٢٥ م ٠
٣ ــ اعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء ، الشيخ راغب الطباخ ، الجزء الثالث ، الصفحة ٢٩٤ ، المطبعة العلمية بحلب ١٩٢٥ م ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

الاديرة التي انتشرت في المدينة وجوارها • فضلا عن المهمة التي قام بها الجامع الاعظم (أي الجامع الاموي) الذي نصبت في احدى زواياه « شجرة الافادة » وحلقات الدرس ، وجاءت المدرسة الحلوية لتنافس بعد ذلك الجامع الاموي وتعرف بحلقات السهروردي •

وحول « شجرة الافادة » ذكر الغزي(٤) : « ومما يناسب ايراده هنا أن من جملة ما كان في الجامع الكبير من الذخائر الفنية العلمية ، شجرة دعيت في وقتها « شجرة الافادة » ، فقد ذكر رضي الدين الحنبلي في كتابه « در الحبب » في ترجمة (خليل بن أحمد غرس الدين المتوفى سنة ٩٧١ هـ / ١٥٦٣ م) أنه هو الذي غرس شجرة الافادة في شرقي الجامع الكبير ، وقد وقع الي كتاب مخطوط جمع بين دفتيه عدة رسائل في علم الفلك والميقات ، قرأت في حاشية منه أن هذه الشجرة كانت عظيمة الرواء مصنوعة من حجر ونحاس وحديد ذات خطوط وجداول في أصول العلوم الرياضية شبيهة بشجرة ذات جذع ضخم وأغصان وأوراق عظيمة في كل ورقة منها أصل من أصول تلك العلوم • قال صاحب الحاشية وكان الطلبة يقدمون الى حلب من البلاد القاصية للاشتغال بالعلوم الرياضية المرسومة في هذه الشجرة •

وقد كان في كل مدرسة وجامع ودير وتكية وزاوية ، مكتبة ــ كبرت هذه المكتبة أو صغرت ــ تضم المخطوطات النفيسة باللغة العربية والفارسية والرومية ومن ثم بالتركية ، جمعت ونسخت وترجمت خلال مئات السنين ، وكونت ثروة عظيمــة •

وفي خلال الاحداث الكبيرة التي مرت بحلب ضاع عدد كبير منها أو أتلف ، وحين بدأ الاهتمام ينصب على دراسة هذه المخطوطات والبحث عنها ، جمعت في مراكز عدة منها مكتبة المدرسة الاحمدية ، ومكتبة المدرسة الرضائية (العثمانية) ومكتبة الجامع الكبير ومكتبة المدرسة الخسروية ومكتبة التكية المولوية وبعض المكتبات الخاصة •

وأخيرا جمعت هذه المكتبات كلها في مكتبة واحدة هي مكتبة دار الاوقاف الاسلامية (مكتبة المدرسة الشرفية سابقا) التي غدت تضم المخطوطات المتنوعة ، هذا فضلا عن مكتبات الطوائف المارونية والسريانية والملكية للروم الكاثوليك وفي بعضها بقايا الادوات والآلات الفلكية المتنوعة ، ومنها ساعة ابن الشاطر •

اننا لن نتعرض في هذا البحث للمكتبات التي وجدت في حلب عموما بل سوف نبحث أهمية مكتبة المدرسة الرضائية المعروفة بـ « العثمانية » فقط

---

٤ ــ نهر الذهب في تاريخ حلب صفحة ١٧٣ من الجزء الاول •

http://www.al-maktabeh.com

مثالا على مكتبات القرن الثامن عشر الميلادي في مدارس حلب ، وقد وقع في أيدينا مؤخرا نص وقفي، وقف فيه عثمان باشا والي حلب عام ١١٤٢ هـ / ١٧٢٩ م الكتب الكثيرة على مدرسته التي كانت ـ وما زالت الى اليوم ـ من أعظم مدارس الشهباء بناء ، وكان فيها خزانة كتب عامرة ، وقد ورد في النص المذكور : « أنه وقف هذه المدرسة وجعل فيها خطيبا دائما ومدرسا ومحدثا وواعظا ومعلما للاطفال وقـراء القرآن وبوابين وقيمين على السبيل والمكتبة » •
أما ما يتعلق بموظفي حجرة المكتبة والمدرسين فيقول عنه : « يدخل الطالب ويجلس في المحل الذي يريده ويطالع ما يريده من الكتب ويكتب منها ما يريد ، ولا يخرج منها كتابا الى خارج الجامع ، ويمنع اخراج شيء من الكتب ، وترم الكتب وتصـلح في نفس المكتبة ، ووظيفة حافـظ المكتبـة كل يوم ٢٠ عثمانيا »(٥) •

وان المكتبة الملاصقة للقاعة القبلية قد أحكم بناؤها ، يقول الطباخ : « •• وجميع القبب والاسطحة مغطاة بالرصاص ، وقد صب الرصاص بين الجدران أيضا كل ذلك ليزداد البناء متانة وصبرا على الايام ، وعن يمين الايوان الغربي دهليز في صدره قاعـة للتدريس لهـا شبابيك مطـلة عـلى البستان •• » (٦) •

والنص الوقفي مؤلف من تسع وعشرين ورقة ، ضاعت مقدمته ، وقد وردت فيه أسماء كتب كثيرة تربو على ٥٠٠ مخطوطة ، بعضها باللغة العربية وبعضها الآخر باللغة الفارسية وقسم باللغة التركية ، وهي ذات نسخ متعددة ، حيث يوجد لبعض الكتب أكثر من ثلاثين نسخة ، ويظهر أنها كانت توزع على الطلاب والباحثين للمناقشة • فضلا عن أنها كانت ذات موضوعات متعددة ، ففيها كتب فقهية على المذاهب الاربعة ، وكتب فتاوى ، بعضها ذو موضوع ديني ، وبعضها الآخر يتعلق بحل مشاكل الاراضي ، ثم هناك كتب شروح دينية ولغوية كشرح ديوان الحماسة ، وكتب عن النحو والصرف والحديث والاصول وفقه اللغة والاعراب والتراجم والسير ومخطوطة لمقامات الحريري ، فضلا عن النسخ الكثيرة للقرآن والتوراة •

أما الكتب العلمية فقد كانت متنوعة فمنها ما يبحث في حياة الحيوان ، وأخرى في الحساب والطب والطب النبوي، ومنها (القانون في الطب) (لابن سينا) ، وفي الهندسة والتاريخ والجغرافية والفنون ، اضافة الى كتب نفيسة مثل كتاب : « القول في ترك الهم » وكتاب « مجلد تحفة الانام في فضائل الشرع » •

---

٥ ـ اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء : الطباخ ، الجزء الثالث ص ٣٢٢ •
٦ ـ المصدر نفسه ص ٣٢٦ •

مكتبة المهتدين الإسلامية

ولقد لاحظنا أن بعض أهالي حلب قاموا باغناء هذه المكتبة بوقف الكتب ، فوقفوا كتبا ذكرت أسماؤها في الحاشية ، والى جانبها اسم الواقف وأحيانا تاريخ الوقف مثال : كتب الوزير أحمد باشا وكتب عبد الله أفندي فنصة زادة وحسن أفندي آق شاهرلي الذي وقف كتبه بعد مدة من وفاة مؤسس المكتبة أي في عام ١٢٦٦ هـ / ١٨٤٩ م ومحمد أفندي الكلزي المعروف باسم زيتجي عام ١٢٤٨ هـ / ١٨٣٢ م ، وتقي الدين أفندي وابراهيم آغا يكن زادة وصالح أفندي المدرس بجامع الرضائية وغيرهم ·

وهكذا استمر اغناء المكتبة الرضائية وربما المكتبات الاخرى التي تحدثنا عنهـــا ·

وقد عمل الحلبيون ما استطاعوا على الحفاظ على هذه الثروة القومية غير أن أحداث المنطقة منذ الغزو التيموري حتى الحروب التي جرت فيها حالت دون الحفاظ الا على العدد القليل من محتويات هذه المكتبات العامرة · كما أن الخلافات المذهبية منذ القرن الخامس الهجري أدت الى فقدان عدد كبير من المخطوطات منها ما حدث لثابت بن أسلم الشيعي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م الذي ولي خزانة الكتب بحلب وقال من بحلب من الاسماعيلية انه يفسد الدعوة ، فقد كان صنف كتابا في كشف عوارهم وابتداء دعوتهم فحمل الى صاحب مصـــر فأمر بصلبه وأحرقت خزانة الكتب وكان فيها عشرة آلاف مجلد من وقف سيف الدولة بن حمدان · وذكر ابن خلكان في ترجمة تاج الدين الغراساني المسعودي في تاريخه : « حكى أبو البركات الهاشمي قال لما دخل صلاح الدين الى حلب سنة تسع وسبعين وخمسمائة نزل المسعودي المذكور الى جامع حلب (ويقصد الجامع الاموي) وقعد في خزانة كتبها الوقف واختار منها جملة أخذها ، لم يمنعه منها مانع ولقد رأيته يحشوها في عدل » ·

ولقد ذكر الطباخ في اعلامه(٧) إن المحدث الكبير ابراهيم بن محمد بن محمد بن خليل المشهور بالبرهان الحلبي المتوفى سنة ٨٤١ هـ / ١٤٣٧ م الذي عرف باقتنائه الكتب النفيسة : « أنه لما هجم تيمورلنك على حلب طلع بكتبه الى القلعة فلما دخلوا البلد وسلبوا الناس كان فيمن سلب حتى لم يبق عليه شيء ، بل وأسر أيضا وبقي معهم الى أن رحلوا الى الشام فأطلق ورجع الى بلده فلم يجد أحـــدا من أهله وأولاده ، قال : « فبقيت قليلا ثم خرجت الى القرى التي حول حلب مع جماعة فلم أزل هناك الى أن رجع الطغاة لجهـــة بلادهم ··· » الى أن يقول : « وصعدت حينئذ الى القلعة وذلك في خامس عشر من شعبان فوجدت أكثر كتبي فأخذتها ورجعت » ·

٧ ــ الجزء الخامس ص ٢٠٩ ·

http://www.al-maktabeh.com

كما أن منكلي بغا وقف ـ كما هو معروف ـ على جامعه كتبا نفيسة « ووضعها في خزائن بالجامع المذكور وهذه الخزائن متقنة محكمة فيها الصنائع العظيمة على طريق النجارين » (٨) ٠

ومن طريف ما يذكر ان الاهتمام بجمع الكتب تجاوز العاملين في الحقل العلمي الى العامة من الناس ٠ فقد ذكر عبد الوهاب بن منصور المعروف بابن السمان المتوفى سنة ٩٥٤ هـ / ١٥٤٧ م وهو أحد التجار المهمين بحلب بمحلة قلعة الشريف (ولا تزال هذه المحلة قائمة) وقد : ٠٠ « حج وعمر مصبنة بحلب وعني بصحبة الجمال بن حسن ليه فقرأ عليه منهاج الفقه وعني باقتناء الكتب فبذل فيها مالا جزيلا ، وصار الجمال ينتفع بها كثيرا فلما توفي سنة أربع وخمسين بيعت بربح زائد ، زائدة على ألف كتاب » (٩) ٠

أيها السادة ،

قد يكون بحث تاريخ العلوم عند العرب من المهمات التي يتصدى لها الباحثون في معهد التراث ، فيقومون بدراسة مخطوط أو يحققون نصا تاريخيا ٠

غير أننا في هذا البحث سوف نتصدى أولا لمعرفة بعض العلماء العاملين في الحقل العلمي من أهالي حلب ، ثم سوف ندرس ثانيا ترجمة عدد من الذين اشتغلوا بالترجمة والاهتمام باللغات غير العربية ، وأخيرا نذكر لمحة عن علماء وفدوا الى حلب واستوطنوا وعملوا فيها ٠

وان هذا العدد الكبير من المخطوطات التي كانت تحويها مكتبات حلب ، وعدد المدارس والزوايا والتكايا وعلى رأسها الجامع الاعظم ، أمور أسهمت في ايجاد العلماء والمتعلمين وساعدت على تطوير الحركة العلمية وازدهارها ٠

ولن نتعرض بطبيعة الحال للمتفقهين في أمور الدين أو المتعمقين في أمور اللغة بل اننا سوف نذكر بعض من عملوا في الحقل العلمي ، دون النظر الى عصرهم أو ترتيبهم الزمني ٠

ان محمد بن يعقوب المعروف بابن الصاحب المتوفى سنة ٧٦٣ هـ / ١٣٦١ م « كان قاضيا في حلب ودرس بحلب في النورية والاسدية وكان على ذهنه من العلاج جملة ويستحضر كتاب القانون ٠٠ » (١٠) وقد ذكر الطباخ أنه اقتنى من الكتب النفيسة شيئا كثيرا الى الغاية ٠٠٠ وقرأ على أمين الدين الابهري نصف التذكرة للطوسي في الهيئة ، وقرأ عليه رسائل الاسطرلاب ٠

---

٨ ـ الطباخ ، الجزء الخامس ، ص ٢١٦ ٠
٩ ـ الطباخ ، الجزء الخامس ، ص ٥٥٢ ٠
١٠ ـ الطباخ ، الجزء الخامس ، ص ٣٣ ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

وعلي بن طنبغا الامام علاء الدين أبو الحسن الحلبي الموقت المتوفى سنة ٧٩٣ هـ / ١٣٩٠ م كان اماما في علوم الهيئة والحساب والجبر والمقابلة عالما في ذلك ، ويصفه الرضي الحنبلي في در الحبب بقوله : « كان ذكيا أخذ هذه العلوم عن العجم الواردين الى حلب ، فانه لم يرحل من حلب ٠ كان يسكن جامع الطنبغا ، وهو موقت البلد ، واشتغل عليه في العلوم المذكورة جماعة من مشايخنا ٠٠٠ » (١١) ٠

أما أحمد بن ابراهيم السرميني الفلكي المتوفى سنة ٨٢٤ هـ / ١٤٢١ م فقد كان أستاذا ماهرا في علم الهيئة وحل الزيج وعمل التقاويم ، يقول الطباخ : « كان مبرزا بذلك بحلب في وقته بحيث كانوا يأخذون تقاويمه الى البلاد النائية ويرسلون في طلبها » (١٢) ٠

لقد تعدى العلماء في حلب دراستهم النظرية وكانت لهم تجاربهم فشمس الدين محمد بن محمد الشماع المتوفى سنة ٨٦٣ هـ / ١٤٥٨ م كان ممن تصدوا لعلم الكلام والفلك والتصوف ، فقد ذكر السخاوي أنه كان : « ذكيا فصيحا عمل مواعيد بحلب من كلام الغزالي بفصاحته وهرع الناس اليه وعمل له مقصورة من خشب بجامع حلب في آخر الشمالية » (١٣) وقال الرضي الحنبلي في در الحبب : « انه ألف كتابا في الصنعة سماه الرسالة الحلبية ، وان سلطان زماننا طلبه ونسبه الى عمل الزغل من الدرهم والدينار فقال أنت الذي تعلمه ، ثم دعا بشيء من دراهمه ودنانيره وأدخله الروباص ، فأخرج غشه ، ثم سبك شيئا من النحاس وألقى عليه اكسيرا يسيرا فعاد فضة ثم ألقى عليه آخر فعاد ذهبا فعلم ديانته ، وأمر بأن يكون ناظرا على دار الضرب بحلب » وبيته الذي ذكره السخاوي الذي أنشأه هو البيت الكائن بباحسيتا وراء القسطل المشهور بقسطل الشماع وانما هو قسطل على الشماع » ٠

أما محمد المنير الشيخ الصالح شمس الدين الواسطي الشافعي نزيل حلب ومؤدب الاطفال بها فقد تفقه على الجلال النصيبي وعمر وهو مكب على الكيمياء » (١٤) ٠

بينما وضع المؤرخ أحمد أبو ذر المتوفى سنة ٨٨٤ هـ / ١٤٧٩ م ضمن مؤلفاته الكثيرة ، كتابه عن حياة الحيوان ٠ وان أبا بكر الدليواتي المتوفى بعد ٩١٥ هـ / ١٥٠٩ م الصوفي المشهور صاحب المزار المشهور القائم في

---

١١ ــ الطباخ ، الجزء الخامس ، ص ١٠٩ ٠
١٢ ــ الطباخ ، الجزء الخامس ، صفحة ١٧٣ ٠
١٣ ــ المصدر نفسه صفحة ٢٧٤ ٠
١٤ ــ المصدر نفسه صفحة ٥٣٥ ٠

http://www.al-maktabeh.com

محلة الفرافرة بالقرب من قلعة حلب ، كان يعرف الكيمياء وله عند السلطان قايتباي مكان •

وفي ميدان الطب لا بد من التعرض لمحمد بن عبد القادر الشراباتي الطبيب المتوفى سنة ٩٣٣ هـ / ١٥٢٦ م ، فقد أورد اسمه الطباخ في اعلامه فقال : « محمد بن عبد القادر بن محمد بن محمد بن سليمان الرئيس الحاذق شمس الدين ابن الرئيس الحاذق زين الدين بن الرئيس الحاذق شمس الدين بن الرئيس الحاذق علم الدين الحلبي الشراباتي المتطبب أبا عن جد المعروف بابن شمس الدين وهو رئيس الاطباء بالمارستان الارغوني ، صاحب وظيفة الشرابدارية ، به يباشر سقي الاشربة للضعفاء بنفسه ، وبيده ، مع ما كان عليه من شهامة النفس وعدم من يطلبه للمعالجة الا وهو راكب فرسا غالبا • وكانت حانوته الملاصقة لداره برأس سوق الصابون الكبير يباع فيها الاشربة المؤنقة والمعاجين النافعة واللعوقات والجوارشينات وغير ذلك على يد مملوك له • وربما جلس بها أحيانا ويكون يجلس عنده في طرفي بابها بعض مخاديم حلب اما طبا أو حبا ، وكانت مملوءة بالتحف من البراني والمراطبين الصيني وأواني النحاس المكفت وغير ذلك مما يعجب الرائي ، وكذا كان بقربها حانوتان أخريان لبعض بني عمه مملوءتان بمثل ما ذكر على وجهه قيل انه لم يكن بمصر والشام لهذه الحوانيت الثلاث من النظير في كمالات الآلات •• » (١٥) •

والطبيب جمال الدين ابن قاضي القضاة شهاب الدين أحمد فقد عني بالطب فأخذه عن الرئيس محمد بن القيسوني المصري طبيب السلطان الغوري وعن غيره • ويقول عنه الطباخ : « باشر مصالح المرضى بحلب مباشرة حسنة وصار رئيس الطب بها وعادت بيده مقاليد البيمارستان الارغوني في مدة توليه المقر البدري الحسن النصيبي عمله ، وانتفع بها ضعفاؤه وحظي بمصالح أركان الدولة ••• » (١٦) توفي في أواخر القرن العاشر الهجري / أواخر القرن السادس عشر الميلادي •

كما أن الطبيب محمد بن ناصر الدين بن سبيخ الحلبي وصل الى أن عرف الى جانب الطب ، بشيخ الاسلام ، وقد توفي سنة ٩٣٧ هـ / ١٥٣٠ م • كما أن أحمد بن شاذ بك بن عبد الله العلائي أحد رؤساء الطب الحاذقين بحلب أخذ شيئا في المنطق عن العلاء الموصلي ثم مهر في الطب وقد توفي عام ٩٤٤ هـ / ١٥٣٧ م •

وان هاشم بن السيد ناصر الدين السروجي الحلبي الحسيني رئيس الاطباء بالبيمارستان (ويقصد البيمارستان النوري) توفي سنة ٩٦٤ هـ / ١٥٥٦ م

---

١٥ ــ الطباخ ، الجزء الخامس ، ص ٤٦٢ ــ ٤٦٣ •
١٦ ــ الطباخ ، الجزء السادس ، ص ٨١ •

مكتبة المهتدين الإسلامية

وكان كما يصفه در الحبب : « حسن المعالجة كثير الرعاية للضعفاء من الفقراء منقادا الى من يطلبه وكان ممتازا بالكحالة · بينما كان معاصره يحيى بن يوسف ابن قرقماس الجركسي الاصل الحلبي الحنفي المشهور بابن الحمزاوي يلم بالميقات والتقويم كأبيه وحظي من الكتب بنفائسها ·

أما عبيد الله بن محمد قاضي حلب فقد كان له : « شغف تام بجمع الكتب سمينها وغثها ، جديدها ورثها ، حتى جمع منه بالجاه ببدل وبدونه ما يناهز تسعة آلاف مجلد وجعل فهرستها مجلدا مستقلا يذكر فيه الكتاب ومن ألفه ، ولم يعرف مؤلفي عدة من الكتب فكتب أسماءها وفرقها على علماء حلب ليعرفوه بمؤلفيها · وأحضر مجلدي حلب الى داره لتجديد جلود وترميم أخرى ، وفتحت له كنوز الكتب حتى أوعى منها ما أوعى » (١٧) ·

وأورد الطباخ أن يحيى بن محمد البرهان المتوفى سنة ٩٧٠ هـ / ١٥٦٢ م « سمع بقراءة غيره عليه في الطب وقال : « كان أمة في الطب يقرأ عليه فيه المسلمون ثم النصارى ثم اليهود ، كما قال هو نفسه : « وانما تعلقت بالطب لاحتراق فاحش حصل لي فعالجت لنفسي منه بنفسي » (١٨) ·

ومن الطريف ذكره أن محمد بن علي التروسي المتوفى في العام نفسه كان يستحضر شيئا من طب الابدان كما يستحضر طب القلوب ·

أيها السادة ،

ان البحث في سيرة العاملين العاملين في حلب يطول ، وأود أن أنهي الحديث عنهم بالتنويه بخليل بن أحمد الشيخ غرس الدين المتوفى سنة ٩٧١ هـ / ١٥٦٣ م الذي بدأت موضوعي به ، ويعرف بابن النقيب لان والده كان نقيب الفقراء ، وابنه خليل هذا أخفق ولم ينجح · كما يورد الطباخ : « بل صار الى وادي اللهو والبطالة مدة ذات اطالة ، الى أن من عليه بالتوفيق ، فاستقبح ما كان عليه مما صار اليه فتوجه الى القاهرة ماشيا من غير زاد فاشتغل بها في الحساب والميقات والهيئة والوفق والموسيقا والطب عـلى الشهاب أحمد بن عبد الغفار وعلى الهنيد المصري وغيرهما وعاد الى حلب »(١٩) · الى أن يقول : « ثم ان الشيخ غرس شجرة الافادة بشرقية جامع حلب الاعظم (وقد أوردنا بحثها في مطلعحديثنا) فاشتغل الطلبة فيها في الحساب والميقات وغيرها مدة مديدة»(٢٠). وقد زار استانبول واستقبل فيها استقبالا حسنا · « واغتنى واقتنى الكتب

---

١٧ ـ الطباخ ، الجزء السادس ، ص ٣٢ ـ ٣٣ ·
١٨ ـ الطباخ ، الجزء السادس ، ص ٤٨ ·
١٩ ـ الطباخ ، الجزء السادس ، ص ٥٣ ·
٢٠ ـ الطباخ ، الجزء السادس ، ص ٥٣ ·

http://www.al-maktabeh.com

النفيسة على كثرة فيها ، وكذا الآلات الميقاتية الحسنة وأذهب في الكيميا من المال ما شاء الله تعالى ، وسئل مرارا في أن يكون له علوفة بالباب العالي فأبى فقوي فيه الاعتقاد ، وعالج بالطب بعض الاكابر فبرأ فاشتهر به فجعل معيشته منه ... » وقد أضاف الغزي في كتابه الكواكب السائرة قائلا : « وكان له يد طولى في الحكمة والهندسة والطب اشتهر به » . وترجم له العلامةطاشكبري في العقد المنظوم حيث قال : « ومنهم العالم البارع الاوحد الشيخ غرس الدين أحمد ، نشأ رحمه الله في مدينة حلب ورغب في العلوم وتشبث بكل سبب وقرأ المختصرات على الشيخ حسن السيوفي وحصل طرفا صالحا من فنون الادب ثم قصد الى التحصيل التام فارتحل ماشيا الى دمشق الشام وأخذ فيها الطب من مقدم الالباء ورئيس الاطباء العالم الذكي المشتهر بابن المكي ثم انتقل من تلك العامرة ماشيا الى القاهرة واشتغل فيها على العالم الجليل المقدار الشيخ المشتهر بابن عبد الغفار وأخذ منه الحكميات وعلوم الرياضيات وسائر العلوم العقلية قاطبة بالدروس الراتبة .. » الى أن يقول : « وكان المرحوم رأسا في جميع العلوم مستجمعا لشروط الفضائل وجامعا لعلوم الاواخر والاوائل ، يرغم في الرياضيات أنوف الرؤوس ويحاكي في الطب أبقراط وجالينوس وكان صاحب فنون غريبة قادرا على أفاعيل عجيبة ماهرا في وضع الآلات النجومية والهندسية كالربع والاسطرلاب وسائر الاسباب ... » .

لم تكن الحركة العلمية في حلب مقصورة على جهد هؤلاء العلماء بالدرس والتدريس والتجربـة والتأليف . فقد وجد الكثير من المهتمين بأمور الترجمة . بدؤوا ترجمة الكتب الدينية واستمروا في ترجمة الكتب العلمية والادبية وان علي السيد علاء الدين العجمي الهزازي المتوفى سنة ٨٦٣ هـ / ١٤٥٨ م . كان كما يقول الطباخ : من نوادر الزمان يعظ الناس بجامع الزكي ويفسر القرآن والتوراة والانجيل بالعربي ، حتى ان يهوديا سمعه من خارج الجامع من الشباك فأسلم » (٢١) .

ثم ان حسين بن حسن البيري (نسبة الى بيرة الفرات ، حاليا بيرەجيك) المتوفى سنة ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م عام الاحتلال العثماني لسورية ، والذي جاور بجامع الطواشي كان له ذوق ونظم ونثر والمام بالفارسية والتركية ، قال ولده الشهاب أحمد : انه نقل شيئا من كلام منطق الطير في التركية الى العربية وشيئا من المثنوي من الفارسية الى العربية . أما عبد الرحمن بن فخر النسا شيخ الرضي الحنبلي المتوفى سنة ٩٣٠ هـ / ١٥٢٣ م فكان يدرس بجامع الحدادين وكانت له معرفة بالفارسية والتركية » (٢٢) . وكذلك فان معاصره زين العابدين بن الحسن الخريزاتي الذي كان كما ذكر الطباخ : « لسنا مفوها

---

٢١ ـ الطباخ ، الجزء السادس ، ص ٥٣ .
٢٢ ـ الطباخ ، الجزء السادس ، ص ٢٧٣ .

مكتبة المهتدين الإسلامية

ذا حيل ودهاء يعرف مع اللغة العربية الفارسية والتركية ، وان أبا الهدى بن محمود النقشواني المتوفى في ٩٣٩ هـ / ١٥٣٢ م كان ينظم الشعر باللسانين العربي والفارسي . وان الشهاب احمد الهندي المتوفى في العام نفسه كان بالفارسية أعلم منه بالعربية ، وبلغ من فرط الذكاء أن وصفه الشمس الخناجري بأنه « ذو فكر يكاد يثقب الالماس » .

أما محمد بن مسعود الشيرازي الاصل والمعروف بـ : شاه محمد الدكني نسبة الى هضبة الدكن في الهند فكان يعرف من اللغة الهندية ثلاثة ألسنة أي لهجات ثلاث ، سوى ما يعرفه من العربية والفارسية . وفي هذا المجال لا ننسى محمد بن خليل بن قنبر الذي عرفناه صاحب مكتبة ضخمة والمتوفى سنة ٩٦١ هـ / ١٥٥٣ م والذي أعاد بناء مئذنة جامع الميداني حين اختل نظام بنائها ، فقد كان « عارفا في عصره باللسانين الفارسي والتركي زيادة على العربي »(٢٣). وان محمد بن محمد نفيس المتوفى بعده بعامين كان رئيسا محتشما لين العريكة عارفا باللسان الفارسي مخصوصا بالدواوين الفارسية . كما أن عبيد الله قاضي حلب والذي عرفنا مكتبته وكانت ذات تسعة آلاف مجلد كان يتقن اللغة العبرية الى جانب العربية .

أما مؤلف در الحبب في تاريخ حلب رضي الدين الحنبلي المتوفى سنة ٩٧١ هـ / ١٥٦٣ م فقد كتب بالفارسية أيضا .

تلك أمثلة أوردناها على سبيل المثال لا الحصر .

وأود أن أنهي بحثي بالتحدث عن أهمية حلب العلمية التي جذبت عددا من العلماء الاغراب الذين جاؤوا حلب وعملوا واستوطنوا فيها مثل المختار بن الحسن بن عبدون الطبيب المعروف بابن بطلان الذي قال عنه القاضي الاكرم يوسف القفطي في تاريخه اخبار العلماء ، انه خرج من بغداد وزار حلب ووضع كتاب « تقويم الصحة في قوى الاغذية ودفع مضارها » وكتاب « دعوة الاطباء » . وكان بحلب رجل كاتب طبيب نصراني يعرف بالحكيم أبي الخير بن شرارة وكان اذا اجتمع به وناظره في أمر الطب يستطيل عليه ابن بطلان بما عنده من التقاسيم المنطقية فينقطع في يده ، ثم من المعروف أنه هو الذي بنى البيمارستان في أنطاكية ، وقيل انه هو الذي وضع أسس البيمارستان بحلب وجدد نور الدين عمارته وأنه اختار له هذه البقعة بحسب الطريقة المعروفة . ويتحدث أبو ذر في كنوز الذهب عن مقالة وصفها في علة نقل الاطباء تدبير أكثر الامراض التي كانت تعالج قديما بالادوية الحارة الى التدبير المبرد كالفالج واللقوة ومخالفتهم في ذلك لمسطور القدماء ويقول :

---

٢٣ ــ الطباخ ، الجزء السادس ، ص ١٦ .

http://www.al-maktabeh.com

صنفت هذه المقالة لصديق لي وأنا يومئذ مكدود الجسم منقسم الفكر في جمع الآلات لبناء بيمارستان أنطاكية » • ولا ننسى كيف عالج ابن بطلان قاضي حلب الذي أسن وانحدر الى ركبته مرض أزمنه ومنعه المشي ، فنظر الى موضع الالم وقال أدخلوه الى حمام حار واتركوه بها حتى يغشاه الكرب ويضيق نفسه ولا تمكنوه من الخروج فاذا غلبكم على رأيكم وقام خارجا بنفسه فخذوا ماء باردا واضربوا به فخذه الى ركبته فانه يبرأ ، وقد شفي القاضي ، وسئل ابن بطلان عن ذلك فقال رأيت هذا شيخا مسنا ولا يحمل مزاجه أن يسقى أدوية ويعمل له ضمادات وربما يؤذيه فلم أر دواء ألطف من هذا •

كذلك يوسف بن يحيى بن اسحق السبتي المغربي الطبيب اليهودي نزيل حلب الذي قرأ الحكمة ببلاده فساد فيها وعاني شيئا من العلوم الرياضية وأجادها وكانت حاضرة على ذهنه عند المحاضرة • ولما ألزم اليهود والنصارى في تلك البلاد بالاسلام أو الجلاء ، كتم دينه ، وتحيل عند امكانه من الحركة في الانتقال الى الاقليم المصري وتم له ذلك فارتحل بماله ووصل مصر واجتمع بموسى بن ميمون القرطبي رئيس اليهود فيها وقرأ عليه شيئا وأقام عنده مدة قريبة وسأله اصلاح هيئة ابن أفلح الاندلسي فانها صحبته من سبتة فاجتمع هو وموسى على اصلاحها وتحريرها • وخرج من مصر الى الشام نزل حلب وأقام بها ••• ويضيف القفطي صاحب كتاب اخبار الحكماء قائلا : « وقصده الناس للاستفادة منه باقراء جماعة من المقيمين والواردين ، وخدم في أطباء الخاص في الدولة الظاهرية بحلب وكان ذكيا حاد الخاطر وكانت بيننا مودة طالت مدتها ، وقد شكا الي يوما أمره وقال لي ابنتان وأخشى عليهما من مشاركة السلطان لهما في الميراث وأود أن يكون لي ولد ذكر ، فذكرت له شيئا منقولا من أقوال بعض الحكماء في التحيل على طلب الولد الذكر عند النكاح فقال أريد عمل ذلك ، وكان قد تزوج امرأة أخرى غير الاولى بحكم موت الاولى ، وبعد مدة أخبرني أنها قد علقت وقال قد فعلت ما قلت لي ثم انها كما شاء الله ولدت له ولدا ذكرا ، فجاءني وقد طار سرورا • بعد مدة أبلغني أن أم الولد أدخلته الحمام وأكثرت عليه الماء الحار فهلك ، فادركه لذلك أمر مزعج ، ولما اجتمعت به معزيا هونت عليه ما جرى وقلت له اصبر وراجع العمل ، ففعل ، وعلقت فجاءته بولد وسماه عبد الباقي وعاش ثم انه ترك ما قلته له فعلقت وجاءته بابنة فلام نفسه على ترك ما ذكرته له وعاود بعد مدة ففعل ذلك فجاءته بذكر فقال لا أنكر بهذا صحة ما يقال بالتجربة ، فقد استقر هذا عندي حتى لا أنكره •

وفي ٩٢٦ هـ / ١٥١٩ م توفي بحلب علاء الدين بن ولي الدين الاربلي وكان طبيبا حاذقا يصفه الطباخ بقوله : « وكان ذا يد مباركة مقبولا عند

مكتبة المهتدين الإسلامية

الخواص والعوام قنوعاً منقاداً لكل من طلبه ، وكان شيخه في الطب عجمياً اسمه أبو بكر شاه سبقه بالوفاة » (٢٤) ٠

أما محمد بن مسلم المغربي التونسي فقد قدم حلب واستوطن فيها وله الكلمة النافذة على المغاربة القاطنين بحلب يفتي ويدرس ويتجر ، وقد قال الغزي في الكواكب السائرة انه كان يتعاطى صنعة الكيميا بجد وجهد فيها الى أن كان كافلها فرهاد باشا وكان يهوى الكيميا فصحبه وأتلف عليه مالا جيدا ٠ وقد توفي بحلب في عام سبعة وسبعين وتسعمائة هجرية الموافق ١٥٦٩ ميلادية ٠

أيها السادة هذا غيض من فيض انها مرحلة خصبة في تاريخ حلب أسهمت فيها دور العلم اسهاما كبيرا ٠

---

٢٤ ــ الطباخ ، الجزء الخامس ، ص ٤٢٥ ٠

http://www.al-maktabeh.com

اسهام الرقة وديار مضر في الترجمة

الاستاذ محمد عبد الحميد حمد

أيها السادة المحترمون ،

عندما دعا معهد التراث العلمي العربي لعقد مؤتمره السادس لدراسة الترجمة والابداع عند العرب لقيت هذه الدعوة صدى طيبا في نفوس باحثين كثيرين وأنا منهم فبدأت أحضر لموضوع سميته اسهام الرقة وديار مضر في الترجمة وكانت حصيلة البحث والدرس أن تكونت لدي ثلاث ملحوظات أحب عرضها في بدء حديثي لانها الاطار النظري الذي حددت من خلاله شكل البحث العام ٠

الملحوظة الاولى :

أظهر البحث أن معظم من كتب في هذا الموضوع عزله عن تاريخه الاجتماعي والسياسي وبدا لي أنه لا يمكن بحث موضوع خطير كهذا الموضوع بمعزل عن النشاط السياسي والاجتماعي للناس الذين أسهموا به ٠

الملحوظة الثانية :

ان الترجمة العربية القديمة بدأت في ظلال دولة صاعدة تحاول خلق شروط اجتماعية وثقافية جديدة فهل أدت الترجمة مهمتها ؟ باعتقادي أنها أدت وظيفتها حينما أشركت شرائح اجتماعية متعددة الاجناس والعقائد ذوات موروث حضاري وفكري خصب ٠

الملحوظة الثالثة :

قد يبدو أول وهلة أن هذا الموضوع مجتزأ من سياق تاريخنا العام وذلك لوضعه في اطاره ضمن مكان جغرافي محدد هو الجزيرة الفراتية الا انني عالجته من خلال مجمل عملية السيرورة التاريخية للامة العربية فكنت أربط ما بين كل فكرتين بدت احداهما شرطا لوجود الثانية كما كنت أبرز الشيء الجوهري والمتكرر من تقاليد الترجمة ٠

العرب والسريان في التاريخ :

ان ديار مضر أو منطقة الجزيرة الفراتية حوت الانسان العربي منذ

مكتبة المهتدين الإسلامية

وكان سبب الازدواجية في اللغة سياسة الدولة الحاكمة ففي بلاد فارس كانوا يتخاطبون باللغتين السريانية والفارسية أما في بلاد الشام فانهم كانوا يتخاطبون بالسريانية والعربية واليونانية التي كانت لغة الطبقة الثرية والمثقفة يذكر مار رابولا أسقف الرها (٤١٢ ـ ٤٣٥ م) أنه كسائر أبناء الاغنياء تعلم اليونانية في مدينتهم قنسرين(٧) وكانت العربية هي لغة البوادي وسكان منطقة الجزيرة الفراتية ومما جاء في سيرة القديس سمعان العمودي (٣٨٩ ـ ٤٥١) أنه كان يعظ مستمعيه من العرب الرعاة بالعربية ويدون رسائله باليونانية ويفسر آيات الانجيل المقدس بالسريانية(٨) ٠

ان دعوة السيد المسيح كانت دعوة كونية تقبلتها الشعوب وأضفت عليها من موروثها الحضاري السابق فبرزت تيارات وثنية وغنوستية لان الدين لا يعيش في السماء بل على الارض وعلى ضوء الواقع الانساني المعاش بدت الدعوة المسيحية لرجالها الغيورين وكأنها بدأت تحيد عن المنهل الصافي فما العمل ؟

كان لا بد من ترجمة الكتاب المقدس الى السريانية وهنا عادت مشكلة الترجمة التي عانى منها أحبار اليهود من قبل ، فظهرت لدينا مدرستان هما :

مدرسة انطاكية :

التي تكونت بتأثير تعاليم القديس أغناطيوس النوراني (المتوفى عام ١٠٧ م) الذي أخذ يؤكد على حرفية الكتاب المقدس وما جاء فيه ويصر على ان السيد المسيح ولد انسانا فأكل وشرب على أرضنا وصلب ومات على مشهد من أهل السماء والارض ٠

وهكذا اهتمت مدرسة انطاكية بالترجمة الحرفية واهتمت بالنحو وكثرة الهوامش والتعليقات وغدت هذه الطريقة هي المثلى في الترجمة عند السريان النساطرة خاصة ونحن لا نحفل بها اليوم كثيرا (٩) ٠

مدرسة الاسكندرية :

وهي الاخرى تم تكوينها بفضل تعاليم القديس أوريجين الاسكندري (١٨٥ ـ ٢٥٤ م) الذي ترجم الكتاب المقدس وعرفت ترجمته بالتوراة السداسية النقول لانه لم يعتمد على اللغة اليونانية فحسب كما فعلت مدرسة أنطاكية بل اعتمد على اللغة العبرية أيضا وأجاز الترجمة بالمعنى وأصبح تلاميذه يطالبون النص بثلاثة معان هي الروحي والحرفي والرمزي سائرين على خطى فلسفة أفلاطون الرمزية (١٠) وفي تفسيره لطبيعة السيد المسيح قال (نحن لا نعترف بأن هناك الهين) ٠ وتمخضت تعاليمه عن ظهور أصحاب الطبيعة الواحدة ، الذين عرفوا في بلادنا باسم السريان الارثوذكس أو اليعاقبة ٠

http://www.al-maktabeh.com

ونتيجة للصراع الديني بين المذهبين اليعقوبي والنسطوري هاجر اتباع المذهب النسطوري الى جنديسابور ونصيبين وبلاد فارس سنة ٤٨٩ م وخلا الجو للسريان الارثوذكس ٠

الترجمة في صدر الاسلام والعصر الاموي :

ان مدار بحثي سيكون مقصورا على الطائفة السريانية الارثوذكسية التي ساعدت جحافل التحرير العربية في الفتح ثم قامت صداقة وطيدة بين الوالي العربي المسلم عمير بن سعد بن أبي وقاص الانصاري (توفي سنة ٢٦ هـ) والبطريرك يوحنا الثاني (٦٣١ ـ ٦٤٨ م) الذي قام اعتماداً على طلب الوالي بترجمة الاناجيل الى العربية فندب لهذه المهمة مترجمين من بني عقيل وتنوخ وطيء وتمت أول ترجمة عربية للعهد الجديد في أديرة الرقة والجزيرة سنة ٦٤٣ م (١١) ٠

وبانتقال الحكم الى الاسرة الاموية ، اتسعت أطراف الدولة الا انها لم تهيمن على المجتمع بكامله ، وقد أسهمت العصبية القبلية اسهام القوى المناهضة للتقدم فلم تترجم علوم القدماء لان البضاعة الرائجة كانت صناعة الشعر والاخبار وتدوين الفقه ، ولم يترجم في العهد الاموي الا كتاب في الطب هو كناش أهرون بن أعين الاسكندري وقد ترجمه ماسرجويه البصري السرياني الاصل اليهودي العقيدة للخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩ ـ ١٠١) وظل هذا الكتاب المرجع الوحيد في الطب طوال قرن كامل ٠

وقد ظهر من العرب خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (المتوفى عام ٩٠ هـ) الذي اهتم بعلوم الاوائل بتأثير معلمه مار يوحنا الدمشقي صديق والده ونديمه في صباه وقد ترجم له بعض الكتب عن اليونانية وقد ذكرته كتب الطبقات العربية باسم (مريانوس) كما ترجم له راهب آخر هو اصطفن الحصري كتبا أخرى ٠

وكما هي الحال بالنسبة الى الارستقراطية السريانية قديما التي كانت تعلم أولادها اليونانية أصبحت الارستقراطية العربية تدعو معلمين من السريان النصارى لتعليم أولادها ويبدو أن الكنيسة لم توافق على هذا السلوك ولكن مار يعقوب الرهاوي كان قد أجاز تعليم أولاد المسلمين فاتهم بمسايرة أبناء الزمان(١٢) وممن تعلم السريانية من أشراف العرب عبد الله بن عمرو بن العاص تعلمها على رجل نبطي من اليرموك اسمه سرج (١٣) ٠

واذا كانت كتب التراجم والطبقات تذكر أن بدء ظهور الترجمة كانت

مكتبة المهتدين الإسلامية

الالف الاول ، ونستدل على ذلك من التجريدات الأشورية التي بينت أن سكان هذه المنطقة من آراميين وعرب كانوا يواجهون الغزو الخارجي بجهد مشترك ، وقد عرفت هذه المنطقة في العهد الآشوري باسم (كوموخ) ثم حور الاسم في ابان الحكم الروماني الى كوموجيه • وفي هذه المنطقة وعلى أطرافها قامت امارات ثلاث : الرها التي لقب ملوكها بالاباطرة ، وامارة الحضر العربية التي كانت في ديار ربيعة وثالثة الامارات كانت تدمر قلب بلاد الشام وسكان هذه الامارات كانوا يتكلمون العربية ويكتبون بالآرامية ويتراسلون بها والآراميون هم السريان وقد سماهم اليونان بهذا الاسم في أثناء ترجمة (التوراة) الى اليونانية ومما نسب الى آرام فيها نعمان الآرامي (سفر الملوك ٥:١٢) ولكنه دعي بنعمان السرياني في (انجيل لوقا ٤:٢٧) لان كلمة آرامي أصبحت مرادفة لكلمة وثني حينما ترجم العهد الجديد من اليونانية الى السريانية التي أصبحت لهجة لاهل الرها وحران ولغة كنائس سورية والعراق وكان سكان هذه المنطقة على علاقة وثيقة بأرض الجزيرة العربية فبرديصان (١٤٥ ـ ٢٢٢ م) ألف تاريخا لارمينية استقاه من راهب نجراني عرج على الرها فالتقاه • وجاء في كتب التراجم أن أحد صحابة رسول الله كان يدعى مالك بن مرة الرهاوي • وعن زيد بن ثابت الانصاري روي : قال لي النبي (ص) اني أكتب الى قوم فأخاف أن يزيدوا علي أن ينقصوا فتعلم السريانية ، فتعلمتها في سبعة عشر يوما(١) فكيف يتسنى لعربي أن يتعلم السريانية في مدة قصيرة لولا تقارب المنازل ووشائج القربى بين اللغتين ، وقد قال مرة مؤرخ عربي هو طاهر بن المطهر المقدسي : انه لا فرق بين السريانية والعربية الا في حروف يسيرة فكأن السريانية قد سلخت من العربية والعربية قد سلخت من السريانية (٢) ونتيجة لاختلاط العرب بالآراميين واليونانية اغتنى قاموس العربية فكلمة لغة جاءتنا من اليونانية من كلمة (لوغوس) • وأما كلمة (ترجمة) ـ وهي موضوع بحثنا ـ التي منها اسم الفاعل (ترجمان) والتي وصف بها عبد الله بن عباس فقيل عنه ترجمان القرآن أي مفسره ، كان يظن قديما أنها مشتقة من الفارسية (تراجومان) ولكن الدراسات الحديثة أبانت أنها مشتقة من الفعل الآرامي (ترجم) وتعني أن الانسان يعمل مترجما أو يلقي خطابا أو يشرح أو يعظ ، وحتى لغة الترجوم العبرية آرامية في أصلها يقول المسعودي (ان للاسرائيليين بالعراق لغة سريانية تعرف بالترجوم يفسرون بها التوراة من العبرانية الاولى) (٣) •

الكتاب المقدس وأثره في الترجمة :

ان ترجمة الملاحم والاناشيد الدينية القديمة ، هي الموضوع الاول الذي استدعى انتباه انسان مشرقنا ، بل ان تاريخ الشرق كله لا يظهر الا بصورة تاريخ أديان ، وعندما بدأت ترجمة التوراة في العصر الهلنستي في مصر بجهود

http://www.al-maktabeh.com

يهود الاسكندرية الاثرياء الذين كانوا يحسنون اليونانية أكثر من معرفتهم للعبرية ٠

تمت هذه الترجمة في القرن (٣ ق ٠ م) وعرفت بالترجمة السبعينية ومنها أصبح لا بد للكاهن من معرفة اللغتين اليونانية والعبرية معا(٤) وعندما بدأت الترجمة للعبرية ظهرت مدرستان هما(٥) :

مدرسة هليل :

وهي مدرسة معتدلة تجيز الحرية في التعبير والتأويل وتجيز الترجمة بالمعنى والتفسير الرمزي ، آخذة بالمصطلح اليوناني (هرمينا) وهو تقليد جاء به أفلاطون في ترجمته وتأويله للاشعار والامثال القديمة وبرز منهم رابي آشي (٥٢٩ م) من مدينة سورا بالقرب من الرقة وعرفت ترجمته بالفلسطينية ٠

مدرسة شماي :

وهي مدرسة اعتمدت على النص الحرفي ، ورفضت التأويل والتفسير معتمدة على المصطلح اليوناني (ميتا فراسيس) المؤلف من الظرف (ميتا) بمعنى بعد وفراسيس المصدر المشتقة من (فرازو) بمعنى أعبر أو أشرح أي ان الانسان يدرك الشيء بذهنه ثم يعبر عنه بلسانه ذاكرا اسمه الحرفي ٠

ولما كانت اللغة الآرامية هي اللغة الشائعة في الكتابة والتراسل بين اليهود في عصر الميلاد كما ذكر لنا المؤرخ العبري النابه الذكر يوسفوس (٣٧ ــ ١٠٠ م) انه لما كتب تواريخه الحرب اليهودية والعاديات اليهودية ٠ وسيرة حياته كتبها بلغة جيله أي بالسريانية التي كانت في ذلك الزمان لغة اليهود وبعد ذلك نقلها الى اليونانية لافادة الغرباء(٦) واذا عرفنا ان السيد المسيح من أبناء داود فلغته ولغة جيله هي الآرامية (لهجة الجليل) وبها كان يحاور مستمعيه بل ان انجيل متى كتب أولا باللغة الآرامية ثم ترجم الى اليونانية والسؤال المطروح علينا : اذا كانت لغة القوم السريانية فلماذا دونت الاناجيل باليونانية ؟

ــ ان اللغة اليونانية كانت لغة الحكام وطبقة الموظفين والاثرياء وكان منهم بولس الرسول الذي كتب باليونانية مباشرة مخاطبا الكنائس الموجودة في بلاد ترزخ تحت نير الحكم الروماني وأصبح الرسل بعد ذلك يخاطبون جماهيرهم المؤمنة باللغة اليونانية ثم يشرحون لهما هذه الخطبة باللغة السريانية وتكررت هنا المشكلة المأساوية لاحبار اليهود الذين كان عليهم أن يخاطبوا جماهيرهم المؤمنة في بلاد العراق والشام بالسريانية مفسرين لهم النصوص المقدسة المدونة بالعبرية ، أما في مصر فقد كانت النصوص تتلى بالعبرية ثم تفسر للناس باليونانية ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

في العصر العباسي متناسية أن هناك حركة علمية نشيطة كانت تعمل في ردهات الاديرة في العصر الاموي وان ما ظهر في العصر العباسي كان من ثمارها ٠

وسأبين في عجالة تقاليد الاديرة في الترجمة وأذكر أشهر المترجمين السريان الذين وطدوا الترجمة فيما بعد ورسخوها ٠

وبذلك نبرز حلقة مفقودة تقتضي الامانة العلمية ذكرها لان كل شيء يعد جزءا من مساره التاريخي ٠

أثر الاديرة في الترجمة وأشهر المترجمين السريان :

ان الاديرة من حيث هي مؤسسات دينية لم تعرفها بلاد العراق والشام قبل أن ينقل هذه التجربة جاراوجين (في صدر المائة الخامسة) الى مدينة في نصيبين حيث بنى أول دير على سفح جبل الازل بمساعدة سبعين راهبا قبطيا (١٤) وبعد ذلك انتشرت الاديرة في كل بلدة من الجزيرة الفراتية وكان أشهرها ديرا مار زكى والعمود في ظاهر مدينة الرقة ودير قنسرين شمالي الفرات مقابل جرابلس وكانت هذه الاديرة بالاضافة الى وظيفتها الروحية مراكز للدراسة والبحث لما تحتوي عليه من خزائن للكتب عامرة ، وحجرات للدرس واسعة وأدوات كتابة مجهزة بالحبر والورق والاقلام المتنوعة وقد كانت تجارة الرقة القديمة تعتمد على تصدير الزيت والصابون والاقلام (١٥) وفي هذه القاعات كان يعمل النساخون بهمة ودقة وأمانة ، وكان للخط أثر بارز في علم الاوائل فالمفريان ماروثا التكريتي (٦٤٩ م) بعد أن درس العلوم اللاهوتية واللغة اليونانية على يد الاستاذ ثاودور في دير مار زكي عشر سنوات متوالية شد الرحال الى الرها ليتقن فن الخط لانه من مستلزمات علوم عصره (١٦) ٠

ومما تميزت به أديرة الجزيرة عملها الجماعي المنتظم حتى في الامور الثقافية ، ففي ردهات الدير كان الرهبان يجتمعون في حلقات بحث للدراسة يحاولون فيها حل المسائل الصعبة والغامضة ولم يكن هذا التقليد معروفا في أديرة المشرق وبلاد الرافدين وقد أشار الى ذلك حنين بن اسحق في (كتابه تراجم جالينوس العربية والسريانية) قائلا (كما تعود اخواننا النصارى [يعني في بلاد الشام] في هذه الايام من اجتماعات يعتقدونها في المعاهد التدريسية المعروفة بالاسكل ليبحثوا موضوعا معينا في أحد كتب السلف (١٧) ومن تقاليد أديرتنا تكليف بعض أساتذة الدير طلابه بتهيئة المادة العلمية ليساعدوه بالترجمة أو بالنسخ لان الكتاب سيكون فخرا للدير كله ، ونادرا ما كان يقوم به العالم المترجم وحده ونستدل على ذلك من شكوى سرجيس الرهاوي (المتوفى بعد عام ٧٦٦ م) في تعليق له جاء في مقدمة ترجمته للكتاب المنسوب الى ديونيسيوس

http://www.al-maktabeh.com

القاضي (لاريوفاغي) بأنه لم يجد له مسعفا في عمله لا من حيث اللغة ولا من حيث النسخ ولكنه بعون الله وعنايته نهض وحده بهذه الاعباء فترجم المتن وفسره ثم سطره على الالواح ثم نقله على الاوراق ٠ ومن تقاليدنا في الترجمة أنها لا تتم الا عن نسخ عدة تحريا للدقة كما فعل توما الحرقلي (ت ٦٢٧ م) عندما ترجم العهد الجديد مستندا الى أربع نسخ يونانية مضبوطة مقابلا اياها بالترجمات السريانية فأخرج للناس الترجمة الرائعة المعروفة بالنقل الحرقلي (١٨) ٠

من هذه المعاهد العلمية وضمن اطار هذه التقاليد الدقيقة والامينة برز علماء عظام سأذكر بعضهم لضيق الوقت لان قطرة ماء واحدة كافية لان تعكس ماء البحر كله ٠

بولس مطران الرقة : (المتوفى عام ٥٢٨ م)

عرف هذا العالم عند السريان باسم مترجم الكتب ، وقد كان عالما ضليعا باللسانين السرياني واليوناني وقد ترجم من اليونانية مؤلفات سويريوس الانطاكي (٥٣٨ م) وقدم لهذه الترجمة مقدمة وافية بين فيها ما لاقاه في أثناء النقل من صعاب في ايجاد المصطلحات وفي ضبط الاسماء كما وضح المنهج الذي اتبعه فيها ، ولم تكن ترجمته ترجمة حرفية غثة بل كانت ترجمة أعاد فيها لدى القارىء معادلا يكافىء الاصل غضاضة وجودة مما أعطاه عن جدارة لقب مترجم الكتب ٠

سرجيس الرأسعيني (المتوفى عام ٥٣٦ م)

اذا كان لم نعرف قبله ترجمة لكتاب علمي عند السريان ، فما تعليل ذلك ؟

لم يكن لدى السريان دولة ترعى شؤونهم وقد أنيط هذا الامر بالكنيسة والمدرسة التابعة لها ، ومن خلال الايديولوجية اللاهوتية التي لا تسمح بانتقال جرثومة الوثنية الكامنة في الكتب القديمة الى العقول المؤمنة ٠٠ لهذا السبب لم نعرف قبله مترجما للعلوم ٠ فاذا كان هذا العالم محترما لدى العرب المسلمين فالامر ليس كذلك عند معاصريه ٠ ولد سرجيس في بلدة رأس العين ودرس بها مبادىء اللغة اليونانية ثم أكمل تعليمه في الاسكندرية فتضلع هناك بأساليب الترجمة من رسائل ديونيسيوس الاريوفاغي وبهذا العمل ضمن احترام الكنيسة له ، ولكن هذا الرجل الطلعة تجرأ فنقل كتب أرسطو المنطقية الى السريانية وقد عرضها في سبع مقالات أهداها الى صديقه ثيادروس المروزي النسطوري فانهالت عليه الشتائم وطعن بسلوكه الاخلاقي وهذه حال كل مفكر رائد ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

ألم يتهم حنين بن اسحق النسطوري لعلاقته الوثيقة بالسريان الارثوذكس بالزندقة والالحاد لدى أبناء طائفته (١٩) • كما ترجم سرجيس كتب جالينوس الطبية ، وامتازت نقوله بطابعه الشخصي من حيث المضمون ومن حيث الشكل أيضا فنظم أجزاءها وعرضها بطريقة لا تخلو من الاحكام وفقا لقواعد استخلصها لنفسه ورفدها بتجاربه وتجارب غيره من السريان (٢٠) وقد ألف في الفلك رسالة سماها (العلة الاولى) بحث فيها حركة السماء وبذلك أدخل الموروث اليوناني في علم الفلك الى الثقافة السريانية ومهد الطريق لعالم آخر هو :

مارساويرا سايوخت (ت ٦٦٧ م)

ولد هذا العالم في نصيبين ودرس فيها مبادىء السريانية واليونانية والفارسية ثم شد الرحال الى دير قنسرين وتفتقت مواهبه في مناخ الحرية التي وفرها الحكم الراشدي لابناء الطوائف المقهورة في العهد البيزنطي فكان هذا العالم أعظم من كتب في اللغة السريانية في الرياضيات والفلك خاصة • وقد عرفنا من كتبه بالسريانية في علم الهيئة رسالة في الفلك والموسيقى وجهها الى الراهب الشاب ايثالاها (الله موجود) المترهب في دير مار زكى بالرقة ، كما عرفنا له رسالتين في العمل بالاسطرلاب احداهما العمل في الاسطرلاب المسطح والاخرى في الاسطرلاب ذات الحلق (٢١) وله كتاب في الفلك في صور المنازل والبروج ألفه سنة ٦٦٠ م وقد عمل على منواله بالعربية عبد الرحمن بن عمر الصوفي (٩٠٣ ـ ٩٨٦ م) كتابا في صور الكواكب الثمانية والاربعين • ومما ترجمه ساويرا سايوخت الى السريانية كتاب المقالات الاربعة في التنجيم لبطليموس كما ترجم كتاب المجسطي لبطليموس وسماه في تركيب الكلام الرياضي وأما تسميته المجسطي فهي من المصطلحات العربية وما الترجمة التي تمت للكتاب فيما بعد ان هي كانت دائما من السريانية ولم تكن من اليونانية أبدا وقد برهن على ذلك عالم الفلك الايطالي كارلو نللينو بقوله : « ان ذلك النقل القديم الذي أصلحه فيما بعد ثابت بن قره واختصره محمد بن جابر البتاني قد استخرج من ترجمة سريانية لا من الاصل اليوناني ودليله على ذلك صيغة أسماء الرياح اليونانية المأخوذة من المجسطي والمروية في زيج البتاني منها زهفروس "Zephyros" حيث استعمل حرف الهاء رمزا الى (e) اليونانية وهذا من مصطلحات السريان ، ومن ترجماته الفلسفية رسالة في تحليل القياس لارسطو ترجمها سنة ٦٣٨ م ورسالة في تفسير بعض نقاط الفصاحة لارسطو ورسالة في شرح العبارة لارسطو وقد نقل هذه الرسالة الاخيرة عن الفارسية من ترجمة بولس الفارسي •

وبارشاده ترجم تلميذ مار جرجس أسقف العرب (٦٨٦ ـ ٧٢٦ م) كتاب الارغانون لارسطو وقد وضع لكل جزء منه مقدمة والحقه بشرح كاف

http://www.al-maktabeh.com

مما جعل أرنسب رينـــان يثني عليه ويعده من أفضل تفاسير علماء السريان الفلسفية ·

مار يعقوب الرهاوي (٦٣٣ ـ ٧٠٨ م)

ولد مترجم السريان الاكبر بالقرب من حران من قرية تعرف بعين الدب (عيندابا) وهي مصدر نهر الحلاب الذي يروي مدينة حران ومزارعها ثم يرفد البليخ ، وبعد أن أتم دراسته في الرها رحل الى مصر فدرس الفلسفة والمنطق باللغة اليونانية ثم عاد الى بلاد الشام وتنسك ودرس العبرية ثم رسم مطرانا للرها وبدأ يترجم من اليونانية الى السريانية وكان تاج الملة في كمال الترجمة وقد مدحه البطريرك العلامة أفرام الاول برصوم قائلا عن كتبه : (هي الغاية التي ليس وراءها مراد لباحث ولا مضرب لرائد) (٢٤) ·

وفي مضمار الترجمة قال عنه روزنتال : « أحد أعلام السريان المشهورين بالرقة »(٢٥) ومن مآثره العملية تدريبه لتلاميذه على أصول الترجمة السليمة في دير مار يعقوب في كيصوم ملحا على ضرورة الامانة في النقل وضبط الالفاظ بالنقاط والحركات مشيرا الى أهمية الخط وخطورته ، كما وضع كتابا في ضوابط ألفاظ العهدين القديم والجديد ضبط فيها أسماء الاشخاص والمدن والقرى وغريب اللغة كما وضع معجما صغيرا سماه بالمختصر فسر فيه الالفاظ الفلسفية والمنطقية كالجوهر والذات والاقنـــوم والشخص والكيان والوجود والعدم وهو يشبه شبها ما كتاب التعريفات للسيد الجرجاني · ومن مؤلفاته العلمية ذات الاثر الكبير في علم الفلك كتابه المسمى (كتاب الايام الستة) وقد صاغه بعد أن تمثل أفكار بطليموس في كتاب المجسطي ثم أعطاه طابعه الشخصي وقد اتبع هذا المنهج في الاسلام يعقوب بن اسحق الكندي (ت ٢٥٢ هـ) الذي كانت تترجم له الكتب ثم يصيغها بلغته العربية الفصيحة ويخرجها للناس ديباجة عربية قشيبة فيها روح الكندي وطابعه ·

وطريقة مار يعقوب الرهاوي في الترجمة هي طريقة مدرسة الاسكندرية التي تهتم بالمعنى الذي يحصل في ذهن المترجم ثم يعبر عنه من اللغة الاخرى بجملة تطابقها سواء أساوت الالفاظ أم خالفتها وهذه هي الطريقة المثلى التي تنسب في العربية الى (حنين بن اسحق وثابت بن قرة الحراني) (٢٦) وكلهم دربوا في أديرة الجزيرة واطلعوا على كل ما صنعه مار يعقوب وامثاله من كبار علماء السريان الارثوذكس وترجموا عنها وقد أشار روزنتال الخبير بأسلوب حنين بن اسحق والمعجب به كثيرا الى ذلك قائلا : « ونحن لا نظن أن طريقة حنين في معارضة المخطوطات التي كان يعالجها ، كانت من ابتكاره بل يجب أن يكـــون قـــد اقتبسها عـــن التقليـــد الذي كان معروفا في حلقـــات الترجمـــة السريانية (٢٧) ·

مكتبة المهتدين الإسلامية

واذا كنا نعتقد ان الانسان محصلة للعلاقات الثقافية التي يتعرض لها ، فان أديرة النساطرة لم تكن بالمستوى العلمي الذي كانت عليه أديرة الجزيرة الفنية بفكرها وباللغة اليونانية المحكية بين رهبانها، يقول عن ذلك حنين نفسه موبخا أبناء نحلته النسطورية (ونقلي اليهم العلوم الفاخرة من اللغات التي لا يحسنونها ولا يهتدون اليها ولا يعرفون شيئا منها) (٢٨) .

ألم يقرن العلماء المتوصوفون ذوو الدراية بين مار يعقوب الرهاوي وترجمته الفاخرة للكتاب المقدس وترجمة القديس ايرونيموس (٣٤٥ ــ ٤٢٠م) ألم يعجب مار طيمثاوس الاول جاثليق النساطرة (٧٨٠ ــ ٨٢٣ م) بترجمات مار يعقوب وقوقا الرهاوي وأثناسيوس البلدي ويرسل بعثة علمية برئاسة الرأهب الملفان سرجيس لنقل ترجماتهم وعندما نقل حنين بن اسحق ترجمة مار يعقوب للتوراة الى العربية أثنى عليها العلماء من كل الملل ، ذكر ذلك المسعودي بقوله « وقد ترجم هذه الى اللسان العربي عدة مما تقدم وتأخر منهم حنين بن اسحق وهو اصح نسخ التوراة عند كثير من الناس ويوجد سرياني » (٢٩) .

الترجمة في عهد المنصور (١٣٦ ــ ١٥٨ هـ)

انتقلت الخلافة الى العائلة العباسية سنة ١٣٢ هـ وفي هذا الانتقال طرأ تحول خطير على حياة المجتمع، فلم يعد العنصر العربي عنصرا مؤثرا في مجال السياسة بل ولي الامور اناس من شعوب غلبت منذ حين ولكنها تملك الخبرة التي تؤهلها للحكم فالمنصور أول خليفة استعمل مواليه وغلمانه في أعماله وقدمهم على العرب فامتثل ذلك الخلفاء من بعده فسقطت العرب وبادته وزال بأسها وذهبت مراتبها (٣٠) .

ولكن ازدهرت الثقافة في عهده ، فنقلت بواكير علم الرياضيات والفلك عن الهندية والسريانية والفارسية ، وكان الخليفة محبا لاحكام النجوم يعمل بمقتضاها ويستشير منجميه في أعماله كما هي الحال عندما بنى مدينتي بغداد والرافقة ومن بين هؤلاء يوحنا أسقف الرقة وأظنه يوحنا بن يوسف بن الحارث القس نفسه الذي وصف بالنقل القديم عن اللسان اليوناني(٣١) وهذا الاسقف كان عالما درس اليونانية والسريانية في دير قرقفتا بالقرب من رأس العين وبمساعدة الخليفة المنصور استولى على الكرسي البطريركي (٧٥٨ ــ ٧٦٢م)(٣٢) بدلا من البطريرك الأصيل جاورجي وكلفه أن ينقل له الكتب القديمة فاعتذر فزج به في السجن سنة ٧٦٦ ولم يخرج منه الا بوفاة المنصور .

ومن ترجماته كتب جالينوس وأبقراط ، كما نقل كتاب المقالات الاربعة لبطليموس عن الترجمة السريانية التي نقلها من قبل ساويرا سايوخت ثم فسره

http://www.al-maktabeh.com

بالعربية عمر بن الفرخان وظل هذا الكتاب أشهر كتب التنجيم في تاريخ الحضارة البشرية حتى اليوم ٠

ومن ترجماته الكتاب المنسوب الى أرسطو في السياسة والمعروف ب (سر الاسرار) وقد حور أفكاره لتناسب الفكر العربي المسلم وقد صيغ الكتاب بعبارات تدل على قوة في امتلاك ناحية اللغة ومقدرة على السبك مما يجعل العبارة تؤدي المعنى المطلوب بأقصر طريق (٣٣) وقد نسب الكتاب الى يوحنا البطريق ذاته لان العرب لم يعرفوا كتاب أرسطو في السياسة لان المدارس اليونانية في العصر الامبراطوري لم توله اهتماما كافيا ولم تعكف على دراسته كثيرا (٣٤) ٠

الترجمة في زمن الرشيد والمأمون :

بعد المنصور ازداد اهتمام الخلفاء بالعلوم القديمة فأرسلت البعثات العلمية لجمع الكتب واقتدى الخلفاء ذوو اليسار ولا سيما بعد ازدياد السيطرة على المجتمع وارتقاء أبناء العائلات الفارسية العريقة المناصب العالية ، فلم ينسوا عقائدهم السابقة بل أبرزوها بحذر وكياسة ، وحورت الافكار لتناسب الفكر الاسلامي ، واصبح نموذج الحكم الفارسي المثال المحتذى وأنشئت المكتبات يديرها موظفون أكفاء وعبر هذه القنوات نقلت الى العربية كتب الحكمة القديمة ٠

وبانتقال دار الخلافة الى الرقة سنة ١٨٠ هـ لاسباب سياسية في عهد هارون الرشيد وفيها أعفى وزيره يحيى بن خالد البرمكي (المتوفى عام ١٩٠ هـ) من أعباء الوزارة وأعطاه الخاتم (٣٥) فتفرغ للامور العلمية فأنشأ المدارس والمكتبات فأصبحت الرقة بهمته أحد مراكز الثقافة في الدولة العباسية التي يعددها الجاحظ بقوله : « لولا الكتاب لم يجز أن يعلم أهل الرقة والموصل وبغداد وواسط ما كان بالبصرة وما يحدث بالكوفة » (٣٦) والناس يقلدون رؤساءهم فشاع حب العلم وها هي ذي الرقة تستدعي عالما من بلدة الحدث وتعرض عليه مائة ألف درهم (٣٧) وفي تلك الحقبة جرت مناقشات علمية حمي وطيسها بين الامامين محمد بن الحسن الشيباني (ت ١٨٩ هـ) ومحمد ابن ادريس الشافعي (١٥٠ ــ ٢٤٠ هـ) فساعد ذلك انتشار حمى العلم ٠ فراجت أسواق الوراقة وارتزق النساخون فالشافعي استطاع أن يحصل على كل كتب الشيباني وقد نقلها له الوراقون في ليلة واحدة (٣٨) ولم يعد الناس يتفاخرون بثروتهم فحسب بل بما يملكون من قماطر الكتب فاسحق الموصلي يغمز من قناة الاصمعي لانه انتقل الى الرقة ومعه قمطر واحد من الكتب بينما استطاع هو أن يجلب ستة عشر قمطرا (٣٩) ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

وفي مدينة الرقة نقل كتاب المجسطي ليحيى بن خالد البرمكي ولابنه محمد نقله لهما أيوب بن القاسم الرقي وسمعان ولكن هذه الترجمة لم تعجب الوزير فندب لها النقلة المجردين واختبر نقلهم واصلحه أبو حسان وسلم صاحب بيت الحكمة(٤٠) وقد تمت الترجمة من اللغة السريانية ·

وفي الرقة ترجم الحجاج بن مطر الكوفي (١٦٦ ـ ٢٢٠ هـ) كتاب الاصول لاقليدس وسماه بالنقل الهاروني تمييزا له عن النقل الثاني الذي تم في عهد المأمون وسماه بالنقل المأموني وهذا الاخير هو الاجود ·

وبعد محنة البرامكة (١٨٧ هـ) خبا نشاط النقلة فاذا الرشيد يبدو بصورة نفسية سيئة فهو يعاني من عقدة الاضطهاد متصورا أن كل من حوله يتآمر عليه (٤١) بل ان المسعودي يذكر أنه قد اختلفت أموره بعد البرامكة ، وبان للناس قبح تدبيره وسوء سياسته (٤٢) · ثم كانت خلافة المأمون (١٩٨ ـ ٢١٨ هـ) فسار على خطا أسلافه وذهب مذهب ملوك ساسان في استعماله لاحكام النجوم والعمل بموجباتها ، وفي قراءته للكتب القديمة وأمعن في درسها وبلغ درايتها (٤٣) لقد نقل المامون الفكر العلمي من حيز النظر الى مستوى الممارسة العملية ، لقد أنشأ في بغداد مرصدا فلكيا جهزه بمكتبة ضخمة ، وفي عهده امتحنت الكتب القديمة للتأكد من صحتها بالقياس فأرسل البعثات العلمية لقياس محيط الارض فذهبت بعثة الى سنجار شمالي العراق وذهبت الثانية الى بلاد الشام فقاست طول المسافة بين تدمر والرقة وطول الدرجة فجاء القياس مطابقا بين البعثتين ، وتذكر كتب التاريخ أنه في عصر المأمون ترجم الى العربية معظم الكتب وان المأمون أرسل البعثات الى ملوك الروم لجمع الكتب ، وكان يعطي وزن الكتاب المترجم دراهم وكان يضع علامته على كل كتاب يترجم له (٤٤) ·

ويذكر أبو الفرج بن العبري أن المأمون كان يحب العلماء والفلاسفة ويرعاهم ويأنس مجالستهم ومذاكرتهم(٤٥) ويبدو أن تقاليد الترجمة في أديرة الجزيرة انتقلت الى بيت الحكمة في بغداد حيث يعمل النقلة منتظمين في جماعات ولم يكن العمل فرديا(٤٦) ومما زاد في دقة العمل وروعته تنوع الخبرات وتنافس الجماعات وتوافر الحوافز الفردية حيث كان الخلفاء والامراء يغدقون المال والعطايا للمترجمين،وتقبل الناس للعلم وحبهم له كان لهما أثر كبير في تطور علم الترجمة فهذا أبو الحسن العامري يذكر أن من سعادة أهل الاسلام نقل الكتب المنسوبة الى ذوي الشهرة من حكام الروم والفرس والهند واليونان واستقصاء معانيها وحل موقع الشبهة منها ثم تولى شرحها واذاعتها ولا يضر أن يكون أكثر المترجمين من النصارى أو الصابئة لانهم ما فعلوا ذلك الا لما شاهدوه من قوة الاسلام وشرفه ، وما كان قصدهم الا التقرب للخلفاء الضابطين لعرى الاسلام وقواعده (٤٧) ·

http://www.al-maktabeh.com

لقد لاحظ الدكتور عبد الحميد صبرة « أن كتب التراجم والطبقات التي تناولت أعلام المشتغلين بالعلوم قلما تطلعنا على ظروف هؤلاء العلماء الشخصية والاجتماعية ، وهي قلما تشير أيضا الى سني تحصيلهم وتفاصيل دراستهم وأمكنة هذه الدراسة ، وأسماء أساتذتهم بل يقتصر أكثرها على اشارات موجزة الى تاريخ ميلادهم ووفاتهم ومحلها بالاضافة الى ذكر قوائم ناقصة في أغلب الاحيان بمؤلفاتهم(٤٨) ٠

هذا النص ينطبق انطباقا حقيقيا على حالة يوحنا البطريق وابنه زكريا فكتب التراجم والطبقات تخلط بينهما فابن النديم يذكر « أن البطريق نقل أشياء من الكتب القديمة أيام المنصور (٤٩) وهذا هو الاب أما الابن فيذكره مرة باسم البطريق أبو يحيى بن البطريق(٥٠) ثم يذكره في مكان آخر من كتابه باسم أبي زكريا يحيى بن البطريق(٥١)وكان في زمن المأمون وقد أخرجه الى بلاد الروم لجمع الكتب مع الحجاج بن مطر وسلما صاحب بيت الحكمة ، ويضيف ابن أبي أصيبعة أنه كان في حملة الحسن بن سهل وأنه لا يعرف العربية حق معرفتها ولا اليونانية وانما كان يعرف اللغة اللاتينية (٥٢) أما القفطي فانه يجعله مولى للمأمون وكان أمينا على الترجمة حسن التأدية للمعاني ، ألكن في العربية وكانت الفلسفة ، أغلب عليه من الطب وهو الذي ترجم كتب أرسطو طاليس خاصة وترجم من كتب أبقراط مثل حنين(٥٣) وفي خضم هذا التناقض لا يمكن تكوين صورة واضحة عنه واذا انتقلت الى الضفة الاخرى من التاريخ أي الى المصادر السريانية وجدتها لا تذكره لان ابن البطريرك الذي سرق الكرسي الرسولي من أصحابه الشرعيين وقد شتمه البطريرك مار أفرام برصوم (١٩٥٧ م) مدافعا عن البطريرك الاصيل جاورجي الاول قائلا « فانبرى له الحساد لئام الاعراق يوحنا أسقف الرقة وداوود أسقف دارا ونفر غيرهم فاغتصب الكرسي يوحنا ثم داوود دخالة » (٥٤) ٠

ومما نسبت اليه كتب التراجم ترجمته لكتاب طيماوس لافلاطون وأصلحه حنين وكتاب السماء والعالم لارسطو أصلحه حنين وترجمة كتاب الحيوان لارسطو وترجمة كتاب الترياق وكتاب البرسام لاسكندروس ومن النقلة الذين كانوا في عهد المأمون ثاودورس أبو قرة الرهاوي (المتوفى عام ٨٢٠ م) أسقف حران الملكي وقد كان جدلا نظارا حاول اغراء أشوط بطريق الارمن ورده عن المعتقد الارثوذكسي (اليعقوبي) ٠

فاوفد البطريرك قرياقس (٧٩٣ ــ ٨١٧ م) تلميذه نونا النصيبيني سنة ٨١٤ م وكان أيضا جدلا ضليعا بعلمي الفلسفة واللاهوت وقد درسهما بدير العمود بالرقة وله بالعربية ترجمة وتفسير لانجيل يوحنا ، فاستطاع احباط مسعى أبي قرة الذيعده الجاحظ بين نقلة العلوم دون أن يذكر له كتابا (٥٥) ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

ألفه ثابت بالسريانية لانه عارض فيه الكندي الذي يخالفه في المذهب الطبي (٧٧) ٠

أما في الفلسفة فان ثابت كان من أتباع المذهب الفيثاغوري ومن المحبذين لرأي أفلاطون في الفلسفة وكان يؤمن بأن الافلاك والكواكب أحياء ناطقة ، وان النفس متعلقة بهذه الاجسام السماوية ، وبأن للكواكب تأثيرا في طبائع الناس ومن ثم لها تأثير في سلوكهم وبأن النفس غير قابلة للكون والفساد والتمزق (٧٨) ٠

وهذه دعوة برديصان في كتابة شرائع البلدان ٠

ولثابت كتاب فلسفي يرد فيه على من يقول بأن النفس مزاج ، كما أن له كتابا آخر حل فيه رموز كتاب السياسة لافلاطون ، وفي المنطق ألف كتاب المدخل الى المنطق ، وكتاب شرح السماع الطبيعي ولكن المنية عاجلته قبل أن يتمه (٧٩) ٠

ونخلص الى القول : ان العمل الانساني الذي تم في العصر العباسي قد أورثه أقلام مترجمي السريان من مكامن العفة والتقى من أديرة الجزيرة التي منها تعلمنا الدقة في التعبير والنزاهة في النقل مما جعل كتبنا المترجمة أفضل من الاصول التي نقل عنها ٠

http://www.al-maktabeh.com

هوامش البحث

١ ـ أحمد أمين ـ فجر الاسلام ص ١٤٢ ٠

٢ ـ المطهر بن طاهر المقدسي ـ كتاب البدء والتاريخ ج١ ص ٦٢ أعادت نشره دار المثنى ببغداد ٠

٣ ـ المسعودي (علي بن الحسين) التنبيه والاشراف تحقيق عبد الله اسماعيل الصاوي القاهرة ١٩٣٨ ص ٦٩ ٠

٤ ـ جورج سارطون ٠ العلم القديم والمدنية الحديثة ٠ ترجمة د٠ عبد الحميد صبرة نشر مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٠ ص ٤٨ ـ ٥١ ٠

٥ ـ قاموس الكتاب المقدس ص ٧٤١ ـ ٧٤٢ ٠

٦ ـ المطران يوسف داود ـ كتاب القصارى ص ٤ طبع بيروت ١٨٨٧ ٠

٧ ـ الدكتور مراد كامل والدكتور محمد حمدي البكري ـ تاريخ الادب السرياني ـ مطبعة المقتطف بالقاهرة ص ٢٦ ٠

٨ ـ المصدر السابق ص ١٠٧ ٠

٩ ـ فرانتز روزنتال ـ مناهج العلماء المسلمين ص ٧٦ ترجمة أنيس فريحة ـ دار الثقافة والنشر ، بيروت ١٩٦١ ٠

١٠ ـ البطريرك أغناطيوس يعقوب الثالث ٠ تاريخ الكنيسة الانطاكية السريانية جـ ١ ص ١٥٨ دار الكتاب بيروت ١٩٥٣ ٠

١١ ـ البطريرك أفرام الاول برصوم ـ اللؤلؤ المنثور ص ٣٤٨ طبعة ثانية حلب ١٩٥٦ ٠

١٢ ـ المصدر السابق ص ٤٦٥ ٠

١٣ ـ د٠ ملكة أبيض ٠ التربية والثقافة العربية الاسلامية ص ٢٦٧ ٠ دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٠ ٠

١٤ ـ كتاب فجر المسيحية ص ١٢٧ رابطة الكتاب المسيحيين بالشرق الادنى بيروت ١٩٥٦ ٠

١٥ ـ المقدسي (محمد بن أحمد) المختار من أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم وزارة الثقافة دمشق ١٩٨٠ ٠

١٦ ـ اللؤلؤ المنثور ص ٣٤٩ ٠

١٧ ـ كتاب تراث الاسلام ـ فصل العلوم والطب ص ٤٥٧ ـ ماكس مايرهوف ترجمة جرجيس فتح الله دار الطليعة ـ بيروت ١٩٧٢ ٠

١٩ ـ عيون الانباء في طبقات الادباء ، ابن أبي أصيبعة (أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي) ص ٢٦٨ تحقيق نزار رضا مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٥ ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

٢٠ ـ هانز هنريش شيدر • روح الحضارة العربية ص ٩٠ ترجمة عبد الرحمن بدوي دار العلم للملايين بيروت ١٩٤٩ •

٢١ ـ اللؤلؤ المنثور ص ٣٥٥ •

٢٢ ـ كارلو نلليتو ـ علم الفلك ص ٢٢٥ طبعة روما ١٩٠٣ ـ أعادت نشره دار المثنى ببغداد •

٢٣ ـ اللؤلؤ المنثور ص ١٩٥ •

٢٤ ـ المصدر السابق ص ٤٥ •

٢٥ ـ مناهج العلماء المسلمين ص ٧٨ •

٢٦ ـ بهاء الدين العاملي ج١ ص ٣٨٨ ـ دار احياء الكتب العربية القاهرة ١٩٦١ •

٢٧ ـ مناهج العلماء المسلمين ص ٧٣ •

٢٨ ـ عيون الانباء في طبقات الادباء ص ٢٩٥ •

٢٩ ـ التنبيه والاشراف ص ٩٨ •

٣٠ ـ المسعودي ـ مروج الذهب ج٢ ، ص ٥٥٤ ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد • كتاب التحرير القاهرة ١٩٦٦ •

٣١ ـ القفطي (علي بن يوسف) تاريخ الحكماء (مختصر الزوزني ص ٣٨٠) نشر مكتبة المثنى ببغداد •

٣٢ ـ اللؤلؤ المنثور ص ١٠٤ •

٣٣ ـ مجلة الفكر الجديد عدد (٢) أيار ١٩٦٨ بيروت ص ٤٩ •

٣٤ ـ ريتشارد فالتزر ، الفلسفة الاسلامية ، محمد توفيق حسن ص ٢٠ بيروت دار العلم للملايين ١٩٥٨ •

٣٥ ـ محمد بن جرير الطبري ـ تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٣١٧ تحقيق محمد أبو الفضل القاهرة ـ دار المعارف بمصر ١٩٦٦ •

٣٦ ـ الجاحظ ـ كتاب الحيوان جـ ١ ص ٧٥ ـ ٧٦ تحقيق عبد السلام هارون القاهرة ١٩٦٩ •

٣٧ ـ التربية والثقافة العربية الاسلامية ص ١٧٦ •

٣٨ ـ المصدر السابق ص ١٨٦ •

٣٩ ـ المصدر السابق ص ١٨٢ •

٤٠ ـ النديم (محمد بن اسحق) كتاب الفهرست تحقيق رضا تجدد ـ طهران ١٩٧١ •

٤١ ـ تاريخ الطبري ج ٨ ، ص ٣٣٩ •

٤٢ ـ التنبيه والاشراف ص ٢٩٩ •

٤٣ ـ مروج الذهب جـ ١ ص ٥٥٧ •

http://www.al-maktabeh.com

٤٤ ـ جرجي زيدان ـ تاريخ التمدن الاسلامي ج٣ ، ص ١٦١ مطبعة الهلال القاهرة ١٩٢٠ ٠

٤٥ ـ المفريان ابن العبري مختصر تاريخ الدول ص ٢٢٦ ـ تحقيق أنطوان صالحاني بيروت ١٨٩٠ م ٠

٤٦ ـ الفلسفة الاسلامية (فالتزر) ص ٢٣ ٠

٤٧ ـ مجلة المجلة عدد ١٢٦ ـ ١٩٦٧ القاهرة ٠

٤٨ ـ كتاب العاديات الثاني ـ نيسان ١٩٧٦ ص ٢٥ الصادر عن معهد التراث ٠

٤٩ ـ الفهرست ص ٤٩ و ص ٣٠٤ و ص ٣٣٢ ٠

٥٢ ـ ابن أبي أصيبعة (عيون الانباء في طبقات الادباء) ص ٢٨٢ ٠

٥٣ ـ القفطي ـ تاريخ الحكماء ص ٣٧٩ ٠

٥٤ ـ اللؤلؤ المنثور ص ٤٠١ ٠

٥٥ ـ الحيوان ص ٧٦ ٠

٥٦ ـ آدم متز ـ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ج ١ ص ٢٦٣ ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ـ بيروت ط٤ ١٩٦٧ ٠

٥٧ ـ أحمد بن صاعد الاندلسي ـ طبقات الامم ص ٥٦ ـ القاهرة ٠

٥٨ ـ عبد الرحمن الجوزي ـ تلبيس ابليس ص ٨٣ ـ ٨٤ ـ دار الوعي العربي ، بيروت ٠

٥٩ ـ أبو الريحان البيروني ـ كتاب الآثار الباقية ص ٢٠٤ لايبزيغ ١٨٣٨ ٠

٦٠ ـ التنبيه والاشراف ص ٩٩ ٠

٦١ ـ هنري برجسون ـ منبعا الاخلاق والدين ص ٢٣٣ ـ الهيئة العامة المصرية ١٩٧١ ٠

٦٢ ـ القفطي ص ٣٩٨ ٠

٦٣ ـ الفهرست ص ٣٢٨ ٠

٦٤ ـ تراث الاسلام ـ القسم الثالث ص ١٨٠ (عالم المعرفة) الكويت ١٩٧٨ ٠

٦٥ ـ المصدر السابق ص ١٦٨ ٠

٦٦ ـ القفطي ص ١١٩ ٠

٦٧ ـ الفهرست ص ٣٥٩ ٠

٦٨ ـ القفطي ص ٧٩ ٠

٦٩ ـ أحمد فؤاد الاهواني ـ الكندي فيلسوف العرب (أعلام العرب) عدد ٢٦ ص ٦٠ ٠

٧٠ ـ مروج الذهب ج١ ص ٦٧ ٠

٧١ ـ الفهرست ص ٣٢٨ ٠

٧٢ ـ ابن أبي أصيبعة ص ٢٩٥ ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

وبرز في عهد المأمون العلامة مارديونيسوس التلمحري بطريرك السريان الارثوذكسي (٨١٨ ـ ٨٤٣ م) وتل محرى قريته مجاورة للرقة وكان محبا للعلم وحكمة الاوائل فنظم الاديرة وعني بتعليم اللغات القديمة وكانت تربطه بالمأمون صداقة حتى ان الخليفة كان يصافحه باليد اكراما له(٥٦) وقد صحبه المأمون الى مصر لاخماد ثورة الاقباط في البشروم والفرما سنة ٢١٧ هـ ٠ وفي رئاسته ساد التفاهم بين أبناء طائفته والطوائف الاخرى وخف العداء بين السريان النساطرة والسريان الارثوذكس (اليعاقبة) وربطته بجاثليق النساطرة طيمثاوس الاول (٧٨٠ ـ ٨٢٣ م) صداقة ٠ وقد كان هو الآخر عالما متوقد الذهن محبا لاقتناء الكتب ٠

وفي هذه المرحلة عاش العلامة انطوان الفصيح وظهر للناس كتابه المعروف (بمعرفة الفصاحة) وكان يمضي معظم حياته متجولا بين مدن الجزيرة وأديرتها وأمضى في الرقة والرها ورأس العين أخصب أيام عمره قضاها في الدرس والتعليم وكانت تربطه بالمترجم أوفيموس عثمان بن عنبسة الرقي صداقة عظيمة تستدل على ذلك من رسائل الشكر التي أرسلها اليه ٠

وهكذا ساعد مناخ الفكر السياسي على سرعة عمل الترجمة وتعايش الطوائف بسلام في عهد المأمون الذي كان يميل الى النصارى كما يذكر ماري بن سليمان صاحب كتاب المجدل ٠

ثابت بن قرة الحراني (٢٢١ ـ ٢٨٨ هـ)

يجمع معظم المؤرخين على أن حذاق الترجمة في الاسلام أربعة وهم : حنين ابن اسحق ويعقوب بن اسحق الكندي وثابت بن قرة الحراني وعمر بن الفرخان الطبري (٥٧) ٠

وكل كتب التراجم والطبقات تقرن دائما بين حنين بن اسحق وبين ثابت وقد كانا دوما فرسي رهان في مضمار الترجمة والتأليف ٠

فمن هو ثابت ؟ انه عالم ينتسب الى صابئة حران ، وهم قوم اندثروا اليوم وقد حار العلماء العرب في تحديد نسبتهم وعقيدتهم فابن الجوزي يذكر عشرة أقوال للعلماء في مذاهبهم وكلها تناقض بعضها بعضا (٥٨) والمسعودي ينسبهم الى الجنس اليوناني ، وهكذا يطوى سرهم معهم ، وكل ما قيل عنهم يبقى في مجال الرواية الادبية وفق تعبير المستشرق لويس ماسينيون ٠

أما عقيدتهم فقد كتب عنها الكثير وقد كتب ثابت كتابا عنها بالسريانية ولكنه ضاع وقد لخص البيروني مذهبهم تلخيصا موجزا بقوله : « انهم يؤمنون

http://www.al-maktabeh.com

بالله ، وينزهونه عن القبائح ويسمونه بالاسماء الحسنى مجازا ، اذ ليس عندهم صفة بالحقيقة ، وينسبون التدبير الى الفلك وأجرامه ، ويقولون بحياتها ونطقها وسمعها وبصرها ويعظمون الانوار » (٥٨) ٠

أما وضعهم الاجتماعي فانه بعد اتساع العمران وازدهاره في مدينة الرقة في القرن الثالث الهجري انتقل عدد كبير منهم اليها وشكلوا جالية نشيطة في المجالين الحرفي والتجاري ، كما أسسوا مدرسة للطب والرياضيات جذبت جميع أبناء الديانات ونستدل على ذلك من نص ذكره المسعودي عندما زار ديار مضر سنة ٣٣٢ هـ وناقش بعض اليهود ومنهم « يهوذا بن يوسف المعروف بابن أبي الثناء تلميذ ثابت بن قرة الصابئي في الفلسفة والطب في الرقة من ديار مضر » (٦٠) ٠

وكان أبناء هذه الملة في بدء أمرهم يحبون التميز عن بقية الطوائف بلبس الاقبية الواسعة ، وبوفرات الشعور الكثة المتهدلة على الاكتاف وهذه سمة كهنة بلاد ما بين النهرين واتباع المذهب الفيثاغوري ، وهم اليه ينتمون وبمعتقده في الفلك والعدد يؤمنون ٠ وكان مذهبهم السري هذا مصدر اعتزازهم ٠ ويعلل مثل هذه الظاهرة برجسون بقوله : « ان الناس دائما حينما يؤلفون مجتمعات صغيرة في داخل المجتمع الكبير ينزلون أنفسهم منزلة ممتازة ، ويجعلون الانتساب اليهم سريا ، ويشعرون بأنهم أقرب الى الله من غيرهم (٦١) ٠

لقد كانت نفس ثابت بن قرة تطمح الى المعالي ، وقد عاش في زمن المتوكل الذي أخذ أهل الذمة بالحيف حيث ألبسهم ألبسة متميزة عما يلبسه المسلمون بل لقد رسم صور شياطين على أبوابهم ، ونهى عن استعمالهم في الدواوين وهذا سر رؤيته المأساوية للعالم المحيط به ولكنه تغلب على ذلك في ابداعه في علم العدد الذي وجد فيه تناسق العالم ووحدته ، فأصبح ثابت بن قرة أعظم مهندس ومترجم للرياضيات في الحضارة العربية ونال اعجاب الناس واحترام الخليفة المعتضد (٢٧٩ ـ ٢٨٩ هـ) وكان هو سبب ارتفاع شأن الصابئة في الدولة العربية ٠

لقد أعاد ثابت تقاليد السريان في الترجمة بتنظيمه للناس الذين كانوا يعملون معه في مجموعات متخصصة في الرياضيات والطب وكان يدربهم على حسن النقل بحسب الاصول المدرسية التابعة للاديرة ـ وأهم انجازاته يمكن أن يجلى بما يلي :

انجازاته في الرياضيات وعلم الهيئة :

نقل ثابت الى العربية من اليونانية كتاب المخروطات لابلينيوس وهو مؤلف من ثمانية كتب ترجم منها المقالات الثلاث الاخيرة أما الاربع الاولى فقد ترجمها

مكتبة المهتدين الإسلامية

هلال بن أبي هلال الحمصي بين يدي أحمد بن موسى وهذا هو الاصح لا ما ذكره البارون كارا ديفو عندما ذكر (٧١) أن ثابتا ترجمها كلها ، فحفظت لنا الترجمة العربية ثلاثة كتب من المخروطات فقدت أصولها اليونانية وقد فسر ثابت المقالة الاولى وشرحها بكتاب خاص ٠

وعندما ترجم حنين للخليفة الواثق كتاب الاصول لاقليدس عن اليونانية أصلحه ثابت مرتين وكان الاصلاح الاخير أجود (٦٢) وذلك لنضج فكر ثابت بتقدم العمر ونمو خبرة تلاميذه ونباهتهم في الرياضيات ولا سيما اذا عرفنا ان من بينهم سنان بن الفتح الحراني الذي كان مقدما في صناعة الحساب والاعداد (٦٣) ٠

كما ترجم ثابت كتاب اصلاح القسمة لاقليدس ، وانتقل ثابت من الرواية والنقل الى الدراية والتأليف ، فألف كتبا ورسائل وخواطر عدة في الرياضيات والفلك والهندسة موضحا ما غمض فيها من فكر الاوائل في عبارات ورسوم واضحة مستنبطا مسائل وعلاقات جديدة ، منها وضعه قاعدة لايجاد الاعداد المتحابة ونعني بها كل عددين أحدهما يساوي مجموع عوامل الآخر كالعددين (٢٢٠ و ٢٨٤) ٠ كما بين طريقة قياس المثلث من خلال العلاقة بين أضلاعه ، واستخرج كذلك القاعدة الخاصة بمعرفة مساحة حجم المخروط والكرة ، وأوجد حلول المسائل المتعلقة بايجاد وسطين متناسقين (٦٤) بين مقدارين معلومين ، كما حدد مساحة القطع المكافىء لطريقة الكميات التكاملية وله مختصر جيد في علم الهندسة ، وكتاب في استخراج المسائل الهندسية ، وكتاب في المربع وقطره ، وهكذا مهد ثابت الطريق لمن تلاه في الرياضيات لان ترجماته الرياضية للنصوص القديمة أدق بصورة عامة من المخطوطات الاصلية (٦٥) ٠

أما في علم الفلك وهو جزء هام من الرياضيات ، فقد اصلح ثابت ما ترجمه اسحق بن حنين وراجعه مثل كتاب المجسطي ولكنه لم يكتف بذلك بل قام هو نفسه بترجمة الكتاب عن السريانية وأوضحه بالصورة التي عرفه فيها العرب بعد ذلك ٠ ويقال : انه اختصر الكتاب ما عدا المقالة الثالثة عشرة (٦٦) وأرى أن الصواب أن من اختصره هو تلميذه في الرياضيات والفلك محمد بن جابر بن سنان البتاني الرقي (المتوفي ٣١٧ هـ) وبين أغراضه ابنه سنان ٠ كما ترجم ثابت كتاب بطليموس عن السريانية وأظنه عن ترجمة ساويرا سايوخت الجيدة النقل ثم شرحها تلميذ البتاني ، كما ترجم ثابت كتاب بطليموس الموسوم بالجغرافيا في المعمورة وهيئة الارض وهذا الكتاب مؤلف من ثماني مقالات نقل للكندي نقلا رديا ثم نقله ثابت الى العربي نقلا جيدا عن نسخة سريانية (٦٧) ولكن نص ابن النديم هذا يتحول عند القفطي ويأخذ معنى آخر فيصبح الكندي هو ناقله الى العربي نقلا جيدا (٦٨) ٠

http://www.al-maktabeh.com

أما ابن جلجل فقد جعل الكتاب كله من تاليف الكندي (٦٩) ٠

واذا كان المسعودي قد شاهد في مصر صفة الارض مصورة في كتاب الجغرافيا لبطليموس بأنواع من الاصباغ والرسوم مختلفة الاشكال الا أن أسماءها اليونانية حالت دون فهمه (٧٠) فان ثابت بن قرة عمل صفة الدنيا بالعربية وبالوان زاهية على قماش دبيقي ملونة ومشمعة بمساعدة تلميذ له هو قرة بن قميطا الحراني (٧١) ٠

وتوجت مدرسة ثابت بانجازات البتاني الرائعة في رصده لقبة السماء مدة أربعين عاما بمدينة الرقة ٠

انجازات ثابت في الطب والفلسفة :

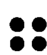
اختلف المؤرخون في مكانة ثابت في مجال الطب فبينما يذكر ابن أبي أصيبعة أنه : « لم يكن في زمن ثابت من يماثله في صناعة الطب ولا في غيره من جميع أجزاء الفلسفة (٧٢) يذهب آخر الى أن الغالب عليه هو الفلسفة دون الطب (٧٣) وأنه متقلد لجوامع الفلسفة وله تآليف حسنة المنطق والعدد والهندسة (٧٤) ولم يكن من بينها الطب ٠ ولكني قمت باحصاء كتبه الطبية عند ابن أبي أصيبعة فوجدتها تقرب من ٣٥ كتاباً ، ومن ترجماته العربية في الطب كتاب ما يعتقد رأيا لجالينوس وكتاب الكيموس ترجمه ثابت وحبيش بن الاعسم (٧٥) ٠

أما كتابه الرئيس فهو (كتاب الذخيرة في الطب) وهو موسوعة طبية مختصرة تشبه (كتاب الجامع في الطب) لاوريباسيوس (٣٢٥ ــ ٤٠٠ م) وثمة بينهما تشابه كبير من حيث المضمون مما يجعلنا نظن أنه استقى مواد كتابه منه وقد عرب هذا الكتاب عيسى بن يحيى بن ابراهيم (القرن الثالث الهجري) تلميذ حنين بن اسحق وسماه (كتاب السبعين مقالة) ولكن كتاب ثابت مترابط من حيث الصياغة والمضمون ولغته واضحة سليمة من الحشو والاطناب وقد ضمنه استشهادات مقتبسة من مؤلفات علماء اليونان والسريان(٧٦) وقد ظل هذا الكتاب أحد مراجع العرب الطبية في القرون الوسطى وقد ألفه ثابت على التقليد السرياني مما جعل ابن أبي أصيبعة يسميه بكناش ثابت المعروف بالذخيرة ٠

ومن مؤلفاته الطبية كتاب بالسريانية سماه (كتاب الوقفات التي في السكون الذي بين حركتي الشريان المتضادتين وقد نقله الى العربية تلميذه عيسى بن أسيد النصراني ثم أصلحه ثابت ونال استحسان اسحق بن حنين » وقد

مكتبة المهتدين الإسلامية

٧٣ ــ سليمان بن حسان الاندلسي (ابن جلجل) ص ٧٥ القاهرة ١٩٥٥ ٠
٧٤ ــ طبقات الامم ص ٥٧ ٠
٧٥ ــ جرجي زيدان جـ٣ ص ١٧٢ ٠
٧٦ ــ تراث الاسلام ص ٤٥٨ ــ دار الطليعة ١٩٧٢ ٠
٧٧ ــ ابن أبي أصيبعة ص ٢٩٨ ٠
٧٨ ــ مفاتيح الغيب ــ فخر الدين الرازي جـ٥ ، ص ٤٣٥ طبعة مصر ١٣٠٨ هـ ٠
٧٩ ــ ابن أبي أصيبعة ص ٢٩٩ ٠



http://www.al-maktabeh.com

السريان ونقلهم التراث العلمي اليوناني الى الحضارة العربية

الاستاذ صلاح الدين الخالدي

التمهيد التاريخي للبحث :

اجتاحت جموع الآراميين ــ وهم ساميون وأجداد السريان ــ خلال القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد جزءا كبيرا من بلاد ما بين النهرين وشمالي سورية ووسطها وأصبحت دمشق العاصمة العتيدة للدولة الآرامية حوالي عام (١٢٠٠) ق٠ م٠ وبذلك كان الآراميون الشعب السامي الثالث الرئيس الذي انطلق من الجزيرة العربية واستوطن بلاد الهلال الخصيب حيث نشأت قوميتهم ولغتهم التي أتت من لهجة سامية غربية كانت مستعملة في الشمال الغربي من بلاد الرافدين في النصف الاول للالف الثاني ، ولم يكتسبوا اسم « الآراميين » حتى أيام تغلات فلاصر الاول (نحو عام ١١٠٠ ق٠ م٠) حين أقاموا في منطقة الفرات الاوسط حتى سورية في الغرب ٠ واقتبس الآراميون تدريجيا حضارة الآموريين والكنعانيين الذين أقاموا بينهم غير أنهم احتفظوا بمظهر واحد من حضارتهم وهو اللغة وبلهجتهم الاصلية التي قدر لها أن تسهم اسهاما بالغ الاهمية في حياة غربي آسيا بعد ذلك حين انتهاء أمر آرام دمشق عام (٧٣٢ ق٠ م٠) على يد « تغلات فلاصر الثالث » ملك الآشوريين وبدء توسع التجارة والحضارة الآرامية ذلك التوسع الذي فاق توسع الآراميين السياسي والعسكري ، فكان التجار الآراميون يبعثون قوافلهم التجارية الى جميع مناطق الهلال الخصيب والى منابع دجلة في الشمال أيضا وكانوا يحتكرون التجارة الداخلية البرية كما كان أبناء عمومتهم ومنافسوهم الفينيقيون يحتكرون التجارة البحرية فكانت دمشق ميناء البادية كما كانت جبيل ثم صور من موانىء البحر المتوسط ٠ ونحو عام (٥٠٠ ق٠ م٠) أصبحت اللغة الآرامية ــ التي كانت اللغة التجارية لاحدى القبائل السامية في سورية ــ اللغة العامة للتجارة والحضارة ولحكومات بلاد الهلال الخصيب ثم غدت اللغة العامة لشعوب المنطقة في كلامهم ، وكان فوزها على شقيقاتها اللغات السامية الاخرى تاما ٠ وأصبحت لغة السيد المسيح وشعبه ٠ والاشارة الثانية ــ بحسب قول فيليب حتي ــ ان لم تكن الاولى للمسيحيين وجدت مكتوبة بالآرامية بحروف لاتينية مشوهة على جدار مسكن ربما كان كنيسة في « بومبي » مما يجعل تاريخها قبل عام (٧٩ م) ٠ ولم يكن انتشار الآرامية مقصورا على المناطق السامية ٠ ففي عهد « داريوس الكبير » جعلت الآرامية اللغة الرسمية بين المقاطعات الفارسية ، وهكذا اصبحت حتى زمن فتوحات الاسكندر اللغة المتداولة في امبراطورية تمتد من الهند حتى الحبشة ٠ ان هذا الفوز الذي حققته لغة لا تدعمها سلطة امبراطورية

مكتبة المهتدين الإسلامية

من أهلها ليس له مثيل في التاريخ • ومع انتشار الآرامية انتشرت الابجدية الفينيقية التي كان الآراميون أول من اقتبسها ولعلها أبجدية « أوغاريت Ugaritte » رأس‌شمرا التي‌أجرى‌التنقيبات فيها الاستاذ «شيفر Schaeffer » حيث وجد أنها نوع من الحروف الهجائية يبلغ عددها (٢٩) علامة أو حرفا يرجع تاريخها الى عام (١٤٠٠ ق• م•) التي ربما اقتبسها الآرامين واستعملت في لغات أخرى في القارة الآسيوية • وحصل العبرانيون على أبجديتهم من الآراميين بعد القرنين السادس والرابع وكانوا يستعملون من قبل الابجدية الفينيقية القديمة مدة من الزمن • والحروف المربعة التي تطبع بها اليوم كتب التوراة العبرانية والتي يحاول الصهاينة اليوم اعادة استعمالها من حيث هي لغة قومية لهم في فلسطين نشأت عن الكتابة الآرامية • وأخذ عرب الشمال أبجديتهم التي كتب القرآن بها من الآرامية التي استعملها الانباط والتي أخذتها عنهم « قريش » فنزل القرآن الكريم بلهجتها وكتابتها ، كذلك حدث لشعوب أخرى أن أخذت عن الحروف الآرامية كتاباتها كالارمن والهنود والفرس فأبجدياتهم ذات مصادر آرامية كالحروف البهلوية والسنسكريتية ، وكذلك حمل الكهنة البوذيون من الهند الابجدية السنسكريتية الى قلب الصين وكوريا في العهد الهلنستي في ظل ملوك سلوقيا الذين أسسوا في شمالي الهند امبراطورية عرفت باسم امبراطورية « الموريا » التي ظلت ما يقرب من (١٥٠) سنة قائمة بعد انسحاب الاسكندر من الهند وظلت الكتابة المعروفة باسم « الخرشتيية » والتي اشتقت من الكتابة الآرامية السورية مما حمل الاستاذ « جـ• هـ• ايليف » الى القول بسيادة اللغة الآرامية التي شملت حتى دولة الاكاسرة الفرس ، فهو يقول : « ان الآرامية أصبحت عالمية في العهد الفارسي ، وغدت اللغة الرسمية فيها •• » • وهكذا وصلت الحروف الفينيقية بشكلها الاوغاريتي شرقا بطريق الآرامية الى الشرق الاقصى ، وغربا بطريق اليونانية أما الفينيقيون فقد أوصلوها اليهم ثم نقلت الى الامبركتين بحسب قول الاستاذ فيليب حتي — مطوقة العالم كله • وقد قام بهذه المهمة الحضارية العالمية السريان ومن ثم العرب المسلمون •

السريانية وموضعها في مجموعة اللغات السامية :

عمد المستشرقون الى تقسيم اللغات الى مجموعات عدة تتقارب لغات كل مجموعة فيما بينها في اللفظ والتركيب ، والقواعد والتفكير ، وهذا التقسيم يعتمد على تقسيم الاجناس البشرية بحسب ما ورد في الاصحاح العاشر من سفر التكوين في التوراة الذي أرجع النوع البشري شعوبه وأممـــه الى أبنــاء نوح الثلاثة : « سام » و « حام » و « يافث » على أن هناك تقسيما آخر اتبعه الباحثون فاعتمدوا فيه على طبيعة الانسان من حيث الملامح الفطرية ، والالوان والاماكن والبيئات • وكلا التقسيمين للاجناس البشرية ، تقسيم الكتاب المقدس ، وتقسيم الملامح الطبيعية •

وجد أن هناك جنسا بشريا ممتازا متحدا في النشأة ، والمكان واللون ، تجمع

http://www.al-maktabeh.com

شعوبه خواص مشتركه ، وتقوم بينها روابط طبيعية واجتماعية وثقافية وثيقة الصلات ، أطلق على هذا الجنس اسم « الجنس السامي » • أما « الجنس الحامي » فقد استمد اسمه ووحدته في التقسيمين الديني والطبيعي مثل الجنس السامي ، حتى ذهب بعضهم الى أن يعد الجنس السامي والحامي جنسا واحدا يعرف بالجنس « السامي الحامي » ، لما هنالك من تقارب بين أمم هذين الجنسين في اللغات وفي تطور الجماعات البشرية •• لذا جاء في الموسوعة العربية الميسرة التي اعتمدت على موسوعة « كولومبيا فايكنج دسك » واستفادت من التقسيم الآتي :

اللغات السامية

المجموعة	فروعها	المجموعة	فروعها
الاكادية	البابلية ، الآشورية	العربية	العربية الكلاسيكية ، العربية الحديثة ، الحميرية
الكنعانية	الفينيقية ، البونية ، العبرية •	الاثيوبية	الجعزية ، الامهرية
الآرامية	السريانية ، المندعية ، الآرامية الغربية •	الحامية ـ السامية	المصرية القديمة ، القبطية
الحامية	الليبية القديمة ، البربرية •	الكوشية	الجالا ، الصومالية ، البجا

ولتوضيح ذلك أكثر ولبيان موقع اللغة السريانية في المجموعة السامية للغات هذه المجموعة نقول : تنقسم هذه المجموعة الى أقسام رئيسة ثلاثة هي :

الشرقي أو الآشوري البابلي ، والغربي أو الكنعاني ، والجنوبي أو العربي • أما القسم الغربي الذي تعد السريانية فيه فيشمل اللغات الآتية :

الكنعانية ، والفينيقية ، والآرامية ، والعبرية ، والسريانية ، والتدمرية ، والنبطية •

و « السريانية » هي ـ في الاصل ـ اللهجة الآرامية الخاصة بمدينة « الرها » التي هي « أديسا Edessa » في اليونانية ، فالسريانية فرع من فروع اللغة الآرامية الشرقية ، وقد تطورت من لهجة « الرها » ومنطقتها وأصبحت لغة الكنائس المنشقة عن الكنيسة اليونانية الرسمية في سورية ، وما بين النهرين ، ولغة الادب والعلوم ، وصار سكان سورية يعرفون باسم « السريان » لان اسم « الآراميين » السابق لاعتناقهم المسيحية صار له مدلول وثني •

بقي سكان سورية يتكلمون السريانية مدة طويلة بعد الفتح العربي مع أن اللغة العربية الفصحى الدارجة أصبحت لغة الكتابة بين الطبقات المتعلمة الا أن اللغة الدارجة بقيت السريانية حتى حلت محلها شقيقتها اللغة العربية

مكتبة المهتدين الإسلامية

منذ بدء حركة تعريب الدولة العربية في عهد عبد الملك بن مروان وابنه الوليد ، وان ظلت الى الآن بعض القرى السورية في منطقة القلمون تتكلم السريانية الى جانب العربية · وبذلك كتب النصر للغة العربية على اللغة السريانية بعد دخولهما ما يسمى « صراع اللغات » الذي ينشأ عادة عن عوامل كثيرة أهمها عاملان : أحدهما أن ينزح الى البلد عناصر أجنبية تنطق بلغة غير لغة أهله · وثانيهما : أن يتجاور شعبان مختلفا اللغة ، فيتبادلان المنافع ، ويتاح لافرادهما فرص الاحتكاك المادي والثقافي ·

واذا ضربنا صفحا عن العامل الاول وهو انتفاء نزوح عناصر أجنبية لان اللغة السريانية والعربية من أرومة واحدة وأن كلا الشعبين من أصل واحد ودم واحد وكلاهما في الاصل من الجزيرة العربية نزحا منها على مراحل تاريخية معينة ·· وبهذا سهل على اللغة العربية السيطرة والاتساع كما حققت اللغة السريانية سابقا في العصور الميلادية الاولى مثل ذلك حيث كانت « الرها » المركز الثقافي السرياني الذي يقف تجاه « انطاكية » المركز الثقافي اليوناني في العصر الهلينستي ، ففي هذا العصر حققت السريانية نصرا عالميا على اللغات الاخرى على يد المبشرين « النساطرة » الذين انتشروا انتشارا تدريجيا في أواسط آسيا وأطراف الجزيرة العربية فأصبح كل مبشر نسطوري ــ الى حد ما ــ داعيا مسيحيا ، وفيلسوفا اغريقيا داعيا للفلسفة في ثوب سرياني ،

وبما أن الكنيسة التابعة للدولة البيزنطية الحاكمة في سورية في ذلك العهد كانت تستخدم اللغة الاغريقية في صلواتها وتعاليمها فقد حرص السريان على نبذ الاغريقية لغة المستعمرين ، وأحيوا لغتهم القومية « اللغة السريانية » ، فاحتفلوا « بسر سيدنا Sacrament » باللغة السريانية فقط ، وأخذوا على عاتقهم أن يكونوا لاهوتا محليا متميزا ، وفلسفة متميزة كذلك ، بالمادة المترجمة والشروح السريانية ، وأصبح ذلك هو الوسط الذي انتقل فيه عمل « ارسطوطاليس » والشراح الافلاطونيين المحدثين الى آسيا خارج الامبراطورية البيزنطية عبر الامبراطورية الفارسية ، وبذلك كان « النساطرة » السريان من المترجمين هم أول من قدم الفلسفة الهلينية وعلوم اليونان بعد ذلك الى العالم العربي الاسلامي بطريق عربية مأخوذة عن النسخ السريانية · ولا نبالغ ــ وفق قول بعضهم ــ مهما يكن قولنا في أهمية السريان السوريين في التمهيد لايجاد صورة شرقية للثقافة الهيلينية قبل الاسلام ، فهي في الحقيقة كانت تمهيدا لجعل اللغة العربية بعد ذلك وسطا عالميا لتبادل الفكر ، وبناء الحضارة العربية الاسلامية ، ونجد لدى السريان اضافة الى الفلسفة واللاهوت اهتماما عظيما بالطب ثم الكيمياء والفلك وهذا العلم الاخير عد وثيق الصلة بالطب ، لان الفلك لديهم ، وعند الشعوب القديمة كان ينظر اليه من الناحية التنجيمية ، كما كان يعد وثيق الصلة بحالات الحياة والموت ، والصحة والمرض ، لذا ازدهرت

http://www.al-maktabeh.com

« مدرسة جند يسابور » في منطقة « عربستان » ، « خوزستان » على يد السريان السوريين لان هذه المدرسة تحت رعاية أكاسرة الفرس ، وعلى يد أساتذتها السوريين الذين أسهموا اسهام آبائهم الآراميين في العصور القديمة السابقة لميلاد السيد المسيح ، حيث أصبحت اللغة الآرامية اللغة الدولية العالمية ، لـ الدبلوماسية ، ولغة الثقافة والحضارة ، وهذا الاسهام الهام قام به مرة أخرى حفدة الآراميين وهم السريان السوريون حيث كان أثرهم الحضاري والثقافي بين الحضارة الهيلينية السلوقية التي نمت وترعرعت على الارض السورية ، ووصلت الى الامبراطورية الفارسية من طرق خمس :

١ ـ النساطرة الذين اهتموا بالطب والفلك أكثر من غيرهما • ومدارسهم السريانية كانت في نصيبين والرها ورأس العين •

٢ ـ الزرادشتيون الفرس الموجودون في مدرسة جند يسابور التي أسهم بها العنصر النسطوري السوري اسهاما قويا في ازدهار هذه المدرسة علميا وعالميـا •

٣ ـ الوثنيون الحرانيون من مدينة « حران » الواقعة شمالي سورية على نهر البليخ ومنابعه •

٤ ـ الاسكندرية : التي يمكن تقسيم أثرها الى مرحلتين هما :

أ ـ مرحلة حكم البطالسة في مصر •

ب ـ مرحلة حكم الرومان لمصر •

وقد أسهمت هذه المدينة اسهامها العلمي عن طريق متحفها « بين العرائس Museon » وعن طريق مكتبتها العظيمة وفي هذه المدينة ولدت الفلسفة الافلاطونية الحديثة ، والفيثاغورثية الجديدة •

٥ ـ انطاكية : في العهد السلوقـي وفيها نبتت فكرة النساطرة الدينية حول طبيعة السيد المسيح • وعبادة الايقونات أو عدم عبادتها •

وهذه المراكز العلمية الحضارية التي تسربت علومها الى الدولة الفارسية تركت الاثر ذاته في بداية قيام الحضارة العربية الاسلامية لان العرب كما يبدو دخلوا دنيا العلوم بعد جيل أو جيلين من دخولهم بـلاد الشام ، وكان أول ما اهتموا به من هذه العلوم هو الطب تحقيقا للحديث النبوي : « العلم علمان ، علم الاديان ، وعلم الابدان » • لذا كان اهتمام الخليفة الاموي

مكتبة المهتدين الإسلامية

الورع به اهتماما كبيرا وهو الخليفة « عمر بن عبد العزيز » الذي طلب من طبيبه وصديقه « عبد الملك بن أبجر الكتانـــي » نقل مدرســـة الطب من « الاسكندرية » الى « انطاكية » ثم الى « حران » وكذلك كلفه بنقل أول كتاب طبي من السريانية الى العربية ، فكان هذا أول نقل في الاسلام (وكذلك كانت تلك المدرسة الطبية أول مؤسسة علمية في الاسلام ظهرت عـلى يد الامويين اضافة الى ما كان « الوليد بن عبد الملك » قد أسسه وهو « بيمارستان » فكان أول مستشفى في الاسلام اضافة الى اهتمام الامير الاموي « خالد بن يزيد » بعلم الكيمياء الذي كان يعرف لديهم باسم « علم الصنعة » حيث كان هذا الامير قد عهد الى هذا العالم الراهب « ماريانوس » بعد أن دعاه لكي يتلقى على يده أصول وتعاليم هذه الصنعة وتعاليم هذا العلم ، ووضع بين يدي هذا العالم الآلات والادوات والاموال اللازمة ، فكان ذلك نواة أول مركز أبحاث في الاسلام اضافة الى أن هذا الامير جمعت له الكتب فجعلها في خزانة أصبحت بعمله هذا أول مكتبة في دنيا العرب والاسلام ونواتها فأوليات العلوم العربية الاسلامية ونواتها سواء الدينية منها أو الدنيوية أنشئت في بلاد الشام وطورت تطويرا واسعا على أيدي العباسيين في بغداد بعد الاستقرار النسبي الذي ساد في عهد دولتهم وبعد انقضاء عصر حروب الفتح والتحرير وارتسام معالم الدولة العربية الاسلامية الكبرى على خريطة الوجود ٠٠

والخلاصة ان بداية تمازج الثقافات ونشاط حركة التأليف والترجمة تمت في العصر الاموي ثم ازدادت واتسعت في العهد العباسي ولا سيما في عهد « المأمون » حيث اتخذت شكلين متوازيين :

أولا ــ تدوين ما ترجم عن الثقافات الاخرى ، ولا سيما عن السريانية التي كان المتكلمون بها قد ترجموا الكثير من العلوم اليونانية ٠

ثانيا ــ بدء التأليف والتدوين العربيين ، وقد شمل الموضـــوعات ذات الطابع العربي الاسلامي ٠

ونحن في بحثنا الآن يهمنا الشكل الاول من الحركة العلمية العربية وهي حركة الترجمة والنقل الى العربية ٠ لقد قام بالمهمة الرئيســة والهامة بهـــا « السريان السوريون » تحت رعاية الخلفاء الذين أرسلوا الرسل الى القسطنطينية وغيرها من المدن الهلنستية ، وأرسلوا في بعض الاحيان الى أباطرة الروم أعدائهم الاقدمين يطلبون اليهم أن يمدوهم بالكتب العلمية اليونانية ولا سيما كتب الطب والعلوم الرياضية وهذه الاستدانة العلمية المثمرة كانت تجري بين الحضارات منذ أن وجدت ، فقد استدان اليونان قديما من الحضارة البابلية والمصرية والفينيقية ، وبهذه الاستدانة وصل كتاب « اقليدس » في

http://www.al-maktabeh.com

الهندسة الى يد العرب وغيره من أمهات الكتب العلمية ، فأنشا « المأمون » في بغداد عام / ٢١٥ هـ ـ ٨٣٠ م / « بيت الحكمة » وهو مجمع علمي أكاديمي ومعه مرصد فلكي ومكتبة عامة وهيئة من التراجمة أجرى عليهم الارزاق من بيت المال ، يقول فيه « فيليب حتي » : « ان هذا المعهد برهن على أنه أهم مجمع علمي شيد منذ انشاء جامعة الاسكندرية في النصف الاول من القرن الثالث قبل الميلاد ، وفي هذا المعهد ترجمت أمهات الكتب من اللغات المختلفة الى اللغة العربية ، وعين يحيى بن ماسويه لرئاسة هذا المجمع وهو الذي سبق له أن ترجم للخليفة الرشيد عددا من المخطوطات الطبية ، وقد ظل هذا المعهد يواصل نشاطه في خدمة الترجمة حتى انتهاء العصر العباسي الاول ٠٠ » ٠ ودامت هذه الاعمال المخصبة المثمرة منعام١٣٣هـ الى عام ٢٨٨ هـ (٧٥٠ ـ ٩٠٠ م) ٠

ان الاسلام مدين الى هذا المعهد العلمي باليقظة الكبرى التي اهتزت بها أرجاؤه والتي تشبه في أسبابها ـ انتشار التجارة ، واعادة كشف كنوز اليونان وفي نتائجها ازدهار العلوم والفنون ٠

طرق الترجمة وأشهر الكتب المترجمة على يد السريان :

وهي تتعلق بلغة المترجمين وطريقتهم في الترجمة أولا ، ثم تتعلق وتتصل بثقافتهم العلمية والادبية وتمكنهم من اللغة التي ينقلون اليها ثانيا ٠ اضافة الى وجود فريق من المترجمين يتعصب للثقافة الفارسية ، وفريق آخر يتعصب للثقافة اليونانية ، فكان ذلك ثمرة من ثمار نبات الشعوبية في العالم العربي الاسلامي ، وهو شبيه بما كان يجري في الوطن العربي قبل مدة من خصومات حول التعصب للثقافة اللاتينية أو للثقافة السكسونية ، وأخيرا للثقافة السلافية ، فكان على أصحاب هذه المعركة الثقافية في العصر العباسي أن يبرزوا مناقب الثقافة التي يتعصبون لها مما اضطرهم أحيانا الى اختراع الكتب ونسبتها الى من يتوهمون من أبناء الفرس أو اليونان ابرازا لفضلهم وتمجيدا لهم ومن هنا أخرجوا للناس طائفة من المؤلفات المنحولة نسبوها الى كبار رجال الفكر ٠٠ أما « السريان » فانهم قل منهم من اتصل بالثقافة العربية ولغتها اتصالا وثيقا باستثناء « حنين بن اسحق » الذي تلقى علوم العربية على « الخليل بن أحمد الفراهيدي » ٠ ولكن كان أكثر المترجمين السريان لا يرجعون الى علم متين بالعربية وأصولها ، ومنهم من كان يلجأ الى بعض الكتاب ليقوم له عبارته ، فغير غريب ـ كما يقول الدكتور شكري محمد عياد ـ أن ينكر الذوق العربي كثيرا من هذه الترجمات ، وأن يقف الاديب « الجاحظ » موقف الشك من مقدرة أولئك المترجمين ، أو النحوي « السيرافي » الذي وقف موقف الزراية من كثير من المترجمين والهزء بهم ، وبرغم ذلك فالترجمات العربية والسريانية

مكتبة المهتدين الإسلامية

فقد منها الكثير وبقي غيره مخطوطا في بطون المكتبات . ومن المستشرقين الذين عنوا ببحث أساليب الترجمات السريانية والعربية « بونيون » و « رسل » و « برجشتراسر » .

يقول « بونيون Pognon » في مقدمة الترجمة السريانية لجوامع أبقراط :

« ان الترجمة السريانية للجوامع هي ترجمة جد أمينة ، أو على الاصح مفرطة في الامانة ، للنص اليوناني ، وربما عمدت الى الحرفية التي تجعلها خلوا من المعنى . ولا يمكننا مع الاسف أن نستنتج من هذه الحقيقة العصر الذي عملت فيه ، لان الترجمة الحرفية كانت عيبا في كثير من المترجمين السريان . ولست أزعم أن السريان لم تكن عندهم قط ترجمات واضحة مكتوبة بلغة سليمة . ولكن أكثر الترجمات التي وصلت الينا يشوب اسلوبها كثير من الغموض ، وتراكيبها كثير من الخطأ ، ونجد فيها كلمات استعملت في غير معانيها لان المترجم أراد أن يؤدي النص السرياني أداء حرفيا مسرفا . كان المترجمون السريان اذا صادفوا فقرة صعبة اكتفوا بترجمة كل كلمة يونانية بكلمة سريانية دون أن يحاولوا بحال ما كتابة عبارة تفهم ، واننا لنجد في هذه الترجمات أيضا كثيرا من العبارات الخاطئة ، بل عبارات لا تفيد المعنى ما . وأخيرا فاني أعتقد ان المترجمين كانوا اذا جهلوا معنى كلمة يونانية لا يتحرجون البتة أن ينقلوها بحروف سريانية ، تاركين لقارئهم جهد البحث عما يفيد تلكم الرطانة التي ابتدعوها » .

ويقول مستشرق آخر وهو المستشرق « برجشتراسر » في مدح بعض المترجمين السريان الجيدين حيث يقول مشيرا الى طريقة حنين بن اسحق في الترجمة ما يأتي :

« ان حنينا وحبيشا أفضل تلاميذه تجشما عناء كبيرا في التعبير عن معنى الاصول اليونانية بقدر ما يستطاع من الوضوح ، وكانا يترجمان ترجمة حرفية حتى لو ضحيا في ذلك بجمال اللغة وحسن تنسيقها » .

وهكذا نجد أن الاحكام السابقة على المترجمين نجدها تلتقي عند قدماء علماء أمتنا في قولهم عن المترجمين السريان ، هذا « ابن أبي أصيبعة » يذكر بعد أن يمتدح نقل حنين وتلاميذه اسحق وحبيش وعيسى بن يحيى ، وبعض من يقاربهم في هذه الطبقة كقسطا بن لوقا ، وأيوب الابرش مترجمين آخرين لا يشبهونهم في جودة النقل ، فيقول عن « هلال بن أبي هلال الحمصي » :

« كان صحيح النقل ولم يكن عنده فصاحة ولا بلاغة في اللفظ » . ويقول عن آخر هو « فثيون الترجمان » : « وجدت نقله كثير اللحن ولم يكن يعرف

http://www.al-maktabeh.com

علم العربية أصلا » • بينما يقول عن « اسطفان بن بسيل » : « وكان يقارب حنين بن اسحق في النقل الا أن عبارة حنين أفصح وأحلى » • ويقول عن « يوسف الناقل » : « كانت عبارته لكنة وليس نقله بكثير الجودة » •

من الاقوال السابقة التي اقتطفناها لبعض المستشرقين وقول أحد القدماء العرب نجد أن السريان في نقلهم من اليونانية الى لغتهم السريانية ، أو في نقلهم من السريانية الى العربية ، أو في نقلهم من اليونانية الى العربية مباشرة كانت تتفاوت مترجماتهم بحسب مكنة كل منهم من اللغة التي ينقل منها ، واللغة التي ينقل اليها وهذا أمر طبيعي في كل عصر وزمان ومكان وقد أحسن التعبير عن ذلك الاستاذ « وديع فلسطين » حيث يقول : « فالفهم يسبق النقل ، ولا بد لفهم المتن المراد نقله من اجادة اللغة التي كتب بها ، ومعرفة دقائقها وقواعدها ، وآدابها وشواذها وشواردها • ولا بد قبل النقل من اجادة اللغة التي ينقل اليها النص » •

استمر العمل في القيام بترجمة التراث اليوناني للعلوم على يد السريان في ظل الاسلام وتحت رعاية الخلفاء والتعريب معا وقد بدأ « عبد الملك » وابنه « الوليد » التعريب الذي استمر في العهد العباسي وكان سعي العرب سعيا منظما للاطلاع على الآثار الحضارية لليونان وغيرهم اطلاعا ذاتيا • فكثير اذا من العلوم ومخطوطاتها ترجمت أولا الى السريانية ، وهي ـ كما أسلفنا ـ لغة سامية ـ ثم ترجمت الى العربية أو ترجمت مباشرة من الاغريقية الى العربية ، وفي الحالتين ـ كما يقول « كلود كاهن » ـ « تعرض المترجمون الى مشاكل صعبة في قضية الملاءمة بين لغتين تختلفان من الناحية البنيوية اختلافا كبيرا • وانه لا بد من التنويه بأنه لا توجد وقتئذ معاجم بين يدي هؤلاء المترجمين » • ثم يردف قائلا : « ونحن لا يسعنا الا أن نعجب بدقة العمل الذي أنجزوه ، كلما سنحت لنا فرصة المقارنة • وهناك ، بالاضافة الى ذلك ، آثار قديمة مفقودة في التراث اليوناني لم يحتفظ بها الا عن طريق العربية » •

أقول بعد كل ما تقدم من القول في أهمية تلك الترجمات برغم ما عرض من الهنات والصعوبات : انه تسهيلا لبحثي ، وللاحاطة به وبموضوعات الكتب المنقولة للغة العربية من اليونانية أو عن طريق السريانية فاني أقسم تلك الكتب المترجمة بحسب موضوعاتها التي كان أكثرها في الفلسفة والطب والرياضيات والفلك ، وفروع العلوم الاخرى معتمدا في هذا التقسيم والترتيب على تقسيم الاستاذ العاطر الذكر « جورجي زيدان » وترتيبه حيث كان تقسيمه بحسب كل علم وحده ، ومرتبة بحسبان المؤلفين اليونانيين ، وازاء كل كتاب اسم المترجم السرياني الذي قام بنقله الى العربية أو قام باصلاح تلك الترجمة •

مكتبة المهتدين الإسلامية

١ ـ كتب الفلسفة والادب :

أولا ـ كتب أفلاطون

كتاب السياسة	نقله	حنين بن اسحق
كتاب المناسبات	نقله	يحيى بن عدي
كتاب النواميس	نقله	حنين ويحيى
كتاب طيماوس	نقله	ابن بطريق ، وأصلحه حنين
كتاب أفلاطن الى أقرطن	نقله	يحيى بن عدي
كتاب التوحيد	نقله	يحيى بن عدي
كتاب الحس واللذة	نقله	يحيى بن عدي
كتاب أصول الهندسة	نقله	قسطا بن لوقا

ثانيا ـ كتب أرسطوطاليس

قاطيغورياس ، أي المقولات	نقله	حنين بن اسحق
كتاب العبارة	نقله	حنين بن اسحق وابنه اسحق الاول نقله الى السريانية ، والثاني الى العربية
كتاب تحليل القياس	نقله	ثيادورس (أصلحه حنين)
كتاب البرهان	نقله	اسحق الى السريانية و « متى » الى العربية
كتاب الجدل	نقله	اسحق الى السريانية و « يحيى » الى العربية
كتاب المغالطات أو الحكمة المموهة	نقله	ابن ناعمة وأبو بشر الى السريانية و « يحيى » الى العربية
كتاب الخطابة	نقله	اسحق وأبراهيم بن عبد الله
كتاب الشعر	نقله	أبو بشر من السريانية الى العربية
كتاب السماع الطبيعي	نقله	أبو روح الصابي ، وحنين ، ويحيى ، وقسطا ، وابن ناعمة
كتاب السماء والعالم	نقله	ابن البطريق وأصلحه حنين
كتاب الكون والفساد	نقله	حنين الى السريانية ، واسحق ، والدمشقي الى العربية
كتاب الآثار العلوية	نقله	أبو بشر ، ويحيى

http://www.al-maktabeh.com

كتاب النفس	نقـــله	حنين الى السريانية ، واسحق الى العربية
كتاب الحس والمحسوس	نقـــله	أبو بشر متى بن يونس
كتاب الحيوان	نقـــله	ابن البطريق
كتاب الحروف أو الالهيات	نقـــله	اسحق ، ويحيى ، وحنين ، ومتى
كتاب الاخلاق	نقـــله	اسحق
كتاب المرآة	نقـــله	الحجاج بن مطر
كتاب أثولوجيا	نقـــله	الحجاج بن مطر
كتاب تدبير الاصحاء	نقـــله	حبيش الاعسم ابن أخت حنين
كتاب العلل الباطنية	نقـــله	حبيش الاعسم
كتاب النبض الكبير	نقـــله	حبيش الاعسم
كتاب حيلة البرء	نقـــله	حبيش الاعسم
كتاب اختلاف التشريح	نقـــله	حبيش الاعسم
كتاب التشريح الكبير	نقـــله	حبيش الاعسم
كتاب تشريح الحيوان الحي	نقـــله	حبيش الاعسم
كتاب تشريح الحيوان الميت	نقـــله	حبيش الاعسم
كتاب علم أبقراط بالتشريح	نقـــله	حبيش الاعسم
كتاب الحاجة الى النبض	نقـــله	حبيش الاعسم
كتاب علوم أرسطو	نقـــله	حبيش الاعسم
كتاب تشريح الرحم	نقـــله	حبيش الاعسم
كتاب آراء أبقراط وأفلاطون	نقـــله	حبيش الاعسم
كتاب العادات	نقـــله	حبيش الاعسم
كتاب خصب البدن	نقـــله	حبيش الاعسم
كتاب المنى	نقـــله	حبيش الاعسم
كتاب منافع الاعضاء	نقـــله	حبيش الاعسم
كتاب تركيب الادوية	نقـــله	حبيش الاعسم
كتاب الرياضة بالكرة الصغيرة	نقـــله	حبيش الاعسم
كتاب الرياضة بالكرة الكبيرة	نقـــله	حبيش الاعسم
كتاب الحث على تعليم الطب	نقـــله	حبيش الاعسم
كتاب قوى النفس ومزاج البدن	نقـــله	حبيش الاعسم

مكتبة المهتدين الإسلامية

٢ ـ كتب الطب وفروعه :

أولا ـ كتب أبقراط

كتاب عهد أبقراط	نقـــله	حنـين الى السـريانيـة وحبيش وعيسى الى العربية
كتاب الفصول	نقـــله	حنين لمحمد بن موسى بن شاكر
كتاب الكسر	نقـــله	حنين لمحمد بن موسى بن شاكر
كتاب تقدمة المعرفة	نقـــله	حنين وعيسى بن يحيى
كتاب الامراض الحادة	نقـــله	عيسى بن يحيى
كتاب ابيذيميا	نقـــله	عيسى بن يحيى
كتاب الاخلاط	نقـــله	عيسى بن يحيى لاحمد بن موسى ابن شاكر
كتاب قاطيطيون	نقـــله	حنين لمحمد بن موسى بن شاكر
كتاب الماء والهواء	نقـــله	حنين وحبيش
كتاب طبيعة الانسان	نقـــله	حنين وعيسى

ثانيا ـ كتب جالينوس

كتاب الفرق	نقـــله	حنـين
كتاب الصناعة	نقـــله	حنـين
كتاب النبض	نقـــله	حنـين
كتاب شفاء الامراض	نقـــله	حنـين
كتاب المقالات الخمس	نقـــله	حنـين
كتاب الاسطقصات	نقـــله	حنـين
كتاب المزاج	نقـــله	حنـين
كتاب القوى الطبيعية	نقـــله	حنـين
كتاب العلل والامراض	نقـــله	حنـين
كتاب الحميات	نقـــله	حنـين
كتاب البحران	نقـــله	حنـين
كتاب أيام البخران	نقـــله	حنـين
كتاب الحركات المجهولة	نقـــله	حنـين
كتاب علل الصوت	نقـــله	حنـين
كتاب أفضل الهيئات	نقـــله	حنـين

http://www.al-maktabeh.com

كتاب سوء المزاج المختلف	نقــله	حنـين
كتاب الادوية المفردة	نقــله	حنـين
كتاب المولود لسبعة أشهر	نقــله	حنـين
كتاب رداءة التنفس	نقــله	حنـين
كتاب الذبول	نقــله	حنـين
كتاب قوى الاغذية	نقــله	حنـين
كتاب التدبير الملطف	نقــله	حنـين
كتاب مداوة الامراض	نقــله	حنـين
كتاب أبقـراط في الامراض الحـادة	نقــله	حنـين
كتاب الى تراسوبولوس	نقــله	حنـين
كتاب الطبيب والفيلسوف	نقــله	حنـين
كتب أبقراط الصحية	نقــله	حنـين
كتاب محنة الطبيب	نقــله	حنـين

والكتب التي قام باصلاح ترجمتها فكانت الآتية :

كتاب حركات الصدر	نقــله	اصطفان وأصلحه حنين
كتاب علل النفس	نقــله	اصطفان وأصلحه حنين
كتاب حركة العضل	نقــله	اصطفان وأصلحه حنين
كتاب الحاجة الى النفس	نقــله	اصطفان وأصلحه حنين
كتاب الامتلاء	نقــله	اصطفان وأصلحه حنين
كتاب المرة السوداء	نقــله	اصطفان وأصلحه حنين
كتاب أفلاطون في طيماوس	نقــله	حنين واسحق
كتاب الفصد	نقــله	عيسى وأصلحه اصطفان
كتاب تقدمة المعرفة	نقــله	عيسى
كتاب صفات لصبي يصرخ	نقــله	ابن الصلت
كتاب الاورام	نقــله	ابن الصلت
كتاب الكيموس	نقــله	ثابت وحبيش
كتاب الادوية والادواء	نقــله	عيسى
كتاب الترياق	نقــله	ابن البطريق

مكتبة المهتدين الإسلامية

٦ ـ كتب أبرخس :

له كتاب « صناعة الجبر » الذي يعرف بـ « الحدود » نقل هذا الكتاب وأصلحه « أبو الوفاء محمد بن محمد الحاسب » · وكان هذا الكتاب قد شرحه أبرخست وعلله هندسيا ، وله كتاب « قسمة الاعداد » لم يعرف ناقله ·

٧ ـ كتب ذيوفنطس :

من كتبه « صناعة الجبر » لم يعرف ناقله ونشره مؤخرا الدكتور « رشدي راشد » ونسب نقله الى « قسطا بن لوقا » الذي كان قد ترجم أربع مقالات منه من أصل سبع ·

واذا أضفنا الى هذه الكتب العلمية التي قام السوريون السريان بنقلها الى اللغة العربية منها كتاب « العمل في الاسطرلاب المسطح » لابيون البطريق ، وكتاب « جرم الشمس والقمر » لاسطرخوس ، وكتاب « العمل بذات الخلق » ، وكتاب « جداول زيج بطليموس » المعروف بـ « القانون المسير » ، وكتاب « العمل بالاسطرلاب » وكلاهما لـ « ثاون الاسكندري » ومن كتب الميكانيك (علم الحيل) غير ما ورد سابقا من كتب « أرخميدس » نجد كتاب « الحيل الروحانية » ، وكتاب « شيل الاثقال » « لايرن » ، وكتاب « استخراج المياه » لمؤلفه « بادروغوغيا » ، وكتاب « الآلات المصوتة على ستين ميلا » لـ « مورطس » · ومقالات في الموسيقى لـ « فيثاغورس » ، وكتاب الريموس وكتاب « الايقاع » لـ « رسطكاس » ، وكتاب « الآلات المصوتة » المسماة الارغن البوقي ، والارغن الزمري لـ « مورطس » أيضا ·

أهم المترجمين السريان :

كان أكثر المترجمين السريان يورثون أعقابهم هذه المهنة العلمية الرشيدة ، فيتولاها المترجم هو وأولاده وأعقابه من الحفدة وحفدة الحفدة · واليكم أهم النقلة في العصر العباسي :

١ ـ **أسرة بختيشوع** : وهم من السريان النساطرة ، وأولهم « جورجيس ابن بختيشوع » طبيب الخليفة المنصور ، خلف « جورجيس » ابنه « بختيشوع » الذي استقدمه الخليفة الرشيد من جنديسابور ، ثم خلفه ابنه « جبريل » الذي خلفه ابنه « بختيشوع » ·· ثم جاء « عبيد الله » ثم « عبيد الله بن جبريل » وغيرهم ·

٢ ـ **أسرة حنين** : أولهم « حنين بن اسحق العبادي » شيخ المترجمين ـ كما يسميه جرجي زيدان ـ وهو من نصارى الحيرة ، ويمكن أن يعد

http://www.al-maktabeh.com

من السريان لانه أكثر احتكاكا بهم وقد تلقى العلم على يدهم ، وصار أعلم أهل زمانه بالسريانية والفارسية واليونانية ، ويكفيه فخرا انه لما أراد « المأمون » نقل فلسفة اليونان الى العربية سأل عمن يستطيع ذلك فأرشد الى حنين ، وكان المأمون يعطيه من الذهب زنه ما ينقله الى العربية وكذلك كان « حنين » يترجم أيضا لبني شاكر • واشتغل حنين في زمن الخليفة « المتوكل » فاختاره لرئاسة الترجمة ، فعين جماعة من التراجمة كاصطفان بن باسيل ، وموسى بن خالد وغيرهما، فكانوا يترجمون ويتصفح«حنين» ترجماتهم وينقحها • ويقول عن نفسه : انه ترجم وحده الى اللغة السريانية مائة رسالة من الرسائل التي تعود الى « جالينوس » ومدرسته ، كما انه نقل الى العربية تسعا وثلاثين رسالة أخرى • وبفضل ترجمته هذه نجت بعض مؤلفات جالينوس من الفناء والضياع • كما انه ترجم فضلا عن تلك الرسائل السالفة الذكر كتب المقولات وهي عند العرب تعرف باسم (قاطيغورياس) والطبيعة وكتاب الاقرباذين وغيرها من الكتب التي وردت سابقا في جداول الكتب المترجمة الى العربية • وكان ابنه « اسحق بن حنين » يساعد أباه في أعمال الترجمة ثم خلفه على هذا العمل • وفي حياة والده انقطع عنه وصار ينقل للقاسم بن عبيد الله وزير المعتضد • وكان له فضلا عن المنقولات مؤلفات في الطب والصيدلة وغيرهما •• وترجع أهمية « حنين » أيضا الى مؤلفاته الخاصة ومن أهمها « المدخل في الطب » وكتاب « المولدين » وغيرهما واشتهر من تلامذته في الترجمة اضافة الى ابنه اسحق ابن أخته « حبيش » •

٣ ـ حبيش الاعسم الدمشقي : هو « حبيش بن الحسن الدمشقي » ابن أخت « حنين بن اسحق » ، وقد تعلم صناعة الطب منه ، وقد تتلمذ عليه في فن الترجمة والنقل وقيل : ان أكثر ما نقله « حبيش » كان ينسب الى حنين لانه كثيرا ما كان الناس حين يرون كتبا من الكتب القديمة مترجما بيد حبيش ، يظنونه لحنين وقد صحف ، فيكشطه ويجعله لحنين •

٤ ـ قسطا بن لوقا البعلبكي : وهو من نصارى الشام وكان طبيبا حاذقا ، وفيلسوفا نبيلا عالما باللغات السريانية واليونانية والعربية التي نقل اليها من اليونانية كتبا كثيرة ، كما أصلح كثيرا من النقول ، وكانت مؤلفاته كثيرة في الطب والتاريخ والفلسفة والجبر والمقابلة والهندسة وغيرها من العلوم ••

٥ ـ أسرة ماسرجويه : أولهم « ماسرجويه » وهو يهودي الدين سرياني اللغة ، وكان ينقل من السريانية الى العربية خلفه ابنه « عيسى » ، وله ولابيه مؤلفات طبية •

٦ ـ أسرة الكرخي : كان أول تراجمة هذه الاسرة « شهدي الكرخي » ، ثم ابنه الذي فاق والده في جودة الترجمة وكان ينقل من السريانية الى العربية •

مكتبة المهتدين الإسلامية

وهناك الكثير من الكتب ـ كما يذكر الاستاذ جورجي زيدان في الطب وتوابعه ذكرها صاحب « الفهرست » ولم يذكر ناقليها ، مع أن مؤلفيها مشهود لهم بطول الباع · من هذه الكتب بضعة وعشرون كتابا لروفس الذي عاش قبل عصر « جالينوس » وكذلك بضعة كتب لاورباسيوس ، وهي كتاب الادوية نقله « اصطيفان بن باسيل » وكتاب السبعين مقالة نقله « حنين » و « عيسى بن يحيى » الى السريانية ، وكتاب ابنه » اسطاث « نقله « حنين » ، وكتاب الى أبيه « أرنافيس » نقله « حنين » أيضا · وكتاب « الحشائش » كتبه وجمع مواده « ديسقوريدس العين زربي » · وكتاب « البرسام » نقله « ابن البطريق » الى العربية ومؤلفه اسكندروس وغيرها من الكتيبات والرسائل والموضوعات الطبية التي نقلت مما لا يعرف ناقلوها ·

٣ ـ كتب الرياضيات والفلك والعلوم الاخرى :

ويشتمل ذلك على علم الهندسة والحساب والموسيقى والميكانيك (علم الحيل) والكيمياء وغيرها من العلوم ويمكن تقسيمها أيضا بحسب مؤلفيها الى :

١ ـ كتب أقليدس :

ـ أصول الهندسة : نقله الحجاج بن مطر واسمه « الاسطروشيا » ·

ـ أصول الهندسة : نقله اسحق بن حنين وأصلحه « ثابت بن قره » ·

ـ أصول الهندسة : نقله « أبو عثمان الدمشقي » ·

ومن كتب « أقليدس » التي لم يعرف ناقلوها الى العربية : كتاب « الظاهرات » ، وكتاب « اختلاف المناظر » ، وكتاب « الموسيقى » ، وكتاب « القسمة » ، وكتاب « القانون » ، وكتاب « الثقل والخفة » ·

٢ ـ كتب ارخميدس : « ارشميدس » : الذي نقلت من كتبه عشرة لم يعرف ناقلوها وقد أوردها « ابن النديم » في « الفهرست » كما يلي :

كتاب « الكرة والاسطوانة » ، كتاب « تربيع الدائرة » ، كتاب « تسبيع الدائرة » ، كتاب « الدوائر المماسة » ، كتاب « المثلثات » ، كتاب « الخطوط المتوازية » ، « كتاب المأخوذات في أصول الهندسة » ، كتاب « المفروضات » ، « كتاب خواص المثلثات القائمة الزوايا » ، كتاب « آلة ساعات الماء التي ترمي بالبنادق » · نلاحظ أن أغلب هذه التي يطلق عليها اسم الكتب كانت عبارة عن مقالة أو مقالتين دونها « أرخميدس » ثم نقلت الى اللغة العربية ·

http://www.al-maktabeh.com

٣ ـ كتب « أبلونيوس »، نقلت من كتبه :

« المخروطات » ، « قطع السطوح » ، « قطع الخطوط » ، « النسبة المحدودة » ، « الدوائر المماسة » اشترك في نقلها أو بعض مقالاتها « أحمد بن موسى هلال بن أبي هلال الحمصي » و « ثابت بن قرة » • والمقالات الاخرى لم يعرف ناقلوها •

٤ ـ كتب منالاوس : له كتاب « الاشكال الكروية » ، وكتاب « أصول الهندسة » نقله الى العربية « ثابت بن قرة » ، كتاب « في معرفة كمية تمييز الاجرام المختلطة » ، وأخيرا كتاب « المثلثات » الذي كما يذكر صاحب «الفهرست» خرج من هذا الكتاب الى العربية شيء يسير •

٥ ـ بطليموس القلوذي : صاحب كتاب « المجسطي » الشهير الذي ترجم الى العربية بهذا الاسم ، وهو في اليونانية اسمه « النظام الرياضي » الذي سماه العرب باسم التفضيل اليوناني « المجسطي Al-Me'giste' » « الاعـظم » الذي تأثروا بأبحاثه ، ثم نقدوا الكثير منها لما توسعوا في العلم والمعرفة مع أنه ظل معترفا به حتى عصر النهضة الاوربية في عهد « كوبرنيكوس » • وتبدو أهميته للعرب فيما يذكر صاحب « الفهرست » عن كثرة نقلته الى العربية والقيام الكثير منهم باصلاح هذا النقل وتفسيره ، فيذكر لنا أن أول من عني بتفسيره واخراجه الى العربية « يحيى بن خالد بن برمك » ، ففسره له جماعة فلم يتقنوه ، ولم يرض ذلك ، فندب لتفسيره أبا حسان وسلما صاحب بيت الحكمة ، فأتقناه واجتهدا في تصحيحه بعد أن أحضرا النقلة المجودين فاختبرا نقلهم وأخذا بافصحه وأصحه ، وقد قيل ان « الحجاج بن مطر » نقله أيضا ، فأما الذي عمله « النيروزي » ، وأصلح « ثابت » الكتاب كله بالنقل القديم ، ونقل « اسحق » هذا الكتاب وأصلحه « ثابت » نقلا غير مرض لان اصلاحه الاول أجود • وله من الكتب بعد ذلك : كتاب الاربعة كتبه الى سوري تلميذه ، نقل هذا الكتاب « ابراهين بن الصلت » ، وأصلحه « حنين بن اسحق » وفسر المقالة الاولى « وطوقيوس » ، وجمع المقالة الاولى « ثابت » • وأخرج معانيها وفسره « عمر بن الفرخان » و « ابراهيم بن الصـلت » و « النيريـزي » و « البتاني » نقل كتاب « المواليد » وكتاب « الحرب والقتال » وكتاب « استخراج السهام » وكتاب « تحويل سني العالم » وكتاب « تحويل سني المواليد » ومن الكتب الاخرى التي نقلها البتاني كما جاء في « الفهرست » كتاب « المرض وشرب الدواء » و « في السير السبعة » و « في الاسراء والمحبسين » ، و « في أسر السعود واصطناعها » ، و « الخصمين أيهما يفلح » ، و « ذوات الذوائب » وكتاب « اقتصاص أحوال الكواكب » •• وأخيرا كتاب « الجغرافيا في المعمور وصفة الارض » وهو كتاب في ثماني مقالات نقل للكندي نقلا رديئا ثم نقله « ثابت » الى العربة نقلا جيدا ، ويوجد في السريانية •

مكتبة المهتدين الإسلامية

٧ ـ **أسرة ثابت** : أهمهم وأولهم « ثابت بن قرة الحراني » وهو من الصابئة المقيمين في حران • وكان يعرف السريانية جيدا ومن ثم كان يجيد النقل الى العربية اضافة الى خبرته العلمية في الطب والفلك والفلسفة لذا ترك الكثير من المصنفات والتآليف في هذه العلوم ، وقد أخذ مكانة في الرقي بالدراسات الفلسفية والطبية ، وقد ترجم وأصلح هو تلاميذه وهذب كثيرا من الترجمات التي تمت قبله وأصبح بعد ذلك أعز صديق للخليفة « المعتضد » وواصل أولا « ثابت » وحفدته القيام بالاعمال العلمية التي كان أبوهم وجدهم يقومان بها • وقد حذا حذوه ابناه « ابراهيم » و « سنان » وحفيداه « ثابت » « وابراهيم » وابنان لحفدته هما « اسحق » و « أبو الفرج » •

٨ ـ **الحجاج بن مطر** : كان في جملة من ترجم للخليفة « المأمون » ، وقد نقل « المجسطي واقليدس » الى العربية ، ثم أصلحه « ثابت بن قرة » •

٩ ـ **ابن ناعمة الحمصي** : هو « عبد المسيح بن عبد الله الحمصي الناعمي وهو في النقل الى الجودة أقرب ، ومن بيت الناعمة الحمصي كان « زوربا بن مانحوه » وكان أضعف من سابقه في النقل والترجمة •

١٠ ـ **اصطفان بن باسيل** : كان يقارب في جودة النقل « حنين بن اسحق » الا أن عبارة حنين كانت أفصح وأحلى •

١١ ـ **موسى بن خالد** : ويعرف بالترجمان ، نقل كتبا كثيرة من الستة عشر لجالينوس ، وهو دون براعة « حنين » •

١٢ ـ **سرجيس الرأس عيني** : من مدينة رأس العين السورية ، نقل كتبا كثيرة ، وكان متوسطا في النقل ، يقوم « حنين » باصلاح نقله •

١٣ ـ **يوحنا بن بختيشوع** : من أسرة بختيشوع المتقدمة الذكر • ينقل من اليونانية الى السريانية ، لا العربية •

١٤ ـ **البطريق** : كان من النقلة في أيام الخليفة العباسي « المنصور » الذي أمره بنقل بعض الكتب القديمة وله نقل كثير جيد الا أنه دون نقل « حنين » •

١٥ ـ **يحيى بن البطريق** : كان في جملة التي جمعها حوله « الحسن بن سهل » من العلماء • كان « يحيى » لا يعرف العربية معرفة جيدة ، ولا اليونانية ، وانما كان يعرف اللاتينية •

http://www.al-maktabeh.com

١٦ ـ **أبو عثمان الدمشقي** : كان من النقلة الجيدين الى اللغة العربية ٠

١٧ ـ **أبو بشر متى بن يونس** : من أهل دير قنى ، تفقه في مدرسة « مار ماري » السريانية على يد أساتذة عظام واليه انتهت رئاسة المنطقيين في عصره ، وقد مات ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة هجرية ٠

١٨ ـ **يحيى بن عدي** : من أهل المنطق في القرن الرابع للهجرة ، قرأ على « متى بن يونس » ، وعلى « أبي نصر الفارابي » ، وهو يعقوبي المذهب خلافا لاكثر المترجمين السريان ٠ ـ اذ كانوا نساطرة ـ وكان سريع الخط يكتب في اليوم والليلة مائة ورقة ـ كما يذكر لنا صاحب الفهرست ـ ٠

هؤلاء أشهر نقلة العلوم في العصر العباسي من السريان ينقلون من السريانية الى العربية أو من اليونانية الى العربية ، وبينما كان المسلمون يعيشون في هذه النهضة العلمية في القرون الوسطى ، ولم يقفوا عند علوم اليونان بل تجاوزوها الى الترجمة من الفارسية والهندية في الوقت ذاته كانت علماء اليونان غير معروفين تقريبا للاوربيين وفي ذلك يقول « حتي » : انه « بينما كان الرشيد والمأمون يخرجان كنوز الفلسفة اليونانية والفارسية كان معاصروهم في الغرب من أمثال شارلمان وسادة مملكته يتعثرون في تعلم أسمائهم » ٠

تلك كانت أهم النواحي الثقافية التي أخذها العرب عن الامم الاخرى ، فامتزجت كلها ببعضها بعضا ، وكتبت بلغة العرب ، فاطلع عليها من لا يحسن اللغات الأجنبية ، ولا سيما اليونانية ، فمزجوا بثقافتهم العربية الادبية والعلمية ، فنتج من عملية المزج هذه مع ما استجد لديهم من الابحاث العلمية التي ابتكروها نتيجة تقدمهم الحضاري مما أدى الى ظهور ثقافة علمية جديدة كتبت بلغة واحدة هي اللغة العربية التي سادت وامتدت من الاطلسي غربا الى حدود الصين شرقا ، فالعرب لم ينشؤوا امبراطورية فحسب بل أنشؤوا ثقافة زاهرة أيضا ، بعد أن ورثوا الحضارات السامية القديمة التي ازدهرت على ضفاف الرافدين ووادي النيل وعلى أطراف البحر المتوسط الشرقية ، وكذلك تعرفوا على معالم الحضارة اليونانية والرومانية واستفادوا منها ، وكانوا وحدهم حاملين لواء العلم والحضارة في القرون الوسطى ، فدحروا بربرية أوربا التي زلزلتها عصور الجهل والظلام وقام العرب تجاهها مقام المعلم والاستاذ مما أدى بأوربة الى يقظة ونهضة مهدت الطريق لتبوء مكانتها العالمية الآن في عصر ريادة الفضاء ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

مصـــادر البحث

تاريخ الادب السرياني	تاليف د٠ مراد كامل و د٠ محمد حمدي البكري ٠
تاريخ اللغات السامية	تاليف د٠ امرائيل ولفنسون ٠
اللغة العبرية	تاليف ربحـــي كمال
لبنان في التاريخ	تاليف د٠ فيليب حتي
تاريخ سورية ولبنان وفلسطين	تأليف د٠ فيليب حتي
تاريخ العرب	تأليف د٠ فيليب حتي
ملامح يونانية في الادب العربي	تأليف د٠ احسان عباس
الاصول اليونانية للنظريات السياسية في الاسلام	تاليف الاستاذ عبد الرحمن بدوي
كتاب أرسطوطاليس في الشعر	نقله أبو بشر متى بن يونس ، حققه د٠ شكري محمد عياد
فن الترجمــة	تأليف الاستاذ محمد عبد الغني حسن ٠
تاريخ التمدن الاسلامي	تأليف الاستاذ جرجي زيدان ، الجزء الثالث ٠
قصــة الحضارة	تأليف ول ديورانت ، ترجمة محمد بدران ، الجزء الثاني والثالث عشر ٠
تاريخ الحضـــارة	تأليف د٠ جورج حداد ٠
خطط الشـــام	تأليف محمد كرد علي ، الجزء الرابع ٠
الحركة العلمية في دمشق عاصمة الامويين بين القرنـــين الاول والثاني الهجريين ٠	تأليف صلاح الدين الخالدي ، أسبوع العلم التاسع عشر (الاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجري) ٠
الخط العربي وتطوره في العصور العباسية في العراق	تأليف سهيلة ياسين الجبوري ٠

How Greek Science Passede to the Arabs.	De Lacy O. Leary
L'Islam	Dominique Sourdel
Muslim Thougt its Origin and Achievements.	M. M. Shrif
La Civilisation Arabe.	Jacques C. Risler
La Philosophie Antique.	Jean — Paul Dumont

http://www.al-maktabeh.com

الترجمة ومهمتها الحضارية

الدكتور شحادة الخوري

المنظمة العربية للتربية والثقافة
والعلوم

هل تستطيع الترجمة العلمية حاليا القيام بالمهمة الحضارية التي قامت بها في عصور الازدهار العربي ؟

الحضارة بناء مادي وفكري وروحي تكون المعرفة العلمية احدى لبناته . فهي نتاج جهد ودأب متواصلين وحصيلة كشف وابداع متلاحقين . وهي لا تتحصل لشعب ما مفاجأة أو مصادفة ولا تعطاه هبة أو صدقة، بل هو الذي يرسي أساسها ويعلي بنيانها ويصون معالمها .

وليست الحضارة صنع فرد أو أفراد ، وان كان لبعض الافراد في مضمارها فضل ريادة . انها تراكم مجهود وتعاظم عمل تبذله الجماعة البشرية التي تصلها وشائج القربى والسكن واللسان وتشدها الى بعضها أواصر المشاعر والعواطف والافكار وتوحد ما بينها ذكريات الماضي وتصورات المستقبل .

أجل ، الامة تصنع حضارتها من خلال صراع قاس طويل مع الطبيعة التي تكتنفها والارض التي تعيش عليها حتى تذلل ما عسر وتقهر ما عاند وتطوع ما استعصى فتسخر الجماد والنبات والحيوان للانسان لمنحه الغذاء والكساء والدفء وجعله يشعر بالقوة والطمأنينة ثم من خلال صراع الانسان مع نفسه ليحد من جموح شهواته وحدة نزواته ويبتعد عن مزالق السلوك ويأنس بأخيه الانسان ويسمو بميوله ورغباته ويحقق قدراته ومواهبه ويبتدع روابط اجتماعية سليمة معافاة وعلوما وآدابا وفنونا وقيما خلقية وروحية ترقى به الى حيث هو الاول وهو الاسمى في سلم الكائنات .

وهذه الحضارة كما انها لم تكن صنع فرد أو أفراد ، فانها لم تكن صنع أمة واحدة . شارك في صنعها الافراد والشعوب والامم التي عمرت الارض ، أجمعين ، يقبس اللاحق من السابق ويضيف المتأخر الى ما أتاه المتقدم ، والمصباح ينتقل من يد الى أخرى عبر حدود المكان والزمان . ان اليد التي تشعل المصباح واليد التي تحافظ على الوهج المتألق ، واليد التي تزيده اشتعالا وألقا سواسية في الفضل والكرامة .

مكتبة المهتدين الإسلامية

فنحن العرب أمة عريقة ، لها أمس مديد ، لسنا من العدم نبدأ ، بل ان الفين من السنين تثقل كواهلنا .

خرج أجدادنا منذ أربعة عشر قرنا من قفارهم وبواديهم وقراهم الى العالم . لم يخرجوا خاليي الوفاض ، بل حملوا معهم هدى وحقا لهم وللناس كافة ، ولغة واسعة سعة الارض التي عليها كانوا يسرحون ، صافية صفاء الافق الممتد أمام أبصارهم لغة تجلت قرآنا وقصيدا وحكمة ، بيانا ساحرا وكلما جامعا ما ابتدع مثله شعب من قبل أو من بعد ، ومعارف هي عطاء البيئة والزمن .

لقد تم الفتح وزلزل العرب دولة الاكاسرة فانهارت أاركانها وزعزعوا دولة بيزنطة فانكمشت وارتدت الى خلف ، ورحب أهل الشام ومصر والمغرب الذين تجمعهم بالعرب أرومة واحدة ، بمقدم المحررين .

وأرسى العرب قواعد دولة ، وانتقل الحكم من المدينة الى دمشق ، وواجه العرب في الشام والعراق ومصر والمغرب ثقافات كانت ثمرة عصور سالفة ، ووجدوا لدى الهند وفارس والاغريق ثقافات أكسبها الزمن غنى وازدهارا .

لم يشعر العرب آنذاك بضعف أمام الواقع الجديد ولم تأخذهم الدهشة . ولم يحسوا غضاضة في تعلم أساليب الادارة والحكم ، بل سرعان ما اقتبسوا ما كانوا بحاجة اليه فاذا هم سادة الحرب والسلم وبناة مدن وقلاع وأرباب جيوش وأساطيل .

والمعارف أهي حكر على من سبق وقد تداولها الناس من قبل ؟ أقبلوا عليها بشغف المشوق ولهفة الظامىء فترجموا الى لسانهم علوم من سبقوهم ، وأمعنوا في الترجمة وبذلوا من أجلها ، وأكرموا محترفيها وأحدثوا لها البيوت والمؤسسات .

ومرت أعوام حافلة بنشاط عارم : اقتباس فتمثل فأبداع ، فانعقد قصب السبق لهم في العلوم العقلية مثلما كانت لهم في المعارف الدينية واللغوية والادبية .

وكان للترجمة في عهد الامويين والعباسيين ، أثر أي أثر في تقدم العرب العلمي ورقيهم الحضاري اللذين امتدا بضعة قرون ، كانت اللغة العربية فيها لغة العلم في العالم كله ، والوطن العربي موطن حضارة انسانية وارفة .

وهل لنا أن نستعرض استعراضا موجزا هذه الصفحة المشرقة من تاريخ امتنا ؟

بدأت الترجمة في أيام بني أمية ، الا أن الامويين كانوا مشغولين بالفتوح

http://www.al-maktabeh.com

وتوطيد أركان الدولة فلم يتح للترجمة ان يتسع أفقها ، ومع ذلك فقد خطت في أيامهم أولى خطواتها ٠

ان أكثر الكتب التي ترجمت في هذا العهد ، انما دعا الى ترجمتها الامير الاموي خالد بن يزيد بن معاوية (ت ٨٣ هـ) الذي أخفق في نيل الخلافة فانصرف الى العلم ٠ يقول ابن النديم في كتابه (الفهرست) : (كان خالد يسمى حكيم آل مروان ، وكان فاضلا وله همة ومحبة للعلوم ٠ وخطرت بباله الصنعة فأمر باحضار جماعة من فلاسفة اليونان ممن كان ينزل مدينة مصر وقد تفصح بالعربية ، وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني واللسان القبطي الى العربية وكان هذا أول نقل في الاسلام من لغة الى لغة) وكتب خالد نفسه بعض المباحث في الكيمياء ٠

ويذكر القفطي في كتاب اخبار الحكماء أنه في زمن خلافة مروان بن الحكم (٦٤ ــ ٦٥ هـ) نقل أول كتاب طبي الى العربية وهو كناش أهرن القس بن أعين وقد احتوى على ثلاثين مقالة نقلها ما سرجويه الطبيب البصري من السريانية الى العربية وزاد عليه مقالتين ، ويقول ابن أبي أصيبعة : (ان الخليفة عمر بن عبد العزيز أمر بنشر هذا الكتاب وقد وجده في خزائن الكتب بالشام) ٠

أما في زمن العباسيين فقد ازدهرت الترجمة لان العرب وجدوا أن الحضارة لا تقوم الا على العلم فمالوا الى طلبه ، وحدا بهم الجدل الديني والفكري الذي ثار آنئذ الى ترجمة الفلسفة اليونانية عامة ومنطق أرسطو خاصة لدعم الرأي واسناد الحجة ٠

ومرت الترجمة زمن العباسيين بمرحلتين : أولاهما تمتد من قيام الدولة العباسية الى بداية عهد المأمون (١٣٢ ــ ١٩٨ هـ) وثانيتهما تبدأ بتولي المأمون الحكم وينشط طوال عهده ويستمر بعده على وهن وضعف ٠

ففي المرحلة الاولى شجع الخليفة المنصور على ترجمة الطب والهندسة والفلك والنجوم وقد راسل ملك الروم طالبا منه كتب الحكمة فبعث اليه بكتاب أقليدس وبعض كتب الطبيعيات ، وأنشأ ديوانا للترجمة ٠

واهتم الخليفة الرشيد بالترجمة ووسع الديوان الذي أنشأه المنصور ، وطلب من الروم بعد احتلاله عمورية تسليمه المخطوطات الاغريقية القديمة وحصل عليها ٠

وفي المرحلة الثانية اهتم المأمون بالترجمة اهتماما فائقا ولا سيما ترجمة كتب الفلسفة ٠ يقول ديورانت في كتابه قصة الحضارة : (ان أحد شروط

مكتبة المهتدين الإسلامية

الصلح بين المأمون والامبراطور البيزنطي ميخائيل الثالث أن ينزل هذا للمأمون عن احدى المكتبات الشهيرة في القسطنطينية ، وكان بين ذخائرها كتاب بطليموس في الفلك فأمر المأمون بنقله الى العربية ، وأنه أنشأ (بيت الحكمة) وهو مجمع علمي ومرصد فلكي ومكتبة عامة أقام فيها طائفة من المترجمين وأجرى عليهم الارزاق من بيت المال) . وقال ابن النديم في كتابه الفهرست : (ان المأمون كان بينه وبين ملك الروم مراسلات ، وقد استظهر عليه المأمون فكتب اليه في ايفاد من يختار من العلوم القديمة المخزونة في بلده فأجاب بعد امتناع فأخرج المأمون لذلك جماعة فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا فلما حملوه اليه أمرهم بنقله فنقل) .

وهكذا جعل المأمون حركة الترجمة نشاطا رسميا من نشاطات الدولة وأنفق عليها بسخاء وحرض الناس على قراءة ما يترجم .

وقد اقتدى بالمأمون في ذلك العهد وبعده كثير من أهل الدولة ورجالها الاغنياء فتقاطر على بلاد العباسيين المترجمون من كل حدب وصوب من أنحاء الجزيرة والعراق والشام وفارس يترجمون في اليونانية والسريانية والفهلوية والسنسكريتية والنبطية الى العربية .

جاء في كتاب (شمس العرب تسطع على الغرب) لمؤلفته سيغريد هونكه : (ان أبناء موسى بن شاكر محمد وأحمد والحسن قاموا بايفاد الرسل على نفقتهم الخاصة الى بلاد الروم بحثا عن المخطوطات الفلسفية والفلكية والرياضية والطبية القديمة ولم يتوانوا عن دفع المبالغ الطائلة لشراء الآثار اليونانية وحملها الى بيتهم قرب باب التاج ، وفي الدار التي قدمها لهم الخليفة المتوكل على مقربة من قصره في سامراء كان يعمل دون ابطاء فريق من المترجمين من أنحاء البلاد تماما كما كان يفعل المأمون بالذات الذي كان يوفد الرسل أيضا بحثا عن المخطوطات القديمة للمترجمين والنقلة) .

ولم ينفرد أبناء موسى بن شاكر بذلك بل صار اقتناء المخطوطات وترجمتها الى العربية هواية الامراء والوزراء وسراة القوم وموضع الفخر والاعتزاز ، وقد أرسل هؤلاء البعثات لتحصيل الكتب من بلاد الاغريق وآسية الصغرى وبذلوا لاجل ذلك المال الوافر ، ومن أشهرهم الفتح بن خاقان وعبد الملك بن الزيات الوزيران في بلاط بني العباس .

وكذلك عني رجال الاندلس من خلفاء وأمراء ووزراء وأثرياء بتشجيع حركة الترجمة ، فترجموا كتبا عدة وأصلحوا بعض ما ترجم أيام الامويين والعباسيين وتكونت من الاندلسيين الذين كانوا يعرفون اليونانية واللاتينية مدرسة للترجمة شابهت بيت الحكمة في بغداد .

http://www.al-maktabeh.com

لقد عرف العرب الطريق الى بلوغ الغاية وهي أن يبدأوا من حيث انتهى الآخرون كيما يكون سيرهم أسرع وخطواتهم أثبت فاندفعوا بلا وهن ولا هوادة في طلب العلم ونقله الى لغتهم ليكون منطلقهم الى الكشف والابداع ·

لقد تبين أن الترجمة كانت الوسيلة الصالحة لاقتباس العلوم : عربوا علوم زمانهم كيما يتعلموا بلغتهم فتخالط اللغة تفكيرهم ، اذ لا تفكير بلا لغة ولا تفكير قويم الا باللغة الام التي يتعلمها الانسان في طفولته ويألف حروفها ويأنس بألفاظها فتمتزج بحسه وشعوره وتندمج بنطقه وتفكيره ·

ولنستعرض استعراضا موجزا كيف تمت النقلة من الترجمة الى الكشف والابداع لنتعرف الاسهام الذي أدته الترجمة في البناء العلمي ـ الحضاري :

لقد ترجم العرب عن الهندية فقد روي : أن وفدا من الهند وفد على أبي جعفر المنصور سنة ١٥٤ هـ وفيهم رجل ماهر في معرفة حركات الكواكب وحسابها وسائر أعمال الفلك على مذهب علماء أمته وخصوصا على مذهب كتاب باللغة السنسكريتية اسمه : براهمسبهطيسد هانت ، ألفه الرياضي الهندي براهما جيتا، فكلف المنصور ذلك الهندي باملاء مختصر الكتاب ثم أمر بترجمته وباستخراج كتاب منه تتخذه العرب أصلا في حساب حركات الكواكب وما يتعلق به من أعمال (فتولى ذلك الفزاري وعمل منه زيجا عمل به العرب حتى أيام المأمون اذ ابتدأ مذهب بطليموس في الحساب والجداول الفلكية) (١) ·

وقد اقتصر العرب على الجزء الاخير من الاسم السابق وهو سدهانت ثم حرفوه الى (السندهند) وكذلك ترجم عن الهند كتاب ثان اسمه الاركند وثالث اسم الارجبهر (٢) ·

وكان في بغداد أطباء هنود عرف منهم أيام الخليفة الرشيد صالح بن بهلة ، ويقول الجاحظ : « ان يحيى بن خالد جلب أطباء من الهند مثل (منكه) و (بازيكر) و (قلبرقل) و (سندباد) » (٣) ·

وكانت الثقافة اليونانية النبع الذي اغترف منه العرب ، أكثر من غيره ، فقد ترجموا كتاب المجسطي لبطليموس ومعناه : الترتيب الكبير في علم الفلك ـ ثم ترجم مرة ثانية ، كتاب الحكم الذهبية لفيثاغورس وكتب عدة في الطب

---

١ ـ نللينو في كتابه علم الفلك : تاريخه عند العرب ص ١٤٩ ·
٢ ـ نللينو في كتابه علم الفلك : تاريخه عند العرب ١٧٢ ، ١٧٣ ·
٣ ـ البيان والتبيين : ص ٧٨ (الجاحظ) ·

مكتبة المهتدين الإسلامية

لابقراط وجالينوس ومؤلفات فلكية ورياضية لابولينوس واقليدس (كتاب الاصول) و (مبادىء الهندسة) وكتاب (الكوة والاسطوانة) لارخميدس ٠

وترجم لافلاطون كتب منها : كتاب السياسة المدنية المدعو الجمهورية وكتاب النواميس ٠

ثم عرف العرب أرسطوا وأكثروا من ترجمة كتبه وصار عندهم (المعلم الاول) ومن كتبه التي ترجموها كتاب قطاغوراس وكتاب باري ارميناس وكتاب انولوطيقا وهي كتب من المنطق ٠

وقد حاولوا أن يوفقوا بين آرائه وبين الدين ، ولكنهم نسبوا اليه كتبا تبين بعد ذلك أنها ليست له مثل كتاب الالهيات الذي هو في الحقيقة أملية من أمالي رئيس المدرسة الافلاطونية الجديدة في الاسكندرية أملاها على أحد تلامذته وكان لهذه النسبة الخاطئة آثار سلبية في فهم نظريات أرسطو في الالهيات ٠

ونبغ في الترجمة كثيرون ترجموا من لغات عدة الى العربية ولكن اسم حنين ابن اسحق العبادي يظل أكثرها اشراقا (ولد عام ١٩٤ هـ) فقد قيل : انه ترجم الى السريانية من كتب جالينوس خمسة وتسعين كتابا نقل منها الى العربية تسعة وثلاثين وراجع وأصلح الكتب التي ترجمها آخرون وهي ستة مترجمة الى السريانية ونحو سبعين مترجمة الى العربية وأصلح معظم الخمسين كتابا التي كان قد ترجمها الى السريانية جورجيس الرأسعيني وأيوب الرهاوي وسواهما من الاطباء المتقدمين ٠

وقد استدعت ترجمة علوم القدماء الى العربية ايجاد مصطلحات علمية كثيرة للدلالة على الاعيان والمعاني ، يقول الامير مصطفى الشهابي : (ان المصطلحات العلمية التي أدمجت في لساننا ، في تلك الايام هي آلاف مؤلفة من الالفاظ العربية ومئات من الالفاظ المعربة ، وهذه المصطلحات دخلت اللغة العربية واندرجت مع ألفاظها واشتملت عليها معجماتنا القديمة وكانت صالحة للتعبير عن علوم القدماء وجعلت من العربية لغة العلم آنذاك بل هي ما تزال تصلح للتعبير عن بعض موضوعات العلوم الحديثة) ٠ وقد ترجمت بعض الكتب أكثر من مرة طلبا للدقة وسلاسة الاسلوب وحسن العبارة ٠

وعلى أساس ما قدمته الترجمة ، سار العرب قدما ، وتفتحت عبقريتهم عن كشوف وابداعات في كل علم ، فحفظوا علوم من سبقهم وصححوا ما احتاج الى تصحيح وأضافوا الكثير اليها مما اكتشفوه وخبروه ، ودخلوا بذلك ما نسميه عصر الازدهار العربي وهو عصر كان فيه للتفتح العقلي والبحث العلمي والتاليف الموسع مجال رحيب ٠

http://www.al-maktabeh.com

ففي مجال الرياضيات أخذ العرب نظام الترقيم عن الهنود فهذبوه وجعلوا منه سلسلتين : الاولى تعرف بالارقام الهندية وهي المستعملة في المشرق العربي ويتمثل الصفر فيها بنقطة والارقام الغبارية وهي التي شاع استعمالها في المغرب العربي ثم انتقلت الى أوربة ويتمثل الصفر فيها بدائرة ۰ واليهم يعود استعمال طريقة الاحصاء العشري واستخدام الصفر واختراع الكسور العشرية وعلم الجبر وحل المعادلات الجبرية من الدرجة الثانية واستخدام الجبر في الهندسة واستعمال الرموز في الجبر ، ولهم فضل في علم المثلثات ۰

ومن أبرز علمائهم في الرياضيات محمد بن موسى الخوارزمي (ت ٢٣٦ هـ) صاحب كتاب (الجبر والمقابلة) وواضع علم الجبر ، والطوسي صاحب كتاب (تحرير أصول أقليدس) وكتاب (الرسالة الشافية) والحسن بن الهيثم عالم البصريات ، وغياث الدين جمشيد الكاشي واضع أسس الكسر العشري في كتابه (مفتاح الحساب) وأولاد موسى بن شاكر الذين نبغوا في الهندسة ، وابن الياسمين الفاسي محمد بن الحجاج (ت ٦٠١ هـ) الذي كانت تآليفه شهيرة في الرياضيات في سائر أنحاء المغرب العربي ۰

وكان للعرب في علم الفلك اسهام كبير وأكثر علمائه علماء في الرياضيات ومنهم محمد الفزاري (ت ١٥٨ هـ) مترجم السند هند وأبو اسحق ابراهيم بن سليمان (ت ١٦٠ هـ) الذي ألف كتبا في الفلك واخترع الاصطرلاب في صورة جديدة تفيد في عمليات الرصد كتعيين ارتفاع الاجرام السماوية عن الافق وحساب الوقت وتحديد البعد عن خط الاستواء ۰

ومن الفلكيين موسى بن شاكر وأبناؤه محمد وأحمد والحسن الذين بنوا مرصدا خاصا لابحاثهم الفلكية في سامراء بالعراق ووضعوا كتابا عرف في الغرب باسم (كتاب الاخوة الثلاثة) ترجم الى اللاتينية في القرن الثاني عشر وأبو معشر البلخي الذي تدرب في المرصد الذي بناه المأمون في بغداد ومن كتبه (المدخل الى علم أحكام النجوم) وابن جابر البتاني (ت ٣١٨ هـ) ومن كتبه الزيج الذي ضمنه نتائج بحوثه وأرصاده التي رصد فيها ميل الدائرة الكسوفية وطول السنة المدارية والفصول والمدار الحقيقي والمتوسط للشمس وصحح طول السنة الشمسية ودحض بعض آراء بطليموس ۰

ومنهم محمد بن موسى الخوارزمي (٢٣٦ هـ) الذي كان من أعماله وضع زيج بناه على حساب الفرس ثم نقله بعد ذلك مسلمة بن أحمد الاندلسي الى الحساب العربي، والفرغاني الذي قام بتحديد قطر الارض وأقطار بعض الكواكب والذي ظلت معارفه مقبولة بغير تعديل كبير حتى زمن كوبرنيكوس ، ومنهم محمد بن اسماعيل بن عباس أبو الوفاء (صاحب الزيج الشامل) وابن يونس المصري (ت ٣٩٩ هـ) الذي عاش في عصر العزيز الفاطمي وابنه الحاكم فسمى

مكتبة المهتدين الإسلامية

زيجه (الزيج الحاكمي) وضمنه رصده كسوفين شمسيين حدثا في زمانه وعلي بن يحيى المنجم (٢٧٥ هـ) ونصير الدين الطوسي (ت ٦٦٣ هـ) ، ومن أعاظمهم أبو الريحان البيروني(٩٧٣ ـ ١٠٤٨ م) الذي نبغ في كثير من العلوم ومن أهم كتبه (القانون المسعودي) الذي أهداه للسلطان مسعود بن محمد الغزنوي ومن أهم مقولاته : أن الارض كروية وجميع الاجسام تنجذب نحو مركزها وأنها تدور حولمحورها كل يوم وتدور حولالشمس مرة كل سنة، وابن أبي الرجال القيرواني (٤٢٦ هـ) صاحب كتاب (البارع في أحكام النجوم) المترجم الى اللاتينية وابن النجار التلمساني محمد بن علي (ت ٧٤٩ هـ) الذي نبغ في علم الفلك ٠

وفي مجال الموسيقا ألف العرب المؤلفات المسهبة واستنبطوا كثيرا من الالحان واخترعوا آلات موسيقية جديدة وطوروا ما كان موجودا ، ومن علمائهم يعقوب ابن اسحق الكندي (ت ٢٥٩ هـ) الذي عالج بعض مرضاه بالموسيقا وأبو نصر الفارابي (ت ٣٣٩ هـ) صاحب كتاب في الموسيقا وقد صنع آلة شبيهة بالقانون ٠ ثم جاء ابن سينا (ت ٤٢٣ هـ) فدرس الصوت المنسجم الذي تطمئن اليه النفس والصوت الذي تنفر منه وربط ذلك بنسب عددية ، وأما زرياب فقد وضع أسس التعليم الموسيقي وابتكر طرائق قياس امكانيات الصوت عند المتعلم ٠

وأما في الكيمياء ، هذا العلم الذي بدأ مبكرا عند الشعوب القديمة كالمصريين ولم يضف اليه اليونان شيئا فقد كان أول من اشتغل به خالد بن يزيد (ت ٨٥ هـ) ثم جاء بعده جابر بن حيان (ت ١٩٨ هـ) الذي كانت له بحوث وتجارب واضافات رائدة في هذا العلم وبناه على التجربة ، وتابع خواته المهمة الكندي والرازي وابن سينا ومحمد بن عبد الملك ومنصور الكاملي (١) ٠

وفي مجال علم الطبيعة برز علماء كثيرون منهم الحسن بن الهيثم (ت٤٣٠ هـ) صاحب كتاب (المناظر) الذي صحح فيه أخطاء أقليدس وبطليموس وسلك المنهج التجريبي ٠ وترجم كتابه الى اللاتينية خمس مرات حتى صار أساس تطور علوم الطبيعة في الغرب وقد أنشأ علم الضوء الحديث واقترب من اكتشاف العدسات المبكرة التي صنعت بايطاليا بعد ذلك ٠ وأوجد ابن يونس الرقاص قبل غاليلو بسبعة قرون ، وأورد الطبري صاحب (عيون المسائل في أعيان الرسائل) جدولا عن الاثقال النوعية للمعادن قاسها بالنسبة الى الماء العادي فجاء فيها اختلافه بسيط عما هي عليه اليوم ٠٠ وقصة الساعة التي أهداها

---

١ ـ جلال الدين مظهر ـ حضارة الاسلام وأثرها في الترقي العالمي ص ٢٦٨ ـ ٢٩٩ ٠

http://www.al-maktabeh.com

هارون الرشيد الى الامبراطور شارلمان قصة مشهورة • بيد أن أهم مآثرهم في علم الطبيعة ما توصل اليه ابن الهيثم في الانعكاس والانكسار وتعليل حادثة الشفق وشرح زاوية الرؤية وظاهرة قوس قزح حتى كانت مؤلفاته المرجع المعتمد في أوروبة حتى القرن السادس عشر •

واهتم العلماء العرب بعلم الاحياء البشرية والحيوان والنبات غير أن هذا العلم لم يكن مستقلا عن العلوم الاخرى ولا سيما علوم الطب والصيدلة والزراعة فجاء متداخلا واياها ، ويذكر في هذا المجال أبو بكر الرازي (ت ٣١٥ هـ) وله رسالتان عن النباتات العطرية والفاكهة وابن سينا الذي وصف النباتات الطبية ، ورشيد الدين الصوري وأبو العباس بن الرومية الاشبيلي (ت ٦٣٧ هـ) وتلميذه ابن البيطار (ت ٦٤٦ هـ) الذي كان أعظم علماء النبات والعشابين في القرون الوسطى • وفي العلوم الطبية استوعب الاطباء العرب ما ترجم من اليونانية والهندية وهو كثير ولكنهم بعد ذلك صححوا وأضافوا اعتمادا على الملاحظة والتجربة العلمية فكان لهم اكتشافاتهم ومصنفاتهم التي نقلت الى اللاتينية وغيرها من اللغات الاوروبية وكانت المنطلق في تقدم الطب في العصر الحديث •

ومن أشهر أطبائهم : أبو بكر الرازي (ت ٣١٥ هـ) صاحب الموسوعة الطبية المدعوة (الحاوي) التي تقع في عشرين جزءا والتي ترجمت الى اللاتينية وظلت تدرس في جامعــات أوربــة حتى القرن الخامس عشر ، وابن سينا (ت ٤٢٣ هـ) صاحب كتاب (القانون) الذي يعد موسوعة في الطب والصيدلة وعلي بن العباس (ت ٣٨٤ هـ) صاحب كتاب (كامل الصناعة في الطب) ومن هؤلاء علي بن عيسى صاحب كتاب (التذكير) و (أبو القاسم الزهراوي القرطبي) (ت ٤٠٤ هـ) أعظم جراحي الاندلس وصاحب كتاب (التصريف لمن عجز عن التاليف) وأبو مروان عبد الملك بن زهر الاندلسي (ت ٥٥٧ هـ) صاحب كتاب ــ التيسير في المداواة والتدبير ــ وعلاء الدين بن علي بن أبي حزم الدمشقي الملقب بابن النفيس (ت ١٢٨٨ م) الذي اكتشف الدورة الدموية الصغرى ، وابن الجزار (ت ٣٦٩ هـ) صاحب كتاب (زاد المسافر وقوت الحاضر) وكتاب (الاعتماد) اللذين ترجما الى لغات عدة ، وابن عمرون الوهراني (ت ٤٩٩ هـ) •

وقد ارتبط علم الصيدلة ارتباطا وثيقا بعلم الطب وكان أبو بكر الرازي من أوائل الذين أدخلوا المركبات الكيميائية في العلاجات الطبية والذين كتبوا في مجال الادوية والعقاقير ، وتضمن كتاباه (المنصوري) و (الحاوي) فصولا مخصصة بالصيدلة ، واقتصر الفصل الخامس من كتاب (القانون) لابن سينا على المادة الطبية ووصف فيه تركيب سبعمائة وستين عقارا •

مكتبة المهتدين الإسلامية

ثم كتب العلماء العرب كتبا مستقلة بالصيدلة فصنف الرازي كتابا عن (حقائق الادوية) وجمع عبد الرحمن بن شهيد الاندلسي في كتابه (الادوية المفردة) الكثير من العقاقير وألف ماسويه المارديني (ت ١٠١٥ م) كتابا كبيرا في العقاقير يقع في اثني عشر جزءا ترجم الى اللاتينية ، وابن البيطار صاحب (الجامع الكبير) و (المغني في الادوية المفردة) وابن سعيد التميمي صاحب كتاب (المرشد الى جواهر الاغذية وقوى المفردات) ٠٠

وارتبط علم الزراعة بعلم الطب كذلك ٠ وقد قام العرب بتطوير الزراعة وتحسين النباتات ودرسوا مختلف الحشائش والاشجار والبذور والثمار ٠ وعني أهل الاندلس بخاصة بالزراعة ويذكر أحد المؤلفين أنهم استولدوا وردا أسود اللون بطريقة التطعيم المتوالي ونبغ في هذا الميدان ابن رومية الاشبيلي (ت ٦٣٧) وتلميذه ابن البيطار (ت ٦٤٦ هـ) وقد أشرنا اليهما ٠ وكتب في علم الزراعة والنبات والماشية والري والمحاصيل أبو زكريا يحيى بن محمد ابن العوام الاشبيلي (ت ٥٥٠ هـ) الذي ألف كتابه الشهير (الفلاحة) الذي ترجم الى الاسبانية والفرنسية ٠

ويشهد « ماير هوف » على أهمية ما كتبه ابن البيطار بقوله : ان كتابه الجامع لمفردات الادوية والاغذية يعد أعظم كتاب عربي ظهر في علم النبات ٠

وفي مجال الجغرافيا ظهر أعلام معروفون ٠ يقول سارتون : (ان كتاب معجم البلدان) لياقوت الحموي منجم غني للمعرفة وليس له نظير في سائر اللغات ٠ ووضع أبو الفداء أمير حماة كتاب تقويم البلدان الذي ترجم الى اللاتينية في القرن الثامن عشر ٠

وأما الادريسي ففضله كبيروأثره خطير ٠ كتب مؤلفه (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) ووضع خريطة للعالم وتوقع وجود أمريكا في الطرف الثاني من الأرض قبل اكتشافها ببضعة قرون ٠٠٠ وقد جاء في الموسوعة الفرنسية : (ان كتاب الادريسي في الجغرافيا يعد أعظم وثيقة علمية جغرافية في القرون الوسطى) ٠٠٠

ان هذه اليقظة الفكرية بل النهضة العلمية التي انطلقت اشعاعاتها المبكرة من دمشق وبغداد ترجمة ثم تألق نورها في دار السلام عاصمة العباسيين ابتكارا وتأليفا ، قد انتشرت في ارجاء الوطن العربي :

العراق وبلاد الشام وبلاد الجزيرة العربية ومصر والمغرب العربي والاندلس بل أرجاء دار الاسلام على امتداد مساحتها وسعة رقعتها ، وشارك فيها أبناء الأقطار العربية والأصقاع الاسلامية حتى ليصح القول : ان الحضارة

http://www.al-maktabeh.com

التي ارتفع صرحها عاليا انما شارك فيها علماء أفذاذ من جميع هذه المناطق فهي حضارة عربية اسلامية ناظمها لغة الضاد التي أفسحت صدرها لجميع المعارف والعلوم بما تملك من مرونة وغنى وقدرة على التوليد والاشتقاق حتى صارت لغة العلم مئات من السنين : اليها ترجمت معارف السابقين وبها دون العلماء العرب تصانيفهم ومؤلفاتهم ، فكانت وعاء الفكر العربي الخلاق ومعلما من معالم الحضارة العربية ·

ثم تتالت الأحداث وقلب الدهر للعرب ظهر المجن ، وحاقت بهم المحن والنوائب وتناوبت عليهم عوامل الضعف من الداخل وأسباب القهر من الخارج فحل الشتات محل الالفة والتجزئة مكان الوحدة والوهن موضع القوة وصار في الدولة دويلات ومع الخليفة سلاطين وأمراء ، وتوالت عليهم الغزوات والحروب المدمرة فخبا الألق الذي سطع قرونا وافتقر الناس الى موارد الرزق وأصاب الحياة الاجتماعية سقام واعترى النشاط الفكري والعلمي ضمور ·

وفي هذا الوقت اندفع الأوربيون يغرفون من الثقافة العربية · تسربت اليهم من سورية ومصر ابان الحروب الصليبية ثم من صقلية ونورمانديا وجنوبي ايطاليا في عهد الأغالبة ومن الأندلس بشكل خاص واعتمد هؤلاء على الترجمة في اقتباس علوم العرب فكان ما نقلوه الى لغاتهم الأساس في نهضتهم العلمية الحديثة التي بدأت قبل بضعة قرون وما تزال مستمرة حتى اليوم ·

ولعل أكثر مترجميهم ذيوع اسم جيرارده كريمون · ويذكر أن بعضهم أم البلاد العربية لينهل العلم من منابعه مثل جيربير الافيرني الذي رقي بعد ذلك الى مرتبة البابوية باسم سلفستر الثاني اذ تعلم في الأندلس على أيدي العرب ونقل الأرقام الى اوربة · ونقل ليونارد كتب الطبيعة والجبر ، وأمر روجه الأول في صقلية أن تكون كتب الادريسي المرجع العلمي الصادق وحث الامبراطور فريدريك الثاني على دراسة علوم العرب ، حتى كان أبناء الفيلسوف العربي ابن رشد يقيمون في بلاطه ليعلموا دروس النبات والحيوان ·

وقد جاءت بداية نهضة الأوروبيين في أعقاب اطلاعهم على تراث العرب الفكري والعلمي فاخذ يساورهم شعور بالعجز والتقصير أمام عظمة الفكر العربي وآثاره الرائعة شعور هو مزيج من الدهشة والاعجاب والتقدير · وقد صور الشاعر الايطالي بيترارك(١٣٠٤ ـ ١٣٧٤ م) هذه الحال عندما خاطب قومه محنقا :

(ماذا اذا استطاع شيشرون أن يكون خطيبا بعد ديموستينس واستطاع فرجيل أن يكون شاعرا بعد هوميروس ثم بعد هؤلاء العرب لا يسمح لأحد

مكتبة المهتدين الإسلامية

بالكتابة ؟ لقد جارينا اليونان وتجاوزناهم أحيانا ثم تقولون : لا نستطيع بلوغ شأو العرب • يا للخيال يا لعبقرية ايطاليا الغافية !) •

وقبل هذا وبعده تــرجمت الكتب العربية العلمية الى اللغـات الأوروبية للتعلم منها ، وما تزال حتى الآن تترجم وتطبع بتلك اللغات تقديرا لقيمتها الكبيرة في تاريخ العلوم في العالم •

وبعد حلكة الظلام بزغت في الأفق العربي ومضات في مطلع القرن الماضي ، فقد تنبه العرب الى ان العلم هو مصدر القوة وأن أوروبة قد امتلكت القـــوة المادية ـ الصناعية والعسكرية ـ بفضل تقدم العلوم فيها وقر في أذهانهم أن من واجبهم استئناف ما انقطــع ومعاودة السير في طريق التقــدم العلمي ••• والخطوة الأولى في هذه الطريق هي ترجمة العلوم الحديثة الى اللغة العربية •

وقد كانت البداية مع تأسيس الكليات العلمية في مصر مثل كلية القصر العيني في بداية القرن الماضي ، اذ كان التدريس يتم باللغة العربية مما أوجب أن تترجم كتب طبية الى لغة التدريس • فقد ألف مؤسسها الدكتور كلوت الفرنسي كتبا طبية بالفرنسية للتدريس فجرت ترجمتها الى العربية وألف الدكتور فيجري كتابا في النبات فنقل الى العربية •

ومن الأساتذة الذين نقلوا الى العربية أو ألفوا بها محمد علي البقلي وكان من أكثر الجراحين ذيوعا ومحمد الشافعي وعلي رياض ومحمد الدري ورفاعة الطهطاوي في الطب ومحمد ندى في النبات والحيــوان ومحمد الفلكي ومحمد البيومي في الفلك والهندسة والرياضيات •

وثمة جماعة جمعوا بين التأليف والترجمة والتصحيح ومراجعة المصطلحات العلمية وتدقيقها مثل محمد عمر التونسي وابراهيم الدسوقي ، ومن المترجمين الأكفياء في ذلك العهد يوحنا عنجوري ويوسف فرعون •

كان هؤلاء هم الرواد في مجال الترجمة وكان الجهد الذاتي الذي بذلوه النواة الجيدة للغة علم عربية الحرف والنطق وقد شقوا الطريق للاحقين •

ولكن هذه التجربة الفذة لم تستمر اذ داهم الاحتلال الانكليزي مصر عام ١٨٨٢ م فتحول بعده التدريس في الكليات العلمية الى الانكليزية ، فتضاءلت الترجمة العلمية اثر ذلك •

ان اضعاف اللغة القومية اضعاف للأمــة وانتقاص من مقومــات ذاتيتها الثقافية وارباك لتحركها الطبيعي نحو التحرر والاستقلال •

http://www.al-maktabeh.com

وفي بلاد الشام ، أواخر القرن المنصرم ، خدمت الكلية الامريكية في بيروت اللغة العربية مدة من الزمن ، اذ جعل التعليم فيها بالعربية عند انشائها ووجد فيها ثلاثة أساتذة أعلام اتقنوا العربية ونقلوا اليها كتب التدريس والفوا بالعربية وهم فنديك وبوست وورتبات • ولكن التدريس بالعربية في هذه الكلية لم يطل أمره بل تحول الى الانكليزية •

وبعد هاتين التجربتين اللتين لم يقيض لهما البقاء جاءت كلية الطب بدمشق التي أسست في أواخر عام ١٩١٩ م لتخلفهما وتعوض ما فاتهما وبدأت تدريسها بالعربية منذ افتتاحها واستمرت باطراد حتى اليوم ، مع الكليات العلمية الكثيرة التي أنشئت بعدها في القطر العربي السوري في جامعات دمشق وحلب وتشرين في اللاذقية والبعث في حمص •

اننا نتحدث عن التدريس العلمي ولا سيما التدريس الجامعي في سياق حديثنا عن الترجمة لأن هذا التدريس اذا تم بلغة أجنبية فانه لا يكون بحاجة الى ترجمة مؤلفات علمية الى العربية لأن المدرس والطالب معا يرجعان في اختصاصهما العلمي الى الكتب مختصرة أو موسعة أو مرجعية أو الى الدوريات بلغة التدريس الأجنبية •

وأما اذا كان التدريس الجامعي باللغة العربية ، فانه يقتضي تأمين الكتاب باللغة العربية ، سواء أكان مؤلفا أم كان مترجما ، مما يقتضي أن تنقل المراجع الى هذه اللغة كيما يتاح للمدرس والدارس التوسع في الاختصاص بالعودة الى أمهات الكتب فيه ، والتدريس بالعربية هو الأصل والنهج الصحيح• ثمة قائل يقول : كيف استطاعت كلية الطب بدمشق ومن بعدها الكليات العلمية والمعاهد في جامعات القطر العربي السوري أن تنهض بالتعليم بالعربية ؟

ان أساتذة كلية الطب الذين شقوا الدرب ، بذلوا من الوقت والجهد ما ذللوا به الصعاب ، فقد ألفوا الكتب أو ترجموها في كل الفروع الطبية ، ورجعوا في البحث عن المصطلح العلمي الى ما جاء في الكتب الطبية القديمة مثل قانون ابن سينا وكامل الصناعة ومفردات ابن البيطار والكتب الطبية التي وضعت من قبل في مصر وكلية بيروت وجعلوا في خاتمة كل كتاب مسردا لمصطلحاته بالفرنسية أو الانكليزية وأصدروا المعجمات • وعلى هذه الطريق طريق الكفاح من أجل علم عربي اللسان أو من أجل عربية تفصح عن العلم الحديث • سار الأساتذة في جميع هذه الجامعات والكليات والمعاهد التابعة لها وفي مراحل الدراسات العليا دون استثناء •

وليس معنى ما تقدم أن حركة الترجمة قد انحصرت حيث استمر التدريس الجامعي باللغة العربية ، بل وجدت هذه الحركة في سائر الأقطار العربية تقريبا،

مكتبة المهتدين الإسلامية

على قدر متفاوت وذلك بسبب أن جمهرة القراء من أبناء الشعب ، حتى من اختص منهم بعلم ما بلغة أجنبية يأنس بسماع نص علمي يتلى عليه بالعربية ويرتاح الى قراءة بحث أو مقال علمي في مجلة أو صحيفة مكتوب باللغة الأم ٠

ومن هنا نجد في الأقطار العربية التي ما زال التعليم العالي فيها في الفروع العلمية يقدم للطلاب باللغة الانكليزية أو اللغة الفرنسية ، مجلات علمية تصدر باللغة العربية ونسمع أحاديث في الاذاعة والتلفزة تقدم بالعربية ونجد كتبا علمية ، ولو قليلة ، تترجم للناشئين أو الشبان أو المختصين ٠٠

ولو كان التدريس الجامعي في جميع الأقطار العربية باللغة العربية لعرفت حركة الترجمة نشاطا واسعا لتلبية الحاجات الكبيرة المستجدة ٠

ونتساءل بعد هذا العرض : أي موقع بلغ مسير حركة الترجمة العلمية ؟ وما هي المعوقات وما هي المنشطات وما هي الاحتمالات ؟ وهل تستطيع الترجمة من ثم أن تقوم بالاسهام الحضاري الذي قامت به في عصور الازدهار العربي ؟

لقد بدأت حركة الترجمة بصورة عامة والترجمة العلمية بصورة خاصة في القرن الماضي ثم توبعت حتى منتصف هذا القرن بجهود أفراد أو دور نشر خاصة ٠ وبعد الحرب العالمية الثانية أحدثت بعض الأقطار العربية مؤسسات تعنى بالترجمة وحدها أو تعنى بها وبالتأليف معا ، وذلك في نطاق وزارات التربية والتعليم العالي والثقافة والاعلام والجامعات ٠

فما حصيلة السنوات الثلاثين التي انقضت على المنطلق الجديد في الخمسينات ؟

ان عدد الكتب المترجمة ما زال يمثل نسبة متخلفة من المطبوعات في الأقطار العربية وما زال عدد الكتب العلمية المترجمة يمثل هو نفسه نسبة أكثر تخلفا بين المترجمات المختلفة ٠

ان هذه الظاهرة التي تمثل الواقع هي عكس ما ينبغي أن يكون ٠

ان عدد الكتب المترجمة ينبغي في نظري أن يفوق عدد الكتب المؤلفة لأننا في هذه المرحلة من تطورنا الحضاري ، وفي مرحلة الانتقال التي نعيشها من مرحلة التخلف الاقتصادي والاجتماعي والثقافي الى مرحلة التقدم ، وفي عصر التفجر العلمي والتكنولوجي والمعرفي عامة الذي يشهده العالم المصنع المتقدم ، نحتاج الى معرفة ما وصل اليه هذا العالم ٠ ما وصل اليه العلم ـ ما استجد في كل فرع من فروع المعرفة ، ما تقذفه كل صباح مراكز البحوث والدراسات

http://www.al-maktabeh.com

من معلومات جديدة عن اكتشافات واختراعات تتالى دون توقف أو انقطاع ، الى قراءة روائع الفكر والأدب التي صارت تراثا انسانيا نفيسا ، أجل نحتاج الى ذلك كله ، مترجما كيما نستوعبه ونتمثله ، ونصل بمعارفنا وثقافتنا الى حيث وصلت المعارف والثقافة في البلدان المتقدمة ، وعندئذ سيتاح لنا أن نتابع من حيث وصل الآخرون كيما نأتي بالجديد •

ولست أقصد فيما أقول أن نهجر التاليف ولا سيما في الميادين العلمية بل أقصد أن نلح على الترجمة ونكثر منها ، لانها هي بالذات ستقدم لنا مادة التاليف وتقربنا الى حيث وصلت العلوم النظرية والمعارف التكنولوجية في هذا العصر •

اننا لا ننكر أن ازدواجية اللغة على ألسنة الناس في بعض الأقطار العربية ، والتعليم بلغة أجنبية في المرحلة الثانوية أو المرحلة الجامعية فيها ، انما هي واقع قاس أوجده استعمار طاغ أراد أن يمحو الشخصية الوطنية ، والثقافة القومية ويبدل الهوية الحضارية لشعوب عريقة في حضارتها معتزة بشخصيتها ومتمسكة بثقافتها •

وباء المستعمرون بالاخفاق وذهبت مساعيهم أدراج الرياح على الرغم مما خلفت من مآس وصارت العودة الى (وضع سليم) وان كانت ضرورية ليست بالأمر اليسير • بيد أن الارادة التي حققت التحرر السياسي والتحرر الاقتصادي جديرة بأن تحقق التحرر التعليمي واللغوي والثقافي •

أما من حيث الكيف فان الترجمة العلمية تقتضي أربعة شروط : اتقان المترجم اللغة التي يترجم منها واتقانه اللغة العربية وطرائق التعبير بها ، والتخصص في المادة العلمية المنقولة والممارسة التي تكسب المترجم خبـــرة ودرايـــة •

وفي واقع الحال لا تتحقق هذه الشروط دوما في المترجم لذا نجد في بعض الكتب العلمية المترجمة ضعفا في الأداء اللغوي وركاكة في التعبير واضطرابا في المصطلح العلمي قد يكون مرده ضعف الوسائل التي بين يديه •

صحيح أن مجامع اللغة العربية في الوطن العربي ومكتب تنسيق التعريب بالرباط قد قامت بأعمال مهمة وقيمة في مجال وضع المصطلح وتنسيق استخدامه بين الاقطار العربية الا أنها لم تصل بعد الى توحيده على مستوى الاختصاصات المعمقة في كل فرع من فروع العلم •

ورب قائل يقول : هل يعني الاهتمام بالترجمـة العلمية الاستغناء عن

مكتبة المهتدين الإسلامية

الرجوع الى ما ينشر من مباحث علمية وتقنية مبثوثة في الكتب والدوريات ، باللغات الاجنبية ؟

اننا لو قصدنا ذلك لحكمنا على طالبي العلم في بلادنا وعلى رجال العلم بأن يكونوا مقصرين وغافلين عما يجد في الميادين العلمية ٠

إن حركة الترجمة العلمية يجب أن تترافق وتقترن بأمرين اثنين :

أولهما : أن يتقن الطالب الذي يتلقى العلوم باللغة العربية لغة أجنبية واحدة على الاقل اتقانا يمكنه من أن يطالع ما يشاء في مجال تخصصه بتلك اللغة ٠

ثانيهما : أن نضع بين أيدي الدارسين ورجال العلم العرب أهم ما ينشر في أرجاء العالم من كتب ودوريات في جميع التخصصات باللغة العربية وفي الوقت الملائم ٠

وتظل الدعوة الى الترجمة وتعريب العلم المطلب الملح لانها :

١ ـ مطلب وطني قومي يمليه انتماؤنا الى أمة عريقة أسهمت في تقدم العلوم وبناء الحضارة الانسانية وقدمت الى البشرية الشيء الكثير واللغة هي المقوم الرئيس للقومية والشعور القومي ٠

٢ ـ مطلب نفسي تربوي لان العربي الذي يقرأ كتابا علميا بلغته الام يبذل مجهودا واحدا لفهم معانيه ، ومن يقرأ كتابا علميا بلغة أجنبية يبذل مجهودين أحدهما لفهم اللغة الاجنبية لفظا وعبارة وآخر لفهم المضمون ٠

٣ ـ مطلب مصيري حضاري لان الامم التي هي أقل منا تعدادا وأضال تراثا جعلت من لغاتها لغة علم ولان الابداع والابتكار لا يتولدان الا من تمثل سليم كامل للمعطيات العلمية :

وهذا التمثل الذي لا يتم الا باللغة الام ٠

وفيما يستمر النقاش هنا وهناك حول قدرة اللغة العربية على استيعاب العلوم الحديثة وحول ضرورة ترجمة الكتب العلمية والتقنية الى اللغة العربية لتكون أداة التدريس والتعلم أو عدم ضرورتها ، تخطانا الآخرون ، نظرا وعملا فتصدى الكثير من دور الترجمة والنشر في البلدان الغربية ولا سيما في أمريكا وانكلترا وفي البلدان الشرقية ، ولا سيما في الاتحاد السوفيتي الى ترجمة كثير من الكتب العلمية الى العربية سواء أكانت في العلوم الاجتماعية والانسانية أم كانت في العلوم الاساسية والتطبيقية والتقنية وذلك تقديرا منهم بأن

http://www.al-maktabeh.com

الكتاب العلمي بخاصة لا بد أن يعرب في الوطن العربي ، عاجلا أو آجلا ، فلم لا يسهمون هم في ذلك سواء أكان اسهامهم بدافع نشر الكتب العلمية التي ألفها علماؤهم في البلدان العربية وفي ذلك ربح معنوي لهم أو كان بدافع كسب السوق العربية تجاريا لمنشوراتهم ٠

وقد أثار دهشة من يغارون على اللغة العربية أن ينهض بهذا العمل أغيار ، ونظل نحن أصحاب القضية والمصلحة حائرين مترددين ، وقد تقبل بعضهم هذه البادرة بالاعجاب فقد كتبت الدكتورة عائشة عبد الرحمن في مجلة اللسان العربي وقد اطلعت على كتب علمية حديثة وصدرت في موسكو في الستينات تقول :

(وكان مفاجأة لي أن أقرأ لغتي في هذه العلوم العصرية سليمة واضحة دقيقة طيعة ميسرة لا تتوقف ولا تتعثر ، وأن أمضي في قراءة المواد العلمية التي انعزلت عنها طويلا مأخوذة بلهفة من يكتشف فجأة أن أسرارا من لغته غابت عنه بعد كل ما ضج به أفقنا العربي المعاصر من دعاوي طنانة تؤكد عجز لغتنا عن أداء علوم العصر وتبرز به جامعاتنا في الاصرار على تدريسها بلغة أجنبية) (١) ٠

قد يقال : ان هذه الكتب تفتقر الى دقة المصطلح ولكن الكتاب العلمي ليس مجموعة مصطلحات بل هو في أكثره شروح وايضاحات تعتمد على الالفاظ والتعابير العادية ، أولا ونتساءل ثانيا الى متى نظل في خشية من المصطلح ولغتنا واسعة سعة لا حدود لها ولدينا أربعة مجامع لغوية نستفتيها ومكتب عربي للجمع والتنسيق والاقرار نرجع اليه ولغويون وعلماء في الجامعات العربية وفي غير الجامعات من معاهد ومجالسه وهيئاته نستعين بهم ساعة نشاء ٠

واننا لنتساءل : هل يكفي أن نترجم العلوم في بحوثها النظرية وتطبيقاتها العلمية كيما نحقق (الحالة الحضارية) التي نتطلع الى تحقيقها ؟

أقول ان الترجمة العلمية هي شرط واجب وليست الشرط الكافي ٠

انها تخلصنا من التبعية اللغوية وتضع في أيدينا وسائل العمل وادواته وتجعلنا نقف على عتبة هذا العصر الزاخر بالجديد في العلم والتكنولوجيا دون قطيعة مع تراثنا الكبير الذي استوعبته لغتنا العربية ، وتضعنا في حال (الاستعداد للفعل) الفعل الايجابي الذي يتمثل بالمشاركة في الجهد العلمي البشري في هذا العصر ٠

١ ـ مجلة اللسان العربي ـ أبحاث ودراسات ـ المجلد ١٣ لعام ١٩٧٦ م ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

ولا بد لنا من أن نستكمل الحلقات فنجمع الى الترجمة العلمية وسائل أخرى تعين على تخطي التقبل الى العطاء ومنها : تطوير التعليم العلمي في جميع مراحل الدراسة ولا سيما المرحلة الجامعية والدراسات العليا واحداث مراكز للبحوث والدراسات العلمية ومدها بالمخابر والاجهزة اللازمة ، ورعاية رجال العلم والعلماء ، وجمع الادمغة العربية المهاجرة ، وحسن استغلال الموارد الطبيعية والقوى العاملة، وربط التعليم والبحث بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية واحكام التكامل العربي في جميع هذه المجالات ...

ان للترجمة العلمية مهمة اساسية وطليعية في بناء حضارة عربية في هذا العصر ، ولكن لا بد أن تندرج ضمن خطة علمية تهدف الى تنمية شاملة ، وضمن استراتيجيات تربوية وعلمية وثقافية واقتصادية واجتماعية يكمل بعضها بعضا .

اننا ما زلنا في بعض الطريق ، وما زال أمامنا كثير من العمل على صعيد التخطيط والتنسيق والتنشيط والتشجيع كيما تأخذ حركة الترجمة مكانها الحقيقي وتعطي النتائج المرجوة .

ولعلنا اذا ما قارنا بين حركة الترجمة الى العربية في عهد المأمون وما قبله وما بعده وبين حركة النقل في هذا العصر وجدنا أوجها من التشابه وأخرى من التباين :

* فالهدف واحد وهو اغناء الثقافة العربية بمعارف وعلوم بطريق نقلها من لغات أجنبية الى اللغة العربية .

* وخط المسير واحد ، بدأت حركة النقل بجهود أفراد ثم تبنتها الدولة ورعتها وأوجدت لها المؤسسات ووفرت لها المال .

بيد أن ثمة تباينا اذ ان حركة النقل في ذلك العصر قد حققت أغراضها في مدة قصيرة وأمدت الفكر العربي بما مهد له طريق الكشف والابتكار على حين أن حركة النقل في هذا العصر ما زالت قاصرة عن تحقيق الاغراض المتوخاة .

ونتساءل : لماذا ؟

ـ قد نجد جوابا عن هذا التساؤل اذا عرفنا أننا نحن العرب اليوم نعاني تعددية سياسية لم يعرفها العرب أيام العباسيين فنحن أمة في دول عدة ، وآنذاك كان العرب أمة موحدة لا في الكيان السياسي فحسب بل أمة موحدة الهدف والارادة . مما سهل على أولياء الأمور آنذاك أن ينشطوا هذه الحركة وينظموها ويمدوها بما احتاجت اليه من دعم .

http://www.al-maktabeh.com

ولم يكن آنئذ من يبحث في صلوح اللغة العربية لتكون لغة علم فهذا أمر لم يكن يشك فيه وأما اليوم فثمة من يؤمن بصلوحها وثمة من لا يؤمن وثمة من يريدها لغة فقه وأدب وشعر لا لغة علم وتقنية ومن هنا كانت الخطوات المترددة في اطلاق الترجمة الى أهدافها وفي تعريب التعليم والتخلص من سطوة اللغة الاجنبية أو الازدواجية اللغوية في التعليم •

لقد تصدت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بوصفها الهيئـــة العربية المسؤولة عن التربية والثقافة والعلوم على النطاق القومي الى معالجة هذه القضية واتخذت في ذلك خطوات :

* لقد أحدثت منذ أقل من عام وحدة للترجمة في نطاق ادارة الثقافة تعنى بشؤون الترجمة وتنسيق مجهودات الاقطار العربية في هذا الميدان •

* وأعدت مشروع خطة قومية تبين واقع الترجمة في الوطن العربي وتبين أشكال التنسيق على المستويين الوطني والقومي وتحديد مهمة كل من الدول العربية ومهمة المنظمة في هذا المجال •

* وأعدت دراسة جدوى بشأن احداث مؤسسة عربية تكون جهازا من أجهزتها للترجمة والنشر يوكل اليها ترجمة الكتب والمؤلفات الاجنبية في العلوم والآداب وفق سلم أفضليات الى اللغة العربية وترجمة روائع الفكر العربي ، قديمه وحديثه الى اللغات الاجنبية لتعريف القراء بتلك اللغات بثمرات الفكر العربي الخـــلاق •

* وأعدت دراسة جدوى لانشاء معهد عربي للترجمة يكون جهازا من أجهزتها لاعداد مترجمين كتابيين وفوريين ذوي مستوى رفيع ••

وقد نظر مؤتمر وزراء الثقافة العرب الذي انعقد في بغداد من ٢ الى ٥ تشرين الثاني ١٩٨١ م في هذه الموضوعات وأقرها من حيث المبدأ وطلب اثراءها واستكمال الدراسات حول واقع الترجمة في الاقطار العربية • وسوف تعرض على الهيئات والمجالس المختصة في اطار المنظمة بعد معاودة النظر فيها ، لاقرارها •

وفي أثناء ذلك شرعت المنظمة باتخاذ اجراءات تنسيقية وتمهيدية منها : تكوين مكتبة في ادارة الثقافة بما ترجم الى العربية في البلاد العربية واعداد دليل لمؤسسات الترجمة والنشر ودليل المترجمين تبين فيه أسماؤهم واختصاصاتهم واللغات التي يتقنونها وجمع قوائم بالكتب المؤلفة باللغات الاجنبية والتي

مكتبة المهتدين الإسلامية

تصلح للنقل الى اللغة العربية وجمع قوائم بالكتب العربية ، القديمة والحديثة ، التي تصلح للنقل الى اللغات الاجنبية وطلب اشعارات من مؤسسات الترجمة والنشر الموجودة في الوطن العربي عن الكتب التي قررت ترجمتها او التي شرع بنقلها كيما يعمم ذلك على الاقطار العربية للحيلولة دون التكرار والازدواجية وافساح المجال للتعاون والتكامل في هذا المضمار .

وكذلك شرعت ادارة التوثيق والمعلومات بالمنظمة بالتعاون مع وحدة الترجمة باعداد حصر شامل لما ترجم من كتب اللغات الاجنبية الى اللغة العربية خلال المدة ما بين عامي ١٩٧٠ ــ ١٩٨٠ م .

ان الترجمة العلمية حري بها أن تستهدف تكوين لغة علم عربية الحرف والنطق وجعل أدوات المعرفة العلمية في متناول المدرسين والدارسين والمختصين ، وشق الدرب أمام الباحثين والقادرين على الابتكار ... وعندئذ يكون أثرها بيناً في ترقية الوطن العربي حضاريا وابلاغه المستوى المرتجى وتمكينه من المشاركة الفعالة في الحضارة والثقافة المعاصرتين مع المحافظة على أصالته الثقافية وهويته الحضارية .

من أجل ذلك لا غنى لنا عن رسم خطة في مجال الترجمة قوامها :

* الوصول الى لغة عربية عصرية بعيدة عن التحجر والجمود وعن العامية والركاكة في آن واحد .

* تنسيق المصطلحات العلمية وتوحيدها واقرار استخدامها في جميع البلدان العربية ووضع المعجمات العامة والمعجمات المتخصصة التي تعين المترجمين العلميين على أداء مهماتهم .

* تعريب التعليم في سائر مراحله ، الابتدائية والمتوسطة والثانوية والجامعية وتوفير الكتاب الجيد مؤلفا أو مترجما : الكتاب المقرر والكتاب المرجع الموسع .

* توفير المناخ الملائم للمترجمين فيعطى المترجم أجرا عادلا على عمله ويفرغ المجيدون من المترجمين لعمل الترجمة الذي لا يقل عن التدريس مثلا ، أهمية ونفعا .

* السعي لجعل ثمن الكتاب رخيصا ولو بعون من الدولة المعنية ليسهل اقتناؤه وتيسير تداوله وتخفيض أجور الشحن ونفقات التوزيع وتخفيف الاجراءات الادارية والمالية التي تحول دون وصوله الى أيدي المنتفعين به .

http://www.al-maktabeh.com

ليس لنا أن ننتظر وليس لنا أن نسير سيرا بطيئا انها مهمة تاريخية أن نهتم بالترجمة : نخطط لها ، وننسق مجهوداتها ، ونشجعها ، وندفع اليها ، ونبذل من أجلها الجهد والمال ، ونحدث لها المؤسسات النشيطة القادرة ·

لقد أعطينا العالم الكثير في مجال العلم والفكر ومن حقنا أن نأخذ اليوم عن طريق الترجمة ما نحتاج اليه للتغلب علـى التحديات التي تواجهنا وبناء مجتمع عربي متقدم ومتحرر وموحد ، واعتقادي أن تعريب العلم هو السبيل الى التخلص من التخلف الذي أورثتنا اياه عهود القهر والتسلط لنتخذ دربنـا في مسار الانسانية المتقدمة وادراك الحداثة مع الحفاظ على الاصالة المتمثلة بتراثنا الحضاري الضارب في أعماق التاريخ ·



مكتبة المهتدين الإسلامية

http://www.al-maktabeh.com

حنين بن اسحق شيخ المترجمين* العرب

الاستاذ محمد علي الزركان

كانت حركة الترجمة من أنشط الحركات الفكرية في التاريخ العربي وأشملها وأطولها نفسا ، فقد أسهمت فيها الدولة والافراد معا ، وأعدت لها العدة من انشاء بيوت للحكمة ، يلتقي فيها المترجمون وتحفظ فيها مترجماتهم . وقد أرسلت البعوث شرقا وغربا للبحث عن الاصول والمراجع ، فقصدت الإسكندرية وبيزنطة بوجه خاص ، وهما وريثتا الحضارتين اليونانية والرومانية .

واستقدم المترجمون الذين يعرفون لغتين أو أكثر ، وجلهم من السريان النساطرة واليعاقبة ويعدون من أوائل المعلمين في العصر العباسي . ولم يلبث المسلمون أنفسهم أن انضموا اليهم وحملوا العبء معهم .

وكان للمترجمين منزلة خاصة لدى الخلفاء والامراء ، وكثيرا ما أغدقوا عليهم العطاء ، وقد عمرت هذه الحركة ثلاثة قرون أو يزيد ، فقد أسهم فيها الامويون ، ودفعها الخلفاء العباسيون دفعة قوية ، ولاسيما المنصور والرشيد والمأمون منهم ، واستوعبت مواد مختلفة ، وأصبحت بغداد (وريثة أثينا وروما والقسطنطينية) كعبة يحج اليها الباحثون والدارسون من أطراف العالم الاسلامي .

ولا نزاع في أن حنينا بن اسحق من شيوخ هؤلاء المترجمين ، ان لم يكن شيخهم جميعا ، فقد ترجم عن اليونانية والسريانية ، ويقال : انه ألم بالفارسية ، ولكن لم ينسب اليه شيء ترجمه عنها ، وراجع كثيرا مما ترجم غيره وأصلح أو أعاد ما ساءت ترجمته ، وأنشأ مدرسة لتكوين المترجمين (١) فمن هو حنين هذا ؟

حياته :

هو حنين بن اسحق العبادي المكني بأبي زيد (٢) . والعباد (بكسر العين وفتح الباء) من بطون القبائل العربية التي تفرقت في القرون الاولى للمسيحية ،

---

* واسمه باللاتينية Johnnitius .

(١) د. مدكور (مهرجان حنين) .

(٢) الفهرست لابن النديم ط فلوجل ٢٩٤/٢٩٥ .

مكتبة المهتدين الإسلامية

واستوطن قسم منها الحيرة (٣) والحيرة معناها بالآرامية (حيرتا) الحصن أو المعسكر ، مدينة قديمة معروفة ، وهي قرب الكوفة وكانت عاصمة اللخميين في جنوب العراق ، وكانت تنتمي الى كنيسة المشرق المسماة بالنسطورية ٠

ولد حنين في الحيرة ١٩١ هـ الموافق ٨١٠ م ، وكان والده اسحق صيدلانيا (٤) ولا يذكر التاريخ اسم أمه ، ولا يعلم ان كان له أخوة أو أخوات ، ما عدا أخته أم حبيش تلميذه ٠ وعلى الرغم من وضوح الانتماء بالنسبة لحنين ، فان (دير لاسي اوليري) يشير الى أنه لم يكن من الطبقة الحاكمة التي كانت تتكلم العربية وان ذلك يفهم من اسمه العبادي) (٥) ! !

وتتفق المصادر كافة على أنه ولد ونشأ في الحيرة ، ويشذ عن ذلك بعض المؤرخين كالشهرزوري والبيهقي ، فهما يذكران أنه بغدادي المولد ، شامي النشأة (٦) ٠

نشأ مولعا بصناعة الطب كأبيه ، كما أنه تلقى مبادىء العلم الاولى في الحيرة مسقط رأسه ، فتمكن من السريانية لغة كنيسته التي كان فيها شماسا ولبس الزنار (٧) ٠

وتخلص حنين من ركاكة لغته العربية المشوبة بألفاظ سريانية ، بأن درس لغة الضاد في البصرة معتمدا في ذلك على كتاب (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي (٨) ٠

ويقال : انه أدخل كتاب العين هذا الى بغداد ، كما تشير بعض الروايات الى أن تعلمه العربية كان على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي نفسه ، ويبدو أن أول من جاء بهذه الرواية هو ابن جلجل ونقلها عنه الآخرون دون تمحيص ، ذلك لان الخليل بن أحمد توفي ١٧٥ هـ أي قبل ولادة حنين (٩) ٠

---

(٣) عيون الانباء / ٨٤ ٠
(٤) القفطي /١٧٤ ٠
(٥) حنين بن اسحق للسامرائي والعلوجي ص٢ نقلا عن (انتقال علوم الاغريق الى العرب) لدونيري /٢١٨ ٠
(٦) نقلا عن السامرائي والعلوجي / ص ٥ ٠
(٧) المصدر السابق نقلا عن القفطي وابن أبي أصيبعة وابن العبري ٠
(٨) نقلا عن عدد من المؤرخين ، كطبقات الامم لابن صاعد الاندلسي ، وتاريخ الحكماء للقفطي ، وطبقات الاطباء والحكماء لابن جلجل وعيون الانباء لابن أبي أصيبعة وتاريخ مختصر الدول لابن العبري (سامرائي وعلوجي) ٠
(٩) راجع هامش فؤاد سيد في طبقات الاطباء والحكماء ص ٦٨ ٠

http://www.al-maktabeh.com

رحلتــه :

سمع في شبابه دروس يوحنا بن ماسويه في (جند يسابور) ، وترى بعض المصادر أنه تتلمذ عـلى يد يوحنا بن ماسويه في بغداد ، على حين أن ابن ماسوية ترك جند يسابور الى بغداد في أول القرن الثالث الهجري ، كما يروي ابن جلجل في طبقات الاطباء والحكماء وتوفي سنة ٢٤٣ هـ ٠ وقد نال رضا معلمه ، الا أنه أغضبه بكثرة أسئلته ولجاجته في المعارضة ، فنهره قائلا له : « ماذا يصنع أهل الحيرة بالطب ، عليك ببيع الفلوس في الطريق ، فذلك خير للك »(١٠) فانصرف حنين تاركا مجلس معلمه وهو يبكي لهذه الاهانة ٠

ويبدو أن هذه الحادثة قد أثرت كثيرا في نفس حنين ، مما جعله يغادر بلاده قاصدا بلاد الاغريق حيث تعلم لغتهم ، ومكث هناك مدة لا يمكن تحديدها ، كما أن الاماكن التي قصدها والمدارس التي درس فيها غير معروفة ٠

ان اقامته في بلاد فيها مدارس ذات ثقافة عالية وانصرافه الى العلم واللغة ، قيضا له أن يصيب من الفكر الهيلنستي قسطا وافرا ، كما تمرس على الترجمة والطب ، واكتسب ثروة من المنهجية والعلم ، اضافة الى اللغة التي كانت يومذاك مفتاح الثقافة ، وقليل هم الذين كانوا يمتلكون زمامها من العرب (١١) ٠

عودتــه :

عاد حنين الى العراق بعد أن تعلم الاغريقية ، وكان قد تعلم العربيــة وأتقنها ، وبذا كان قد صار ماهرا في اللغات العربية والسريانية والاغريقية ، فانصرف الى الترجمة وهو في ميعة الصبا ، وأقر له بالفضل أستاذه الأول الذي كان قد عيره ، فكانت له هذه الواقعة بمثابة الدافع الى تحصيل العلم ، وأضحى حنين حجة بالطب بعامة وطب العيون بخاصة ، ووضع فيه كتبا عدة ٠

ولما عاد حنين الى بغداد احتضنه جبرائيل بن بختيشوع كبير الاطباء في بلاط المأمون ، ولم يستطع حنين خلال هذه المرحلة أن يحقق منزلة مرموقة ، الا انها كانت مرحلة الاعداد للمستقبل ، فلقد أعجب جبرائيل بترجمة حنين ، فكان أن عرفه بـ (محمد وأحمد وحسن) أولا موسى بن شاكر ، وكان الثلاثة يرعون النشاط العلمي ، فقام هؤلاء بتقديم حنين الى المأمون الذي كان قد أسس بيت الحكمة دارا للترجمة ، فعهد الى حنين بادارتها ، فكان لها الاثر الكبير في التطور الحضاري ، اذ ترجمت الكثير من الكتب العلمية والفلسفية الى العربية ، وكان يعمل مع حنين فيها عدد من المترجمين ٠

---

(١٠) المصادر السابقة ٠

(١١) حنين بن اسحاق / د٠ يوسف حبي ــ مهرجان حنين ١٩٧٤ م بغداد ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

ويبدو أن أحسن الترجمات وأكملها وأتقنها تمت في عهد المتوكل لان خبرة المترجمين مع حنين قد ازدادت وصقلت (١٢) .

مدرسته :

وتقديرا لمهمة الترجمة وتيسيرا لاسبابها رأى حنين أنه من الضروري أن ينشيء حوله مدرسة خاصة به يعد فيها مترجمين ومساعدين ، كان من تلامذتها ابنه اسحق وابن أخته حبيش بن الحسن الاعسم ، فقاموا ثلاثتهم بعمل جماعي نافع ، فقد كان حنين يترجم من اليونانية الى السريانية ثم يقوم حبيش بالنقل الى العربية ، أو يترجم اسحق من اليونانية الى العربية مباشرة ويراجع عليه أبوه .

واشترك في هذه المدرسة موسى بن خالد ويحيى بن هارون واصطفان بن باسيل الذين كثيرا ما قترن اسمه باسم حنين أو اسحق في بعض الكتب المترجمة .

وقد عني الاستاذ بأن يرسم لتلاميذه بعض الخطط ، وأن يضع للترجمة بعض القواعد وأن يمرنهم عليها عمليا ، ولعله وضع من أجلهم كتابه (أحكام الاعراب على مذهب اليونانيين) وهو دون نزاع المسؤول الاول عن النصوص التي ترجمت ، فقد أسهم في جمع مخطوطاتها وتخير أصلحها ، ونصح باعادة ما لم تستقم ترجمته من قبل (١٣) .

معاصروه من المترجمين :

كان القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) عامرا بكبار المترجمين ، فقد ظهر فيه مع حنين واسحق وحبيش مترجمون كبار آخرون مثل :

١ ــ ثابت بن قرة الحراني الذي كان رئيسا لطائفة الصابئة الوثنية عبدة النجوم والكواكب السيارة فقد ولد ٢٢٢ هـ وتوفي ٢٨٨ هـ .

٢ ــ قسطا بن لوقا البعلبكي الذي عرف بالفلسفة والهيئة والهندسة والحساب والموسيقا ولد سنة ٢٠٤ هـ وتوفي سنة ٢٩٩ هـ .

٣ ــ يوحنا بن البطريق .

٤ ــ يحيى بن عدي التكريتي وهو تلميذ حنين ولد في تكريت سنة ٢٨٠ هـ وتوفي في بغداد سنة ٣٦٤ هـ .

---

(١٢) ضحى الاسلام لاحمد أمين ص ٢٨٤ .
(١٣) د. ابراهيم مدكور (مهرجان أفرام حنين) ١٩٧٤ م .

http://www.al-maktabeh.com

٥ ـ ويوحنا بن ماسويه النصراني المتوفى سنة ٢٤٣ هـ وهو تلميذ جبرائيل بن بختيشوع وأستاذ حنين وكان ثمة غيرهم مما لا مجال لذكره هنا • وكانوا علماء ملمين بموضوع المؤلفات التي تصدوا لترجمتها • وقد استنوا لونا من التأليف يحاول أن يعطي فكرة عامة عن علم أو فن معين وهو أشبه ما يكون بتمهيد أو مدخل لذلك العلم ، ودرجوا على أن يسموه (مدخلا) أسوة بـ (ايساغوجي) فهو مدخل للمنطق الصوري لفورفوريوس •

وقاموا أيضا بدراسات (بيبلوغرافية) لحصر مؤلفات كبار الباحثين ، ومن ذلك رسالة حنين الى علي بن يحيي في ذكر ما ترجم من كتب جالينوس •

ثقافتــه :

ان التقاء الثقافات المختلفة فيه اغناء للبشرية التي تستفيد من ذلك الالتقاء استفادة كبيرة ، أما حنين فيمكننا أن نراه مثلا أعلى في هذا المجال آذ التقت في شخصيته ثلاث ثقافات هي :

الثقافة العربية والثقافة السريانية والثقافة اليونانية • وقد تفاعلت هذه الثقافات الثلاث فكونت ثقافة جديدة لها صبغة خاصة تميزها عن الثقافات السابقـة •

ثم نرى أن شخصية حنين برزت في ميادين متعددة مثل :

أ ـ نقل العلم : فقد ترجم حنين ما يزيد عن مائتي كتاب من اليونانية الى العربية ، منها خمسة وتسعون كتابا فيما يخص جالينوس •

ب ـ تعدد المعارف : لم يكتف حنــين بالطــب بل اهتم بعلوم أخـرى كالطبيعيات والرياضيات والتنجيم وتعبير الرؤيا والفلسفة والتاريخ والنحو واللغة ، ففي جميعها ترجم أو ألف •

حنــين المترجم :

بدأ حنين في الترجمة حين كان في السابعة عشرة من عمره ، وليس من شك في أن ما ترجمه آنذاك لم يكن على درجة من الجودة ، ولذا كان من البديهي أن يعيد النظر فيما ترجمه بعد ذلك •

---

(١٤) من مقال بعنوان (حالية حنين بن اسحق) للبروفيسور : جيرار تروبو ـ أستاذ المعهد الوطني للغات الشرقية في باريس [مهرجان أفرام حنين] ١٩٧٤ م •

مكتبة المهتدين الإسلامية

أما أنواع المعرفة التي ترجم فيها حنين فهي العلوم الطبية بشكل عام ، ولما كان الرأي آنذاك هو أن يكون الطبيب فيلسوفا ، فاننا نجد حنينا يترجم في المنطق والفلسفة وتختلف أرقام الكتب التي يقال : انه ترجمها ، ولسنا في مجال الخوض في تحقيق ذلك ، الا أن الامر الذي يجب الالتفات اليه ، هو اختلاف الروايات في نسبة بعض المؤلفات الى حنين ٠ فمما يذكره ابن النديم : « أن من سعادة حنين أن ما نقله حبيش بن الحسن وعيسى بن يحيى وغيرهما الى العربـي ينحل الى حنين » (١٥) ٠ كما يشير القفطي الى أن من جملة سعادة حنين صحبة حبيش له ، فان أكثر ما نقله حبيش نسب الى حنين ، وكثيرا ما يرى الجهال شيئا من الكتب القديمة مترجما بنقل حبيش ، فيظن الغر منهم ان الناسخ أخطأ في الاسم ، ويغلب على ظنه أنه حنين وقد صحف فيكشطه ويجعله حنين (١٦) ٠

وقد أثبت البحث العلمي أن بعض الكتب التي نسبت اليه انما هي من عمل تلاميذه ومدرسته لا من عمله (١٧) ٠

والامر الآخر الذي يجب التنبه اليه هو أن المؤرخين يختلفون حول تسمية الكتاب الواحد لحنين ، فيصار الى التوهم بتعدد الكتب بحسب تعدد العناوين ٠ وواقع الحال أن الكتاب واحد اختلف المؤرخون في عنوانه ٠

ومهما يكن من أمر الكتب التي ترجمها حنين وعددها واختلاف المؤرخين حول أسمائها فان حنينا أحدث آثارا مهمة تلخص فيما يأتي :

١ ـ عظم الفائدة التي قدمها حنين بنقله نتاج القرائح اليونانية الى العربية سواء بترجمتها عن السريانية أو بترجمتها عن اليونانية ، مما أغنى الفكر العربي ٠

٢ ـ ان حنينا في عملية الترجمة التي قام بها جوبه بالكثير من الكلمات اليونانية التي لم يعرف لها نظير في السريانية أو العربية ، من مصطلحات طبية وفلسفية وأسماء نباتات وحيوان وعلم هيئة ، وكان عليه أن يوجـد لتلك المصطلحات ألفاظا عربية تقابلها ان أستطاع ذلك ، أو يصقل الكلمات الاجنبية صقلا عربيا ان لم يستطع ، وقد نجح حنين في ذلك (١٨) ٠

٣ ـ كانت ترجمة حنين وافية دقيقة على حين كانت ترجمات من سبقوه

---

(١٥) الفهرست / ٢٨٩ ٠
(١٦) تاريخ الحكماء / ١٧٧ ٠
(١٧) ضحى الاسلام / ٢٨٥ ٠
(١٨) المصدر السابق نفسه ٠

http://www.al-maktabeh.com

ركيكة حافلة بالاخطاء والاغلاط ، ومما يروى أن ابن ماسويه ، قرأ قطعة من ترجمة حنين فكثر تعجبه وقال : « ترى أوحى الله في دهرنا الى أحد ؟ فقيل له كيف ؟ فقال : ليس هذا الا اخراج مؤيد بروح القدس » (١٩) ٠

ويرى (ماير هوف) أن ترجمات حنين تكشف عن حرية في تصريف الترجمة ومقدرة عجيبة في اللغة العربية ، وأسلوب سهل خال من التعقيد ، اذا ما قورن بأصله اليوناني مع دقة في التعبير وخلو من الحشو والركة (٢٠) ٠

٤ ـ كون حنين مدرسة للترجمة لها طريقتها الخاصة التي لم تكن معروفة في الترجمة ، واستطاعت هذه المدرسة أن تقوم بترجمة الكثير من المخطوطات الاغريقية الى العربية والسريانية ، فحلت محل الترجمات الرديئة التي كانت موجودة (٢١) ٠

وقد اعتمدت هذه المدرسة على وضوح المعنى ، وجودة الاسلوب ، وان اضطرت الى استعمال المصطلحات العلمية بألفاظها ، فانها تتبعها بشرح معناها ، الى أن تؤلفه الكلمة في العربية ويحدد مدلولها ٠

وكان حنين يضع المتن بين قوسين ويتبع ذلك ما عنده من شرح ، وقد جرى على هذا النمط علماء المسلمين بعده في كتبهم (٢٢) ٠

طريقته في الترجمة :

اذن تختلف طريقة حنين في الترجة عن طريقة ابن البطريق الذي كان يقيد نفسه بحرفية النص ، اذ كان حنين يتوخى أداء المعنى بتعبير سلس ودقة علمية ، متحاشيا الغموض ومتجنبا التحوير ، وكان امتلاكه زمام اللغات يساعده على ذلك كما انه اتصف بالفصاحة وسلاسة الاسلوب ، فيقول عنه ابن النديم :

« وكان فصيحا باللغة اليونانية والسريانية والعربية » (٢٣) وحنين من الاوائل الذين استنبطوا الطريقة العلمية والنقدية في الترجمة ومارسها ممارسة ناجحة ، فهو لم يكن يكتفي بمخطوطة واحدة يترجم عنها ، بل كان يعمد الى جمع أكبر عدد من المخطوطات للكتاب الواحد قبل اقدامه على ترجمته ، كما كان

---

(١٩) تاريخ الحكماء / ١٧٥ ٠
(٢٠) تراث الاسلام / ٤٥٥ ٠
(٢١) أوليري / ٩٨ ـ ٢٢٠ ٠
(٢٢) ضحى الاسلام / ٢٨٨ ٠
(٢٣) الفهرست / ٤٢٣ ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

يرجع الى ترجمات سالفيه أمثال (سرجيوس الراسعيني) وأيوب الرهاوي ، ويستنير بآراء العلماء القدامى ، حتى الوصول الى درجة كبيرة من اتقان الترجمة وجودتها ، فحنين دار البلاد في جمع الكتب القديمة • وسافر الى بلاد كثيرة ووصل الى أقصى بلاد الروم لطلب الكتب التي قصد نقلها ، وألح على ملك الروم أن يفتح له الهيكل المختوم وما فيه من الكتب القديمة (٢٤) ويقول حنين في طريقة ترجمته لكتاب البرهان : « لم يقع الى هذه الغاية الى أحد من أهل دهرنا لكتاب البرهان نسخة تامة باليونانية ، على أن جبرائيل قد كان عني بطلبه عناية شديدة وطلبته أنا بغاية الطلب ، وجلت في طلبه بلاد الجزيرة والشام كلها وفلسطين ومصر الى أن بلغت الاسكندرية ، فلم أجد منه شيئا الا بدمشق نحوا من نصفه ، الا أنها مقالات غير متوالية ولا تامة • وقد كان جبرائيل ايضا وجد منها مقالات ليست كلها المقالات التي وجدت بأعيانها ، وترجم له أيوب ما وجد منها • وأما أنا فلم تطب نفسي بترجمة شيء منها الا باستكمال قراءتها ، لما هي عليه من النقصان والاختلال • وللطمع وتشوق النفس الى وجدان تمام الكتاب •ثم اني ترجمت ما وجدت منه الى السريانية وهو جزء يسير من المقالة الثانية ، وأكثر المقالة الثالثة ، ونحوا من نصف المقالة الرابعة من أولها ، والمقالة التاسعة ما خلا شيئا من أولها فانه سقط • وأما سائر المقالات الأخر فوجدت الى آخر الكتاب ما خلا المقالة الخامسة عشرة ، فان في آخرها نقصانا (٢٥) •

وكان حنين يتوخى الكمال في أعماله الادبية ، لذا نراه لا يطمئن الى الترجمات التي قام بها وهو في سن الحداثة المبكر ، فيراجعها أو يترجمها ثانية ، فيقول في كتاب الفرق :

« ترجمته وأنا شاب من نسخة خطية يونانية مشوهة ، ثم لما بلغت الاربعين من عمري طلب الي تلميذي حبيش أن أصلحها بعد أن كنت قد جمعت قدرا من المخطوطات اليونانية وعند ذلك رتبت هذه بحيث نسقت منها نسخة صحيحة ، قارنتها بالنص السرياني ثم صححتها ، وتلك عادتي التي اتبعتها في كل ما ترجمته » (٢٦) •

ولم يكن حنين يؤمن بالعمل الفردي ، بل بالعمل الجماعي ، لذا نراه يختار له معاونين يعهد اليهم بما ينقله من اليونانية الى السريانية ، فينقلونه الى العربية ، أو ينقلون الى السريانية ما يضعه حنين بالعربية ، ولا يتوانى عن مراجعة ترجماتهم وتدقيقها •

---

(٢٤) الفهرست وعيون الانباء •
(٢٥) ابن أبي أصيبعة جـ ١ / ١٠٠ •
(٢٦) كتاب العشر مقالات في العين ، المقدمة / ٢٩ •

http://www.al-maktabeh.com

يبدو لنا من ذلك أن حنينا في الترجمة كان عصريا جدا ، وطريقته تشبه الطريقة التي يستعملها اليوم كبار المترجمين والمحققين ، اذ كان حنين يطلب بعناية شديدة أكبر عدد ممكن من النسخ اليونانية ـ كما رأينا ـ لكل كتاب يريد أن يترجمه ، ثم كان يقابل تلك النسخ بعضها ببعض ليحقق نصا يونانيا صحيحا ، وأخيرا كان يترجم ذلك النص الى العربية ٠

واذا ترجم حنين كتابا على نسخة واحدة ثم وقع على نسخة جديدة كان يقابل ترجمته بتلك النسخة ليصلح أخطاءها ٠ وكان كثير العناية بجمع النسخ اليونانية ، فانه يقول بشأن كتاب جالينوس بالنص : « ولا رأيت له نسخة باليونانية الا أن قوما أثق بخبرهم خبروني أنهم رأوه بحلب ، وقد طلبته هناك بعناية فلم أظفر به » ٠

وفي ترجمته الذاتية يذكر حنين مهمته في نقل العلم الى أطباء زمانه ، ويصف تراجمه فيقول : « ونقلت اليهم العلوم الفاخرة من اللغات التي لا يحسنونها ، ولا يهتدون اليها ولا يعرفون شيئا منها ، في نهاية ما يكون من حسن العبارة والفصاحة ، ولا نقص فيها ولا زلل ، ولا استغلاق ولا لحن ، باعتبار أصحاب البلاغة من العرب الذين يقومون بمعرفة وجوه النحو والغريب (٢٧) ٠

وكان حنين دقيقا في ترجمة المصطلحات العلمية ، واليكم هذا المثال على طريقته في ترجمة المصطلح الذي لم يستطع أن يضع له ما يقابله بالعربية ، ولم يتمكن من أن يعربه ، قال في (المسائل في العين) :

« ان على الدماغ غشائين يسميان باليونانية (مينينجس) (Meninges) أحدهما رقيق لين ، ومنفعته أن يغذي الدماغ بما فيه من الاوردة والعروق ، والآخر غليظ صلب يلي القحف وهو أعلى من الاول ، ومنفعته أن يقي الدماغ من الآفات » ٠

فنرى أن حنينا لم يضع بالعربية ما يقابل اللفظ (مينينجس) اليوناني الذي سمى السحايا ، وان الغشاء الدقيق الذي وصفه حنين يسمى بالمصطلح العربي (الام الحنون) (Meningina) والغشاء الغليظ الصلب هو ما يدعى (الام الجافية) Dura Mater وهكذا نجد أن المصطلح العربي اللائق ان أعجزه اتخذ بديلا عنه الترجمة مع الشرح ٠

ولا يعني هذا أنه واضع جميع ما في كتبه من مصطلحات ، لكنه يمكن

(٢٧) د٠ حبي / (مهرجان حنين) / ٣١٥ ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

القول : انه هو الذي اختار بعضها ووضع بعضها ، فالفضل يعود اليه في حسن الوضع وجودة الاختيار (٢٨) .

ولذا قال عنه جبرائيل بن بختيشوع : « فوالله لو مد له من العمر ليفضحن سرجيوس وليفضحن غيره من المترجمين » كما شهد له يوحنا بن ماسويه بقوله : « ليس هذا الاخراج الا اخراج مؤيد بروح القدس » (٢٩) . وحيث يقارن ابن أبي أصيبعة بين ترجمة حنين وترجمات غيره يقول : « تباين كثير وتفاوت بيّن ، وأين الالكن من البليغ ، والثرى من الثريا » (٣٠) .

مكتبته :

يقول الاستاذ كوركيس عواد (٣١) :

« ... فهذا العالم الجليل الذي وقف على الثقافات القديمة ووضع التصانيف العديدة في العربية والسريانية ، كان قد أحرز مكتبة عظيمة حافلة بنوادر الكتب ونفائسها ، بما هو مؤلف ومترجم ، ولم يسلم من مؤلفات حنين التي تعد بالمئات الا النزر اليسير فأما سائرها فقد امتدت اليه يد الفناء ، فأضاعته بسبب حساده الذين أوغروا عليه قلب الخليفة المتوكل على الله العباسي ، فأوقع به تلك النكبة الهائلة التي تناولتها كتب التراجم معتمدة في ايرادها على ما دونه حنين نفسه عن هذه الكارثة التي حلت به اذ قال : (ان جميع ما قد كان يملكه من الكتب ذهب حتى لم يبق عنده منها ولا كتاب واحد) ذكر ذلك في مقالته في فهرست كتب جالينوس (٣٢) .

فقد وجه الخليفة حين سخط عليه بسبب امتهانه صورة العذراء مريم فحمل جميع ما كان لي ـ والكلام لحنين ـ من رحل وأثاث وكتب وما شاكل ذلك ، وأمر بنقض منازلي الى الماء (٣٣) .

والواقع أن حنينا ما تألم لشيء مما استصفاه الخليفة من أملاكه ومقتنياته تألمه لفقدان مكتبته وحرمانه منها .

ولعل مما اشتملت عليه مكتبة حنين نسخة من كتاب (الفصول الحكمية

---

(٢٨) من مقال بعنوان (أثر مدرسة جنديسابور في المصطلحات الطبية لحنين) د. فيصل دبدوب / ٤٧٩ .
(٢٩) ابن أبي أصيبعة / ٢٥٩ .
(٣٠) عيون الانباء / ١٧٥ .
(٣١) (مكتبة حنين بن اسحق) مقال في مناسبة مهرجان أفرام حنين ١٩٧٤ م .
(٣٢) نقلا عن عيون الانباء .
(٣٣) المصدر السابق نفسه .

http://www.al-maktabeh.com

والنوادر الطبية) الموجودة الآن في المكتبة المركزية في طهران • ومما سلم من مؤلفات حنين نسخة عتيقة جدا من كتاب (نوادر الحكماء) يرجع تاريخ نسخها الى ٢٤٩ هـ • وقد كان حنين يومـذاك حيا ، وهي موجودة كـذلك في مكتبة طهران المركزية •

ننتهي من ذلك كله الى أن مؤلفات حنين لو كتبت لها أن تبقى برمتها الى اليوم لقامت منها خزانة كتب نادرة •

بعض المصادر التي أشارت الى آثار حنين :

ا ـ **ابن النديم** : الفهرست (تحقيق غوستاف فلوجل ، ليبزغ ١٨٧١ م) ذكر في الصفحات ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٥ ، ٢٦٨ ، ٢٨٨ ، ٢٩٥ مايقارب ٨٨ أثرا •

ب ـ **ابن جلجل** : طبقات الاطباء والحكماء (تحقيق فؤاد سيد) ذكـر ستة آثار •

ج ـ **ابن أبي أصيبعة** : عيون الانباء في طبقات الاطباء (تحقيق اوغوست مولر) ط القاهرة المطبعة الوهبية ١٨٩٢ م • فقد ذكر ١١١ أثرا •

د ـ **القفطي** : اخبار العلماء بأخبار الحماء (تحقيق يوليوس ليبرت ـ ليبزغ ١٩٠٣ م) ذكر ٨٤ أثرا •

هـ ـ **حاجي خليفة** : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (استانبول ١٩٤١ م) ذكر ١٥ أثرا منها المقالات العشر في مداواة العين وأحوالها •

و ـ **اسماعيل باشا البغدادي** : هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (استانبول ١٩٥١ م) ذكر ٨١ أثرا •

ز ـ **بروكلمان** : ذكر ٦١ أثرا •

ح ـ **تراث الاسلام** : جمهرة من المستشرقين باشراف (سير توماس آرنولد) ترجمة جرجيس فتح الله (دار الطليعة بيروت ـ ١٩٧٢ م) فقد ذكر ماير هوف لحنين تسعة آثار ، كما أن الفريد غيوم ذكر لحنين سبعة آثار •

ط ـ **الدكتور صلاح الدين المنجد** : (مصادره جديدة عن تاريخ الطب عند العرب) مجلة معهد المخطوطات العربية ، ذكر لحنين ١٩ أثرا •

ي ـ **خير الدين الزركلي** : الاعلام ـ ذكر لحنين ثمانية آثار •

مكتبة المهتدين الإسلامية

ك ــ **الدكتور أحمد فريد الرفاعي** : عصر المأمون ، فقد ذكر لحنين ٥٥ أثرا ٠

ل ــ **عمر رضا كحالة** : معجم المؤلفين ، ذكر فيه خمسة آثار لحنين ٠

م ــ **القس الدكتور يوسف حبي** : آثار حنين ، ذكر ٢٠٧ آثار ٠

آثــار حنين :

لقد ذكر السيدان عامر رشيد السامرائي وعبد الحميد العلوجي في كتابهما (آثار حنين بن اسحق) الذي طبعه مجمع اللغة السريانية في بغداد ١٩٧٤ م ، ٦٦٩ أثرا وشرحا كل ما يتعلق بهذا الاثر شرحا موجزا ، والمصادر التي ورد فيها هذا الاثر ثم أنهما أدرجا ادراجا مفصلا الآثــار التي ترجمها حنـين الى العربية وعددها ٩٧ أثرا والآثار التي ترجمها الى السريانية وعددها ٢١ أثرا ٠ وآثار حنين الضائعة أو التي يحتمل ضياعها وعددها ١٠٨ آثار ٠ ثم الآثار التي راجع حنين ترجمتها وعددها ١٥ أثرا ٠ كما ذكر ٥٣ أثرا من مؤلفات حنين باللغة العربية ٠ وثلاثة مؤلفات بالسريانية ٠ كما أدرجا آثار حنين المطبوعة وعددها ٢٥ أثرا والمخطوطة وعددها ٦٥ أثرا (٣٤) ٠

حساده ومحنته :

لقد بلغ حنين ذروة المجد حين عينه الخليفة المتوكل رئيسا للاطباء وامتحنه قبل تعيينه ، وفي ذلك حادثة طريفة ذكرتها كتب التاريخ والتراجم وملخصها : طلب الخليفة منه أن يصنع له دواء يقتل به عدوا ، فامتنع حنين ، وعذره أنه لم يتعلم سوى الادوية النافعة للناس ، ولعل حنينا أدرك شكـوك الخليفة بـه فاعتذر وقد ضغط الخليفة عليه فسجنه ، ولكنه ما لبث أن عفا عنه وأعاده الى عمله (٣٥) ٠

يقول الكاتب الدكتور فاروق عمر (٣٦) :

ان هذه الرواية معقولة تاريخيا ، فالمعروف عن المتوكل تشدده تجاه أهل الذمة وشكه في ميل فئة منهم الى اعدائه البيزنطيين ، ولما كان حنين نصرانيا قد تجول في بلاد الروم ومكث هناك مدة ، مما أثار شكوك الخليفة فيه ، وأنه على اتصال بهم ، وربما نجحـوا في استخدامـه عينا لهم عـلى تحركـات العباسيين

---

(٣٤) لزيادة التفصيل راجع كتاب (آثار حنين بن اسحق) تأليف السامرائي والعلوجي ٠
(٣٥) (حنين بن اسحق والسلطة العباسية) د٠ فاروق عمر / ٤٣٠ (المهرجان) ٠
(٣٦) المصدر السابق نفسه ٠

http://www.al-maktabeh.com

وسياستهم ، أو قد استخدموه لقتل الخليفة نفسه ، ولا سيما وأن البيزنطيين نجحوا في ايجاد روابط بينهم وبين نصارى الجزيرة الفراتية ولبنان وأرمينية . وأن بلاد الروم كانت ملجأ لبعض الثوار أو المتمردين من النصارى وغيرهم في هذه الفترة (٣٧) .

ثم ان الحساد أثاروا عليه قضية الايقونة ، اذ يؤكد ابن جلجل وابن الداية والقفطي وابن أبي أصيبعة رواية الايقونة مع اختلاف في الاسماء والتفصيلات (٣٨) وهي أن صديقه الطيفوري كان يحسده فلفق له تهمة البصق على الايقونة ، كما يروي ابن العبري ، ثم عاقبه الجاثليق والاساقفة فأوجبوا حرمانه وقطع زناره .

كما أثاروا عليه قضية الزندقة والكفر ، فقد أشار ابن أبي أصيبعة الى أن بختيشوع بن جبرائيل ، ذكر للمتوكل بأن حنينا لا يحترم السيدة مريم والسيد المسيح وهو زنديق ملحد لا يقر بالوحدانية ولا يعرف آخرة ، ويستتر بالنصرانية مع أنه معطل مكذب بالرسل .

يقول الكاتب معلقا : وربما كانت هذه التهمة الاخيرة هي التي كانت سببا مباشرا في محنة حنين في عهد المتوكل ، لانه عد الفلسفة والمنطق خطرا على العقيدة والمجتمع مما توضحه رسالة حنين الجدلية التي ناقش فيها بطريقة ذكية بعض المسائل الاسلامية . ولعل محنة حنين هذه تذكرنا بمحنة عبد الله ابن المقفع وأحمد بن حنبل والحلاج والسهروردي وابن العربي وغيرهم من رجال الفكر والمعرفة في كل زمان ومكان (٣٩) .

وأخيرا لنستمع الى حنين نفسه حين يسرد بألم ومرارة نتفا من محنته ، في رسالة موجودة لدى ابن أبي أصيبعة اذ يقول (٤٠) :

« انه قد لحقني من اعدائي ومضطهدي ، الكافرين بنعمتي ، الجاحدين لحقي ، الظالمين لي المعتدين علي ، من المحن والمصائب والشرور ما منعني من النوم ، وأسهر عيني ، وشغلني عن مهماتي ، وكل ذلك من الحسد لي على علمي ، وما وهبه الله عز وجل من علو المرتبة على أهل زماني ، وأكثر اولئك أهلي وأقربائي ، فانهم أولى شروري ، وابتداء محنتي ، ثم من بعدهم الذين علمتهم وأقرأتهم وأحسنت اليهم وأرفدتهم ، وفضلتهم على جماعة أهل البلد من أهل

---

(٣٧) (العباسيون الاوائل) ج ٢ / ١٦٤ ـ دمشق ١٩٧٠ م للدكتور فاروق عمر .
(٣٨) نقلا عن المصدر السابق .
(٣٩) المصدر السابق نفسه .
(٤٠) عيون الانباء / ١٩١ .

مكتبة المهتدين الإسلامية

الصناعة ، وقربت اليهم علوم الفاضل جالينوس ، فكافؤوني عوض المحاسن مساوىء » ويعدهم ابن أبي أصيبعة بستة وخمسين شخصا ·

وفاتــه :

وتجدر الاشارة هنا الى أن ابن جلجل أورد رواية مفادها أن حنينا مات بعد غضب الخليفة عليه في المرة الثانية ، غير أن الاستاذ فؤاد سيد محقق الكتاب يقول (٤١) : ان هذه الرواية قد انفرد بها ابن جلجل ونقلها عنه الآخرون ، وان الادلة التاريخية تثبت أن حنينا عاش بعد المتوكـل ، وقد آثـر العزلـة والانصراف الى بحوثه وترجماته الخاصة ولا سيما أن وضع البلاط العباسي ، وسيطرة الاتراك الذين لم يكونـوا ليفهموا حنينا أدت بهـم الى الابتعاد عن الاضواء ·

وهكذا توفي حنين يوم الثلاثاء لست خلون من صفر ٢٦٠ هـ الموافق للاول من كـانون الاول ٨٧٣ م (٤٢) وكـان أقوى شخصية علمية عرفها القـرن الثالث الهجري ·

انه انسان عظيم ، وطبيب عالم ، ومترجم قدير ، وعبقري ، قلما عرف تاريخنا رجلا يضاهيه في مثل فنه ·

---

(٤١) د· فاروق عمر ، نقلا عن (العباسيون الاوائل) جـ ٢ / ١٦٤ نقلا عن طبقات الاطباء والحكماء ·

(٤٢) د· حبي (حنين بن اسحق) نقلا عن ابن النديم وابن صاعـد والقفطي وابن خلكان · وروي ابن أبي أصيبعة أنه توفي في زمان المعتمد على الله ٢٦٤ هـ ·

http://www.al-maktabeh.com

ملحق

باسماء المصادر والمراجع عن حنين بن اسحق

١ ـ عيون الانباء في طبقات الاطباء ـ لابن أبي أصيبعة ـ بيروت ـ ١٩٥٦ ـ ج٢ ٠

٢ ـ الكامل في التاريخ ـ لابن الاثير ـ دار صادر ـ بيروت ـ ١٩٥٦ ـ م٧ ٠

٣ ـ تاريخ مختصر الدول ـ لابن العبري ـ مط الكاثوليكية ـ ط٢ ـ بيروت ـ ١٩٥٨ ٠

٤ ـ الفهرست ـ لابن النديم ـ اعداد فلوجل ـ مكتبة خياط ـ بيروت ـ ١٩٦٣ ٠

٥ ـ طبقات الاطباء والحكماء ـ لابن جلجل ـ ت فؤاد سيد ـ القاهرة ـ ١٩٥٥ ٠

٦ ـ وفيات الاعيان وأنباء الزمان ـ لابن خلكان ـ مكتبة النهضة ـ القاهرة ـ ١٩٤٨ ٠

٧ ـ تاريخ حكماء الاسلام ـ ظهير الدين البيهقي ـ لاهور ـ ١٣٥١ هـ ٠

٨ ـ أخبار العلماء بأخبار الحكماء ـ القفطي ـ مط الخانجي ـ ١٣٢٦ هـ ٠

٩ ـ نزهة الارواح وروضة الافراح ـ الشهرزوري ٠

١٠ ـ طبقات الامم ـ لابن صاعد الاندلسي ـ نشره لويس شيخو بالمشرق ـ بيروت ـ ١٩١٢ ٠

١١ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ لابن عماد الحنبلي ـ ج١ ـ القاهرة ٠

١٢ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ـ حاجي خليفة ـ استانبول ـ ١٩٤١ ٠

١٣ ـ هدية العارفين بأسماء المؤلفين وآثار المصنفين ـ اسماعيل باشا البغدادي ـ استانبول ١٩٥١ ٠

١٤ ـ القاموس الاسلامي ـ أحمد عطية الله ـ مكتبة النهضة ـ القاهرة ـ ١٩٦٦ ٠

١٥ ـ تراث الاسلام ـ آرنولد ، توماس ـ ت جرجيس فتح الله ـ دار الطليعة ـ بيروت ١٩٧٢ ٠

١٦ ـ تاريخ الفكر العربي ـ اسماعيل مظهر ـ دار الكاتب العربي ـ بيروت ٠

١٧ ـ تاريخ حكماء الاسلام ـ أغناطيوس أفرام الاول برصوم ـ حلب ـ ١٩٥٧ ٠

١٨ ـ دائرة معارف البستاني ـ بطرس البستاني ـ مج٧ ـ طهران ـ ١٩٧٣ ٠

١٩ ـ الاعلام ـ خير الدين الزركلي ـ ج٢ ـ القاهرة ٠

٢٠ ـ دائرة المعارف الاسلامية ـ الشنتناوي وآخرون ـ مج٨ ـ ١٩٣٣ ٠

٢١ ـ أحوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية ـ روفائيل اسحق ـ ١٩٦٠ ٠

٢٢ ـ بيت الحكمة ـ سعيد الديوجي ـ الموصل ـ ١٩٥٤ ٠

٢٣ ـ معالم الفكر العربي في العصر الوسيط ـ كمال اليازجي ـ بيروت ـ ١٩٦٦ ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

٢٤ ـ خزائن الكتب القديمة في العراق ـ كوركيس عواد ـ بغداد ـ ١٩٤٨ ·

٢٥ ـ مقدمة كتاب العشر مقالات في العين ـ د· ماكس مايرهوف ـ القاهرة ـ ١٩٢٨ ·

٢٦ ـ حنين بن اسحق رائد الترجمة في العصر العباسي ـ محمد الطريحي ـ النجف ـ ١٩٧٤ ·

٢٧ ـ معجم المؤلفين ـ عمر رضا كحالة ـ دمشق ـ ١٩٥٧ ·

٢٨ ـ معجم المطبوعات العربية ـ يوسف اليان سركيس ـ القاهرة ـ ١٩٢٨ ·

٢٩ ـ الحيرة المدينة والمملكة العربية ـ يوسف رزق الله غنيمة ـ بغداد ـ ١٩٣٦ ·

٣٠ ـ دائرة معارف القرن العشرين ـ محمد فريد وجدي ـ مج٣ ـ القاهرة ـ ١٩٧١ ·

٣١ ـ تاريخ التمدن الاسلامي ـ جرجي زيدان ـ ج٣ ·

٣٢ ـ ضحى الاسلام ـ أحمد أمين ـ ج١ ـ القاهرة ـ ١٩٣٣ ·

٣٣ ـ الفكر العربي ومكانه في التاريخ ـ اوليري ، ديلاسي ـ ترجمة د· تمام حسان ـ القاهرة ١٩٦١ ·

٣٤ ـ الحضارة الاسلامية ـ خوادبخش ـ ترجمة علي حسني الخربوطلي ـ القاهرة ـ ١٩٦٠ ·

٣٥ ـ عقود الجوهر في تراجم من لهم خمسون مصنفا فأكثر ـ جميل بك العظم ـ بيروت ـ ١٣٢٦ هـ ·

٣٦ ـ تاريخ الادب العربي ـ كارل بروكلمان ·

٣٧ ـ مصادر جديدة عن تاريخ الطب عند العرب ـ د· صلاح الدين المنجد ـ مجلة معهد المخطوطات العربية ١٩٥٩ ·

٣٨ ـ عصر المأمون ـ د· أحمد فريد رفاعي ـ ج١ ـ القاهرة ـ ١٩٢٨ ·

٣٩ ـ تاريخ الطب العراقي ـ عبد الحميد العلوجي ـ بغداد ـ ١٩٦٧ ·

٤٠ ـ فضل العرب على أوربا ـ الدكتورة سيجريد ـ ترجمة فؤاد حسين علي ـ القاهرة ـ ١٩٦٤ ·

http://www.al-maktabeh.com

حركة الترجمة العلمية وتوسعها في العصر العباسي

الدكتور محمد مروان السبع
أستاذ في جامعة حلب

لعل من أهم مقومات النهضة العلمية أن تتصدى الفئة الجليلة من العلماء لارساء دعائم متينة في خطط البحث العلمي ووضع الخطوات السليمة في عملية الترجمة الخلاقة لرفد ينابيع العلم والمعرفة بروافد معطاءة ثرة تذكي شعلة النهضة العلمية وتمد جذورها لتشمل ميادين الحياة الفكرية والعلمية كافة ٠

وليس من شك في أن لعملية الترجمة آثارا عظيمة تجوز حدود الجيل الذي قام بعبء الترجمة وتتخطى آفاق العصر الذي أضاءت فيه أنوار الترجمة وشعت معارفها ولألاؤها لتصب في نهر الحضارة الثقافية الذي ينساب عبر الازمان والدهور ٠

ومن غير جدال فان الركائز الاساسية التي تعتمد عليها عملية الترجمة تشمل :

ـ وجـود الاشخاص المترجمـين القادرين عـلى فهم اللغة المترجم عنها والمتمكنين من اللغة التي يترجم اليها ٠ ويجب أن يتصف هؤلاء المترجمون بالامانة العلمية والصبر والمقدرة والمستوى العلمي الذي يتناسب وسوية الكتب التي تجري الترجمة عنها ٠

ـ تأمين النفقات والمستلزمات التي تحتاج اليها عملية الترجمة ٠ ومـا تتضمنه من أجور المترجمين واثمان الكتب وغير ذلك ٠

ـ انتقاء الكتب العلمية المراد ترجمتها بما يتماشى ومقومات النهضة العلمية ويلبي تطلعات الاجيال المترادفة من العلماء والباحثين ٠

وبكل ثقة وفخر نذكر أن هذه الركائز الاساسية لعملية الترجمة كانت متوافرة في أجلى مظاهرها عند بدء عصر النهضة العلمية وبواكير تفتحها لدى العرب المسلمين ٠ وقد زاد من حماسة المترجمين واقبالهم على عملية الترجمة وأذكى أوارها اهتمام الخلفاء والامراء المتنورين أنفسهم كالمنصور والرشيد والمأمون والمعتصم وغيرهم بذلك وحثهم العلماء والمترجمين على رصد الكتب القيمة التي يجب ترجمتها الى العربية والاسراع في ذلك ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

بواكير الترجمة العلمية وبدء مسيرتها :

في الوقت الـذي أخذت فيه الحضارتان الفارسية والبيزنطيـة تلفظان أنفاسهما الاخيرة وقد وصلتا الى ادراك الانحطاط التاريخي بدأت فتوحـات العرب تصل الى أوج عنفوانهـا • ولقد لقت العالم الـذي فتحه اتباع النبي محمد عيون الفاتحين وابصارهم على كنوز الحضارات المجاورة وألهبت خيالهم وأذكت هممهم ، فاخذوا يدرسون الآداب والفنون ومختلف العلوم بنشاط جم يماثل نشاطهم العظيم في الفتوح • ولـم يلبث الخلفاء بعد أن أشادوا دولـة الاسلام أن انشؤوا في جميع المدن المهمة مراكز للتعليم والترجمة ، وجمعوا حولهم كل عالم قادر على ترجمة أمهات الكتب ولا سيما كتب اليونان •

ولقد كان مما سهل أمر الترجمة العلمية أن معارف اليونان والرومان وثقافاتهم العلمية القديمة كانت منتشرة ومعروفة في بلاد فارس وسورية منذ زمن • والدليل على ذلك أن النساطرة لما نفوا من دولة الروم أقاموا في مدينة الرها مدرسة لنشر معارف اليونان وثقافتهم في آسية • وكذلك نجد أن تلك المدرسة لما هدمت في عهد زنون الايزوري تهافت أكاسرة بني ساسان على احتضان أساتذتها وترغيبهم ، وكان من نتائج هذا القبول الحسن ووالتشجيع الكبـير أن قصد علماء أثينة والاسكندرية بلاد فارس عندما أغلق الامبراطور جوستينيان مـدارس هـاتين المدينتين فنقلوا الى أكثر لغـات الشرق انتشارا كالسريانية والكلدانية وغيرها أهم كتب الثقافة اليونانية وعلمائها مثل أرسطو وجالينوس وديسقوريدس • وعندما فتح العرب بلاد فارس وسورية وجدوا خزائن كثيرة من العلوم اليونانية ، فأمروا بنقل ما في اللغة السريانية الى اللغة العربية ، غير أنهم لم يلبثوا أن أمروا بنقل كل العلوم التي لم يجر نقلها الى العربية ، لذلك أخذت دراسات العلوم والآداب يسير قدما نحو الامام •

ولم يدم اكتفاء العرب بما نقل الى لغتهم طويلا فقد تعلم عدد غير قليل منهم اللغة اليونانية ولا سيما أنهم أرادوا أن يستقوا منها علوم اليونان ثم تعلموا اللغة اللاتينية والقشتالية في اسبانيـا كما يشهد بذلـك مـا في مـكتبة الاسكوريال من المعاجم العربية ـ اليونانية والعربية ـ اللاتينية والعربية ـ الأسبانية التي ألفها علماء من المسلمين •

ولقد كانت معارف اليونان واللاتين القديمة أساسا لثقافة متعلمي العرب في الطور الاول وكان هؤلاء المتعلمون كالطلاب الذين يتلقون في المدرسة ما ورثه الانسان من علوم الاولـين • واذنفلقد كانت اليونان بعلمائها وثقافتها أساتذة للمتعلمين العرب الاوائل • غير أن هؤلاء العرب المفطورين على قوة الابداع والخلق والنشاط لم يكتفوا بحال الطالب الذي اكتفت به اوربة في القرون

http://www.al-maktabeh.com

الوسطى · فلم يلبثوا أن تحرروا من هذا الطور الاول ، وانتقلوا الى مرحلة الابداع والابتكار والريادة في مجالات الحياة وعلوم الدنيا كافة من غير أن يتخلوا عن علم من العلوم أو معرفة من المعارف ·

ولقد يشده الانسان ويأخذه العجب والانبهار من تلك الهمم العالية التي أقدم بها العرب على البحث والتجربة · واذا كانت هنالك أمم قد تساوت والعرب في ذلك فانك لا تجد أمة فاقت العرب على ما يحتمل · ولقد كان العرب اذا ما فتحوا مدينة صرفوا همهم الى انشاء مسجد واقامة مدرسة فيها · واذا كانت تلك المدينة كبيرة أسسوا فيها مدارس كثيرة ، ومنها المدارس العشرون التي روى بنيامين النطيلي المتوفى عام ١١٧٣ م أنه شاهدها في الاسكندرية · عدا عن أن المدن الكبرى كبغداد والقاهرة وطليطلة وقرطبة قد أقيمت فيها جامعات ضمت مختبرات ومراصد ومكتبات غنية زاخرة بالكتب العلمية ، وكل ما يساعد على اجراء البحث العلمي وتأمين مقوماته الاساسية ·

ولقد أنشأ العرب في اسبانيا وحدها سبعين مكتبة عامة تزخر بصنوف الكتب العلمية والادبية والتاريخية والفلسفية كافة وغير ذلك · ولقد كان في مكتبة الحكم الثاني الخليفة بقرطبة ٦٠٠ ألف كتاب منها ٤٤ من الفهارس كما روى ذلك مؤرخو العرب · ولقد قيل : ان شارل الحكيم أراد تقليد الحكم الثاني في جمعه للكتب فلم يستطع بعد ٤٠٠ عام من حكم هذا الخليفة أن يجمع في مكتبة فرنسا الملكية أكثر من ٩٠٠ مجلد يكاد ثلثها يكون خاصا بعلم اللاهوت ·

الآفاق العريضة لعملية الترجمة :

مع اشتداد حركة الترجمة العلمية وسعت دوائر التعليم العام ودعي الاساتذة المختصون من شتى أقطار العالم ، وبلغ علم الفلك درجة رفيعة من التقدم وتوصل العلماء الى نتائج علمية صادقة لم ينته اليها الاوربيون الا في العصر الحاضر كقياس دائرة نصف النهار ، ونقلت الى العربية كتب علماء اليونان واللاتين ولا سيما كتب الفلسفة والرياضيات ، وصارت تدرس في جميع المدارس والمراكز العلمية · وبحث العرب في آثار القدماء فسبقوا الاوربيين الى ذلك ببضعة قرون ·

وهكذا ترى أن العرب بلغوا درجة رفيعة من الثقافة بعد أن أتموا فتوحهم بزمن قصير ، بفضل الادارة الرشيدة التي سهلت للعلماء الاطلاع والبحث عن جميع الفنون المعقدة كالتعدين وطراز العمارة والعلوم كعلم الفلك والتي كانت مما لا تأتي عفوا · ولقد واصل العرب علوم الحضارات التي ظهرت قبلهم كالحضارتين اليونانية واللاتينية ، وكانت لهم مبتكرات فيما ورثوه من علوم

مكتبة المهتدين الإسلامية

هذه الحضارات وفنونها واخلاقها ، وكانوا بذلك على نقيض الروم الذين سلموا الى العرب تراث تلك الحضارات من غير أن ينتفعوا به أو يزيدوا عليه فسقطوا في أسفل دركات الانحطاط ٠

ولقد كان حب العرب للعلم عظيما ، ولم يترك الخلفاء في بغداد أو حكام الدول الاسلامية المتتابعة طريقا لاجتذاب العلماء ورجال الفن في العالم الا سلكوها ٠ ومن ذلك أنه أشهر أحد أولئك الخلفاء الحرب على قيصر الروم ليأذن لاحد الرياضيين المعروفين بالتدريس في جامعات بغداد ٠

ومما يذكر أن أحد أباطرة بيزنطة يعجب من رؤية بدوي منتصر غير متحضر يضع ضمن الشروط المفروضة عند النصر حقه في شراء المخطوطات اليونانية ٠ وكان هذا البدوي غير المتحضر الذي يتطلع الى المعرفة حاكما عربيا ٠ وهكذا حصل الخلفاء بهذه الطريقة وبطرائق أخرى على الكتب اليونانية التي كانت تتناول المعرفة والرياضيات والطب ، غير أنهم لم يقصروا معرفتهم ضمن حدود المعرفة اليونانية وحدها ففي سنة ٨٧٣ م كان المنصور يقدم للترجمة مباحثات فلكية هندية ألفت سنة ٤٢٥ قبل الميلاد ٠

وفي سنة ٨٣٠ م بدأ العرب يمارسون الترجمة الضخمة للكتب اليونانية وحتى ذلك الوقت كانت الترجمات تتم بجهود فردية كيفما تيسر ٠ وجمع المأمون المخطوطات للترجمة ، وشكل مجموعة من المترجمين في « بيت الحكمة » ووضعها تحت قيادة حنين بن اسحق وهو طبيب مسيحي وعالم متبحر في العلوم ٠ وقد ترجم حنين بن اسحق هنا ١٠٠ كتاب تقريبا لجالينوس ومدرسته الى اللغة السريانية و ٣٩ مخطوطا آخر الى اللغة العربية ، ومنها مؤلفات لابقراط وديسقوريدس وافلاطون ، وكذلك المقولات والطبيعة وكتاب الاخلاق لارسطو ، وكانت هذه المخطوطات نقطة الانطلاق لكشوف فكرية وابداعات ثقافية وابتكارات علمية ٠

ولا جدال في أنه بفضل هذه الترجمات أمكن لمخطوطات كانت قد فقدت أن تبقى حية محفوظة عندما ترجمت الى اللغة العربية ، ما دام النقل هنا يعدل التأليف ٠ وعلى هذا المنوال ترجمت الكتب السبعة في التشريح لجالينوس وكتاب القطاعات المخروطية لابولونيوس والحيل لأهرن وعلم الاهوية لفيلون ٠ ولقد شاء حسن الطالع أن العلم اليوناني في سورية كان ما يزال مشرقا عند وصول الفاتحين العرب ٠ ومن ثم شرح المترجمون شرحا وافيا النقاط الغامضة (بالنسبة الى الغرب) في النصوص اليونانية ٠ ولما كان المترجمون العرب علماء مجربين ومزودين بوثائق تمتاز بالقوة والاهمية فقد أسهموا في اضافة معرفتهم الخاصة وعلمهم الشامل الى مؤلفاتهم ٠ ولقد بلغوا من نجاحهم حدا جعل

http://www.al-maktabeh.com

المنصور يعرض الاموال العامة للخطر عندما كان يدفع لهؤلاء العلماء أثمان المؤلفات الجديدة بما يساوي أوزانها ذهبا • ولكن العمل أخذ يجري سريعا منذ منتصف القرن التاسع الميلادي • واستطاع علماء العرب أن يظهروا بلغتهم الاصلية على بعض المؤلفات العظيمة لفلاسفة يونانيين من المدرسة الافلاطونية الحديثة ، وكذلك بالنسبة الى المؤلفات العلمية والهندية والفارسية والسريانية •

وكان العلماء ورجال الفن والادباء من جميع الملل والنحل من يونان وفرس وأقباط وكلدان يتقاطرون الى بغداد ويجعلون منها مركزا للثقافة والعلم في الدنيا • وقال أبو الفرج عن المامـون : « كان يخـلو بالحكماء ويأنس بمناظرتهم ويلتذ بمذاكرتهم علما منه بأن أهل العلم هم صفوة الله من خلقه ونخبة من عباده ، فلهذا السبب كان أهل العلم مصابيح الدجى وسادة البشر وأوحشت الدنيا لفقدهم » •

ولا شك في أن العلم الذي وضعه العرب كان بعثا للعلم القديم ودفعا له نحو الامام واسهاما عظيما في تطويره واغنائه • ولقد تم كل ذلك نتيجة رغبة عميقة في العلم وتطلع قوي الى المعرفة غذتهما دراسة الآداب القديمة كاليونانية والسريانية والفارسية والهندية • ولقد كانت تلك الظاهرة ظاهرة عشق العلم وتشجيعه من صلب أعمال الخلفاء العظام كالمنصور والرشيد والمامون والمعتصم ، وكذا في نفوس رعايا الدولة الاثرياء والامراء والفقراء معا •

ميزات عملية الترجمة العربية :

لقد بدأت في العصر العباسي حركة ترجمة واسعة أمينة وحاذقة • واذا كانت الترجمات السريانية تشتمل على أخطاء فاحشة في النقل ، واذا كان الرجال الذين ترجموا من العربية الى اللاتينية في العصور الوسطى قد ساروا على هذا الخط تماما ، فان الترجمات العربية على النقيض من ذلك • فهي خالية من كل العيوب ، بل انه يمكن عدها آثارا شامخة تدل على عناية واخلاص وصدق في عملية الترجمة • ولقد تمت هذه الترجمات على أيدي شخصيات علمية لمع نجمها في القرن التاسع الميلادي بحماية ورعاية شخصيتين صدرتا عن الخلفاء والوزراء والامراء والملوك في الدول الكثيرة التي نشأت في الاندلس والمغرب وتونس ومصر وحلب ودمشق •

على أن الذي كان مدهشا حقا هو أن مرحلة الترجمة العربية قد تـم اجتيازها سريعا وانتقل العرب بخطى حثيثة الى مرحلة العلماء الاصلاء بعد أن مروا بمرحلة التلامذة النجباء • وبدأ ظهور هؤلاء العلماء منذ القرن التاسع الميلادي فتسلقوا القمة خلال هذا القرن ووصلوا الى الاوج والى العصر الذهبي للعلم العربي الاسلامي خلال القرنين العاشر والحادي عشر ، معطين العالم ذلك

مكتبة المهتدين الإسلامية

النتاج الهائل والوفير من الكتب والانجازات العلمية في الجغرافية والفلسفة والرياضيات والطب والفلك والطبيعة والكيمياء والتاريخ • غير أن هذا العصر الذهبي لم يستمر طويلا وبدأ العلم يتجه نحو الانحطاط في القرنين الثاني عشر والثالث عشر في المشرق نتيجة غزوات المغول والتتر والترك والصليبيين ، وان كان حكم المماليك المضطرب قد ضمن أمانا لمصر وساعد نسبيا على ازدهار العلوم والفنون •

http://www.al-maktabeh.com

بعض المراجع التي استندت اليها هذه المقالة

١ ـ تاريخ الفكر الاندلسي ، حسين مؤنس ٩٥٥ ·

٢ ـ حضارة الاسلام في دار السلام ، جميل نخلة المدور ١٩٣٢ م ·

٣ ـ حضارة العرب ، غوستاف لوبون ١٩٦٤ ·

٤ ـ حضارة العرب في العصور الاسلامية الزاهرة ، الدكتور مصطفى الرافعي ، دار الكتاب اللبناني ١٩٦٠ ·

٥ ـ الحضارة العربية : جاك س· ريسلر ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ·

٦ ـ عصر المأمون ، أحمد فريد الرفاعي ، القاهرة ١٩٢٨ ·

مكتبة المهتدين الإسلامية


http://www.al-maktabeh.com

المادة النباتية ما بين ديسقوريدوس وابن البيطار
في العصر الايوبي
العصر الذهبي للطب والصيدلة

الدكتور محمد نذير سنكري

دسقوريدوس وأصول مادته الطبية :

لقد أتم ديسقوريدوس مادته الطبية Materia Medica في القـرن الاول للميلاد في ناحية Ana Zarba التي عربها المترجمون العرب بـ (عين زربا) ووصفوا ديسقوريدوس بالعين زربي • وتقع عين زربا هذه في كيليكيا Cilicia بتركيا اليوم • وقد استفاد ديسقوريدوس من التراث الطبي للحضارات السابقة من مصرية وبابلية وآشورية واغريقية ، ويبدو ذلك من خلال ايراده للاسماء النظيرة المختلفة للنباتات الطبية من رومية واغريقية ، وتلك التي كانت تستعمل في بعض جزر البحر الابيض المتوسط ، وفي مصر والشمال الافريقي ، وأحيانا في سورية • وقد استفاد ديسقوريدوس من تراث الانفتاح الذي خلفته الحضارة الهيلينية التي استطاعت ان تستقطب ذخائر الحضارات القديمة وتعطيها روحا جديدة •

وتعد كتابات ثيوفراستوس وغيره من النباتيين الرومان لعصور ما قبل الميلاد من مصادره أيضا ، وقد أشار ديسقوريدوس في مقدمته قائلا : « ولو ان كثيرا من الكتاب في العصور الحديثة والقديمة قد جمع رسائل في تحضير وقوى الادوية الا أنني سأحاول أن أظهر أنني لم أدخل الى هذا الموضوع بلا دراية ، لقد دخلت هذ االموضوع لان بعض الكتاب لم يجعلوا أعمالهم كاملة ، في حين أن آخرين اعتمدوا في كتاباتهم على القصص، الا أن أيولاس Iolas وهكساقليدس Hexaclides قد قاما فعلا بالتعرض للموضوع ولكنهما حذفا تماما الموضوعات النباتية ، كما فشلا في تسجيل جميع الادوية المعدنية والتوابل • أما قراطيوس Crateuas وأندرياس Andreas فيبدو أنهما كانا أفضل في الجزء النباتي من الموضوع بالمقارنة مع الآخرين ، الا أنهما أهملا كثيرا من الجذور النباتية المفيدة ، ولم يعطيا أوصافا كافية لعديد من الاعشاب • ومع ذلك يجب الاعتراف بأن المواد التي نقلوها لنا ، ولو كانت قليلة ، فقد استفاد منها القدامي » •
ويتابع ديسقوريدوس كلامه : « وقد نكون غير متفقين تماما مع الكتاب الجدد ومنهم جوليوس باصوص Julius Bassus ، ونيسيراتس وبطرونيوس ونيجـر Niger وديودوطس Diodotus وجميعهم أطباء » •

مكتبة المهتدين الإسلامية

ثم يذكر نماذج بعد ذلك من هناتهم وأخطائهم الفاحشة ، ثم يذكر ديسقوريدوس رغبته منذ ان كان طفلا في تعلم المادة الطبية وأشار الى ترحاله المتواصل من أجل تعلمها حتى ألف كتبه الخمسة ...

وقد قام أحد الرسامين البيزنطيين بتوضيح كثير من النباتات الطبية هذه رسما في عام ٥١٢ للميلاد من أجل تقديم مجلد المادة الطبية هنا هدية للاميرة جوليانا أنيقيا (أنيسيا) Juliana Anicia ابنة الامبراطور أبيقيوس أولبريوس Anicius Olybrius . ويعتقد بعض الكتاب (Gunther, 1934) أن بعض هذه الصور هي نسخ عن رسوم سابقة كان قد رسمها نباتي سابق هو قراطيوس (١٦٣ ـ ١٢٠ ق.م) ، الذي سبق ذكره ، ولا سيما تلك النباتات التي صاحبتها شروح من قراطيوس نفسه .

ترجمة المادة الطبية :

بالرغم من أهمية المفردات والمواد الطبية لكتاب ديسقوريدوس للغرب فانها لم تترجم مثلا الى اللغة الانكليزية حتى عام ١٦٥٥ م وقد قام بذلك النباتي الانكليزي John Goodyer ولو أنها لم تتح مطبوعة حتى عام ١٩٣٤ م ، حيث حققها Rebert T. Gunther كما يذكر هوذلك . وقد مد له يد العون في تصنيف النباتات علميا عدد من باحثي حدائق كيو في لندن .

وخلافا لذلك في المشرق العربي فقد قام اصطفن بن بسيل بترجمة نسخة من كتاب ديسقوريدوس في عصر المتوكل في بغداد في أواسط القرن التاسع الميلادي . ويبدو أن النسخة التي استعملت في الترجمة كانت نسخة غير مزينة بالرسوم التوضيحية للنباتات الطبية . وقد حاول اصطفن ترجمة أسماء النباتات من اليونانية الى العربية فوفق أحيانا وأخفق في معظم الحالات . وبرغم مراجعة حنين لتلك الترجمة فقد ظل أكثر اسماء النباتات الطبية مجهولة الهوية لدى الأطباء العرب برغم أنهم كانوا يستعملون بعضها تحت أسماء عربية أو أسماء فارسية ، دون ادراك التطابق ما بين هذه الاسماء . وقد يعود اخفاق اصطفن الى عدد من الاسباب أهمها :

١ ـ جهل اصطفن بن بسيل بالمادة الطبية نفسها ، ولذلك كانت الترجمة ترجمة حرفية .

٢ ـ عدم توافر عشاب رومي متمرس يرى المترجمين أو العشابين أو الاطباء العرب هذه النباتات الطبية حقليا ، لتتم المطابقة ما بين الاسم العربي والاغريقي أو الفارسي أحيانا .

٣ ـ هناك احتمال ضعيف في أن اصطفن ترك اسماء النباتات الطبية

http://www.al-maktabeh.com

بأسمائها اليونانية لتبقى ألفازا مجهولة لا يستطيع فك رموزها الا من كان يمارس الطب من أطباء الروم أو السريان ·

وعدم المطابقة اللغوية العربية للترجمة الاولى لاسماء نباتات ديسقوريدوس جعل كثيرا من مفرداتها محدودة التأثير في تكوين الوصفات الطبية للاطباء العرب الى أن تمت الترجمة الاندلسية لكتاب ديسقوريدوس · وجاء ابن جلجل ليفسر عددا كبيرا منها · وقد قال ابن أبي أصيبعة : ان ابن جلجل أبا داود سليمان بن حسان قد فسر أسماء الادوية المفردة من كتاب ديسقوريدوس وأفصح عن مكنونها وأوضح مستغلق مضمونها · وقد ذكر ابن جلجل قوله (١) : ان كتاب ديسقوريدوس ترجم بمدينة السلام أيام الخليفة جعفر المتوكل ، وكان المترجم له اصطفن بن يسيل الترجمان من اللسان اليوناني الى اللسان العربي ، وتصفح ذلك حنين بن اسحق المترجم ، فصحح الترجمة وأجازها ، فما علم اصطفن من تلك الاسماء اليونانية في وقته له اسما في اللسان العربي فسره بالعربية ، وما لم يعلم له في اللسان العربي اسما تركه في الكتاب على اسمه اليوناني ، اتكالا منه على أن يبعث الله بعده من يعرف ذلك ويفسره باللسان العربي ·· وورد هذا الكتاب الى الاندلس وهو على ترجمة اصطفن ، منه ما عرف لهُ أسما بالعربية ومنه ما لم يعرف له اسما فانتفع الناس بالمعروف منه بالمشرق والاندلس الى أيام الناصر عبد الرحمن بن محمد ، فكاتبه أرمانوس الملك Romanus ملك قسطنطينية أحسب في سنة ٣٣٧ هـ (٩٤٨ ميلادية) وهاداه بهدايا لها قدر عظيم ، فكان في جملة هديته كتاب ديسقوريدوس مصور الحشائش بالتصوير الرومي العجيب مكتوبا بالاغريقي ·· ولم يكن يومئذ بقرطبة من نصارى الاندلس من يقرأ اللسان الاغريقي فبقي كتاب ديسقوريدوس في خزانة عبد الرحمن الناصر بالاغريقية · فلما جاوب الناصر أرمانوس الملك سأله أن يبعث اليه برجل يتكلم الاغريقي واللاطيني ليعلم له عبيدا يكونون مترجمين ، فبعث أرمانوس الى الناصر براهب كان يسمى نيقولا Nicola فوصل الى قرطبة سنة ٣٤٠ هـ (٩٥١ ميلادية) ··

تحقيق المفردات النباتية الطبية لديسقوريدوس في الاندلس :

وكان يوجد في الاندلس في ذلك الوقت عدد من الاطباء الباحثين عن تصحيح أسماء عقاقير الكتاب وتعيين مواده مثل محمد المعروف بالشجار ورجل كان يعرف بالبسباسي وأبو عثمان الحزاز الملقب باليابسة ، ومحمد بن سعيد الطبيب ، وعبد الرحمن بن اسحاق بن هيثم ، وأبو عبد الله الصقلي وكان يتكلم اليونانية ويعرف أشخاص الادوية · قال ابن جلجل : وكان هؤلاء النفر كلهم

★ أخذت العبارات نقلا عن الدكتور أحمد عيسى ، تاريخ النبات عند العرب ، ١٩٤٤ م · مطبعة الاعتماد ، القاهرة ·

مكتبة المهتدين الإسلامية

في زمان واحد مع نقولا الراهب فأدركتهم وأدركت نيقولا الراهب في أيام المستنصر وحجتهم في أيام الحكم ، وفي صدر دولته مات نيقولا الراهب ، فصح ببحث هؤلاء النفر الباحثين عن اسماء عقاقير كتاب ديسقوريدوس تصحيح الوقوف على أشخاصها بمدينة قرطبة خاصة بناحية الاندلس ما أزال الشك فيها عن القلوب وأوجب المعرفة بها بالوقوف على أشخاصها ، وتصحيح النطق بأسمائها بلا تصحيف الا القليل منها الذي لا بال له ولا خطر له ، وذلك يكون في مثل عشرة أدوية • ثم يتابع ابن جلجل كلامه : وكان لي في معرفة تصحيح (هيولا الطب) الذي هو اصل الادوية المركبة حرص شديد وبحث عظيم حتى وهبني الله من ذلك بفضله بقدر ما اطلع عليه من نيتي ، في احياء ما خفت ان يدرس وتذهب متعته لابدان الناس •

ونظرا الى أن معظم المادة الطبية لديسقوريدوس كان مادة تنشر في عدد من اقطار البحر الابيض المتوسط العربية بالاضافة الى آسية الصغرى وأجزاء من جزيرة العرب وفارس فقد نالت اهتمام العرب والمسلمين وعدت مادة أساسية في مراجعهم بعد تحقيقها ، وهو الامر الذي استمر من القرن التاسع حتى القرن الثالث عشر •

ولذلك نشاهد ان عملية التحقيق قد استمر فيها الغافقي وأضاف اليها الاسماء البربرية(١) مع بعض الادوية الجديدة ، ثم قام الشريف الادريسي بتفسير أسماء دسقوريدوس بالسريانية واليونانية واللاتينية والبربرية وذكر ان ديسقوريدوس قد اغفل كثيرا من النباتات الطبية • وقد تدارك الشريف الادريسي هذا الانتقاد ليقول : ان كتاب ديسقوريدوس كان البحر الذي اغترف منه العشابون ، ولذلك فهو قد جعله مصحفه في المادة الطبية الا أنه قام بعد ذلك ببحث ما أغفله ديسقوريدوس وفتح ما أقفله وذكر الادوية التي أغفلها مثل الاهليلج الاصفر والهندي والكابلي والخيار شنبر (٢) والتمر هندي والبليلج والاملج والخولنجان والقاقلة الكبير والجوزبوا والكبابة والقرنفل والزرنباد والدرونج والبهمن الابيض والاحمر والفوفل والطباشير والتنبل والامير باريس والهرنوة والقليقلي والمحلب والنارجيل والنارج والليمون وبستان أفروز والبلاذر والياسمين والخيزران والكافور والكتكر والشيان والصندل والبقم والساج والموز والخيار وجوز جندم والقنبيل وشجرة الكف والماهي زهرة والريباس والجلبان والماش والاسفاناخ والطرخون وحب الزلم والورس والكركم والكرات •••

★ عدد كبير من هذه يتشابه من حيث الاصول مع اللغة الحميرية •

★★ الخيار شنبر هو *Cassia fistula* والواقع أن دسقوريدوس لم يذكر أي نوع من أنواع السنى *Cassia spp.* ، وجل نباتاته هي نباتات تتوطن تركيا واليونان والشام •

http://www.al-maktabeh.com

ثم قام أبو العباس النباتي ، الذي ارتحل من الاندلس الى أقطار المغرب فمصر فالشام فالعراق لينجز المزيد من التحقيق والاضافات ٠

أما المرجع المحقق الذي استطاع ضم خبرة العصور السالفة بالاضافة الى خبراتذاتية مبدعة فكانذلك الكتاب الذيكتبه الطبيب والعشابالموسوعي ضياء الدين عبد الله بن احمد الاندلسي المالقي المعروف بابن البيطار وقد جاء في عصر الابداع في الطب وهو العصر الايوبي ٠ وقد حقق ابن البيطار المتوفى في عام ٦٤٦ هـ ـ ١٢٤٨ م المادة الطبية تحقيقا علميا متقنا باسلوب استعراضي تفصيلي Review أمين مشيرا في موسوعته الى أكثر من مائة وخمسين مرجعا منها المترجم ومنها العربي الصرف ٠ ويمكن القول : ان الموسوعية والامانة العلمية لابن البيطار قد بلغتا حدا يشابه ما يعرف عن علماء اليوم الثقات ، فهو ينسب كل ما يأخذه عن العشابين السابقين أو العلماء أو الاطباء نسبة متناهية الدقة اليهم ٠ كما استطاع أن يراجع ما أثبتته التجربة والخبرة والعقل من أغلب الكتب المعروفة في عصره التي تذكرها المصنفات واقتطف منها ، بدءا من كتاباتأرسطو وأبقراط الذييشار الى انه ولد في عام ٤٥٠ قبل الميلاد،ثم كتابات ديسقوريدوس بترجمتيها العراقية والاندلسية ، التي اعتمد عليها ابن البيطار اعتمادا كاملا ٠ وان مقارنة النصوص العربية التي أوردها ابن البيطار ضمن مفرداته وذلك بالنصوص الانكليزية التيترجمها Goodyer في عام١٦٥٥ م،والتي حققت في عام١٩٣٤م تظهر تطابقا شديدا في كثير من الحالات بين النصوص العربية والانكليزية ، وهو الامر الذي يؤكد دقة المترجمين العرب وأمانتهم في التحقيق والنسبة ٠

موسوعية ابن البيطار :

كان كتاب ديسقوريدوس أحد المراجع ضمن خضم من الكتب والمباحث التي استفاد منها ابن البيطار ، ومن هذه الكتب كتاب روفس Rufus ، وكتاب الادوية المفردة لجالينوس ، وكتب بريفورس وانطيلس الآمدي وأرسطاطاليس ، كما كان يستعين بكتاب قسطس الرومي في الفلاحة الرومية ، وكتاب يونيوس في الفلاحة الفارسية كما كان يرجع الى كتابات سندهشار والقلهمان والخوزانة ومهراريس وهرمس وبنادوق ، وكذلك كتب الجاحظ ، وكتاب فائت العين للخليل أحمد الفراهيدي وكتاب الزرع لابي عبيدة البصري ، وكتاب النبات لعبد الملك بن قريب الاصمعي ، وكتاب تركيب الادوية المسهلة واصلاحها ليوحنا ابن ماسويه وكتابي الفلاحة والسموم لابن وحشية وترجمة ديسقوريدوس لاصطفن بن بسيل ، وكتابات حبيش بن الحسن الاعسم وترجماته ، وكتاب النبات لابي حنيفة الدينوري ، وكتاب الترياق لحنين بن اسحاق ، وكتاب حكيم بن حنين ، وكتاب أبي علي المجوسي وكتاب الطبري وكتاب محمد بن أحمد الازهري وكتاب محمد بن أبي بكر الانصاري الدمشقي المعنون بكتاب الدر

مكتبة المهتدين الإسلامية

الملتقط في علم فلاحتي الروم والنبط ، وكتاب موسى بن ميمون اليهودي وكتابي الحاوي في الطب والطب المنصوري لمحمد بن زكريا الرازي ، وكتابي القانون والشفاء لابن سينا الحسين بن عبد الله ، وكتاب منهاج البيان لابن جزلة يحيى بن عيسى ، وكتاب ابن وافد في الادوية المفردة وكتاب حامد بن سمجون في الادوية المفردة كذلك أو كتاب أبو عمرو ومسيح بن الحكم وعيسى بن ماسة وكتاب بولس وكتاب علي بن محمد وكتاب محمد بن عبدون وابن الهضم وأحمد ابن داود وأبو طالب بن سليمان وأبو جريج ومحمد بن الحسن وأحمد بن خالد وأحمد بن ابراهيم ، وكتاب التجربتين وكتاب التكميل وكتاب الاحجار وكتاب السجستاني ، وكتاب سفيان الاندلسي وكتاب علي بن محمد وكتاب بن رقيا ، وكتاب اسحق بن عمران ، وكتاب اسحق بن سليمان الاسرائيلي ، وكتاب التكميل في الادوية المفردة لابي الفرج البالسي وكتب ابن جلجل سليمان بن حسان في تفسير أسماء الادوية المفردة من كتاب ديسقوريدوس ، وفي ذكر الادوية التي لم يذكرها ديسقوريدوس في كتابيه : مما يستعمل في صناعة الطب وينتفع به ومالا يستعمل لكيلا يغفل ذكره ، ورسالة التبيين فيما غلط فيه بعض المتطببين ومن الذين ألفوا في النبات ، وكتاب المرشد لمحمد بن أحمد التميمي ، وكتاب الاعتماد في الادوية المفردة لابن الجزار أحمد بن ابراهيم وكتاب علي ابن رضوان ، وكتاب قوى الادوية المفردة لابن الهيثم محمد بن الحسن ، وكتاب الادوية المفردة لابن وافد عبد الرحمن بن محمد ، وكتاب الفلاحة الاندلسية لابن العوام يحيى بن محمد ، وكتاب الادوية المفردة لحامد بن سمجون وكتابه الآخر الاقرباذين ، وكتاب أعيان النبات والشجريات الاندلسية لعبد الله ابن عبد العزيز البكري ، وكتاب الادوية المفردة لاحمد بن محمد الفافقي ، وكتابي الادوية المفردة والجامع لصفات أشتات النبات للشريف محمد بن محمد الادريسي ، وكتاب الفائدة لابن سرافيون ، وكتاب خلف بن عباس الزهراوي ، وكتاب الادوية المفردة على ترتيب الاعضاء المتشابهة الاجزاء لامية بن أبي الصلت ، وكتاب الادوية المفردة عبد الملك بن زهر الاندلسي ، وكتب ابن رشد محمد بن احمد المختلفة وكتاب أحمد بن محمد أبو العباس النباتي في تفسير أسماء الادوية المفردة من كتاب ديسقوريدوس ، وكثير غيرها ٠٠٠

فهل هناك موسوعية يا ترى فاقت موسوعية ابن البيطار حتى اهلالة القرن التاسع عشر في العالم ؟ ناهيك عن التجريب والتساؤل والتحقيق مما ساد كتابات هذا العالم الفذ ، ولذلك قال لكلرك : ان ابن البيطار بذ ديسقوريدوس حتى عصر النهضة الغربية ولم يصدر كتاب يماثل كتاب ابن البيطار ٠

اوامر تاليف موسوعة ابن البيطار والمنهج المتبع فيها ومنهج ابن البيطار في مفرداته :

أشار ابن البيطار في مقدمة مفرداته الى أنه قام بتأليف الجامع لمفردات

http://www.al-maktabeh.com

الادوية والاغذية تنفيذا للاوامر الملكية الصالحية النجمية للسلطان الايوبي ، وقد هدف كما جاء في خطبة الكتاب الى :

١ ــ استيعاب القول في الادوية المفردة والاغذية المستعملة ، بما في ذلك المقالات الخمسة لكتاب الافضل* ديسقوريدوس بنصه وكذلك المقالات الستة لمفردات جالينوس ، ثم ألحقه بأقوال المحدثين في الادوية النباتية والمعدنية والحيوانية وذكر ما لم يذكراه ووصف نقلا عن العلماء النباتيين ما لم يصفاه ، وقد أسند في جميع ذلك الاقوال التي قائلها ، وعرف طرائق النقل فيها بذكر ناقلها ، ولكنه اختص بما تم له به الاستبداد وصح له القول ووضح عنده عليه الاعتماد ·

٢ ــ التحقيق والتدقيق ، فما صح عند ابن البيطار بالمشاهدة والنظر وثبت لديه بالخبر لا الخبر ادخره كنزا سريا وعدل عن الاستعانة بغيره · أما ما كان مخالفا في القوى والكيفية والمشاهدة الحسية في المنفعة والماهية للصواب والتحقيق أو أن ناقله أو قائله عدلا فيه عن سواء الطريق · نبذه ظهريا وهجره مليا وقال لقائله لقد جئت شيئا فريا ولم يحاب في ذلك قديما لسبقه ولا محدثا اعتمد غيره على صدقه ·

٣ ــ ترك التكرار بحسب الامكان ، مشيرا الى الموضع الذي سيوضح فيه الكلام عن المفردة عند وجود أسماء عدة شبيهة المفردة نفسها ·

٤ ــ تقريب مآخذ المرجع بترتيب مفرداته على حروف المعجم ·

٥ ــ التنبيه على كل دواء وقع فيه وهم او غلط من المتقدم او المتأخر لاعتماد أكثرهم على الصحف والنقل واعتماد ابن البيطار على التجربة والمشاهدة ·

٦ ــ وضع أسماء الادوية بسائر اللغات الهامة في عصره ، مستفيدا من التعقيقات كافة التي تمت في زمانه ، ولا سيما بما تعرف به في الاماكن التي تنبت فيها كالالفاظ اليونانية والبربرية واللاطينية (وهي أعجمية الاندلس) والفارسية ، وقيد ما يجب تقييده منها بالضبط والشكل والنقط لمنع التصحيف ·

وعبر هذا العدد الكبير من المراجع استطاع ابن البيطار وصف اكثر من ١٤٠٠ عقار نباتي وحيواني ومعدني وان يحققها ، منها ٣٠٠ عقار جديد لم يذكر قبله ·

★ يلاحظ من وصف ابن البيطار لديسقوريدوس بالافضل أن العلماء العرب المسلمين كانوا يجلون كثيرا من العلماء الذين يأخذون عنهم ، حتى لو كانوا من غير المسلمين ، ويشيرون الى أعمالهم بأمانة بالغة ·

مكتبة المهتدين الإسلامية

وعند الحديث عن عالم رحالة موسوعي كابن البيطار ، وقبل البحث عن منهجه العلمي الذي ذكره هو نفسه في مقدمته أو في خطبة كتابه وقبل دراسة أمثلة من مفرداته ، فانه من المفيد استعراض ابن البيطار رجل الاخلاق والقيم التي تلمسها الايوبيون فيه فعينوه مشرفا ومفتشا على العشابين وبائعي الاعشاب والصيادلة ، فقد وثق به الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب ثقة كاملة ، ولم يزل ابن البيطار في خدمته حتى قبض الكامل في دمشق ، فتوجه ابن البيطار الى القاهرة عام ٦٣٥ هـ ليخدم الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل ، ويعود من ثم الى دمشق ·

ولعل أصدق وصف لذلك العالم ما جاء بقلم تلميذه ابن أبي أصيبعة الذي قال فيه :

« وأول اجتماعي به كان بدمشق في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ورأيت أيضا من حسن عشرته وكمال مروءته وطيب أعراقه وجودة أخلاقه وكرم نفسه ما يفوق الوصف ويتعجب منه ولقد شاهدت معه في ظاهر دمشق كثيرا من النبات في مواضعه وقرأت عليه أيضا تفسيره لاسماء أدوية كتاب ديسقوريدوس فكنت أجد غزارة علمه ودرايته وفهمه شيئا كثيرا جدا ، وكان أحضر لدينا عدة من الكتب المؤلفة في الادوية المفردة مثل كتاب ديسقوريدوس وجالينوس والغافقي وأمثالهما من الكتب الجليلة في هذا الفن فكان يذكر أولا ما قاله ديسقوريدوس في كتابه باللفظ اليوناني على ما قد صححه في بلاد الروم ثم يذكر مجمل ديسقوريدوس من نعته وصفته وأفعاله ويذكر أيضا ما قاله جالينوس فيه من نعته ومزاجه وأفعاله وما يتعلق بذلك · ويذكر أيضا جملا من أقوال المتأخرين وما اختلفوا فيه ومواضع الغلط والاشتباه الذي وقع لبعضهم في نعته ، فكنت أراجع تلك الكتب معه ولا أجده يغادر شيئا مما فيها ، وأعجب من ذلك أيضا أنه ما كان يذكر الا ويعين في أي مقالة هو من كتاب ديسقوريدوس وجالينوس وفي أي عدد هو من جملة الادوية المذكورة في تلك المقالة » · وكان يعمد في الاسماء الصعبة الى لفظ أحرف الاسم حرفا حرفا مع الحركات الخاصة بكل حرف فهو يذكر مثلا ما يأتي عن نبات (آاطريلال) : اسم بربري وتأويله رجل الطائر أوله ألفان الاولى منها مهموزة ممدودة وطاء مهملة مكسورة وراء مهملة مكسورة أيضا ثم ياء منقوطة باثنتين من تحتها ساكنة بعدها لام ألف ثم لام وهذا النبت يعدف بالديار المصرية برجل الغراب وبعضهم يعرفه بجزر الشيطان أيضا وهو نبات يشبه الشبث في ساقه وحمته وأصله غير أن حمة الشبث زهرها أصفر وهذا النبات زهره أبيض ويعقد حبا على هيئة ما صغر من حب المقدونس أو كبزر النبات الذي يعرف بمصر بالخلة

http://www.al-maktabeh.com

غير أنه أطول منه بقليل وأصغر جرماً وفيه حرارة وحرافة ويسير مرارة وهو عند ذوقه يحذي اللسان ٠٠٠ »*

ونلاحظ أنه عندما يحقق نبات آاكنار يذكر أن هذا الاسم هو اسم بربري ، ثم يذكر كلام أبي العباس النباتي بأن هذا النبات يعرف عند عرب برقة بالبلفوطة ٠ ثم يذكر مواضع هذا النبات في جبال رنده بالاندلس وبشعراء قرمونة من أعمال اشبيلية ثم يذكر أنه شاهده عند قصر عفراء بقرية بقرب نوى من أرض الشام ٠

وتعيين مواقع مفردات الاعشاب في أي مقالة هو من كتاب ديسقوريدوس هو الذي ساعدني وسيساعد الباحثين الآخرين على دقة التحقيق والمقابلة والمقارنة ، ومن ثم التوصل الى الاسماء العلمية النباتية الحديثة لتلك المفردات وربطها بأسمائها العربية والمعربة لاحياء مفردات ابن البيطار ، ولا سيما ما استعجم منها في القرون الاخيرة بعد ذبول الجذوة العلمية للعقيدة والبحث العلمي ٠ وفي ختام هذا المقال سأعمد الى عرض أمثلة قليلة لنباتات غير ديسقوريدوسية ، منقولة عن أبي حنيفة الدينوري أولا أو من مراجع فارسية ثانيا ٠ وأرجو أن أوفق في المستقبل الى تحقيق جميع المفردات النباتية لابن البيطار واحيائها ٠

تحقيق نباتات ديسقوريدوسية غير محلاة :

ستظهر الفقرة الآتية استعراضا سريعا لبعض النباتات الطبية غير المحلاة من كتاب ديسقوريدوس التي وردت ضمن مفردات ابن البيطار محاولة مني للتوصل الى معرفة أسمائها العلمية الحديثة ، في الوقت نفسه الذي ستظهر فيه هذه الامثال منهجية ابن البيطار العلمية ومن ثم المنهجية العلمية للحضارة العربية ، وهذه الامثلة هي كما يأتي :

١ ـ نبات الارقطيون : وهو نبات لم يهتد الاطباء العرب ، كما يبدو ، الى تحليته وقد صحف في كثير من الاحيان الى كلمة أرفطيون بالمقارنة مع الاصل أرقطيـــون Arktion ، وتأتي الترجمة العربية لوصف هذا النبات وماهياته دقيقة وحرفية ، الا أن بعض أسمائه الاخرى المرادفة تظهر مصحفة من القاف الى الفاء في الطبعات الحديثة غير المحققة فاسم أرقطــون Arcturum يأتي عـــلى صورة أرفطون ٠ ويشير تحقيق (Gunther, 1968) بالتعاون مع باحثين من الحدائق النباتية البريطانية لكيو Kew الى أن نبات Arktion في كتاب ديسقوريدوس هو *Conyza candida* ورسم النبات يشير الى احتمال انتماء الارقطيون الى جنس *Conyza* أو *Lappa* من الفصيلة المركبة ، الا أن ارتباطه بالجنس *Lappa*

★ هل هو *Tori.is* أو *Daucus* .

مكتبة المهتدين الإسلامية

هو أكثر واقعية ، لانه لا يعقل أن تكون أنواع جنس *Conyza* شائعة كما هي اليوم في الاقطار العربية من اليمن الى الشام الى مصر ولها أسماء متعددة ولا يوضع لنبات أرقطيون مرادف عربي ، خلافا لبعض النباتات الهامة طبيا التي أهملت أسماؤها الاغريقية وتمت الاشارة اليها بأسمائها العربية فقط . وقد أشار (البابا ، ١٩٦٤) الى أن الارقطيون هو *Lappa major* . ونبات *Lappa* اليوم هو نبات طبي يفيد مضادا للدمامل ومنقيا للدم وملينا لطيفا ، كما تتمتع بذور الارقطيون بخاصة مخدرة ويعزى ذلك الى وجود سكريد غير متجانس فيها يدعى الارقطيوسيد Arctioside ولذلك فربط الارقطيون بـ *Lappa* هو أكثر دقة من ربطه بـ Conyza .

وقد أورد ابن البيطار نباتا آخر تحت اسم ارقطيون آخر ليكون مرادفا للاسم اليوناني Arkeien أو Areien . ويبدو أن كثرة وجود المترادفات في كتاب ديسقوريدوس وتعدد لهجات نطقها في بلاد الروم ، وعدم كتابتها في الموسوعات العربية بالاحرف اليونانية قد ساعد على تحريف وتصحيف أسماء بعض النباتات غير الهامة طبيا وتصحيفها كتلك التي بدأنا هذه الامثلة بها . ولا شك في أن النباتيين العرب والاطباء والعشابين قد عانوا من ذلك ، مما جعل أبا علي النباتي وابن البيطار وغيرهما يجوبون امصار بلاد الروم وقفارها للتحقق من لفظ أسماء تلك المفردات والتعرف على المتداول منها . وقد تمت الاشارة في أوائل هذا البحث الى ما قاله ابن جلجل ، قبل ابن البيطار ، عن توافر عدد من الباحثين عن تصحيح أسماء عقاقير كتاب ديسقوريدوس في الاندلس الذين صحبوا نيقولا الراهب الذي جاء من القسطنطينية ، ثم صححوا النطق بأسمائها من دون تصحيف الا القليل منها الذي لا بال له ولا خطر له . ولا شك في أن هوية عدد هام من نباتات ديسقوريدوس كانت ضائعة على عشابي الروم أنفسهم وعقاريهم ، وفاقد الشيء لا يعطيه .

والارقطيون الآخر الذي نتحدث عنه هنا كان يجب أن يكتب أرقيون ، وقد أتعب تحقيقه وتحقيق مرادفاته الباحثين والناسخين العرب بعد أن كان مستعملا ومعروفا لدى النباتيين العرب باسمه العربي . الارقيون هذا له اسم مرادف وهو *Prosopis* الذي نقل باديء ذي بدء فروسوفس وصحف من ثم الى فروسونس ، الذي له اسم مرادف آخر وهو Prosopion الذي حرف اسمه أيضا الى قروسوقون هذا الارقطيون الآخر أو الارقيون هو الذي عرفه الاطباء العرب وعرفه بن البيطار في مكان آخر من مفرداته تحت اسمه العربي الصحيح وهو الينبوت (اليوم) *Prosopis stephaniana* ولكن باستعمالات طبية جديدة .

وهذا المثال يبين صعوبة العائق الذي قد يشكله عدم تدريس المسمى وتحليته عند الترجمة ، في الوقت نفسه الذي يظهر أصالة المدرسة الطبية

العربية ومستواها الرفيع في الامانة العلمية مع التوصل الى علاجات مماثلة أو متقدمة عن العلاجات السابقة باستعمال المادة الطبية المحلية • فنبات الينبوت هو نبات معروف الهوية عند النباتيين العرب وقد أعطاه ابن البيطار الاسم المرادف له دون التمكن من ربطه باسم آرقطيون آخر ، وقد يعزى السبب الى جهل الروم بذلك النبات وبعلاجاته حينذاك•• ويقول ابن البيطار : الينبوت هو خرنوب المعزى عند أهل الشام ، ثم يناقش خطأ الرازي والذي أشار الى أن الينبوت هو الحاج ، قائلا : ولم يصب (أي الرازي) في ذلك لان تلك هي العاقول • ويعرف نبات *Prosopis* اليوم بالشام باسم الينبوت أو الخرينيبة وباسم خرنوب المعزة وباسم الخرنوبية • ومن الاسم الاخير اشتق العالم النباتي الانكليزي بنثام *Bentham* الاسم العلمي النظير له *Prosopis* من اللغة العربية وهو Algarobia . وتظهر دقة ابن البيطار في التمييز ما بين شجيرتي الينبوت والحاج الشوكيتين المنتميين الى فصيلة واحدة فيما يأتي : « الصحيح أن الحاج هو شجر مشوك يعرف بالشام والديار المصرية بالعاقول » •• ثم يورد عبارة أبي حنيفة الدينوري في كتابه النبات « الحاج أهل العراق يسمونه العاقول » • أما كلمة الحاج التي أشار اليها الرازي فيقول عنها ابن البيطار : وتوجد هذه الترجمة في كتاب الحاوي واقعة على الدواء الذي سماه ديسقوريدوس في الاولى (أي المقالة الاولى أو الجزء الاول من كتابه) أرتقى ، وهو الخلنج عند عامة الاندلس ••• وهو ليس بشجر الحاج ولا من أنواعه •

ويثبت العلم الحديث تحقيق ابن البيطار فالحاج هو العاقول ، بل ان كلمة الحاج دخلت اللغة اللاتينية كاسم علمي للعاقول بلفظة *Alhagi* .

٢ ـ نبات أسطراطيقوس :

عندما يبدأ ابن البيطار بعرض هذه المفردة المقارية يبدأ بدحض رأي ابن وافد قائلا : « زعم ابن وافد أن أسطراطيقوس هو القرصعنة وهو غلط » • ثم يتابع كلامه لينقل وصف ديسقوريدوس من المقالة الرابعة عن نبات أسطراطيقوس Aster Astikos (يلاحظ حذف حرف السين في التعريب الحروفي للكلمة الثانية فبدلا من كتابة الكلمة أسطيقوس كتبت أطيقوس) : « ومن الناس من يسميه تونيون (محرفة لدى بعض الناسخين عن كلمة بوبينون Bubonium) ، وهو نبات له ساق صلبة خشنة على طرفها زهر أصفر شبيه بزهر البابونج (الاربيان) وبعضه ما يضرب لونه الى الفرفيرية Purple وله رؤوس مشققة وورق شبيه في شكله بالكواكب stars وأما الورق الذي على الساق فانه الى الطول ما هو عليه زغب (خشن Rough) • اذن هنا أيضا نلاحظ دقة التعريب) •

ويشير التحقيق المبدئي الى أن هذا النوع هو ما يطلق عليه علميا اليوم

مكتبة المهتدين الإسلامية

اســـم *Aster amellus* ، أي الكوكبي الورق • وهذا التحقيق يؤيد ما اتجه اليه ابن البيطار ويدحض رأي ابن وافد حيث أن القرصعنة هو نبات يتبع الجنــس *Eryngium* من الفصيلة الخيمية • وينقل ابن البيطار المعالجة بهذا النبات عن جالينوس ثم يعود الى ديسقوريدوس ليأخذ منه ما قاله : « ورق هذا النبات ينفع من التهاب المعدة والاورام العارضة في العين وسائر الاورام الحارة ونتوء الحدقة •• » •

٣ ـ نبات أسقليناس :

وهذا الاسم قد تم تصحيفه لدى بعض الناسخين العرب ما بعد ابن البيطار من الكلمة الاصلية أسقيبياس Asklepias ، وقد وردت هذه المفردة في المقالة الثالثة من كتاب ديسقوريدوس كما اشار الى ذلك ابن البيطار • وتظهر مناقشته لها دقته من حيث هو عالم ورفضه النقل للنقل • يقول ابن البيطار : « سماه حنين في مفردات جالينوس القنابري وغلط في ذلك القول هو ومن قال بقوله أيضا لان القنابري أيضا مشهور بالشام عند كافة الناس وليست ماهيته هذا ولا منفعته منفعته أيضا • والقنابري لم يذكره ديسقوريدوس ولا جالينوس في بسائطهما فاعلم ذلك • ثم يأتي ابن البيطار بوصف ديسقوريدوس لهذا النبات في الثالثة : هو نبات له أغصان طوال (دقيقة) وعلى الاغصان ورق مستدير شبيه في شكله بورق قسوس وله عروق (جذور) كثيرة دقاق طيبة الرائحة وزهر ثقيل الرائحة وبزر شبيه ببزر فالاقيس *Securibaca* وينمو في الجبال وعروقه اذا شربت بخمر نفعت من المغص ونهش الهوام واذا تضمد بالورق وافق القروح الخبيثة العارضة في الثدي والرحم •

ويشير التحقيق الاول الى أن هذا النبات هو *Cynanchum vincetoxicum* وذلك تبعا لـ (Gunther, 1968) . ومن المفيد اختبار هذا النبات تبعا لمعطيات العلوم الحديثة لمعرفة مواصفاته في علاج سرطان الثدي والرحم •

تحقيق نباتات محلاة :

١ ـ نبــات الآس :

وهو نبات شائع ومعروف في المناطق شبه الرطبة في بلاد الشام والمغرب وتركيا وكثير من الاقطار المطلة على البحر الابيض المتوسط •

وعندما يستعرض ابن البيطار هذه المفردة يأخذ أولا ما قاله أبو حنيفة الدينوري :

http://www.al-maktabeh.com

« هو كثير بأرض العرب* بالسهل والجبل وخضرته دائمة ويسمو حتى يكون شجرا وله زهرة بيضاء طيبة الرائحة وثمرة سوداء اذا أينعت تحلو وفيها مع ذلك علقمة وتسمى القنطس » ٠

ثم يستعرض ما قاله جالينوس ، ثم يعرض ما كتبه ديسقوريدوس مشيرا الى أن موقع المفردة هي في المقالة الاولى من كتابه ، وهي كذلك ٠ ويشير الى اسمها اليوناني مرسين** Mursine ، ثم يشرح صفات النبات وخصائصه العلاجية ، فالثمار قابضة جيدة للمعدة مدرة للبول وطبيخ الثمر يصبغ الشعر ، واذا صبر في المياه التي يجلس فيها وافق النساء اللواتي يسيل من أرحامهن الرطوبات المزمنة ٠٠٠ ويمسك الشعر المتساقط ٠٠

ثم يستعرض أقوال ابن ماسويه واسحق بن عمران واسحق بن سليمان وابن سينا والرازي ٠

ويعرف نبات الآس اليوم علميا بـ *Myrtus communis* .

٢ ـ نبات الاسطوخوذوس :

وقد عرف هذا النبات باليونانية باسم Steichas وهو يعرف علميا اليوم باسم *Lavandula steechas* . ودراسة هذا النبات الطبي وتحقيقه يعطيان مثالا على نبات هام لم يتسن الربط فيه ما بين اسمه العربي واسمه اليوناني ، برغم انتشار النبات نفسه واستعماله طبيا في كثير من المناطق الساحلية للوطن العربي في الشام والمغرب ووجوده في أعالي مرتفعات جبال الحجاز واليمن ٠ وأكثر الاسماء عربية بالنسبة الى هذا النبات هو الضرم الذي لا يزال مستعملا في مناطق الطائف في المملكة العربية السعودية ٠ ومن أسمائه الاخرى الفيح والفوحة ٠٠ أما كتب العشابين وكتب الاقرباذين فكانت تعرفه باسمه اليوناني أسطوخوذوس ٠

وعندما يكتب ابن البيطار عنه يبدأ بتفسير ابن الجزار لمعنى الاسم الاغريقي بأنه موقف الارواح ، ثم يعرج الى ما كتبه ديسقوريدوس في المقالة الثالثة واضعا له الاسم المرادف ستجادس Steechades (وتعريب الحروف هنا فيه تأثير من اللفظ اللاتيني ، وهو المتوقع بالنسبة الى الترجمة الاندلسية) ، وليذكر أنه ينبت في الجزائر ببلاد غالاطيا Galatia والبلاد التي يقال لها مصاليا

---

* يندر وجوده الآن في جزيرة العرب الا أنه موجود في الشام والشمال الافريقي ٠

** اسم منطقة تركيا اليوم مشتقة من اسم الآس الاغريقي ، وفي ذلك اشارة الى كثرة شجيرات الآس هناك ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

Messalia ، واسم تلك البلاد ستجادس ، وان هذا العقار سمي باسم الواحدة من هذه الجزائر .

والاسطوخوذوس هو نبات دقيق الثمرة له حمة كحمة الصعتر (أي له أشعار كأشعار الصعتر) ، الا أنه أطول ورقا من ورق الصعتر وهو حريف الطعم ومرارة يسيرة وطبيخه صالح لاوجاع الصدر مثل الزوفا Hyssop ، وقد يقع في أخلاط بعض الادوية (ديسقوريدوس : وهو يخلط مع مضادات السموم Antidotes) . ويستعرض ابن البيطار بعد ذلك ما قاله في هذا النبات كل من جالينوس وابن ماسويه وابن الجزار والرازي ثم أرماسوس ، ثم ابن سينا ، ثم يقول غيره (يعني ذلك عددا من الاطباء غير المشهورين) ، ثم يذكر ما قاله الشريف ، ثم ينقل ما ذكره كتاب التجربتين ، وفي الختام يعود ثانية الى المقالة الخامسة لديسقوريدوس ليذكر صفة شراب الاسطوخوذوس .

وعلى عكس هذا المثال فان ابن البيطار استعمل الاسماء العربية الشائعة حيث كان ذلك ممكنا والعقار محققا ، وما يأتي يعطي أمثلة على ذلك :

٣ ـ آذان الدب :

وقد أشار اليه ابن البيطار بأسمائه العربية الاخرى وهي البوصير والحوران كما أشار اليه باسمه اليوناني فلومس Phlomos الذي صحفه الناسخون في بعض الطبعات الى قلومس . ويشير الرسم الموجود في كتاب ديسقوريدوس الى أن هذا النبات هو المعروف حاليا بالاسم العلمي *Verbaseum sinuatum* * وقد تابع ابن البيطار تقسيم ديسقوريدوس لآذان الدب الى مجموعة آذان دب أبيض الورق Leuke ، وتقسيم الاخير من ثم الى أنثى Thelcia وذكر Arren . وآذان الدب الانثى يشبه روقة الكرنب عليه زغب ولها ساق طولها ذراع أو أكثر وزهر مائل للصفرة وبزر أسود وأصل طويل عفص في غلظ الاصبع وينبت في الصحارى (الحقول) والصخور . ويعرف هذا النوع اليوم بـ *Verbaseum plicatum* أما آذان الدب الذكر فورقه أبيض أيضا وله ساق أدق ، وهو يعرف اليوم بـ *Verbascum plicatum* أما المجموعة الثانية فهي مجموعة آذان الدب الاسود الورق Melaina ، وهي أشد سوادا وأرعض ورقا ، وهي تعرف اليوم بالبوصير الاسود *Verbascum nigrum* ، والبري منها كما يشير اليها ديسقوريدوس تحت اسم فلومس أغريا Phlomos Agria له قضبان طوال لاحقة في كبرها بقضبان الشجر . هذا الفلومس أغريا يعرف اليوم علميا باسم *Phlomis fruiticosa* .

★ اشتق اسم الجنس *Verbascum* علميا من الاسم الروماني القديم للنبات وهو Verbasculum . ويمثل الطرح المستعرض هنا أول مبادىء المفاتيح النباتية .

http://www.al-maktabeh.com

٤ ــ ثافسيا :

يشير ابن البيطار الى هذا النبات باسمه اليوناني ثافسيا *Thapsia* (لاحظ تحويل الباء الى فاء) ، الا أنه يذكر بعد ذلك اسمه البربري الشائع في بلاد المغرب العربي وهو أدرياس* ، ويفند أقوال من أطلق اسم ثافسيا على صمغ السذاب ••• ثم يذكر :

« أنه شبيه بنبات الكلخ ، غير أنه أصغر منه ••• » •

وقد أصاب ابن البيطار في ذلك فنبات أدرياس في المغرب العربي معروف علميا اليوم بـ *Thapsia garganica* ونبات الكلخ معروف علميا في مصر والمشرق باسم *Ferula sinaica* ، أما الكلخ الطبي فهو *Ferula galbaniflua* ، أي أن النوعين ينتميان الى جنسين متقاربين من الفصيلة الخيمية •

٥ ــ ثاليبطن :

عرب ابن البيطار هذا النبات باسم كزبرة الحبشة وأشار الى موضعه في المقالة الرابعة لديسقوريدوس ووصفه كما يأتي نقلا عن ديسقوريدوس :
هو نبات له ورق شبيه بورق الكزبرة الا ان في ورق هذا النبات شيئا من رطوبة تدبق باليد ، وساق صغير عليه الورق واذا دق هذا الورق دقا ناعما وتضمد به أدمل القروح العتيقة وأكثر ما ينبت في الصحارى وقوته تجفف بلا لذع ولذلك يدمل القروح المزمنة •

ان هذا الوصف متطابق تماما والوصف الذي أعطاه ديسقوريدوس في المقالة الرابعة عن نبات Thaliktron ، ولذلك اعتقد أن الاسم ثاليبطن مصحف عن ثاليقطرن أو ثاليطرن • ويعرف هذا النوع علميا اليوم باسم *Thalictrum minus* أي ان اسم الجنس النباتي الحديث قد تم اشتقاقه من الاسم الديسقوريدوسي • وينتمي هذا النبات الى الفصيلة الحوذانية Ranunculaceae ويوجد في جبال الامانوس وجبل الاقرع من بلاد الشام •

٦ ــ ثومس :

هو اسم الحاشا باليونانية • وقد عربت ثومس حرفيا من الكلمة Thumos وهو نبات الصعتر *Thymus capitatus* •

٧ ــ الجميز :

يشير ابن البيطار الى أن اسمها اليوناني هو سيقوموري Sycomorum

★ يطلق عليه اليوم في أقطار المغرب العربي اسم الدرياس •

مكتبة المهتدين الإسلامية

ر حولت الميم الى ياء النسبة) ثم يشير الى الاوصاف والمعالجات والملاحظات من المراجع المختلفة المعروفة في أيامه · ويعرف الجميز علميا اليوم ب *Ficus sycemorus* .

٨ ـ السوسن :

وهو نموذج كثير غيره في مفردات تمت معالجته معالجة موسوعية · فيبدأ ابن البيطار بما قاله جالينوس ثم بما قاله ديسقوريدوس ، ثم بأقوال الغافقي وابن سينا ، ثم يذكر تجربته الخاصة التي تدل على عقليته التجريبية :

« وقد اتخذت مرة من ورق هذا السوسن عصارة فجربتها واحتفظت بها للملاج وطبخت العصارة مع خل وعسل ، وكان مقدار العصارة أربعة أضعاف كل واحد من الخل والعسل فوجدته عندما بلوته دواء نافعا فائقا لجميع العلل المحتاجة الى التجفيف القوي خلوا من اللذع بمنزلة الجراحات الكبار وخاصة ما كان منها في رؤوس الفصل وجميع القروح العتيقة العسيرة الاندمال » ·

وهو يذكر خلال وصفه كلا من الاسم الاغريقي والرومي للنبات · ويتطابق وصفا ديسقوريدوس وابن البيطار اليوم و *Iris germanica* و *Iris florentina* .

٩ ـ السعد :

وتقابل هذه المفردة في كتاب ديسقوريدوس كلمة قيفارس Kuperios التي قد تشاهد مصحفة في بعض الطبعات الى فيقارس · وهذه المفردة مثل كثير غيرها ، تم الربط فيهما ربطا دقيقا ما بين الاسم العربي والاسم الاغريقي · وبعد أن يورد ابن البيطار ذلك الاسم الاغريقي ، يورد اسما أغريقيا آخر وهو أروسيسفيطرن* Erysiceptrum ، ثم يصف النبات بوصف ديسقوريدوس له ، مع اضفاء بعض ملحوظاته الخاصة · ويترك لنا المجال لمقارنة نطق أسماء المناطق كما نطقها المؤلفون العرب في العصور الوسطى معنا اليوم ، فكيليكية Cilicia . كانت تنطق بقليصيا وجزائر Cycladean Islands تعرف حروفيا ب قويلادس · وبعد أن ينهي ابن البيطار كلام ديسقوريدوس في السعد يذكر ما قاله جالينوس في مقالته الثامنة وكان يضع بعد كل فقرة منقولة نجمة · وعندما كان يشير ابن البيطار الى نفسه كان يقول : لي ، ثم يناقش ما لم يقتنع به كما يأتي :

« لي : زعم ابن رضوان في مفرداته أن هذا النوع من السعد هو الزرنباد وهو قول بعيد عن الصواب لان صفة هذا النوع من السعد وفعله بعيد عن صفة الزرنباد وفعله وبينهما فرق كبير » ·

http://www.al-maktabeh.com

ثم يذكر ما قاله الرازي في كتابه الحاوي ثم ما قاله في المنصوري ، ثم يذكر ما قاله المسيح بن الحكم • وقد أصاب ابن البيطار فالسعد هو علميا *Cyperus rotundus* بينما الزرنباد هو *Curcum zedoaria* •

١٠ ـ القسـط : Kostos

ويمثل لنا هذا النبات حالة سهل تدقيقها لدى المترجمين العرب لان الاسم الاغريقي كان نفسه مشتقا من العربية • ويشير ديسقوريدوس في كتابه الاول (المادة : ١٥) :

« ان القسط العربي هو الافضل من بين القسط ، فهو أبيض خفيف وله رائحة منعشة ، ثم يشرح أن الهندي يأتي بعده ثم يلي ذلك السوري » •

ويصنف القسط اليوم تحت الجنس *Costos* .

١١ ـ المحلب :

عندما يناقش ابن البيطار هذه المفردة يبين أن هذه الشجرة لم تذكر لدى جالينوس ولا ديسقوريدوس ، الا أنها ذكرت لدى أبي حنيفة وابن العوام ثم يذكر ابن البيطار كلام ابن حسان في أن المحلب بالاندلس كثير ، ثم يذكر الخصائص الطبية التي أوردها اسحق بن عمران وابن وافد وابن ماسويه والبصري والرازي والطبري وابن سينا والغافقي • وتعرف هذه الشجرة علميا اليوم بنوع مشتق من العربية وهو *Prunus Mahaleb* و *Mahaleb* هي محلب العربيـة •

١٢ ـ العرعـر :

يمثل هذا النبات المعروف في الشمال الافريقي حالة علمية لشجرة شائعة ذات استعمالات طبية قديمة • في هذه الحالة وحالات كثيرة متكررة غيرها لنباتات معروفة لم يستعمل ابن البيطار الاسم الذي أعطاه ديسقوريدوس له ، وفي حالة العرعر كان الاسم أرقيوثوس Arkeothos . ويعرف هذا النبات اليوم ب *Juniperus phoenicia* .

١٣ ـ الغـار :

وتمثل هذه الشجرة حالة علمية لنبات شبه شائع ذي استعمالات صناعية وطبية وتابلية • ونظرا الى وجود اسم عربي آخر له يستعمل في الشمال الافريقي وهو الرند ، وخوفا من حدوث أي التباس فقد أشار الى الاسم الاغريقي للغار (الرند) وهو ذافني Daphne ذاكرا في الوقت نفسه أن ديسقوريدوس

مكتبة المهتدين الإسلامية

قد أشار اليه في المقالة الاولى من كتابه · ومن المفيد الاشارة الى أن كلمة Daphne اليوم قد استعملها النباتيون للدلالة على نبات آخر ·

١٤ ـ الترمس :

وكان يمثل حالة معروفة في بعض الاقطار العربية فقط مثل مصر ، ولذلك أشار ابن البيطار الى اسمه كما جاء في كتاب ديسقوريدوس Termos emeros ويعرف هذا النبات علميا اليوم بـ *Lupinus termis* .

١٥ ـ الجعــدة :

وقد اعتمد فيها ابن البيطار الاسم العربي للنبات ثم أردفها بالاسم اليوناني

١٦ ـ بوطا موغيطن :

وهو نبات معروف قليلا لدى سكان المناطق المجورة للانهر والينابيع حيث ينمو بجوارها أو في المياه الراكدة ، وقد أعطاه ابن البيطار اسما معربا ، وهو جار النهر ، وهو ما يعرف اليوم بـ *Potamogeton densus* من الفصيلة الجارنهرية Potamogetonaceae .

ويفرق ابن البيطار بين هويات نباتات تشابهت أسماؤها واختلفت مسمياتها فهو يفرق بين القضاب والقرضاب ، حيث يكون عن القضاب : انه ليس عصا الراعي بل هو النبات المذكور في أول المقالة الرابعة من ديسقوريدوس ، وهو الذي يسمى باليونانية قلياطس (قليماطس Klematis)· وتأتي النسخة المصورة لديسقوريدوس والتحقيق الحديث ليثبت صحة ما ذهب اليه ابن البيطار في أن عصا الراعي أو القرضاب هي نباتات تنتمي الى الجنس *Polygonum* وان النبات الذي عناه ابن البيطار بكلمة قضاب هو *Vinca minor* .

كما كان ابن البيطار يكتب الاسماء المترادفة حيث تسنى له ذلك فالقثد هو الخيار المأكول وقثاء النعام هو الحنظل وقرة العين هي كرفس الماء والقصد هو العوسج والباقل هو الفول ··

كما كان يطابق بين أسماء اغريقية واسماء عربية معروفة قليلا ، فالنبات الذي ذكره ديسقوريدوس باسم Chamaileon leukos فقد عربه حروفيا ابن البيطار بـ خامالاون* لوقس مشيرا الى أن كلمة لوقس تعني في اليونانية اللون الابيض ، ثم يعرف ابن البيطار هذا النبات بأنه الاشخيص الابيض · ويحقق

★ اذا جاءت ch في أول الكلمة الاغريقية فانها كانت تعرب خاء ·

http://www.al-maktabeh.com

نبـــات Chamaileon leukos اليوم بأنه النبات الشوكي الابيض الذي يتبع الفصيلة المركبة ، وهو *Atracylis gummifera* .

وقد يهمل ابن البيطار الاسماء المحلية اذا كانت كثيرة التعدد الى الدرجة التي تؤدي الى خلط هوية نبات معين بهويات نباتات أخرى ، فنبات Prasion قد تم اعتماد اسمه المترجم فراسيون ، وهو ما يعرف علميا اليوم بـ *Maurrubium vulgare* ** .

ويبدو أن للمترجمين العرب في القـــرون الوســطى أساليبهم الخاصـــة في التعريب الحروفي للكلمات بحيث أنهم يسجلون الكلمة قدر المستطاع كما تلفظ ، فحـــرف P قد يترجم فاء كما هي الحال في فراسيون أو قد يترجم باء كمـــا في Potomageton أمـــا Echion فقد كتبت أخيـــون أي أن Ech نقلت أخ ، بينما نقلت كلمة *Anchusa* أنجسا ، أي أن ch التي تقع ضمن الكلمة عربت بالحرف ج العربي . وقد اتبعت القاعدة السابقة نفسها في نبات لوسيماجيوس (لوسيماجيون) Lusimachion ، وهو النبات الذي يعرف علميا اليـــوم بـ *Lysimachia vulgaris* .

أما المقطع Klu فقد كان يعـــرب قلو ، ولذلك فنبـــات Klumenon ينقل قلوماين ، ومن المحتمل أن يكون هذا النبات هو ما يعرف اليوم بـ Smilex الا أن بعض الباحثين يشير الى أنه *Convolvulus sepium* (Gunther, 1934) أما كلمة Kardamomon فتنقل قردمامومن (القردمانا) ، ويعرف هذا النبات علميا اليوم بـ *** *Elettaria cardamomum* ، وهو نبات الهال (حب الهال) .

ويبدو أن تعريب حرف K الى قاف كان أمرا شائعا في تعريب أسماء النبات فالنبات الذي أورده ديسقوريدوس أيضا باسم Kentaurion Markon نقله ابن البيطار باســم قنطريون كبـــير ، ويعـــرف هـــذا النبـــات اليوم بـ *Centaurium minus* . أمـــا النبـــات الـــذي أورده ديسقوريدوس باســـم Kentaurion Mikron فقد نقل باسم قنطريون صغير ، ويعرف النبات الاخير اليوم باسم *Erythraea Centaurium* (نظــــير *Centaurium minus* من الفصيلة Gentaceae) .

أما th فكانت كاليوم تعرب ثاء فنبات الحاشا Thumos عرب حروفيا ثومس .

** الكلمة *Maurrubium* مأخوذة عن اللاتينية ، وهي الكلمة الرومانية الموازية لكلمة Parsion .

*** هال ميسور (جزر المالابار) وهال سيلان .

مكتبة المهتدين الإسلامية

ومن المفيد أن يعود المتوجمون اليوم الى بعض الاسس التي وضعها المترجمون الاوائل وأن يوحدوا أسس نقل الحروف الاجنبية الى اللغة العربية عند ضرورة ذلك النقل ، وقد تفيد المقارنة ما بين مفردات ابن البيطار والمادة الطبية لديسقوريدوس في ذلك ٠

شرح معاني أسماء النباتات الديسقوريدوسية عند ابن البيطار :

كان ابن البيطار كلما أمكنه يورد شرح معاني أسماء النباتات التي يذكرها من حيث هي مفردات عقارية فنبات اخيون Echion ، هو نبات رأس الافعى (تشبيه) وهو ما يعرف اليوم علميا ب *Echium vulgare* أي برأس الافعى الشائعة أما نبات خاملاء Chamelaia فيقول ابن البيطار عنه : ان تأويله باليونانية زيتون الارض ، وهو المازريون ٠ ويتابع ابن البيطار كلامه عن هذا النبات قائلا :

« ولقد غلط كثير من المفسرين في قولهم : ان المازريون هو أسد الارض ٠٠ »

وتأتي التحقيقات العلمية الحديثة لتربط نبات الخاملاء بنبات *Daphne oleoides* * أو *Daphne mazereum* . ومن المفيد أن يثار الجدل حديثا بين النباتيين لرفض كلمة *Daphne* لتسمية هذا الجنس ، ولا سيما انه كان يدل في الماضي على نبات الغار ، وان أحد التقسيميين وهو كارل أنطون فون ميير** Carl Anton von Meyer (١٧٩٥ ــ ١٨٥٥ م) كان قد أطلق الاسم المأخوذ من المصطلح العربي وهو المازريون (Mazereum C. A. Mey, 1843) للدلالة على الجنس ٠

ويعتمد ابن البيطار في كثير من الحالات على تحقيق غيره من الباحثين العرب،كما هي الحال بالنسبة الى نبات خاليدونيون صغير Chelidonion Mikron . فبعد أن يقوم ابن البيطار بوصف هذا النبات من كتاب ديسقوريدوس يأخذ برأي الغافقي وبمناقشته التي ذكر فيها :

« قد زعم جماعة المترجمين والمفسرين أن هذا الصنف الصغير هو الماميران ، وكذا قالَ أكثرهم في الكبير : انه الكركم ، وقوة هذا الدواء وهي العروق المذكورة أقوى من قوة الكركم والماميران الموجودين بكثير ، والكركم يجلب الينا من الهند وهو دواء مجفف للقروح نافع للجرب ويحد البصر ويذهب البياض من

★ يوجد النوع *Daphne oleoides* = *D. mucronata* في الجبل الاخضر في عمان ، ويطلق عليه هناك اسم المتنن ، ويستعمل في تجبير الكسور ٠

★★ كان يعمل مديرا للحديقة النباتية في St. Peterburg .

http://www.al-maktabeh.com

العين ، والماميران يجلب من الصين وقوته شبيهة بقوة الكركم ، واذا خلط بالعسل جلا الكلف وأما العروق بصنفيها فقد تنبت ببلاد الاندلس وببلاد البربر وبلاد الروم أيضا ، وهما أقوى من الكركم والماميران المجلوبين بكثير ، والروم يسمون نباتيهما خاليدونيون أي الخطافية ، وكذا يعرف بالاندلس » ٠

وعندما يحقق نبات لوقاس Lucas يشير الى موضعه من كتاب ديسقوريدوس ويطابق بين الاسماء المختلفة ، ثم يذكر أن البطريق قد عربها باسم حرف أبيض ، وسماها حنين ابن اسحق سفند أسفند والرازي سفند أسفندو ، ثم ذكر أنها ، أي لوقاس ، هي امتداريا البيضاء ٠ ويعرف هذا النبات علميا اليوم باسم *Lamium album* ، وهو من الفصيلة الشفوية ٠

ويبدو أن اسم امتداريا وهو الاسم الاندلسي الذي لا نعرف مصدره هو الاسم الذي يمكن اعتماده اليوم للجنس *Lamium* ، اذ انه أفضل وقعا على الاذن من الاسم الفارسي القديم ، وهو سفند* ٠

وعندما يعرض النبات Sesamoeides ينقله الى الاحرف العربية ، كغيره من المترجمين باسم سيساموبداس الكبير ، لكنه يستطرد قائلا : ان تأويله هو الشبيه بالسمسم ، ولكنه قبل ذلك يكون قد أعطى الاسم الذي كان شائعا في وقته وهو جلبهنك وهو الذي يسميه الانطيقون** Anticyra خربقا (Ellebore) . ويعرف هذا النوع اليوم بـ *Helleborus cyclophyllus* *** ٠

أما نبات سيساموبداس الصغير**** *Sesamoeides Mikron* فلا يعطيه ابن البيطار اسما عربيا موازيا ، ويقول نقلا عن ديسقوريدوس : ان له ورقا يشبه النبات الذي يقال له قورونوبس Coronopis ، وان تأويله الشبيه بالسمسم الصغير ٠

ويعرف هذا النبات اليوم بـ *Caylusea canescns* (وهو الاسم النظير للاسم *Reseda eaneseens*) ، وهو من الانواع التي تنمو اليوم في جنوب بلاد الشام ، وجزيرة العرب ، وهو يعرف اليوم بالذنيبة ٠

وما هذه الا أمثلة قليلة من سفر يحتاج الى كثير من الدراسات للكشف عن

---

* يطلق عليه اليوم في ايران اسم كزنه سفيد ٠

** يلاحظ في بعض النسخ والطبعات أن كلمة الانطيقيون قد صحفت الى يطيقون ٠

*** هناك أنواع أخرى من الخربق وهو الاسود *niger* والاخضر *viridis* والنتن foetidus .

**** عن ابن سينا أنه كان يسقى منه المفلوج فيعافى وهو يقيء وربما قتل بقوة القيء ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

مضموناته الهامة ليس من حيث هو تراث ولغة فحسب وانما من حيث هو عقار وأقرباذين ومركبات طبية جديدة ·

نماذج عن أسماء نباتات فارسية في مفردات ابن البيطار :

لم يكن كتاب ديسقوريدوس الا أحد مراجع المفردات الطبية لموسوعة ابن البيطار، كما تمت الاشارة الى ذلك في مقدمة هذا البحث ، وقد استفاد من ضمن ما استفاد منه المفردات الفارسية ، ومن المصطلحات النباتية الفارسية · وهذا الموضوع يحتاج الى بحث مستقل الا أني وجدت من المفيد القيام باستعراض نباتين فقط اشتق اسماهما من اللغة الفارسية ، للتدليل على الموسوعية العربية في عصور التألق تلك ، وهذان النباتان هما الارجوان والازاذدرخت :

١ ــ أرجوان : وهو نموذج لاسم نبات عرب من الفارسية ، ودخل مصطلحه للدلالة على لون أحمر صبحي ، وشاع بين الناس وفي الادب ، ولا توجد اشكالات في التعرف على هويته حيث حافظ هذا النبات على اسمه الفارسي في العصور الوسطى حتى اليوم ، وهو يعرف في ايران باسم أرغوان درخت ، بينما يعرف في جبال الساحل السوري باسم آخر وهو الزمزريق ، وقد جاء في مفردات ابن البيطار عن أرجوان ما يأتي نقلا عن التيفاشي :

« قال التيفاشي في كتابه المسمى فصل الخطاب أرجوان معرب وأصله بالفارسية أرغوان وهو شجر ببلاد فارس له زهر أحمر شديد الحمرة فسمت العرب باسمه كل لون يشبهه في الحمرة وشجره كثير بأصفهان ويورد وردا شديد الحمرة القانية كما قلنا حسن المنظر لا رائحة له يؤكل زهره وفي طعمه حلاوة ويتنقل به على الشراب وخشبه رخو سخيف وتحرقه النساء فيكون رمادا أسود يتخذونه خطاما للحواجب يسودها ويحسن شعرها ولحاء أصله (جذره) من أدوية القيء يطبخ ويشرب ماؤه ويتقيأ به مجرب في ذلك · وأخبرني من أثق به ان من هذا الشجر كثيرا بميافارقين أيضا · وأخبرني أيضا غيره أن منها كثيرا بكروم جبل قرطبة من بلاد الاندلس أعاده الله الى الاسلام ووصف لي من صفتها ما ذكرته في الارجوان » ·

ويتطابق وصف التوزيع الجغرافي لهذه الشجرة وتوزعها اليوم في أحراج المناطق شبه الرطبة ، ويعرف هذا النوع اليوم بالاسم العلمي *Cercis siliquastruf* من الفصيلة القرنية ·

٢ ــ **أزاذدرخت :** وهو ايضا نموذج لاسم نبات عرب من الفارسية ، الا أن اسمه في ايران اليوم أخذ ملامح من العربية فهو يعرف اليوم في ايران بـ (زيتون تلخ ، درخت زيتون تلخ ، شال بستانه ، شال زيتون ، شال سنجد ، سنجد تلخ) ، على حين أن اسمه العلمي *Melia azadirachta* ملطن من الاحرف العربية ·

http://www.al-maktabeh.com

وعند قراءة ما جمعه ابن البيطار في مفرداته عن هذا النبات نستوثق من موسوعيته ، فهو يقول : ان معناه بالفارسية حر الشجر (محرفة من طبعة بغداد الى حر السحر) ، ثم يذكر ما قاله ابن سمحون في أن الازذادرخت هو أحد السموم الوخيمة غير أنه قد يستعمل في علاج الطب ومداواة الامراض كما يستعمل سائر السموم ، ثم يذكر ما قاله أحمد بن أبي خالد في أنه شجر عظيم الخشب كثير الفروع وثمره يشبه ثمر الزعرور في لونه وخلقته ويكون في عناقيد مخلخلة ونواه أيضا يشبه نوى الزعرور في لونه وخلقته ، ثم يذكر ما قاله ماسرجويه في أن حبه الذي يشبه النبق قائلا : انه اذا أكل قتل ، ثم يذكر ما قاله الرازي في أن ثمرته رديئة للمعدة مكربة وربما قتلت · ثم يعود الى أقوال أحمد بن أبي خالد في أنه اذا أكل أحد من ثمرته عرض له غشي وقيء وصفر في النفس وغشاوة على البصر ودوار في الرأس وعلاجه كعلاج من سقي الفربيون والبلاذر ·

ويعود الى متابعة أقوال ماسرجويه في أن ورقه قد يستعمل لدى النساء ليطول به شعورهن وأطراف أغصانه اذا عصرت رطبة وشرب ماؤها بالعسل وبالطلاء المطبوخ نفع من السم القاتل وعرق النساء واسترخاء الانثيين ويدر البول والطمث ويحل الدم الجامد في المثانة · ثم يستعرض أقوال ابن ماسة في أن فقاحه حار في الثالثة يابس في الاولى صالح للمشايخ والمبرودين فتاح للسدد المتولدة في الدماغ شما وقشره اذا طبخ مع الاهليج الاسود والشاهترج نفع من الحمى البلغمية والمرة السوداوية ويؤخذ في أيام الخريف والربيع فقط · ثم يذكر قول أحد الكتاب المجهولين مشيرا اليه بمجهول :

« ينقي الرطوبات التي في الرأس من القروح الرطبة المنتفخة وينبت فيها شعر اذا استخرجت عصارة أطراف ورقه وثمره وسحق بها شيء من مرداسنج وصير معها شيء من دهن الورد حتى يصير له قوام ويلطخ به الرأس أياما يجدد كل يوم ويترك بعضه على بعض ولا يقلع ويدخل بين كل ثلاثة أيام الحمام فاذا خرج منه صير على الرأس الدواء ودثره بشيء خفيف حتى يبرأ وهو من المقوية للشعر والمطول له والمانع له من الآفات غسلا بماء أطرافه الغضة وورقه يدق أيضا وحده ويحشى به شعر الرأس وبدله اذا عدم ورق الشهدانج » ·

لمحات عن الاستعمال الاقتصادي للنبات في جزيرة العرب :

من خلال الغنى الموسوعي لمفردات ابن البيطار تلاحظ مقتطفات متعددة من كتاب النبات لابي حنيفة الدينوري الذي فقد أكثر مجلداته · وكتاب أبي حنيفة الدينوري هذا من أكثر المراجع التاريخية أهمية في مضمار النبات الاقتصادي والطبي لجزيرة العرب ، واعادة جمع مفرداته وتحقيقها ومعرفة

مكتبة المهتدين الإسلامية

خصائصها ستكون لها أهمية كبيرة في تطوير المصادر المتجددة لجزيرة العرب . ومفردات ابن البيطار والمخصص لابن سيده ولسان العرب لابن منظور من أهم المراجع لذلك . وهذا الموضوع يحتاج الى بحث مستقل وسبق أن ألقيت عنه بحثا نشر ملخصه في مجلة الفيصل (١٩٧٩) ، الا أني وجدت من المفيد استعراض أربعة نباتات للتأكيد على موسوعية ابن البيطار ، وهذه هي كما يأتي :

١ ـ **شجرة القرم** : في مفردة قرم يذكر ابن البيطار نقلا عن أبي حنيفة ما يأتــي :

« هي شجرة تنبت في أخوار بحر عمان في جوف ماء البحر يشبه شجر الدلب في غلظ سوقه وبياض قشره وخشبه أيضا أبيض وورقه مثل ورق اللوز ولا شوك له وله ثمر مثل ثمر الضومران وهو مرعى الابل والبقر تخوض اليه حتى تأكل ورقه وأطرافه الرطبة ويحمل حطبه في السفن الى المدن والقرى فيستوقد به لطيب رائحته ومنفعته وماء البحر عدو للشجر كله الا القرم والكندلا » .

وتعرف شجرة القرم علميا اليوم بالاسم *Avicennia marina* .

٢ ـ **أراك** : نقلا عن أبي حنيفة :

« هو أفضل ما استيك بأصله وفروعه من الشجر وأطيب ما رعته الماشية رائحة لبن وهو ذو فروع شائكة وثمره في عناقيد منه البرير وهو أعظم حبا وأصغر عنقودا وله عجمة صغيرة مدورة صلبة وهو أعني الثمر أكبر من الحمص بقليل وعنقوده يملأ الكف أكبره . والكباث فوق حب الكزبرة وليس له عجم وعنقوده يملأ الكفين وكلاهما يبدو أخضر ثم يحمر ويحلو وفيه حروفه ثم يسود فيزيد حلاوة وفيه بعض حرافة ، ويباع كما يباع العنب ونباته ببطون الادوية ، وربما ينبت في الجبل وذلك قليل وشوكه قليل متفرق » .

ثم يذكر ابن البيطار ما ذكره من سبقه من أطباء العرب في الاراك فمن ابن رضوان قال :

« حبه يقوي المعدة ويمسك الطبيعة » .

وعن ابن جلجل انه اذا شرب طبيخه أدر البول ونقى المثانة .

وتعرف شجرة الاراك علميا اليوم باسم *Salvadora persica* وهي توجد عبر الخط الجغرافي الممتد ما بين دولة الامارات المتحدة وبين موريتانيا ويطلب الاراك غالبا في الاودية ، الا أنه يوجد في السهول ، كما هي الحال في سهل

http://www.al-maktabeh.com

صحار في عمان ، وفي السفوح الشمالية لجبل ظفار ، بل قد يرتفع في الجبال في اليمن الشمالي الى ١٥٠٠ م فوق سطح البحر ، وهو من النباتات التي يمكن استعمالها في تثبيت الرمال ٠

٣ ـ أسل : يقول نقلا عن أبي حنيفة :

« ان الاسل هو السمار الذي يتخذ منه الحصر ، وهو الكولان ويخرج قضبانا دقاقا ليس لها ورق الا أن أطرافها محددة وليس لها شعب ولا خشب ويتخذ منه الحصر ويدق بالمياجين فيتخذ منه بالعراق غرابيل ولا يكاد ينبت الا في موضع ماء أو قريب من ماء » ٠

ويعرف هذا النوع علميا اليوم بالاسم *Juncus arabicus* .

٤ ـ الآس : ان اشارة أبي حنيفة الى أن الآس في أرض العرب كثير لهو أمر يدعو للتساؤل لان الآس في جبال جزيرة العرب الآن نادر ، الا أنه يوجد كثيرا في الجبال شبه الرطبة في الشام والعراق ، فهل كان يوجد في الماضي في بعض جبال جزيرة العرب ثم انكمش وجوده الجغرافي ٠٠٠ ؟

لكم هي هامة مفردات ابن البيطار فمنها يمكن اعادة جمع النسخة العربية بترجمتها الاندلسية لكتاب ديسقوريدوس ، وكذا بالنسبة الى كتاب جالينوس ، ومنها يمكن جمع كثير من النباتات العربية التي ذكرها الدينوري ، ومفردات كثير من الباحثين الاندلسيين الذين فقدت أصول أعمالهم ، ومنها يمكن أن تعرف تسميات كثير من نباتات الاندلس وغيرها ، مما يمكن من أن يغني الحركة التعريبية لاسماء النبات اليوم ٠٠

لكم هي هامة أيضا مفردات ابن البيطار في التوضيح لاجيالنا الحاضرة العربية والعالمية عن مدى العلمية ودرجة الموسوعية والامانة في النسبة التي وصل اليها المحققون العرب ٠٠

لكم هي هامة أخيرا مفردات ابن البيطار في احياء التراث النباتي الطبي ، وفي تطوير استعمالات جديدة للاعشاب النباتية على ضوء المعرفة المتجددة ٠٠٠

نعم ينتظرنا عمل شاق في المستقبل لاحياء مفردات ابن البيطار النباتية وتزيينها بالرسوم التي تعرفها وربط ما لم يربط فيها ثانية باللغة العربية ، واحياء الداثر من الاسماء العربية لنباتات عرفها الاجداد ولا نعرفها اليوم الا بأسماء غير عربية ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية


http://www.al-maktabeh.com

أهمية الترجمة حضاريا وأثرها في نشر الوعي العلمي الذي يعد الخطوة الاولى نحو الابداع والابتكار

الدكتور محمد السويسي
الجامعة التونيسة ـ تونس

نمت العلوم والتقنيات في عصرنا هذا نموا سريعا مذهلا ووازى ذلك تطور ثوري للمجتمعات وتواردت المفاهيم متعددة متجددة من غير انقطاع ..

ونشأت تغيرات أساسية مست تكوين رجال العلم وأصحاب التقنيات مساسا ذاتيا وواجهتهم مصاعب متنوعة ـ شكلا ومضمونا ـ للحصول على الخبرات والآليات وللتعبير عنها .

وتشعبت فروع الاختصاص وتداخلت المعارف وتراكمت النتائج فلم يعد في متناول العالم والتقني الالمام بها ، الا بوساطة التكوين المستمر المتعدد الوجهات .

وقلما نجد اليوم اختصاصا ما أن تم التكون فيه حتى يكون قد تجاوزته الاحداث ، ويرغم الاخصائي دوما ـ كيلا يغرق غرقا ـ على أن يراجع معارفه المهنية فيه .

وفرض تسارع الاكتشاف وتزايد المستحدثات على رجل العلم والخبير التقني أن تشمل معارفهما مادة اختصاصهما الذاتي والاختصاصات المجاورة له ، انطلاقا من معلومات متينة في الرياضيات والفيزياء والكيمياء ، والمهارة الصناعية بمختلف مقوماتها ، والالمام بتنظيم الاعمال وبطرائق الانتاج والخلق التقني والاضطلاع من موارد الثقافة العامة ..

بل انه جد تصور للبحث العلمي والتكوين التقني ، مرتبط بالانتشار والتعمم يمكن أن يعبر عنه (بالاخصاب أو الاثراء التقاطعي) أعني استخدام مناهج تعليمية من شأنها أن تمد الباحث أو المهندس التقني من دون النظر الى اختصاصهما الضيق بأنواع المعلومات من سائر الاختصاصات العلمية الاساسية ، كي يتمكنا من الاسهام الكامل الناجع في تجارب بحثهما وفي التطبيقات المهنية .

مكتبة المهتدين الإسلامية

وأصبح التكافل التقني الدولي متعدد الوجوه ، وصار من الحتمي للترجمة أن تقوم بمهمة أساسية لابلاغ المعارف ونقل التقتيات من أمة الى أخرى ومن شعب الى آخر ، وتتمثل هذه المهمة في امداد أرباب الاختصاص من سائر البلدان ومن مختلف الميادين بأداة لسانية وفية تمكنهم من تفهم المشكلات التي تشغل بالهم أجود تفهم حتى يتجنبوا ، قدر المستطاع ، مواطن اللبس ووجوه الاشتباه ، التي هي مبعث سوء التفاهم والخلاف والتنافر ، وصار من المتحتم أن توضع معاجم متعددة اللسان أقرب ما يمكن الى الدقة وأضمن ما يمكن لاداء المعنى المقصود ·

تلوح اذن الترجمة و (الاصطلاحية) أداة رئيسة في حقل الاعلام العلمي والتقني وفي حقل نقل الخبرات ·

ومن الواضح أن هذه الاداة هي الاساس اذ أن الاعلام في كل الميادين ، العلمية منها والتقنية وغيرها يحتاج الى الاتصال بين مشع ومتقبل بين باعث للخبر ومتلق له ، وان هذا الاتصال يتضمن لغة للابلاغ ، وفي الحقل العلمي والتقني قد تكون هذه اللغة هي :

- لغة الارقام ·
- أو لغة المنحنيات والخطوط البيانية ·
- أو لغة الكلام ·

وفيما يخص الوسيلتين الاخيرتين يكون من الواجب - كي يكون التفاهم حقيقيا - أن تحدد عناصر لغة الابلاغ تحديدا دقيقا لا لبس فيه ·· ويتأكد ذلك تأكيدا أوثق في العلوم والتقنيات اذ من الضروري أن تتصف لغتها بالضبط والدقة ··· ومن الحتمي أن يتسم بالتناسق والتوافق ·

وكي تعم الفائدة ينبغي أن تكون هذه اللغة في متناول الجمهور المتعلم وغير مقصورة على فئة بذاتها ، داخل اختصاص معين ·· اذ تنتشر البلبلة - وفيها البلاء - وتطغى الرمزية ويحجب أساس الامور المتمثل في المفاهيم ذاتها وفي مدلولات الرطانة المتوخاة ·

ويصير شأن العالم في هذا العصر شأن أولئك الاطباء بالغرب في القرن السابع عشر للميلاد الذين صب عليهم موليار وابل سخريته وصورهم أشنع تصوير في رواياته الهزلية ، حيث كانوا يخفون عظيم جهلهم تحت عبارات ومهمات لاتينية ··

http://www.al-maktabeh.com

اتضح اذن مما سبق ان للترجمة ولعلم الاصطلاحات أثرا حضاريا أساسيا في الاعلام حتى ينفذ البلاغ ويتم الادراك • فعالم الاصطلاحات معين له وزنه في هذا الميدان ، ويكون عليه أن يتحلى بمعظم الخصال التي يفترض أن يطالب بها المترجم ، أعني معرفة معمقة في حقل اللغات المستعملة ، وثقافة عامة كأوسع ما يمكن أن تكون الثقافة ، وفكرا ثاقبا ناقدا ، وذوقا سليما ، وحافظة جامعة واحساسا لغويا يجعل الدارس يتحسس اللفظ اللائق الوفي أو يخلق ، عند الحاجة ، المفردة المستحدثة الحسنة الخلقة ••• يقول أبو عثمان الجاحظ في هذا المعنى : « ولا بد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة في وزن علمه في نفس المعرفة وينبغي ان يكون أعلم الناس باللغة المنقول عنها والمنقول اليها حتى يكون فيهما سواء وغاية » (١) •

ويلوح للترجمة وجه ثان لا يقل أهمية عن مهمة الابلاغ ، وهو وجه أخلاقي نفساني ، يمس كرامة الجماعات ويمت الى اثبات الكيان بصلة ، ويدافع عن اللغة شعار الامة ، ويبعث فيها روح الحياة •• فلا بد أن نشير الى أن ما توجبه اللغات جميعا من الاحترام يفرض على الاصطلاحية التقنية ألا تكون رمزية مغلقة بمثابة (البابلية) المتداولة المفهومة من أهل الاختصاص فحسب ، بل ينبغي أن تساير روح اللغات وان توافق عبقريتها •

ويلوح الاهتمام بهذا الوصف من خلال بعض التوصيات التي قدمتها الامم المتحدة التي تؤكد حتمية (التنسيق بين المعاجم) و (تبني المفردات الموحدة) و (التوفيق بين الاصطلاحات) •

وما أشرنا اليه هنا أمر عام تشعر به الشعوب كافة ، الا أنه بالنسبة الى الشعوب العربية أوضح معالم وأوكد حتمية •• وفي فرنسا مثلا يتراوح حجم الاعلاميات الواردة من الخارج بين ٦٠ و ٨٠٪ ، وأما بالنسبة الى البلاد العربية ، في الوقت الراهن ، فيكاد يعادل ١٠٠٪ •

ولا يخفى ما يتبع هذا الزحف الطامي وهذا الاستعمار الاعلامي في العلوم والتقنيات من استعمار لا يقل خطورة عنه ، استعمار لغة العلم والتقنية وطمس الذاتية وخنق الروح القومية • وفي هذا الباب أيضا تتضح أهمية الترجمة في اعانة الاخصائيين •

اما بمساعدتهم على الكشف عن المقابلات العربية للمصطلحات الاعجمية •

واما باستنباط مفردات جديدة تفي بالمعنى ، وامدادهم بها •

---

١ ــ حسن السندوبي : أدب الجاحظ ، ط• القاهرة ١٣٥٠ هـ / ١٩٣١ م ص ٨٣ ــ ٨٤ •

مكتبة المهتدين الإسلامية

وتكون مسؤولية الترجمة هنا جسيمة اذ يكون عليها ان تواجه زحف المصطلحات وان توصد الباب في وجه ما استعجم منها ، أي أن تسهر على صيانة العربية مما يمكن أن يسمى (بالتلوث اللساني) في لغة العلم ، وحسب العربية وحسبنا ما تحملت وتحملنا في الكثير من الندوات العلمية من مقالات تلقى (بالقراءات السبع) تبدأ بالعربية ، ثم يداخلها شيئا فشيئا عبارات من اللهجات المحلية من (عايز) و (بردو) وغيرهما وتختم بلغات الغرب (اوف كورس) ٠

والمهم المهم اذ نواجه تهيئة الاجيال الصاعدة لئلا تكون مستهلكة للتقنية المعاصرة فحسب بل كي تكون منتجة لها مواصلة للثورة التكنولوجية ، ألا ننسى ان الانسان هو ذاته المقصود وأنه (ينبغي دوما أن يمثل الاهتمام بالانسان وبمصيره الشغل الشاغل للجهود التقنية جمعاء) (٢) ، وعلينا أن نرسي علما وتعليما قادرين على توجيه الثورة التقنية نحو قيم انسانية جديدة ، فهكذا يتعلم الانسان كيف يعيش بمصاحبة الآلة دون أن يخنع لسلطانها ومن دون أن تفضي به علاقته بها الى حد الاغتراب ٠٠

واذا ما عدنا الى موضوع الترجمة والاصطلاح وأهميتها فانه قد يجدر أن يشار الى أنه في الامكان أن يتيسر عملهما بخلق تقابل تناظري بين كل مفهوم وكل مصطلح ويوضع قوائم للمفردات تجمع في معاجم أو قواميس أو مدخرات يقع اللجوء اليها واستغلالها بسرعة للتوثيق والتأليف بين البلاغات التي تجد يوميا في ميداني العلم والتقنية ٠

وقد كنا تعرضنا للمشكل عينه في عمل سابق(٣) وقلنا في ذلك : (ان اللغة تتطور على غرار تطور المجتمع ، وهي تتحول وتتجدد وتتخلى عن العناصر التي أكل عليها الدهر وشرب ، وتثريها مقتنيات جديدة هي بحالتها الراهنة اليق ٠٠) الى أن قلنا : (فصار لزاما على اللغة في فترات مختلفة من حياتها أن تخوض غمار عالم جديد وأن تختار لها طريقا كي تعبر عن عدد من المفاهيم ما فتىء في ازدياد ، واذا ما وقفت اللغة واستقرت وتبلورت في وضع معين وتجمدت داخلها الخدر وقضي عليها بالموت خنقا ! ولا بد للغة ــ كي تحيى ــ أن تتجدد بلا انقطاع) وأضفنا : (ومظاهر تجدد اللغة تجددا مستمرا مثلها كمثل التحولات الوظائفية أو التشريحية التي يمر بها جنس من أجناس الحيوانات ففيها يبقى دائما لما تضاءل من أعضائها أثر هو بمثابة الشاهد على الماضي ، والمهجور من المفردات وما شاخ من العبارات فلم يكون هجره هجرا باتا ولا شيخوخته شيخوخة نهائية ــ وكثيرا ما نلاحظ أن مفردات اللغة التي ركدت

---

٢ ــ من كلام مأثور عن البرت اينشتاين ٠

٣ ــ في رسالتنا للدكتوراه (باللغة الفرنسية) (لغة الرياضيات في العربية) تونس ١٩٦٩ م ٠

http://www.al-maktabeh.com

وخمدت طويلا في سبات عميق ، لا حراك لها ولا حيوية ، تعود ثانية الى الطفو وقد جرى في شرايينها دم جديد) ٠٠

ويجدر بنا هنا أن نلفت النظر الى أن الاهم ليس هو هذه الظاهرة المتمثلة في نقل المصطلحات الاعجمية بحذافيرها أو تعريبها ، بل هو أمر أفسح مرمى وأخطر عاقبة يرتبط باحتلال العلوم والتقنيات الاجنبية للبلاد واصطباغ العقل العربي بالنظـرات المستوردة وخضـوع البـلاد للسيطـرة الاقتصادية الخارجية ٠

فالسعي في بحث علم عربي وتقنية عربية يقتضي اذن العمل على بعث اعلام علمي تقني عربي ٠٠

هذه نظرات متفرقة حول مشكلة الترجمـة وأهميتهـا في انماء العـلوم والتقنيات بالبلاد العربية ٠

على أن هذه البلاد قد مرت بتجربة الترجمة مرتين عبر تاريخها ، على اتجاهين متعاكسين : الاول حين نقلت علوم اليونان والهند وحكمة فارس الى العربية ولا سيما في القرنين الثالث والرابع للهجرة ٠

والثاني حين كانت العربية ذاتها هي المنطلق ، منهـا نقلـت الحكمـة والعلوم والتقنيات في اتجاه العالم الغربي ، منذ القرن الثاني عشر للميلاد ٠

وكل يعلم ما كان لهاتين التجربتين من نتائج ، اذ كانت الاولى مبعث ما أسماه بعضهم (بالمعجزة العربية) في الحقل العلمي والحضاري بصفة عامة ٠ وأما الثانية فأذنت بفجر النهضة الاوربية التي ما زالت ثمارها تستغل في الوقت الحاضر مع ما تولد عنها من عظيم الاستنباطات وجليل الاكتشافات ٠

ونحن نكتفي فيما يأتي بلمحة مختصرة عن كلتا المرحلتين مذكرين بأهم الاعمال التي تم انجازها فيهما :

١ ــ المرحلة الاولى :

شرعت عملية النقل للآثار الرياضية والعلمية والفلسفية من اليونانية في خلافة أبي جعفر المنصور ، وازدهرت وآتت أكلها في عصر المامون ، حيث أنشأ المامون ببغداد مركزا للبحث العلمي ، بيت الحكمة ، تشبيها بسميه بالاسكندرية وجهزه بمكتبة ثرية وأحاطه بمخابر ومراصد وبكل ما من شأنه أن يجعل البحث ميسرا وأن يشجع الانتاج العلمي ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

ويفيدنا كتاب الفهرست لابن النديم وكتاب عيون الانباء في أخبار الاطباء لابن أبي أصيبعة بارشادات مفيدة جدا عن النقلة في الاختصاصات كافة وعن الكتب المنقولة ٠

فمن أشهر النقلة : الحجاج بن مطر ، وقد أرسله المأمون على رأس بعثة الى بيزنطة في طلب الكتب القديمة ، ودخل أيضا بلاد الروم للغرض عينه جماعة منهم يوحنا بن ماسويه ، ومحمد وأحمد والحسن بنو موسى بن شاكر وهم ممن تناهى في طلب العلوم القديمة وبذل فيها الرغائب ، وأحضروا النقلة من الاصقاع والاماكن بالبذل السني ، وحنين بن اسحق العبادي وكان فاضلا في صناعة الطب فصيحا باللغة اليونانية والسريانية والعربية ، وابنه اسحاق ، وقسطا بن لوقا البعلبكي ، وابن ناعمة الحمصي ، واصطفن بن باسيل ، ويحيى بن عدي وثابت بن قرة ، وغيرهم كثير ٠

وأما عن الكتب المنقولة فعددها ، بحسب ارشادات الفهرست ، حوالي الاربعمائة تتفرع كما يأتي :

كتب الفلسفة : ١١٤ ٠

الرياضيات : ١٢٣ ٠

الطب : ١٤٩ ٠

وأما أهم الفلاسفة والطبيعيين والمنطقيين الذين نقلت مصنفاتهم الى العربية فهم (٤) :

٢٠ ــ أرسطاطاليس (٣٨٤ ــ ٣٢٢ ق٠م) ٠

١٩ ــ أفلاطون (٤٢٩ ــ ٣٤٧ ق٠م) ٠

١٥ ــ برقلس (٤١٢ ــ ٤٨٥ ب٠م) ٠

٨ ــ فرفوريوس (٢٣٢ ــ ٣٤٠ م) ٠

٥ ــ فلوطرخس (ت ١٢٥ م) ٠

١ ــ سقراط (٤٦٨ ــ ٤٠٠ ق٠م) ٠

وأهم أصحاب التعاليم والمهندسين والارثماطيقيين :

٢١ ــ بطليموس (القرن الثاني م) ٠

---

٤ ــ العدد الموضوع قبل اسم المصنف يمثل عدد الكتب المنقولة عنه ٠

http://www.al-maktabeh.com

١١ ـ أرشميدس (٢٨٧ ـ ٢١٢ ق٠م) ٠

١١ ـ أوقليدس (٣٠٦ ـ ٢٨٣ ق٠م) ٠

٩ ـ طاليس الملطي (٦٤٠ ـ ٥٤٨ م) ٠

٦ ـ أبلونيوس (نهاية القرن الثالث ق٠م) ٠

٥ ـ أيرن (القرن الثاني م) ٠

٤ ـ ثاون (القرن الرابع م) ٠

٤ ـ منيلاوس (نهاية القرن الاول م) ٠

٢ ـ أبرخس (القرن الثاني ق٠م) ٠

ومن المتطببين :

٥٣ ـ جالينوس (١٣١ ـ ٢٠١ م) ٠

٤٣ ـ روفس ٠

١٠ ـ بقراط (ولد ٤٦٠ ق٠م) ٠

٢ ـ ديوسقوريدس ٠

٢ ـ فولس الاجانيطي ٠

جمع علماء العرب اذن أنفس الامهات التي نقلوها عن اليونانية أو جلبوها من الهند ، فلم يقصروا عملهم على النقل وحده أو على الشرح البسيط ، بل هم اقتبسوا ما اقتبسوا من المفاهيم العلمية الصحيحة في الرياضيات والفلك والطب وغير ذلك ، ووقفوا منها موقف الحزم وتحلوا بحلية الناقد النزيه علما منهم أنه (ما عصم الله العلماء من الزلل ولا حمى علمهم من التقصير والخلل) وان (طالب الحق ليس هو الناظر في كتب الاقدمين ، المسترسل مع طبعه في حسن الظن بهم ، بل طالب الحق هو المتهم لظنه فيهم ، والمتوقف فيما يفهمه عنهم ، المتبع الحجة والبرهان ، لا قول القائل الذي هو انسان ، المخصوص في جبلته بضروب الخلل والنقصان) ٠

فأكب علماء العرب على الكتب المنقولة ودرسوها درسا مدققا عارضين كل رأي على محك العقل والنظر ، معددين التجارب والارصاد وانطلقوا من ذلك نحو مرحلة الخلق والابداع فأرسوا أسس الطريقة التجريبية ، وقال طبيبهم(٥) :

---

٥ ـ هو عبد اللطيف البغدادي ، صاحب كتاب (الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر) ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

(ان جالينوس وان كان في الدرجة العليا من التحري والتحفظ فيما يباشره ويحكيه ، فان الحس أصدق منه) وابتدأ علماء العرب في البحث (باستقراء الموجودات وتصفح أحوالها وتمييز خواص الجزئيات والتقطوا باستقراء ما هو مطرد لا يتغير ، وظاهر لا يشتبه ، من كيفية الاحساس ، ثمّ ارتقوا في البحث والمقاييس على التدريج والترتيب مع انتقاد المقدمات والتحفظ في النتائج (٦) (وتحروا في سائر ما يميزونه وينتقدونه طلب الحق لا الميل مع الآراء) ٠

ازدهر هذا المنهاج العلمي التجريبي المعتمد على المشاهدة والنظر أي المنطلق من المحسوس بهداية العقل في كامل البلدان الاسلامية فأقيمت معالم العلم التجريبي وانفسح مجال الفلك وتقدمت الرياضيات تقدما بديعا ، واشتهر أعلام من أمة الاسلام جعلوا للعربية مكانة مرموقة في العلوم ، ودخلوا التاريخ من بابه الواسع فسجلت فيما بعد أسماء بعضهم على بوابات الكليات بأوربة أو على جدرانها وعلى جدران المعاهد الثقافية العليا ، أمثال كلية الطب بباريس ومكتبة سانت جونفياف وقصر الاكتشافات بها أيضا ٠

مئات الاعلام نذكر على الخصوص منهم البتاني صاحب الزيج الصابي والحسن بن الهيثم منشىء علم البصريات ، وأبا الريحان البيروني (ت ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م) صاحب القانون المسعودي وكتاب الجماهر في معرفة الجواهر والآثار الباقية عن القرون الخالية ، وأبا عبد الله محمد الخوارزمي (ت ٢٣٦ هـ / ٨٥٠ م) صاحب كتاب الجبر والمقابلة والشيخ الرئيس ابن سينا (ت ٤٢٨ هـ / ١٠٣٧ م) وكان كتابه القانون في الطب هو المعتمد في التدريس بكليات أوربة حتى القرن السابع عشر وله كتاب الشفاء في المنطق والطبيعيات والالهيات وأبا بكر محمد بن زكريا الرازي (ت ٣١١ هـ / ٩٣٢ م) صاحب كتاب الحاوي في الطب وكتاب المنصوري ، ومنهم جابر بن حيان (ت ١٤٨ هـ / ٨١٣ م) صاحب الرسائل في الكيمياء ، وأبو الوليد بن رشد (ت ٥٩٩ هـ / ١١٩٨ م) صاحب تهافت التهافت ، والشريف الادريسي (ت ٤٥٧ هـ / ١٠٦٦ م) وله كتاب نزهة المشتاق اختراق الآفاق الذي شرح فيه خريطة العالم التي رسمها هو نفسه رسما يتصف بدقة عجيبة ٠٠ الخ ٠٠

٢ ـ **وأما المرحلة الثانية** التي عرفت فيها العربية النقل فكانت هي المورد ولغات الغرب المستوردة للعلوم والتقنيات فازدهرت بدءا منذ القرن الحادي عشر للميلاد وبداية القرن الثاني عشر ، وقد اختلط المسلمون بأهالي البلدان المفتوحة ، ولا سيما باسبانيا وصقلية وجنوب ايطاليا ، وبهر رقيهم

---

٦ ـ من مقدمة كتاب المناظر للحسن بن الهيثم (ت ٤٢٢ هـ / ١٠٢٩ م) ٠

http://www.al-maktabeh.com

الحضاري وازدهار علومهم من اطلع عليهما من أهل الغرب فصار لهؤلاء أيضا نفوذ قوي بين ذويهم وبني عشيرتهم ٠

على أن هذه المرحلة وان كانت شبيهة بسابقتها فهي تختلف عنها اختلافا أساسيا ويوجد بينهما فوارق جسيمة ٠

وذلك أن العرب في المرحلة الاولى نقلوا العلوم وجمعوا المخطوطات من بلاد الروم وقد أعرض عنها أهلها وقد دارسوها وغشاها غبار النسيان ، حتى ان امبراطورا لبيزنطة أبدى عجبا حين وجد بين طلبات امراء العرب لمهادنته أن يمدهم بعدد من المخطوطات العلمية ٠

وأما الغرب ، اذ تهافت على العلم العربي ، فقد كان يكرع من حياضه وقد تدفق سيله وازدهرت أنواره وتعددت العباقرة في مسالكه ونواحيه كافة ، ثم ان النقل الى الغرب انطلق من مجهودات فردية قلما وجدوا ــ في البداية ــ مساندة وعونا من السلط الرسمية ، بل خلافا لذلك نجد ، أن هذه السلطة ، سياسية كانت أو دينية قد وقفت حجر عثرة في وجوه النقلة وأثارت في وجوههم العراقيل وصبت عليهم ويلات العذاب ٠

وفي منتصف القرن الثاني عشر عمل كبير الاساقفة ريمندو بطليطلة على تشجيع الترجمة فعمد الى يهودي اعتنق المسيحية ، هو يحيى الاشبيلي ، وكلفه بمعية كبير الشمامسة ، دومنجو جنديسلفي ، بنقل الكتب العربية من الرياضيات والفلك والتنجيم والفلسفة ٠

وكان واسطة عقد المترجمين جيرارد الكريموني (ت ١١٨٧ م) وقد ترجم أكثر من سبعين مؤلفا عربيا ترجمة حسنة ، ومن بينها كتاب (التصريف) لابي القاسم الزهراوي و (القانون) لابن سينا و (المنصوري) للرازي وترجمة المجسطي لابي الوفاء ونقل قسطا بن لوقا لكتاب الاكرلتيودوس وعدد من المصنفات في شتى الاختصاصات ٠ ومن أهم النقلة الى اللاتينية نذكر أيضا : مركوس وميخائيل سكوتو (من القرن الثالث عشر للميلاد) واسطيفن الانطاكي ، البيزي الاصل ، زمن الحرب الصليبية السادسة (١١٩٤ ــ ١٢٥٠) وجيرر دي صابيونتا (من القرن الثالث عشر) وجودي سنكتلا (من النصف الاول من القرن الثاني عشر) وهرمن الالماني (من القرن الثالث عشر) والفراد دي سريشال الانكليزي (من الثلث الاول من القرن الثالث عشر) وابراهيم بن عزرا (ولد بطليطلة سنة ١٠٩٧ وتوفي برومة) وجاك ديبارس الفرنسي (١٣٨٠ ــ ١٤٥٨) وغيرهم كثيرون ٠

ومن أهم الكتب العربية المنقولة الى اللاتينية المصنفات الآتية :

مكتبة المهتدين الإسلامية

ابن أبي الرجال :

ـ كتاب البارع ، نقل يهودا ابن موشي لالفنس الحكيم سنة ١٢٩٤ م ٠

ابن باجة السرقسطي :

ـ رسالة نقلها هرمان الالماني ٠

ابن رشد :

ـ الكليات ، نقله أرمنجود ٠

ـ كتاب الترياق ، نقل ادرياس الباغوس ٠

ـ الشرح الاوسط على كتاب الاخلاق لارسطو ، نقله هرمان الالماني ٠

ابن سينا :

ـ القانون ، نقله جيرارد الكريموني وجيرارد دي صابيونتا ٠

ـ الارجوزة في الطب ، ترجمة أرمنجود وأصلح ترجمتها الباغوس (١٥٢٠ م) ٠

ـ الطبيعيات ، نقل جنديسا لفي ٠

ـ الاحداث الجوية ، نقل جيرارد الكريموني ٠

ـ كتاب النفس ، نقل يحيى الاشبيلي ٠

ـ كتاب المعادن ، نقل ألفراد دي سريشال ٠

جابر بن أفلح :

ـ اصلاح المجسطي ، نقل جيرارد الكريموني ٠

أبو معشر :

ـ تكهنات الاحوال الجوية ، نقل هوجو سنكتلا ٠

اسحاق بن سليمان :

ـ كتاب البول نقل جيرارد الكريموني وقسطنطين الافريقي ٠

ـ الاغذية والادوية ٠

ـ كتاب الحدود والرسوم ٠

http://www.al-maktabeh.com

البتروجي :

ـ كتاب عن الحركة السماوية ، نقل ميخائيل سكوتو ٠

ثابت بن قرة :

ـ القول في الشكل القطاع ، نقل جيرارد الكريموني ٠

الرازي :

ـ كتاب الاسرار نقل جيرارد الكريموني ٠

ـ كتاب الجدري والحصبة نقل جيرارد الكريموني ٠

ـ الحاوي ، نقل سليم بن فرج ٠

الزهراوي :

ـ القسم الجراحي من كتاب التصريف ، نقل جيرارد الكريموني ٠

نصير الدين الطوسي :

ـ تحرير أصول اقليدس ، ترجمة أولى نشرت برومة سنة ١٥٩٤ م واخرى بكولونيا سنة ١٥٩٦ م بقلم كريستيان كلافيوس ٠

غنم الغرب اذن من العلم العربي ومن الحضارة الاسلامية ، فكانت تلك الشرارة الاولى التي منها انقدح زند العلوم بالغرب فانبلج صبح النهضة الاوروبية ٠

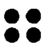
وليس في الامكان ، عند خاتمة هذا العرض ، ألا نشير الى الزمن الحاضر وما مر به من مرحلة استعمارية اكتسحت معظم البلدان الاسلامية ـ بل جميعها ، ان بالقوة وان بالفعل ـ فاستحوذ المحتل على أهم المعالم التراثية ناقلا القناطير المقنطرة من المخطوطات الثمينة الى مكتبات الغرب والثروات الفنية الى متاحفه ، وانطلقت دراسات جديدة للتراث العربي ، هي امتداد لعمليات النقل في القرون الوسطى ٠

والآن ، ونحن على وشك الانتهاء ، لامناص لنا من أن نقر بأن المعرفة والعلم والعمل الحضاري مشروع بشري عام ، وباب مفتوح في وجه الشعوب كلها ، وتتداول المعرفة الايدي من الاقوام جميعا ومن الاجناس البشرية على اختلافها ، ولا فضل لامة على أخرى الا بالسعي والبحث والجد ، وليس من اللياقة أن يكون لقوم ما مركب نقص أو مركب غرور ازاء غيره من الاقوام ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

واذا ما كان العرب ــ اليوم ــ في موقف الطالب للتقنيات المتعطش للحضارة العصرية والعلوم الحديثة ، فكم كان لهم ــ في الماضي ــ من أياد على البشرية ، من العقوق أن تنكر ، وما زال البحث والتنقيب المتواصلان يكشفان كل يوم عما تراكم عليها من الاستار وما تكدس من غبار ومن شأن الترجمة اليوم ــ كما بالامس ــ أن تيسر للعرب اللحاق بالركب ودخول الحلبة مرة أخرى ٠

ولئن توجهت اليوم الامم الاسلامية مسرعة نحو العرفان ، ولئن تعلقت همتها بالمشاركة الفعلية في العمل العلمي والحضاري الجماعي في سبيل البشرية ، قصد الرفع من مستواها المادي والذهني ، فما ذاك الا حق واجب لها ، ليس لاحد ان يحرمها اياه، أو أن يبخل به عليها، أو أن يحاول أن يعرقل سيرها نحوه، ولا أن يبيعها أحد بما من شأنه أن يمس بكرامتها أو أن يجعل المقابل المطلوب أكثر مما يفرضه الترافق والتعاضد البشري ٠



http://www.al-maktabeh.com

الترجمة وتراثنا

الصيدلي كمال شحادة
دبلوم الدراسات العليا في تاريخ العلوم

لم تنشأ الحضارات المعروفة في التاريخ ، ولا الحضارة المعاصرة من الصفر فالحضارات عوامل متعددة في نشوئها وتطورها ، ويبدو أنها بدأت في تاريخ الانسانية مع المجتمعات الزراعية · فالاستقرار الزراعي دفع بتلك المجتمعات الى اختراع الادوات التي تساعد الناس على فلاحة تربتهم ، كما استدعى ذلك نشوء علاقات تجارية تبادل فيها الناس تلك السلع الزراعية وغيرها كما تبادلوا فيها الخبرات والافكار والمعتقدات ونشأت المدن · وفي هذه المدن لابد من وجود أناس يستطيع المجتمع أن يستغني عن خدماتهم في أعمال الزراعة والتجارة ، فانصرفوا الى الانتاج العلمي والادبي والفني والفلسفي وغير ذلك ·

الا أن أهم ما في تطور الحضارة يكمن فيما يمكن ان نسميه بالتربية ويكون ذلك بنقل عناصر الحضارة والمعارف من جيل الى آخر ، وهذا النقل يبدأ في نطاق العائلة من الوالدين الى أولادهما وينتهي برجل الدين أو المعلم ولا سيما عندما استطاع الانسان ايجاد الكتابة لتدوين أفكاره ومعلوماته وانجازاته · ولا يقتصر هذا النقل على أجيال المجتمع الواحد ، بل ينتقل بين المجتمعات الانسانية المختلفة فالصلات بين تلك المجتمعات ولا سيما المتجاورة منها تبقى ناشطة وتقوم اما على التحالف واما على التحارب واما على المتاجرة واما على ما يشبه ذلك · فالحضارة تنتقل ، بوجه أو بآخر ، من قوم الى آخرين فتتفاعل وتسير في طريق التطور المستمر ·

وعندما استطاع الانسان الاول أن يبني كهفا يقيه من قسوة الطبيعة ، كان هذا الكهف البدائي المنطلق الاول الذي أدى بالبشرية الى بناء ناطحات السحاب في الحضارة المعاصرة ·

ولولا صناعة الانسا نالاول لادواته الحجرية والصوانية لما وصلنا الى التقنيات العالية التي نراها الآن ·

ففرق الانسان عن الحيوان ، ان الانسان يصنع أدواته ويطورها ، أما الحيوان فقد يستطيع استعمال اداة بسيطة يجدها أمامه ، ولكنه لا يستطيع صنعها ·

لا أود في هذه المقدمة أن أطيل في موضوع نشأة الحضارات وتطورها عبر

مكتبة المهتدين الإسلامية

القرون ولكنني أود أن أؤكد حقيقة لا جدال فيها وهي أن الحضارة المعاصرة بما فيها من علوم وفنون وتقنيات انما هي تراث انساني معرفي متراكم تضافرت جهود البشر منذ وجد الانسان على الارض وحتى الآن على تحقيقه • وينطبق هذا المبدأ على كل حضارة نشأت على كوكبنا ، فحضارة كل قوم تتأثر بحضارات سابقة أو معاصرة لها وتؤثر في حضارات لاحقة ، ويبقى لكل حضارة دورها الخاص في اغناء الحضارة الانسانية ، وهذا الدور قد يكون كبيرا وقد يكون صغيرا ولكنه دور فاعل على كل حال •

ويشير التاريخ الى أن المدنيات الاولى المزدهرة بدأت في الشرق ولا سيما في بلاد ما بين النهرين وسورية ومصر ، فكانت حضارة سومر وأكاد وبابل وآشور وايبلا وحضارة المصريين القدماء ، وهذه المدنيات كانت الاساس والمنطلق للحضارات اللاحقة كالحضارات اليونانية والرومانية والفارسية • ونصل الآن في هذا التسلسل التاريخي للحضارات الى الحضارة العربية ، فلنقف عندها وقفة قصيرة •

يدعي كثير من الاجانب أن العرب قبل الاسلام كانوا من البدو الرحل ، لا يعرفون سوى حياة الصحراء القلقة غير المستقرة ، بعيدين عن كل حضارة ، ومجردين من أي جذور حضارية •

والباحث المنصف لا يسعه الا أن يجد هذا الاتهام ظالما ومجافيا للحقيقة ، فقد كان في شمالي الجزيرة العربية وفي جنوبيها مراكز ناشطة في مجالات التجارة الداخلية والدولية كمكة والمدينة والطائف ، ومأرب ، وصنعاء ، ونجران ، وصراوح وظفار • فكانت تتم في هذه المدن مبادلات تجارية هامة ما بين عرب الجزيرة والدول المجاورة لهم في الشمال كدولة الغساسنة (في جنوبي سورية) ودولة المناذرة (في جنوبي العراق) ، وما بينهم وبين الهند وشمالي أفريقيا عن طريق اليمن •

فاذا علمنا أن دولة الغساسنة كانت حليفة للبيزنطيين ، ودولة كنـدة (في أواسط الجزيرة العربية) كانت حليفة لملوك اليمن ، ودولة المناذرة كانت حليفة للفرس ، أدركنا دور القوافل التجارية في تبادل المفاهيم الحضارية • وهنا لا بد من القول : ان التجارة ، على أهميتها في التفاعل الحضاري ، لم تكن وحدها العامل المؤثر ، ذلك أن الصلات بين عرب الجزيرة وتلك الاقطار كثيرا ما كانت تتوتر وتنقلب الى نزاعات مسلحة ، وهي نزاعات تحمل برغم سلبياتها نواحي ايجابية في مجال التفاعلات الحضارية وتلاقح الافكار وتبادل المعارف والخبرات بين العرب وبين حضارات الروم والفرس اضافة الى ما تحمله تلك الحضارات من رسوبات الحضارات السابقة ومخلفاتها •

http://www.al-maktabeh.com

وإذن فالعرب قبل الاسلام لم يكونوا كلهم يعيشون حياة البداوة في جزيرتهم وانما كانت فئات كبيرة منهم تتمركز في مدن ناشطة اجتماعيا وتجاريا ، وعلى اتصال بمدنيات ذلك الزمان بشكل أو بآخر ، وعندما بسط العرب سيطرتهم بعد الاسلام على رقعة كبيرة من العالم لم يفاجأوا بالحضارات القائمة في تلك البلاد التي حكموها ٠

ومن الواضح أن العرب استقبلوا هذه الحضارات بقلب مفتوح وبنفسية خالية من العقد ، فلم يكونوا يحملون فكرة الفاتح المغتر بقوته ، المحتقر لكل ما أفرزته حضارة الاقوام في تلك البلاد ، وانما كانوا متعطشين للمعرفة والعلم ، وهذا ما دعاهم لتشجيع الترجمة للاطلاع على حصيلة علوم الامم ومعارفها ، قديمها وحديثها ؛ وهذا الاطلاع لم يكن منفعلا بل كان فعالا آمن احتكاك هذه الحضارات بعضها ببعض وصهرها في بوتقة اللغة العربية ، كما كان فعالا في ابداع حضارة ذاتية عربية أنارت الطريق للبشرية وكانت السبب لنشوء النهضة الحضارية التي يشهدها عصرنا الحاضر ٠

فالترجمة بدأت منذ عهد مبكر من الحكم العربي وتشير المصادر التاريخية الى أن بدأها منذ أوائل الحكم الاموي بتشجيع من خالد بن يزيد بن معاوية حوالي عام (٦٠) للهجرة وكان يترجم له اصطفن الاسكندري وكانت الترجمة تتم من اللغتين القبطية واليونانيـة الى العربيـة وكان خالد بن يزيد مهتما بالصنعة أي باكتشاف طريقة لتحويل المعادن الى ذهب ٠

كما قام ماسرجويه أيام الخليفة الاموي مروان بن الحكم عام ٦٤ للهجرة بنقل كناش اهرن بن أعين القس الى العربية من اليونانية وهو الكتاب الذي أجاز الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز تداوله بين الناس للانتفاع بما جاء فيه من علوم طبية ٠

وفي العصر العباسي (القرن الثاني للهجرة) نشـطت أعمال الترجمـة وتناولت علوم الهند وفارس واليونان والسريان ، وبلغت أوجها في القرن الثالث للهجـرة ٠ ويمكن أن نصف هذه المرحلة بأنها مرحلة الاخذ والتمثل للعرب من الثقافات والعلوم الاجنبية ، وقد تلتها مرحلة هي بالفعل مرحلة الخلق والابداع للعلماء العرب امتدت من منتصف القرن الثالث حتى القرن الثامن للهجرة ٠ وبعد هذا القرن عمت الاضطرابات الاقطار العربية فانتفى الاستقرار وبطؤ الابداع العلمي العربي وعندئذ بدأ الاوربيون مرحلة الاخذ والتمثل من العلوم العربية واستمرت هذه المرحلة حتى القرن العاشر الهجري (السابع عشر للميلاد) حيث بدأوا (أي الاوربيون) مرحلة الخلق والابداع وهي تمثل بداية ما يسمى بعصر النهضة وهي النهضة المستمرة حتى الآن ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

ويبدو أن العرب الآن في مسار دورة جديدة ، فنحن الآن عدنا لنبدأ مرحلة الاخذ والتمثل من الثقافات الاجنبية ، ولكن هذا المسار يقتضي منا الكثير من اليقظة والانتباه والتخطيط والتصحيح ، وهذا ما سأتحدث عنه بعد قليل ٠

أيها الاخوات والاخوة ،

قلت ان شؤون ترجمة العلوم والثقافات الاجنبية الى اللغة العربية بدأت منذ مطلع الحكم الاموي وتوسعت أيام الحكم العباسي حتى بلغت أوجها في القرن الثالث للهجرة ولكن هل كانت حركة الترجمة تسير اعتباطا وعلى غير هدى ، أو كانت تسير بهدي من علماء ومدارس ثقافية عريقة كانت قائمة قبل الحكم العربي بزمن طويل ؟ وهل كان لهذه الحركة من يشجعها ويدعمها ماديا ومعنويا ؟ وهل كان المترجمون على مستوى علمي رفيع ؟ ومن أية لغات اجنبية كانت تتم الترجمة ؟ وكيف كانت أساليبهم في التحقيق والترجمة للكتب التي كانوا يترجمونها وكانت آنئذ كلها مخطوطة ؟

هذه الاسئلة وأسئلة كثيرة غيرها تثار عند الحديث عن شؤون الترجمة ، ولكني أود أن أصارحكم اني لن أدخل في أي تفصيل يتعلق بالاجابة عن هذه التساؤلات التي تشكل مواضيع شيقة ، مكتفيا في هذا المجال بما عبرت عنه قبل قليل من أن الترجمة كانت أداة استخدمها العرب في المراحل الاولى من نهضتهم الحضارية بعد الاسلام لينطلقوا في مجالات الابداع الحضاري العالمي ، واما تلك المواضيع المتعلقة بشؤون الترجمة فسيتحدث عنها ، بالتأكيد ، كثير من الباحثين والمتحدثين في هذا المؤتمر ما دامت شؤون الترجمة موضوعه الرئيس ٠ فلا بد أن غيري من الباحثين سيتحدث مفصلا عن تشجيع الخلفاء والحكام والموسرين للترجمة والمترجمين ، وعن المدارس العلمية والفلسفية التي كان لها دور في ذلك كمدارس : الاسكندرية وجنديسابور ، وحران ، وأنطاكية ، ونصيبين ، والرها وغيرها ٠ وسيتحدث آخرون عن رعاية الخلفاء للترجمة ولا سيما في دار الحكمة ببغداد ، وعن أعمال كبار المترجمين من اللغة الفارسية كأبي سهل الفضل بن نوبخت ، وابن المقفع ، ومن اللغة الهندية كمحمد بن ابراهيم الفزاري ، وعن اللغتين السريانية واليونانية كحنا بن موسويه وحنين بن اسحق وحبيش بن الاعسم ويوحنا البطريق والحجاج بن مطر وقسطا بن لوقا البعلبكي وابن الناعمة الحمصي واصطفن بن باصيل وموسى بن خالد الترجماني ويحيى بن هرون وثابت بن قرة وسنان بن ثابت وابن زرعه وكثيرين غيرهم ٠

أقول : اني أترك الحديث في هذه الشؤون لغيري من المتحدثين في هذا المؤتمر ، ولكني أود أن أثير موضوعا أساسيا هو الهدف الذي تتجه نحوه كل المؤتمرات الشبيهة بمؤتمرنا وأركز عليه ، وهو :

http://www.al-maktabeh.com

أين نحن من تراثنا ؟ وهل لتراثنا أهمية تستحق أن تبذل فيها الجهود لاحيائه ؟ وأي فوائد نجنيها من احياء هذا التراث ؟ وما الطرائق السليمة لاحيائه ؟

أيها الاخوات والاخوة ،

ما التراث ؟ بل ما هو تراثنا العربي ؟

التراث هو كل ما تركه أسلافنا من علوم ومعارف وثقافة في مئات الآلاف من الكتب المخطوطة والمطبوعة والمحفوظة في المكتبات العامة والخاصة في مختلف أنحاء العالم ، اضافة الى ما وصلنا من أخبار منجزاتهم الحضارية عن طريق المصادر الاجنبية التي تشهد على دورهم الرائد في مسيرة الحضارة العالمية ٠

ومن المؤسف أن هذه الذخيرة الكبيرة من العلوم والمعارف التي تركها لنا الاسلاف لم تعط حقها من التحقيق والكشف عن مكنوناتها ، الا أن القسم اليسير الذي حقق ودرس كان فيه ما يدعو الى الافتخار وبث الثقة في نفوس جيلنا العربي الحاضر ، حتى ان العالم الشهير جورج سارتون في كتابه الضخم « المدخل الى تاريخ العلوم » أطلق على بعض مراحل التطور العلمي العالمي تسميات ربطها بعلماء عرب ، فاطلق على النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي اسم عصر جابر بن حيان ، وعلى النصف الاول من القرن التاسع الميلادي عصر « الخوارزمي » وعلى النصف الاول من القرن العاشر الميلادي « عصر الرازي » وهكذا ٠٠

كما نجد العالم وول ديورانت في كتابه الكبير « قصة الحضارة » عندما يشير الى القرون الثلاثة الميلادية ما بين القرنين الثامن والحادي عشر يقول :

« ليس ما نعرفه من ثمار الفكر الاسلامي في هذه القرون الثلاثة الا جزءا صغيرا من تراث المسلمين ، وليس هذا الجزء الا قسما ضئيلا مما أثمرته قرائحهم ٠ واذا كشف العلماء يوما عن هذا التراث المنسي ، فأكبر ظننا أننا سنضع القرن العاشر (الميلادي) من تاريخ الاسلام في الشرق بين العصور الذهبية في تاريخ العقل البشري » الا أن مدة طويلة من الركود مرت بالامة العربية من أقصى مشرقها الى أقصى مغربها بدءا من القرن الثامن الهجري ولا سيما ابان الاستعمار التركي المظلم فهان تراثنا على قومنا وجهلوه فلم يعودوا يرون فيه سوى خرائب وأطلال لا قيمة لها ٠

ومنذ بدايات القرن التاسع عشر بدأ اهتمام العرب بتراثهم ببدء اليقظة التي لاحت بوادرها آنذاك ، وذلك حينما بدأ المثقفون العرب يشعرون بتخلف الامة العربية عن الركب الحضاري العالمي ، فقاموا يبحثون في الحلول التي

مكتبة المهتدين الإسلامية

تؤمن لهم مواكبة الحضارة القائمة ليكونوا شركاء مبدعين لا تابعين مقلدين ، فكان من الطبيعي أن يثار الماضي بأمجاده الحضارية ، أي أن يثار موضوع التراث .

فالتراث أصبح مجال اهتمام الجماهير والمثقفين والعامة والخاصة ، الا أن النظرة الى هذا التراث تختلف ما بين فئة وأخرى . ويمكننا أن نميز في هذا المجال بين تيارات ثلاثة تتنازع الاكثرية الساحقة من المهتمين بالتراث :

١ ـ فالتيار الاول هو الذي يرى أن تراثنا حوى كل شيء وما علينا الا الرجوع اليه والاخذ منه . وانصار هذا التيار يقولون : ان تراثنا وصل الى قمة الحضارة مما لا يمكن تجاوزه وان فيه الحلول لكل مشكلاتنا واننا اذا قمنا بتحليل لتراثنا وجدنا فيه الاساس لكل علم وثقافة واما الحضارة المعاصرة الوافدة فبالرغم مما فيها من بريق فما هي الا حضارة زائفة وان كل ما فيها من ايجابيات يمكننا ايجاده في تراثنا . ولذا فهم ينادون باحياء التراث وتبنيه واتباع أساليبه لنستعيد تفوقنا في مختلف المجالات الحضارية ولنستعيد أمجادنا خلال وقت قصير من الزمن .

ومن المؤسف ان نجد أنصار هذا التيار مشدودون الى التراث بدافع من التعصب القومي الاعمى ، وهم يستخدمون منطق البلاغة اللفظية فيما يقولون ويكتبون لاستثارة حماسة الجماهير من دون الاستناد الى أي أسس موضوعية عملية . ان موقف هؤلاء ينطوي على الجبن وعلى الشعور بالعجز ، فهم عاجزون عن عمل أي شيء ايجابي ، وتعويضا لهذا العجز فهم يهربون من الواقع . وكثير من أنصار هذا التيار تتبدى في سلوكهم سلبية تقرب من الاثرة ، فهم لا يؤمنون بشيء موضوعي محدد للتغيير الاجتماعي ، وهم بتأكيدهم على الماضي فقط ، انما يحاولون المحافظة على مواقعهم ومصالحهم .

٢ ـ والتيار الثاني :

هو الذي يعتقد أن التراث شيء مضى وانقضى ولن يعود ، وان الزمن تخطاه ، وهو تراث لا يحمل أية فائدة عملية في الواقع الحضاري ، وانه مظهر من مظاهر التخلف ولذا فان الثورة عليه تشكل جزءا من الثورة على التخلف .

ويرى أنصار هذا التيار ان الحضارة الغربية هي حضارة عالمية تصلح لكل قومية ولكل شعب وفيها الحلول الجذرية للقضاء على تخلفنا عن الركب الحضاري العالمي ، فعلينا أن نتبنى كل شيء مما تفرزه الحضارة الاجنبية في مختلف المجالات العلمية والاجتماعية والتقنية وغيرها .

اني أرد على أنصار هذا التيار فأقول :

http://www.al-maktabeh.com

ان التراث ليس شيئا مضى وانقضى وانما هو يعيش مع الجماهير في حياتهم اليومية فيوجه كثيرا من سلوكهم وله وجود نفسي ووجداني فيهم جميعا ، فهو طاقات مختزنة بشكل أو بآخر في حياتنا كما في أفكارنا وتصرفاتنا ، الا أنها طاقات مشوشة مضطربة تحتاج الى التنظيم كما تحتاج الى التطهير من الرسوبات والانحرافات المشوهة لها ٠

وأما الذين ينادون بالمنهج الثوري والثورة على التخلف ويربطون هذه الثورة بالثورة على التراث ، فهؤلاء لا يمتون الى العقلية الثورية الحقيقية ولا الى الثوار الحقيقيين بصلة ٠ فالثورة هي علم وتخطيط ولم تكن الثورة الحقيقية يوما مبنية على السلبية والهدم ، والثوار الحقيقيون هم أول من يشعرون بالمسؤولية تجاه تاريخ أمتهم وتراثها وذلك ليتسلحوا بما يتيح لهم التصدي الايجابي للواقع بالنقد والتطوير للوصول الى ما هو أفضل ٠

فالدعاة الى الاكتفاء بالجديد ، حينما ينادون بنبذ الماضي ، يودون اقامة بناء جديد والبناء القديم ما زال قائما ، انهم يودون البناء الجديد فوق بناء لا تنسجم أساساته وذلك البناء الجديد ، فحياة الشعوب لا تتغير في لحظة وانما يحتاج التغيير والتطوير الى زمن طويل ٠

ثم ان هذه الفئة ، في ارتمائها بأحضان الجديد الوافد ، تخاطر باستعارة تجارب أمم لا تنسجم نفسيتها ومنطلقاتها ونفسية الامة العربية ومنطلقاتها ، كما تخاطر في الوقوع بالتبعية الفكرية وهي أشد أنواع التبعية خطرا على سلامة واقع الامة العربية ومستقبلها ، فمثل هذه التبعية قد تصل الى حد الاستعمار الثقافي ، والاستعمار يبقى استعمارا مهما اختلفت اقنعته ، ففيه الاستغلال وفيه التحكم وفيه الخطر على ثقة الامة بنفسها ٠

ومن جهة أخرى فان تقليدنا الاعمى للحضارة الاجنبية لا يعني أن عقليتنا هضمت وتمثلت هذه الحضـارة ، فاستعمال الانسان لآلة مستوردة لا يعني أنه يستطيـع التعايش وتلك الآلة التعايش السليم ، والعربي اذا اكتفى بتقليد علوم الغرب وتقنياته واستيرادها ، يكون حكمه حكم البدوي الساذج الذي يقود سيارة فخمة ولكن بعقلية أبي دلامة وهو على بغله الاعرج ٠ فتمثل أية حضارة يجب أن يرتكز على جذور ، وعندما تكون الجذور سليمة فلا بد أنها ستفرز حضارة مبدعة اذا عرفنا كيف نصلح تربتها وكيف نمدها بالمخصبات الفعالة والري المنظم ٠ فالتراث ذخيرة قومية لها وجود في واقعنا ، نستطيع اذا أحسنا تحليلها والاستفادة منها أن نحدد أسسا سليمة لنهضتنا التي ننشدها فالتحليل العقلاني للتراث على أنه تحليل للماضي وكأنه حاضر معاش ، وتحليل للحاضر على أنه ماض موروث ، انما يحقق لنا ربط الماضي بالحاضر فنحقق

مكتبة المهتدين الإسلامية

في ذاتنا وحدة التاريخ ، ومن غير ذلك نقع في الغربة ، غربة في ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا ، ونبقى متسولين في أسواق الحضارات الاجنبية ٠

فاهتمامنا بالتراث هو الذي يوضح لنا البعد التاريخي في وجداننا المعاصر، وهو الذي يمكننا من اكتشاف جذورنا لنعلم في أية مرحلة من التاريخ نعيش ، ومتى حددنا ذلك أمكننا أن نستأنف تطورنا الحضاري الذاتي الفاعل والمتفاعل ومعطيات العلم وتطوره ٠

٣ ـ التيار الثالث :

أنصار هذا التيار ينادون بالاخذ من التراث ما يتفق ومقتضيات العصر ، وباخضاع الجديد لمقاييس القديم ، أو اخضاع القديم لمقاييس الجديد ، أي انهم يحاولون الجمع بين ميزات التيارين السابقين : ميزات التراث وميزات الحضارة الحديثة ٠

قد يكون هؤلاء مدفوعين بالنيات الحسنة ، ولكن النيات شيء وتحقيقا العملي شيء آخر ، ذلك أكثر أنصار هذا الموقف يفتقدون وضوح الرؤية الشاملة في احياء التراث ، فهم يأخذون بزاوية من المشكلة على حساب الزوايا الاخــرى ٠

أ ـ ففريق منهم يعتمد على الاسلوب البلاغي في الخطابة والكتابة لاكتساب عطف الجماهير وتأييدها ، وهذا الفريق تتنازعه فئتان فئة تركز تركيزا خاصا على التراث دون أن تربطه بالجديد فتكون أقرب الى التيار الاول المتعصب تعصبا غــير علمي للتراث ، والفئة الاخرى تميل عن قصد أو عن غير قصد الى الجديد دون أن تستطيع وصله بالتراث فتكون أقرب الى أنصار التيار الثاني المتعصبين للجديد ٠ وفي كلا التيارين انفعال ، وبالانفعال يغيب عمل العقل الواعــي ٠

ب ـ وفريق آخر منهم درس في معاهد وجامعات أجنبية ، وتبنى مذهبا سياسيا أو اجتماعيا معينا من المذاهب التي وجدها في تلك البلاد الاجنبية ، ثم عاد أفراده الى أقطارهم ليوضحوا أن تراثنا سبق له احتواء ذلك المذهب ، مفتخرين بأن أسلافنا عرفوا ذلك المذهب قبل الاجانب بقرون عــدة من الزمن ٠ هذا الفريق الذي يدرس التراث بمنظور مذهب منقول من الغرب ، غالبا ما يدور في فراغ ويدخل في متاهات غير مجدية لان التجديد في هذه الحالة يأتي من الخارج وبشكل غير منسجم وروحية التراث وجذوره ٠ ولذا نجد أنه سرعان ما ينقلب هذا الفريق الى مجموعة من الباحثين الجدليين هدفهم التغلب على منتقديهم ومناقشيهم والاعلان عن أنفسهم بقصد الشهرة ٠

http://www.al-maktabeh.com

جـ ـ وفريق ثالث قام بابراز نقاط ايجابية تقدمية في تراثنا القديم وانطلق يبشر بها على أنها تصلح كورقة عمل وخطة سير لبنائنا الحضاري المنشود ۰ والميزة هنا أن محاولة تجديد التراث تنطلق من الداخل ، من وجدان الامة وتاريخها لا من خارجها ، الا أن هؤلاء لم يهتموا ، مع الاسف ، الا بنواح جزئية من التراث على حين أن الامر يحتاج الى دراسة شاملة له لاعادة بنائه ككل متكامل بما يتناسب ومتطلبات العصر ۰

وبسبب عدم شمولية هذه المنطلقات ، فان هذا الفريق يجد أمامه حرية الانتقاء والاختيار في تحديد نقاط الانطلاق ، فكل من التقدمي والرجعي لا يعدم استخراج عناصر من التراث يراها من وجهة نظر ايجابية وصالحة لاحياء التراث وربطه بالحاضر وبالمستقبل ۰

٤ ـ التيار المقترح :

والآن وقد عددت أهم التيارات التي تعالج شؤون التراث العربي وتتخذ موقفا منه ، أتساءل فأقول : ما الطريق الافضل في بعث التراث واحيائه ليكون عاملا بناء في نهضة عربية متسارعة تأخذ دور الريادة مرة أخرى في مسيرة الحضارة الانسانية ؟

ليس الجواب عن هذا السؤال سهلا لتعقد عناصره وتشابكها ، وأنا اذ ادلي برأيي في هذا المجال ، لا أدعي أني وجدت الحل الكامل ، وانما هي محاولة قصدت منها اثارة هذا الموضوع ، والتحرش ، (اذا صح هذا التعبير) بالباحثين والمهتمين بالتراث واحيائه ليدلوا بافكارهم واقتراحاتهم في هذا المجال ۰

أيها الاخوات والاخوة ،

اننا بحاجة الى عدد كبير من الباحثين في شؤون التراث ، وليس المهم أن يكون الباحث من أنصار التراث ، ولكن المهم أن يكون من أنصار اعادة بناء التراث ليكون منطلقا للتغيير ، للتغيير السليم الى ما هو أفضل ۰

وأكرر هنا مرة أخرى قولي : ان التراث يعيش معنا كمخزون نفسي وكطاقات مختزنة في الفكر والسلوك ولذا فان تحليل التراث هو في الوقت ذاته تحليل لعقليتنا المعاصرة في تفاعلها والحاضر وبيان أسباب معوقاتها ، فمثل هذا التحليل يسهل علينا رؤية الحاضر في الماضي ورؤية الماضي في الحاضر ، فنحدد هويتنا ، ومتى حددنا هذه الهوية سهل علينا تحديد الطريق الذي نسير فيه والهدف الذي نسعى اليه ۰

فتحليل التراث وتقييمه واستثمار الجوانب الايجابية فيه وطرح ما فيه

مكتبة المهتدين الإسلامية

من سلبيات أمور يجب أن تقوم على موقف نقدي من القديم الموروث ، وموقف نقدي من الجديد المنقول وذلك بما يتناسب متطلبات الواقع • فمثل هذا الموقف النقدي البناء يجب أن يتحلق حوله الباحثون والمفكرون العرب بدلا من التباكي على مجد مضى • فاحياء التراث والاستفادة منه في نهضتنا المعاصرة والمقبلة يجب أن يحرر من أي نوع من أنواع التسلط • ويجب أن يحرر من تسلط التراث ومن تسلط الجديد الوافد ، فلا سلطان الا للعقل المتحرر الكفيل بتفجير طاقات الانسان العربي ، تلك الطاقات المحاصرة بين القديم والجديد •

وغني عن القول أن مهمة الاهتمام بالتراث واحيائه انما هي مهمة قومية فنحن نتعامل والارث الذي يتعلق بأمتنا وماضينا ، وهو يختلف في دراستنا له عن دراستنا لغيره من اتراث الامم الإخرى كالتراث الهندي والصيني والغربي • فنحن في دراستنا لتراث تلك الامم نكون باحثين فقط ، أما عندما يتعلق الامر بتراثنا فان عنصرا جديدا يجب أن يبرز ، وهو أن نكون باحثين ملتزمين ، ففي تجديد تراثنا حياة لنا لانه جزء من واقعنا وله آثار مباشرة في مستقبلنا ، فاذا انفصل الباحث عن المعطيات القومية في تراثه تعرض لخطر الانفصام في الشخصية وعليه أن يتحاشى هذا الخطر ليستمتع بالشعور الصحيح بانتمائه الى قومه وأرضه ومثل هذا الالتزام لا يقلل من حياد الباحث ولا من موضوعيته ، فالحياد والموضوعية لا يعنيا نالتخلي عن اصدار الحكم الصحيح ، وما الالتزام الا المزيد من الاهتمام والدراسة والتحليل واصدار الحكم وهذا لا يتنافى والاساليب العلمية السليمة •

على أني لا أنكر أن مهمة مثل هذا الباحث العربي ليست بالسهلة أو الهينة ، وان دروبه ليست مفروشة بالرياحين ، فالعدد الهائل من المخطوطات والكتب التراثية التي تحتاج الى التحقيق والشرح والتحليل والتقييم ، اضافة الى صعوبة تحديد تأثيرات التراث في واقع الامة وسلوكها وتحديد ايجابياتها وسلبياتها ، يجعل الباحث العربي يفتقد الكثير من الاستقرار الفكري والاجتماعي والاقتصادي ، فبينما نجد الباحث العربي في ماضينا الزاهر مستقلا في تفكيره ، متحررا من كل ضغط ، مبدعا في العلوم والفنون ناشرا لواء الثقافة في الارض ، نجد باحث اليوم ، على مستوى الوطن العربي الكبير ، محتلا ضاعت منه أراض عزيزة عليه ، مستعمرا ثقافيا واقتصاديا في ظل الحضارة الغربية الغازية • فعلى جميع القوى التقدمية في العالم العربي أن توفر لهؤلاء الباحثين استقلال ارادتهم في البحث العلمي وأن تتضافر واياهم ، وأن يتضافروا واياها في العمل على تحرير الارض وعلى تحرير الارادة العربية من أي ضغط أو أية سيطـرة •

وألخص ما سبق بسطور قليلة فأقول : ان احياء التراث وابراز النواحي

http://www.al-maktabeh.com

الايجابية فيه ووضعه في خدمة التطور الحضاري العربي يجب أن يشمل أربعة مجالات :

أولا : تحليل التراث العربي وتوضيح ظروف نشأته وتطوره وتحديد مساره وأثره في الحضارة الانسانية ٠

ثانيا : تحليل الواقع العربي وتوضيح مدى تأثره بالجديد أولا ، ومدى تغلغل المفاهيم والمعطيات التراثية فيه ثانيا ٠

ثالثا : ابراز النواحي الايجابية الموجودة في التراث ابرازا موضوعيا وتوجيهها لتكون مؤثرة في نفسية الجماهير تزيل منها العقد وتدفع بها الى الثورة الاجتماعية والعلمية للقضاء على الواقع الفاسد ٠

رابعا : العمل على الاستفادة من ايجابيات التراث وكنوزه وتطويرها لتكون صالحة كأساس نبني فوقه من الحضارة المعاصـرة ما ينسجم وهـذا الاساس ويرتبط به ٠

وبهذا يكون التراث قد تحول الى طاقات عملية فاعلة وفعالة ولم يعد له وجود مخزون ، وهذه الطاقات هي القادرة ، اذا أحسن توجيهها للقضاء على تخلف الامة العربية ، الى الابد ٠ كما أن تنفيذ مثل هذا المخطط يحتاج الى استراتيجية سليمة تقع مهمة وضعها على عدد كبير من المثقفين والباحثين نظرا الى تعدد جوانب التراث واتساع مجالاته ، كما تقع على الاحزاب والحكومات التقدمية في الوطن العربي مهمة تهيئة هؤلاء الباحثين واعدادهم ، وان توفر لهم الامكانيات اللازمة للقيام بهذه المهمة الصعبة ، وأن يتم ذلك بما أمكن من السرعة وبمزيد من التصميم فالتحديات كبيرة والزمن لا يرحم ٠ فلنكن على مستوى التحدي ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

المصـــــادر

- كتاب « الجمع بين رأي الحكيمين » للفارابي ·
تقديم د· ألبير نصري نادر ، مطبعة دار المشرق ، بيروت ١٩٦٨م ، طبعة ثانية ·

- كتاب « طبقات الامم » للقاضي صاعد الاندلسي ·
المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين / بيروت ، ١٩١٢ م ·

- كتاب « تراث العرب العلمي في الفلك والرياضيات » لقدري حافظ طوقان ·
طبع دار الشروق / لبنان ١٩٦٣ م ، الطبعة الثالثة ·

- كتاب « التراث والتجديد » للدكتور حسن حنفي ·
طبع دار التنوير للطباعة والنشر / لبنان ١٩٨١ م ·

- كتاب » طبقات الاطباء والحكماء » لابن جلجل ·
مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية / القاهرة ١٩٥٥ م ·
تحقيق فؤاد سيد ، أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية ·

- كتاب « التراث في ضوء العقل » للدكتور محمد عمارة ·
طبع دار الوحدة / بيروت ١٩٨٠ م ·

- كتاب « قصة الحضارة » لوول ديورانت ·
لجنة التأليف والترجمة والنشر / القاهرة ، الطبعة الثانية ، الجزء الاول من المجلد الرابع ·

- كتاب « عيون الانباء في طبقات الاطباء » لابن أبي أصيبعة ·
دار مكتبة الحياة / بيروت ١٩٦٥ م ·

- كتاب « الفهرست » لابن النديم ·
تحقيق رضا تجدد ، طهران / ١٩٧١ م ·

http://www.al-maktabeh.com

ترجمة اللغات القديمة وأثرها في اشاعــة المعرفــة

الدكتور شوقي شعث

عرف الانسان في الشرق الادنى القديم الكتابة منذ أوائل الالف الثالثة قبل الميلاد وسجل على الرقم الطينية والانصاب وغيرها صــورا من أدبه ومعاملاته وطقوسه ، وكان بذلك أول انسان في العالم عرف ذلك النظام التسجيلي ، وتطورت مع الزمن تلك الكتابة من كتابة تصويرية رمزية الى كتابة مقطعية حتى بلغت ذروة تطورها على يد عباقرة المملكة السورية الكنعانية (أوغاريت) رأس شمرا الذين توصلوا الى معرفة الاحرف الهجائية فاختصروا بذلك الرموز والمقاطع الكثيرة العدد الى ثلاثين حرفا هجائيا يمكن الانسان أن يستعملها في التعبير عن نفسه ويدون بذلك كل ما يريد تدوينه في مجال العلوم والفنون وانتقل هذا النظام الهجائي بعد ذلك الى أوربة وجميع مناطق الشرق الادنى والاقصــى ويعترف العالم اليوم ، ولا شك بفضل النظام الهجائي الذي اخترعه السوريون من سكان رأس شمرا (أوغاريت) ٠

وعندما اضمحلت تلك الحضارات القديمة ومن ثم اندثرت وخربت مدنها وطقوسها طواها النسيان وظلت ردحا طويلا في غياهب التاريخ ٠ ومع عصر الاكتشافات الجغرافية والنهضة الاوربية الذي رافقتهما عودة الى التعرف الى الماضي في بلاد اليونان والرومان ، درست مخلفات الماضي في هاتين الحضارتين وظن الدارسون يومذاك أن حضارتي اليونان والرومان هما أقدم الحضارات وأهمهما ، ولكن تعطش العلماء الرحالة الى المعرفة لم يقف عند هذا الحد ، فلفت كثير منهم الانظار الى الشرق بسحره وجماله ، وبدأت أفراد السائحين والرحالة تفد الى الشرق لتتعرف على الطبيعة ، ويبدو أن الذي ساعد على اجتذاب أولئك ما كتبه الكتاب المقدس وما كتبه هيرودوتس المؤرخ ٠

ان أهم اللغات التي سادت بالشرق القديم هي السومرية والاكادية والبابلية والآشورية والامورية والايبلائية والآرامية والمصرية والحثية ، وقد كتبت هذه اللغات في بلاد ما بين النهرين بالخط المسماري وامتد هذا النظام الى سورية وفلسطين والاناضول وكتبت الحثية بالخطين المسماري والهيروغليفي الحثي ، فعلى حين عد النظام الاخير نظاما وطنيا للكتابة كتبت به الطقوس الدينية وعدت الكتابة المسمارية كتابة غربية يقوم بها فريق خاص من الكتاب وقد كتبت بها المراسلات السياسية والتجارية ولا شك في أن النظام المسماري في الكتابة قد استعاره الحثيون من بلاد ما بين النهرين ، أما نظام الكتابة الهيروغليفي فلم

مكتبة المهتدين الإسلامية

يقم الدليل العلمي حتى الآن على المكان الذي استعاره الحثيون منه وان كان بعض اعلماء يذكر أنه مستوحى من الكتابة المصرية الهيروغليفية ، أما في مصر فقد كانت الكتابات عموما في العصور الفرعونية محصورة في الكتابة الهيروغليفية برغم وجود كثير من المراسلات المكتوبة بالمسمارية (رسائل تل العمارنة) .

لقد كان العلماء الذين وقفوا أنفسهم على حل رموز الكتابة المصرية أوفر حظا من زملائهم علماء المسماريات ، فقد عثر مصادفة كما هو معلوم على حجر بازلتي يحمل نصا ثلاثي اللغات هي الهيروغليفية المصرية والديموطيقية واليونانية وقد عرف ذلك الحجر باسم حجر رشيد لانه وجد في بلدة رشيد في الدلتا على يد أحد ضباط جيش نابليون الذي غزا مصر في نهاية القرن الثامن عشر في اطار الحملة الفرنسية المتجهة الى الشرق وكان الحجر نصا يتضمن شكر الكهنة للملك بطليموس الخامس (٢٠٣ ــ ١٨٠ ق٠م) على أعطياته للمعابد ، وبمساعدة اللغة اليونانية التي كانت مقروءة سهل حل رموز اللغة الاولى أي الهيروغليفية ولقد اسهم كثير من العلماء في انجاز هذه المهمة وكان أنجحهم عالم الآثار الفرنسي جان فرانسوا شمبليون ١٧٩٠ ــ ١٨٢٣ م الذي توصل بفضل اللغة اليونانية كما أشرنا ، الى معرفة الحروف الهجائية المصرية بأجمعها ثم حل رموز الكتابة ويقول « ول ديورانت » صاحب قصة الحضارة واصفا ذلك الكشف بأنه « أعظم الكشوف في التاريخ » وبذلك فتح الباب على مصراعيه لعلماء المصريات ليترجموا ما دونه المصريون في السياسة والحرب والادب والدين والحياة اليومية ، وبذلك العمل الجليل تمكن العالم من أن يطلع على الحضارة المصرية التي ظلت زمنا طويلا حبيسة الرموز الكتابية الهيروغليفية (١) .

أما حل رموز الكتابات المسمارية فكان أكثر تعقيدا وقد احتاج حلها الى مدة طويلة من الوقت رافقها صراع طويل بين العلماء تخلله تبادل الاتهامات ولكن ذلك الصراع الادبي يبدو أنه ساعد على تسريع الجهود التي بذلت في حل رموز تلك الكتابة ، ولعله من المفيد هنا أن نستعرض بعض تلك الجهود :

يذكر ادوارد كيرا (٢) أن الفلاحين في العراق كانوا يعثرون في أثناء عملهم اليومي على كثير من الالواح الطينية المكتوبة ، وما زالوا يعثرون ، فيعرضونها على الاجانب السائحين فلا يبدي أولئك أي اهتمام بها حيث لم يدر في ذهن أحد منهم أن الخطوط التي تحملها تلك الالواح يمكن أن تكون كتابة تحتفظ بأسرار حضارات هامة ، وكان أول من تنبه الى تلك الرقم النبيل الايطالي بيترو دلا فالي Pietro della valle فاشترى واحدة منها وأرسلها الى متحف « كرجريان » وما زالت فيه حتى الآن وهي أول وثيقة كتبت بالخط المسماري وضعت في متحف أوربي ، وعندما عاد بيترو دلا فالي الى بلاده كتب قصة مشوقة عن رحلته عبر بلاد ما بين النهرين وعن مشاهداته عن تلك الكتابات

http://www.al-maktabeh.com

التي كانت على الالواح الطينية وعلى بعض المباني التاريخية وبذلك يكون أول من لفت أنظار العلماء الاوربيين الى الكتابة المسمارية (٣) ٠

لقد بدأ بيترو رحلته الى بلاد الشرق عام ١٦١٤ م التي اختارها بعد أن أخفق في قصة حب كان لها تأثير عميق في نفسه كادت أن تودي به فآثر السفر على الانتحار ، وقد أبحر في عام ١٦١٤ م من البندقية الى القسطنطينية ومنها سافر الى حلب فدمشق فبغداد وهناك تعرف الى فتاة سورية اسمها (معن) Maan وتزوجها وسافر الى بلاد الفرس على الرغم من الحرب التي كانت قائمة بين العثمانيين والصفويين آنذاك(٤) فزار تخت جمشيد برسيبولوس واستنسخ خمسة رموز من كتاباتها وعاد بها الى أوربة ، كان ذلك في عام ١٦٢١ م ولكنها لم تكن كافية لحل رموزها ٠

جاء بعده شاردان Chardin في عام ١٦٧٣ م وكمفر Kaempfer في عـــام ١٧١٢ م وكورني دي برين ١٧١٨ م ببيانات أكثر أهمية أضافت شيئا لصالح مشكلة تفسير الكتابات المسمارية (٥) ٠

وفي عام ١٧٠٠ م أعطى العالم الانجليزي Thomas Hyde الكتابة المكتشفة اسم الاشكال الاسفينية Cuneiform وهي كلمة لاتينية وتعني الشكل الاسفيني Wedge Shaped ، وظل يعدها اشارات غالبا ما تحيط نصب الرجال والمعارك لغرض تزييني لكسر الفراغات حول المنحوتات الحجرية (٦) ٠

وفي عام ١٧٦١ م أرسل ملك الدانمراك حملة علمية الى الشرق لجمـع المعلومات التي يمكن جمعها في كل الحقول بما فيها الآثار وقد رأس تلك الحملة العالم الرياضي Karsten Niebuhr ، الذي استنسخ كثيرا من النقوش من مدينة برسيبولوس بشكل أكثر دقة من سابقه (٧) في عام ١٧٦٥ م ، ودرسها ونشر تلك الدراسة في عام ١٧٧٨ م ، وقد استطاع من خلال تلك الدراسة أن يثبت أن كتابات برسيبوليس تتألف من ثلاثة أنواع من الخطوط المسمارية وان يؤكد أن هذه الانواع تتألف من (٤٢ علامة) (٨) ٠

وفي عام ١٧٩٨ م استطاع تايشن O. Tychsen أن يثبت أن الاسفين المائل المستخدم في النوع الذي يتألف من ٤٢ علامة هو فاصل بين كل كلمة (٩) ٠

وما ان حلت نهاية القرن الثامن عشر حتى أمكن الحصول على نسخ مضبوطة تقريبا لنقوش برسيبولس وقد تمكن العلماء المتنافسون من الاتفاق على نقطة واحدة هامة هي أن تلك الكتابات ، أي كتابات برسيبولس ثلاثية اللغات ولتسهل دراستها قسمت الى ثلاثة مجموعات Class I, Class II, Class III. وكذلك اتفقوا على نقطة أخرى هامة هي أن أقدم هذه اللغات هي تلك التي

مكتبة المهتدين الإسلامية

لها أشكال أكثر وهي التي صنفوها تحت المجموعة الثالثة ، أما تلك التي من المجموعة الثانية فهي تلك التي لها أشكال أقل والتي كانت لغة مقطعية جاءت لاحقة للكتابة الاولى ، أما الكتابة من المجموعة الاولى فهي أحدثها لانها تحوي ٣٢ اشارة فقط وكانت هجائية الطابع ، أي أن كل حرف من الاحرف له صوت من الاصوات وعلى ضوء هذه النتائج سار العلماء قدما في العمل على تفسير كتابة المجموعة الاولى (١٠) ٠

وفي عام ١٨٠٢ م تمكن F. Münter اعتمادا على المعلومات التاريخية المتوافرة آنذاك أن يثبت أن الكتابة الاولى تعود الى العهد الاخميني ولغتها تقارب اللغة التي كتب بها الكتاب المقدس عند الفرس الزراداشتيين (زندافيستا) كما تمكن من أن يعرف أن الكتابات الثلاث هي نص واحد وأن يعرف الرموز السبعة التي تتألف منها كلمة (ملك) (١١) ٠

وفي العام نفسه اعتمد جروتنفند G. F. Grotenfend معلم اليونانية البالغ من العمر آنذاك ٢٧ عاما ، على بعض الاسس الاثرية في محاولته لحل معضلات الكتابة الاولى التي تتألف من (٤٢) علامة (رمزا) وكذلك على جهود العلماء السابقين وبدأ العمل على نسخ نيبور التي استنسخها من برسيبولس ولانه لم يكن مختصا بالدراسات الشرقية ولم يكن عضوا في أكاديمية غوتنغن ولكونه مغمورا لم يقبل تفسيره في البداية (١٢) ٠

وفي ٤ ايلول ١٨٠٢ م ألقى جروتنفيد محاضرة في جمعية العلوم في مدينة غوتنغن بين فيها النتائج التي توصل اليها في دراسته لنقوش برسيبولس ولا سيما لنوعين منها واستطاع أن يثبت :

١ ـ أن الكتابات الثلاثة تبدأ من اليسار وتنتهي عند اليمين ٠

٢ ـ أن الكتابة الاولى التي تحتوي على ٤٢ علامة تمثل حروفا هجائية وليس كتابة مقطعية وأنها لغة البيت الحاكم الاخميني ، كما أيد جروتنفند زميله مونتر فيما يتعلق بالرموز السبعة التي تتألف منها كلمة (ملك) (١٣) ٠

بعد ذلك بنحو ثلاثين عاما تمكن هنري رولينصون H. Rawlinson ودون أن يعرف شيئا عن جهود العلماء الذين سبقوه ، ولا سيما عمل جروتنفند ، وباستعمال الطريقة نفسها القائمة على تخمين الاسماء المعروفة وأحرف العلة تمكن من ترجمة نص قصير من مكان يدعى جبل الفاد Alvad في ايران ، بعد ذلك عمل في نصوص بارسيبولس ونجح في حل رموز النوع الاول من كتابات برسيبولس (١٤) ٠

http://www.al-maktabeh.com

ولان كتابات الفاد وبرسيبولس كانت قصيرة لا تعطيه المفردات التي يحتاج اليها لفك أسرار الكتابات المسمارية تحول الى نقش صخرة بهستون Behiston عام ١٨٣٥ م التي عثر عليها في أثناء تجـواله ضـابطا في الجيش الانجليزي الذي كان يعمل وقتذاك بايران (١٥) · نقش صخرة بهيستون أقامه داريوس الاول في القرن الخامس قبل الميلاد (بلغات ثلاث) وخلال عامين من العمل المتواصل لم يتمكن روليتصون نظرا الى الظروف السيئة التي أحاطت العمل ومنها ارتفاع درجة الحرارة ووجود الكتابـة في منطقـة مرتفعة جـدا (١٣٠ م) الا من استنساخ ٢٠٠ سطر من الكتابة الفارسية القديمـة فقط والمؤلفة من ٤٠٠ سطر وذلك بمساعدة غلام كردي نشيط من المنطقة ·

هذا ويذكر سوسه أن Jean chardin (جان شاردين) قد سبق روليتصون في استساخ كتابات بهستون ودراستها (١٦٤٣ ـ ١٧١٣ م) مستخدما الحبال والسلالم (١٦) ·

وفي عام ١٨٤٤ م عاد روليتصون الى بهستون وتمكن من اكمال استنساخ النص الاول وبذلك تمكن روليتصون وآخرون من التعرف على النص الفارسي القديم وأخذوا يستعدون للعمل في النصين الآخرين (١٧) ·

وفي عام ١٨٥٠ م ترك روليتصون الخدمة بالجيش وانتقل الى بغداد ليعمل قنصلا عاما لبريطانيا وفي هذه الوظيفة تمكن من أن يتحرر قليلا ويجد الوقت الكافي ليقف نفسه على العمل الذي بدأه وهو دراسة اللغات القديمة وترجمتها ·

لقد أثارت نقوش النص الثاني المكتوب باللغة العيلامية المؤلف من (١١١) رمزا منازعات كثيرة بين العلماء اكثر من تلك التي جرت بشأن النص الفارسي الاخميني ، هذه اللغة العيلامية ، التي أعطيت أسماء عدة في سياق المناقشات ، كتابة مقطعية وليست هجائية بحسب رأي مونتر · والعيلاميون كما هو معروف في التاريخ شعب عاش في المنطقة الواقعة اليوم غرب ايران وكانت عاصمتهم سوزا وقد استعمل العيلاميون هذه الكتابة منذ عام ٢٦٠٠ ق·م (١٨) ·

الا أن الفضل الكبير في حل قدر كبير من رموز اللغة العيلامية يعود الى السيد نورس Norris الذي اطلع على ما نشره روليتصون حول كتابات بهستون ، ومع ذلك فقد توقف حل رموز اللغة العيلامية عند حد معين ولم يحل حلا نهائيا بسبب قلة النصوص المكتوبة بتلك اللغة (١٩) ·

ولعل أهم المحاولات التي كان لها أثرها البعيد في الدراسات اللاحقة محاولة حل رموز النوع الثالث من الكتابات وهي كتابة اللغة البابلية · ولقد ساعد على

مكتبة المهتدين الإسلامية

ترجمة النص البابلي ما أظهرته التنقيبات الاثرية التي قام بها الفرنسي بوتا Botta في خرسباد والانجليزي لايارد Layard في نمـــرود وما دامت الكتابات المسمارية التي ظهرت في هذين الموقعين لا تختلف عن كتابات بهستون الثالثة فقد شجعت العلماء على المثابرة في حل رموزها، ومع ان الطريق كانت شاقة ومضنية الا أنهم تمكنوا في النهاية من تذليل العقبات وفك الاسرار · يذكر ديلابورت في كتابه حضارة ما بين النهرين أن الفضل في معرفة الكلمات الاولى من اللغة البابلية القديمة يعود الى جروتنفند الذي تمكن بفضل مجموعة العلامات التي تقابل أسماء : كورش وهستاسب ودارا وكزراكس من أن يفصل العلامات ، ولما كان قد لاحظ أن هذه الكتابة تشابه الكتابة الموجودة على الرقم التي عثر عليها في أطلال بابل وغيرها من المواقع فقد وفق الى تعيين مجموعة العلامات التي تتضمن اسم بنوخذ نصر (٢٠) ·

كما يذكر رشيد أنه في عام ١٨٤٧ م تمكن هنكس أن يحل رموز الكتابة الثالثة من نقوش بهستون وهي الكتابة التي تتضمن اللغة البابلية وله يعود الفضل في ذلك برغم أنه كانت هناك صعوبة جمة تتعلق بالرموز التي تشير الى أسماء الاعلام (٢١) ولكن تلك الصعوبة ذللت عند اكتشاف نص مسماري في نينوى يضم أسماء أعلام مكتوبة في حقل من الحقول العلامات الرمزية وفي الحقل المقابل مكتوبة بالطريقة المقطعية وقد سهل هذا على الباحثين حل الصعوبات التي واجهها هنكس ، كما تمكن لونجبيريـه Longpérier من حل رموز بروتوكول سرجون على الآثار التي كشف عنها يونا ورتبها في ٦٤٢ رمزا موحدا ، كما وجد لوفن ستـيرن Lowen Stern علامات ذات صوت واحد وميز كتابة حوزسياد عن كتابتي برسيبولس وبابل (٢٢) ·

واخيرا وصفت جهود العلماء أوبرت J. Oppert ، تالبـوت F. Talbot مينانـت J. Menant ، وشـريدر E. Schrader الاسس الصحيحة التي تم بها تفهم اللغتين البابلية والآشورية (٢٣) ·

وعلى الرغم من الخطوات المتقدمة التي اتخذت في فك أسرار اللغة البابلية الا أنه ظل نفر من المستشرقين ، الذين لم يطلعوا على تلك الخطوات ذات النتائج الباهرة ، يشكون في صحة تلك النتائج وبلغت المعركة ذروتها عام ١٨٥٧ م حين قررت الجمعية الآسيوية الملكية في لندن Royal Asiatic Society دعوة رولينصون وأربعة آخرين من العلماء المعروفين لارسال ترجمات لنصوص مختارة لاثبات صحة الطرائق التي استخدمت لحل الخطوط المسمارية (٢٤) ، فاختارت كتابة آشورية تعود الى الملك تغلات فلاصر الاول سلمتها الى كل من : J. Oppert الاستاذ في جامعة السوربون وهنك Hincks الايرلندي والى المستشرق الانجليزي تالبوت F. Talbot والى رولينصون حيث تصادف وجودهم آنذاك جميعا في لندن

http://www.al-maktabeh.com

وطلبت اليهم أن يعمل كل واحد منفردا في قراءة النص المختار ، وعندما انجزت المهمة ختمت تلك القراءات ليجري فتحها فقط أمام لجنة من الخبراء • وعندما فتحت المغلفات وجدت الترجمات متقاربة كثيرا مما أقنع علماء اللغات في العالم بأن رولينصون وزملاءه يسيرون في الطريق الصحيح وبنتيجة تلك المنافسة ولد علم الدراسات الآشورية Assyriology وبذلك خفت حرارة المعركة حول ترجمة النصوص الاسفينية (٢٥) •

وخلاصة القول ان العلماء من مختلف الجنسيات تعاونوا في فك رموز الكتابة المسمارية واستمر تعاونهم في ترجمة نصوصها التي خلفتها الحضارات القديمة وجعلها حية في عالمنا المعاصر •

ومع الزمن ظهرت أدلة مقنعة تؤيد النتائج التي توصل اليها في حل الكتابات المسمارية ولا سيما تلك المكتوبة باللغة البابلية ومن تلك الادلة عقود كانت مكتوبة باللغتين البابلية والآرامية ، اضافة الى القراءات اليونانية لبعض الكلمات البابلية والسومرية ، كما تبين من خلال قراءة اللغات الحية (الآرامية والاغريقية) صحة الترجمات التي توصل اليها العلماء (٢٦) •

وبعد أن تم التعرف على اللغة البابلية وأمكن ترجمة ما كتب بها أصبح علماء المسماريات في وضع يمكنهم به فهم وترجمة اللغات السامية الاخرى المشابهة والترجمة عنها فأمكن التعرف على الآشورية والكنعانية والعبرية وغيرها (٢٧) •

وقد قاد هذا الامر الى تشجيع البعثات الاثرية للعمل في بلاد الشرق الادنى كي تحصل على وثائق مكتوبة بلغاته القديمة للتعرف على ما تحويه من كنوز المعرفة ولم تبخل الارض بكنوزها ، ففشت أسرار تلك الكنوز أمام معاول المثقفين الآثاريين فعثر على مجموعات كبيرة من الرقم المسمارية في مدينة توزي (يورغان تبه) وفي بابل وآشور ونينوى وأوما وفاره وأبو صلابيخ وأور وغيرها من المواقع في العراق ولعل أهم تلك الكنوز المكتبة التي عثر عليها في تل قوينجق في نينوى والتي تعود إلى الملك الآشوري آشور بانيبال (٦٦٨ ـ ٦٢٧ ق٠م) فقد بلغ عدد رقمها قرابة ٣١ ألف رقم تعالج مختلف العلوم والآداب في الطب والرياضيات وعلم الفلك والتنجيم والجغرافية والتاريخ والفلسفة والدين ، ومن الواضح أن هذه الرقم لا تخص آشور بانيبال وحده فقد جمعها من جميع أجزاء بلاد ما بين النهرين وما نقله من مكتبة جده سنحاريب في نينوى وجده الاكبر سرجون الثاني في خرسباد ونمرود وقد كان آشور بانيبال يفخر بتردده عليها لقراءة رقمها واستنتساخ الرقم السومرية والبابلية وترجمتها الى الآشورية (٢٨) ، وان دل هذا على شيء فانما يدل عن اهتمام الملوك القدماء بالعلم ومن ثم بالترجمة •

مكتبة المهتدين الإسلامية

وفي سورية أمدتنا التنقيبات الاثرية بالآلاف أيضا من تلك الوثائق المكتوبة بالمسمارية ، فقد تمكنت البعثة الاثرية العاملة في تل حريري (ماري) من اكتشاف ما يقارب عشرين ألف رقيم في محفوظات القصر الملكي ، كما عثرت البعثات الاثرية على رقم رأس شمرا (أوغاريت) وفي مسكنة (ايمار) وتل الفرى (نجاريش) ورأس ابن هاني وتل الشيخ حمد (دور كاتليمو) والعشارنة ، وأخيرا في تل مرديخ (ايبلا) ، اضافة الى النصوص الآرامية في تل آفس والنيرب وحماة وتل حلف والسفيرة وغيرها من المواقع ·

لقد أقبل العلماء المختصون باللغات القديمة المسمارية وغيرها على تلك الرقم والنصوص منذ اكتشافها وقاموا بترجمتها ومعرفة ما تحويه من معلومات فكانت ثورة حضارية أطلعتنا على حضارات الانسان الذي عاش فوق هذه الارض العربية المعطاءة ولكن مما يؤسف له أن يظهر بين آن وآخر نقص في تلك الترجمات ·

فمن طريقة ترجمة تلك النصوص أمكن التعرف على أن الايبلائيين والآكاديين والبابليين قاموا بمهمة هامة في وضع الاسس لمعلوماتنا منذ نهاية الالف الثالثة قبل الميلاد فقد وضعوا الفهارس وبوبوا الموضوعات بعناية فائقة وعنوا بكل شيء وقع تحت نظرهم فقدموا للاجيال المتعاقبة قدرا كبيرا من المعلومات في شتى الحقول وقد قامت تلك الاجيال بتنظيم تلك المعارف وتنقيحها والاستفادة منها (٢٩) · وعن طريق ترجمة النصوص أمكن التعرف على أن البابليين قد وضعوا منذ مطلع الالف الثانية القوانين الاساسية للرياضيات التي لم يستطع اليونان التعرف عليها الا بعد مرور ١٥٠٠ عام (٣٠) · وعن طريقها عرفنا مثلا أن فن الطب احتل مكانة ممتازة في الحياة العامة في بابل حيث كان بها عدد كبير من الاطباء وقد وضعت الانظمة لحماية المشتغلين ومراقبتهم فقد خصصت شرائع حمورابي أقساما عدة منها للجراحة وحددت أجور الجراحين بحسب العمليات وبحسب الحالة الاجتماعية للمعالج (٣١) · والامر نفسه ينطبق على ايبلا وماري ورأس شمرا ·

أما ما يتعلق بالكتابة الهيروغليفية الحثية فيمكن القول : ان اصل هذه الكتابة من الاناضول ، فقد كانت هناك محاولات كتابية سبقت الهيروغليفية الحثية عرفت Proto - hieroglyphic وجدت على اناء وختم اكتشف في كول تبه Kultepe وعلى ختم من Soloi وعلى اناء في قره هيوك Kora Huyuk وكلها تعود الى مطلع الالف الثانية قبل الميلاد ، غير أن أقدم كتابة هيروغليفية حثية عثر عليها كانت على ختم من طرسوس وتعود الى ٢٥٠٠ ق·م وهذا الختم يعود الى ايشبوت أهشو Ishput ahsh بن باريا واتري Pariya Watri الملك الكبير كيزو واتنا Kizuwatna الذي كان معاصرا لتلبينو الملك الحثي · وعلى العموم فقد كانت

http://www.al-maktabeh.com

لكتابة الهيروغليفية الحثية نادرة حتى تأسيس الامبراطورية • في المرحلة الامبراطورية وجدت الكتابات الحثية في حاتوشا العاصمة **Hatusha** **كذلك في** ليقونيــــه Lycaonya في بلدتي كوي لوتولو Koylütolu ، أمير جازي Emirgazi وفي كليكيا في طرسوس وفي سورية بحلب وأوغاريت والالاخ وكركميش ، وعندما دمرت حاتوشا توزعت مراكز الكتابة الحثية في مراكز عدة ، فقد عثر على نتف منها في وسط الاناضول في في كيساري Kayseri ، تيانا Tayana ، كتونيــه Katonia (مرعش) وفي كوماجين في ملاطيا Malatya وازجــن Izgin وفي سورية الشمالية كركميش وتل طعينات وحماة •

في المرحلة الامبراطورية (١٤٦٠ ـ ١٢٠٠ ق٠م) استعار الحثيون نظام الكتابة المسمارية من بلاد الرافدين واستمر استعمال الهيروغليفية مع المسمارية في الوقت نفسه ولكن لاغراض مختلفة فعلى حين استعملت المسمارية لكتابة الآداب والتاريخ ، استعملت الحثية في الآثار النذرية والاختام ، وباختصار يمكن القول : انه على الرغم من استعمال نظامي الكتابة فان الكتابة المسمارية عدت كتابة غريبة يقوم عليها مجموعة ممتهنة مختصة على حين كانت الهيروغلوفية أكثر شعبيه وهذا ما يفسر استمرارها في الاناضول وسورية بعد سقوط الدولة الحثية • ان الهيروغليفية الحثية كانت اختراعا حثيا محضا على الرغم من أنها ربما كانت مستوحاة من الهيروغليفية (٣٢) •

أما قصة اكتشاف النصوص الهيروغليفية الحثية وفك أسرارها فطويلة تشبه تلك التي رأيناها في قصة اكتشاف الكتابات المسمارية وفك رموزها :

في عام ١٨١٢ م عثر الرحالة بيركهارت Burck hardt على حجرة من حجارة حماة فقد ذكر في كتابه رحلات في سورية (Travels in Syria) أنه في زاوية أحد البيوت في السوق كان يوجد حجر عليه عدد من الاشكال والرموز التي يظهر أنها نوع من الكتابة الهيروغليفية على الرغم من أنها لا تشبه الكتابة الهيروغليفية المصرية ولكن هذا الامر لم يثر كثيرا من الاهتمام حتى عام ١٨٧٠ م عندما نجح رحالان أمريكيان هما جونسون ويوسب Jossop,Johnson في اكتشاف خمس قطع من حجارة ذلك النوع في بيوت حماة ولكن الروح العدائية التي قوبلا بها من السكان المحليين منعتهما من الحصول على نسخ لتلك النقوش ، ولم يكن ممكنا الحصول على نسخ لتلك النقوش حتى عام ١٨٧٢ م عندما قام وليم رايت W. Wright المبشر بدمشق بزيارة حماة في معية حاكم سورية العثماني حيث استطاع أن يأخذ نسخا وضعت فيما بعد ذلك تحت تصرف الدارسين وقد أمر الباشا برفع قطع الحجارة الخمس من أماكنها وارسالها الى متحف القسطنطينية بعد أن أخذ رايت نسخا عنها • حيث أرسل قسم منها الى المتحف البريطاني والآخر أرسل الى صندوق الاكتشافات الفلسطينية •

مكتبة المهتدين الإسلامية

أما حجر حلب فقد عرف أول مرة عام ١٨٧١ م حيث بني في جدار أحد المساجد (جامع القيقان) وكان يعتقد الاهالي في حلب أن هذا الحجر يشفي من أمراض العين فتركت الاجيال التي تشكو من هذا المرض سطح الحجر ناعم الملمس عن طريق مسح عيونهم به ، وذكر أن الحجر رفع من مكانه مدة ولكن ما لبث أن أعيد الى مكانه ٠

ولقد لاحظ E. J. Davis على صخرة كبيرة فوق جدول في Ivriz في جبال طوروس الكتابات نفسها وقد أطلق عليها Davis الكتابة الحموية Hamathite ولقد ساعدت هذه الكتابات Sayce أن يدخل تحت المجموعة نفسها عددا من النقوش الاثرية المماثلة التي اكتشفت في أماكن نائية في آسية الصغرى خلال عدد كبير من السنين ٠ وأهم هذه الحجارة وأكثرها شهرة تلك التي عثر عليها في خرائب بوغازكوي Boghazkoy وفي أَلِجَه هيوك Aleja Huyuk عند التواء نهر الهالس (الان قيزيل أرماق) التي وصفها Charles Texier في عام ١٨٣٩ م و W. Hamilton في عام ١٨٤٢ م ٠ كانت تشاهد على بقايا سطح تل فوق بوغاز كوي جدران ضخمة وتحصينات يبدو واضحا أنها كانت مدينة هامة محصنة وعلى بعد ميلين منها كان هناك نتوء صخري يعرف باسم يازيل كايا Yazilikaya وتعني (الصخرة المكتوبة) بتجاويفها الطبيعية ، لقد استعملت جدرانها لتصوير موكب مزدوج يلتقي جزآه في وسط الجدار الخلفي على نصب مرتفع ، وفي وسط المدينة في بوغاز كوي يقوم حجر متآكل بتأثير الطقس Nishan Tash عليه نقش حثي هيروغليفي ، كما أن أشكال بازيليكايا كان عليها رموز هيروغليفية على الجوانب ٠ في أَلِجَاهيوك مدخل يحيط به تمثالان ضخمان لابي الهول يدلف منه الى تجمعات التل التي يتضح أنها تغطي مدينة قديمة أو بناء كبيرا ، وبعيدا نحو الغرب تقوم هناك أنصاب حجرية من Kavur Kalesi وتعني قلعة الملحدين Unbelivers fortress ، وفي التلال فوق ازمير Smyrna هناك منحوتات صخرية معروفة منذ أيام هيرودتوس Herodotus الذي وصفها كمشهد العذراء نيوبي Nymph niober والي الملك المصري سيزستريس Sesostris لقد زار Sayce نفسه أشكال العذراء Niober وسيزوستريس في عام ١٨٧٩ م وفي ١٨٨٠ م ، وألقى محاضرة في جمعية الآثار التوراتية أعلن فيها اعلانا قاطعا بأنها وغيرها من المنحوتات الاناضولية ما هي الا آثار حثية ، كذلك أعلن أن المنطقة الجبلية الواقعة شمالي بلاد ما بين النهرين بما فيها آسية الصغرى كلها لا بد أنها كانت مأهولة في الازمنة القديمة يسكنها أبناء القبائل الحثية ٠

وقد تنبه بعد ذلك العلماء الى قضية الحثيين وخلال السنوات العشرين التي تلت ما سبق قام الآثاريون بزيارة تركيا زيارات كثيرة وكبيرة وقد وفقوا الى اكتشاف اعداد أكثر من المنحوتات التي تشبه سابقاتها ولا سيما في

http://www.al-maktabeh.com

منطقة جبال طوروس الغربية والشرقية والرحلات البارزة في هذا المجال قام بها Humann و Puchstein, (١٨٨٢ ـ ١٨٨٣ م) ، ورامسي Ramsay وهوجارت Hogarth (١٨٩٠ م) ، وشانشر ١٨٩٣ م وهوجارت وهيدلام (١٨٩٤ م) • واندرسون وكروفوت (١٩٠٠ م) •

لقد انتجت تنقيبات كركميش التي قام بها المتحف البريطاني منذ عام ١٨٧٩ م عددا من الكتابات الهيروغليفية الحثية بالاضافة الى مجموعة من المباني الاثرية كما عثر على نصب مشابه في تنقيبات بابل عام ١٨٩٩ م ، كذلك أظهرت تنقيبات الالمان في زنجرلي في سورية بين أعوام ١٨٨٨ و ١٨٩٢ م عددا من المباني الاثرية المشابهة • وهكذا نجد أنه عندما قام L. Messer Schmidt في عام ١٩٠٠ م بطبع جامع الكتابات الحثية تمكن أن يضمن جامعه حوالي ٩٦ أثرا مكتوبا بالاضافة الى عدد من الاختام وطبعاتها (٣٣) •

وخلاصة القول أنه عن طريق الترجمة نقلت علوم الاقدمين في سورية والعراق وجنوبي الاناضول ومصر وغيرها من المناطق العربية الى أوربة عبر اليونان والرومان في العصور القديمة في (الالفين الثالثة والثانية قبل الميلاد) •

وعن طريق الترجمة استرجع العرب علومهم وفنونهم التي أخذتها منهم أوربة عن طريق اليونان والرومان أيضا مع اضافات وتنسيق اقتضتها المرحلة الجديدة بعد الاسلام وعن طريق الترجمة عادت أوربة واستفادت من منجزات الحضارة العربية الاسلامية عبر مراكز معروفة كجنوة وصقلية واشبيليه وعن طريقهما أيضا نتعرف اليوم على منجزات العلوم الحديثة في أوربة وأمريكا •

ولهذا بات من الضروري وضع الترجمة في محلها اللائق فقد يكون فيها حل لكثير من مشكلاتنا العلمية •

وما دمنا نتحدث عن الترجمة فاننا نلاحظ من خلال ما عرضناه وما لم نعرضه أن جل المترجمين الذين تصدوا لترجمة تراثنا القديم المكتوب ، بل كلهم تقريبا غرباء عن لغاتنا السامية ومع تقديرنا للعمل العظيم الذي قاموا به فاننا نعتقد ان ابن الثقافة ابن اللغة ، واللغة العربية لغة سامية ، (وقد تكون أم اللغات السامية) أقدر على فهم أسرار اللغة والحضارة أكثر من الغريب عن اللغة ، فان أمة تعجز عن وصل حضارتها بماضيها تظل عاجزة عن مواكبة الامم لذلك فهي مدعوة لتدارك ذلك العجز وعدم الاكتفاء باجترار ما يردده الاجانب وترجمة الترجمات وهي مدعوة كذلك الى تعميق جذورها ومن ثم توحيد حضارتها وان في اعداد أبنائها لترجمة تراثها المكتوب توحيدا لحضارتها وتعميقا لجذورها ، وأحسب أن جامعة حلب تسير بخطوات متناقلة في حل هذه المعضلة • ومن يدري فلعل معهد التراث مقبل على تطور جذري في عمله ليشمل كل التراث الذي خلفه الانسان فوق هذه الارض منذ أقدم العصور •

مكتبة المهتدين الإسلامية

الهـــــوامش :

١ ـ سوسه أحمد : حضارة وادي الرافدين بين الساميين والسومريين ، ص ١٦٦ ، بغداد ١٩٨٠ م ـ سلسلة دراسات ٢١٤ ـ دار الرشيد ·

٢ ـ كييرا ادوارد : كتبوا على الطين ، بغداد ١٩٦٢ م ـ ترجمة د· محمود حسين الامين ـ مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بالاشتراك مع مكتبة الجوادي ص ٥٧ ـ ص ٥٨ ·

٣ ـ المصدر نفسه ص ٥٩ ·

٤ ـ المصدر نفسه والصفحة ذاتها حاشية ١ ·

٥ ـ ديلابورت : بلاد ما بين النهرين ، الحضارتان البابلية والآشورية ، ص ٣ ـ ترجمة محرم كمال ـ مراجعة الدكتور عبد المنعم أبو بكر ـ الالف كتاب ٣٥ ـ القاهرة ـ وزارة التربية والتعليم ·

6. — LANSING E. The Sumerians, p. 45.

7. — Daniel Glyn, The First Civilization the archaeology. p 51 .

٨ ـ رشيد فوزي : قواعد اللغة السورية ص ١٢ ، وزارة الاعلام ، بغداد ١٩٧٢ م ·

٩ ـ المصدر نفسه والصفحة ذاتها ·

10. — LANSING E. op. cit. p. 45.

١١ ـ رشيد فوزي : المصدر السابق ص ١٢ ـ ديلابورت ـ المصدر السابق ص ٣ ·

12. — Daniel Glyn, op. cit., p. 51.

١٣ ـ رشيد فوزي : المصدر السابق ص ١٢ و ص ١٣ ـ LANSING E. p. 46.,

١٤ ـ رشيد فوزي : المصدر نفسه ص ١٣ ·

15. — LANSING E., cit p. 47.

١٦ ـ سوسه أحمد : المصدر السابق ص ١٦٨ ·

17. — Daniel Glyn, op. cit pp. 52 — 53.
LANWING E., op. cit, p. 48.
LANSING E. op. cit, p. 48.

١٨ ـ رشيد فوزي : المصدر السابق ص ١٥ ـ

١٩ ـ رشيد فوزي : المصدر السابق ص ١٥ ·

٢٠ ـ ديلابورت : المصدر السابق ص ٥ ·

٢١ ـ رشيد فوزي : المصدر السابق ص ١٦ ·

٢٢ ـ ديلابورت : المصدر السابق ص ٥ ·

٢٣ ـ رشيد فوزي : المصدر السابق ص ١٦ ·

24. — LANSING E., op. cit. p. 49.

http://www.al-maktabeh.com

٢٥ ـ المصدر نفسه والصفحة ذاتها ·

٢٦ ـ رشيد فوزي : المصدر السابق ص ١٦ ·

٢٧ ـ كيرا ادوارد : المصدر السابق ص ٦٧ ·

٢٨ ـ كيرا : المصدر السابق ص ١٩٩ ـ هامش ١ وص ٢٠١ ـ ص ٢٠٢ ·

Oppenheim L. Ancient Mesopotamia, Revised edirei completed by E. Reinter, 1977. p. 15 .

٢٩ ـ كيرا ادوارد : المصدر السابق ؛ شعث شوقي : حضارة ايبلا ـ التراث العربي ـ العدد ٤ ، اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق ·

٣٠ ـ كيرا ادوارد : المصدر السابق ص ١٧٧ ·

٣١ ـ كيرا ادوارد : المصدر السابق ص ١٧٢ ·

32. — ABU TALEB Mahmud Mufaddi — unpublished dissertation 1973 p. 12

33. — Gurney O. R, The Hittities 1969 — penguin book, pp. 2 — 3.



مكتبة المهتدين الإسلامية

http://www.al-maktabeh.com

المنقول والمدلول في الافكار والمعارف الجيولوجية عند العرب

الدكتور ابراهيم جواد الفضلي
الدكتور غسان محمد السبتي

جامعة صلاح الدين ـ اربيل
العـراق

أولا ـ المقـدمـة :

لقد أسهمت أمم كثيرة في الماضي اسهاما جليلا في تطوير المعارف وابتكار الاساليب واكتشاف الحقائق وتنويع الطرائق في استغلال الطبيعة لصالـح الانسان فرفدت بذلك المعرفة الانسانية بتجارب ومعطيات نقلت الانسـان وحضارته من طور الى آخر ، موسعة آفاق ما تعلمه وتوارثه جيلا بعد جيل ، ولم تكن الحضارات السالفة منقطعة صلاتها فيما بينها ، ولا يمكن القول جزما : ان حضارة ما تمثل انجازا لعرق متفوق وان حضارات أخرى ليست الا صورة مقلدة للحضارات الاصلية ، ولا يمكن القول جزما : ان حضارة ما مبدعة لم تتأثر بما سبقها من حضارات الا في نطاق محدد ، ولا يمكن القول جزما ايضا : ان المقاييس العلمية والفنية والادبية عند مقارنة الحضارات المختلفة فيما تعرفت عليه حضارة معينة ، بينما لا تظهر المقاييس الاخرى لحضارات أخرى أقل مستوى وأهمية ٠

ان **النظرة الموضوعية غير المنفعلة بتأثير التفوق** العرقي أو الحضاري تطرح أمامنا صورا عدة لانجازات وابداعات مهمة كثيرة قدمتها حضارات مختلفة في أزمنة وأمكنة مختلفة من العالم ، والبحث والتقويم لهذه الانجازات هما السبيلان لفهم السيرة الحضارية للانسان ، وهما الوسيلة الوحيدة للتعرف على موقع كل انجاز وتأثيره بما بعده ، من دون تعصب او استعلاء ذاتي ٠

لقد نظر هيث في كتابه « تاريخ الرياضيات اليونانية » (ت ع ع ـ ١٠) الى اليونان نظرة ضيقة جليت فيها روح التفـوق العرقـي ، فهو يـرى ان اليونان فاقوا كل الشعوب القديمة في شدة حبهم للمعرفة من أجل المعرفة ، وانهم كانوا عرقا مفكرا ٠

ان اليونان من الوجهة العرقية لا يمثلون شعبا متجانسا ، بل ينحدرون من عروق مختلطة ، وان حبهم للمعرفة من أجل المعرفة ليس سببا لتفوقهم ، بل نتيجة لتطور حضاري بدءا بمحاولات شعوب الشرق الادنى القديم لفهم ما يجري في العالم الخارجي من ظواهر وحوادث ، وتسجيل ملاحظاتهم وتجاربهم بغيـة

مكتبة المهتدين الإسلامية

استغلالها لاغراض دينية ودنيوية ، ثم دراسة ما يتوصلون اليه لاكتشاف القواعد والقوانين . ولم يكن حب أهل بابل مثلا للمعرفة الرياضية ولا سيما في حقل الجبر والهندسة غير برهان واضح لانتقال المرحلة الحضارية من التجربة والتطبيق الى النظر والفكر .

لقد ورث اليونان علوم شعوب الشرق الادنى القديم وآدابهم وفنونهم ، وكان لاتصالاتهم المستمرة بشواطىء البحر الابيض المتوسط الممتدة من شمالي سورية الى مصر الاثر الاكبر في انتقال المعارف ، اضافة الى اتصالات اليونان بعلماء بابل ومصر والافادة منهم فيما يتعلق بالفلك والرياضيات والطب ، واذا تفوق اليونان بالبرهان الهندسي ، فان أهل بابل تفوقوا في الجبر والفلك وتفوق المصريون بالطب والعمارة ، واذا اتجه علماء اليونان وفلاسفتهم صوب الدراسات النظرية لاسباب اقتصادية واجتماعية وانتماء أغلبهم الى أسر غنية تكره الاعمال اليدوية وتحتقر التجارب ، فان للشعوب الاخرى ما يميزها ، فقد اتجه الانسان البابلي صوب التجارب والملاحظات والارصاد أولا ، والمعرفة النظرية لاكتشاف القواعد العامة فيها ثانيا ، بينما اتجه الانسان في مصر صوب الانسان بوحي من العقيدة فازدهر الطب وتطورت الاساليب في البناء أولا ، وثم تسجيل المعارف الهندسية الرياضية والحسابية ثانيا .

ان التعصب لليونان وما خلفوه من علوم وفنون وآداب من دون النظر الى المصادر الاساسية للتراث اليوناني ، جعل الباحث الاوربي متحيزا في أحكامه على ما قدمته الشعوب الاخرى من اضافات وابتكارات ، فهو ينظر الى تراث الشعوب الاخرى من زاوية يونانية أوربية بحت ممتزجة بفكرة التفوق ، وما قدمه اليونان لا بد أن يكون هو الافضل ، وسادت هذه النظرية كثيرا في المجالات العلمية والفنية ولم ينج منها الا نفر قليل من العلماء والباحثين في التراث القديم .

لقد أسهم العرب هم أيضا في تطوير المعرفة العلمية فنبغ منهم عدد كبير من العلماء في شتى صنوف المعرفة ، فألفوا في العلوم الرياضية والمنطقية وفي العلوم الجيولوجية والعلوم الانسانية والاجتماعية ، تاركين خلفهم أعدادا ضخمة من المخطوطات والآثار التي تدل دلالة واضحة على شغفهم بالعلم ومعرفة أسرار النفس الانسانية وقوانين الطبيعة ، وكان للغزو الاجنبي المتمثل بالسلاجقة والتتر في المشرق ، والحروب الطاحنة بين العرب والاوربيين في الاندلس أثره في انقطاع تدفق المعرفة العلمية لدى العرب ، والجمود والتدهور في جميع الميادين ، كما كان لاستمرار حكم آل عثمان للامة العربية أثره الكبير أيضا في انقطاع نمو المعرفة العلمية وتطورها ، فضاعت المخطوطات العلمية وتحول ما بقي منها الى آثار توضع في المكتبات فقط ، واحترق الكثير

http://www.al-maktabeh.com

منها في الاندلس اثر سقوط الدولة الاموية هناك وانتقل جزء منها الى مكتبات اوربا ومتاحفها وتنافست الدول في جمع الآثار الباقية وترجم جزء منها الى اللاتينية بينما ضاع الاصل العربي لها ٠

ان معرفتنا للعلوم عند العرب تبقى ضيقة لاسباب كثيرة منها : ضياع عدد كبير من المخطوطات العلمية ، وعدم نشر ما هو متوافر منها الا قليلا ، وستبقى جميع الاحكام التي يصدرها المهتمون بالعلوم مبترة وغير دقيقة وناقصة نقصا كبيرا (ت ع ع ـ ١٢) ٠

لقد حاول رجال الاستشراق طمس المعالم الرئيسة لشخصية الانسان العربي في العصر الوسيط ، وتركزت محاولاتهم الهادفة الى تجريد العربي من كل قدرة على الابتكار والابداع متوسلين في ذلك بشتى أنواع الاسلحة : العرقية والدينية والمذهبية واللغوية وغيرها ، وتركزت أساليبهم لتحقيق تجريد الانسان العربي من عناصر الابداع والعطاء ٠

ولا شك في أن العرب تأثروا بالعلم اليوناني تأثرا كبيرا ، ولكن من الخطأ القول : ان هذا العلم كان الدافع الرئيس للنهضة العلمية العربية ، فمن المعروف أن الرومان غزوا اليونان وعرفوا انجازاتهم ، ولكنهم لم يحققوا النهضة العلمية برغم ذلك بل اتجهوا خلافا لذلك صوب الحروب واستعباد الشعوب ولم يعيروا العلم اهتماما كما وجدت مراكز فكرية وعلمية كثيرة خلفت الحضارة اليونانية وكانت على معرفة تامة بالعلم اليوناني ولكنها لم تستطع تحقيق نهضة علمية ، بل انها لم تستطع المحافظة على المستوى الذي حققه الاسلاف من قبل ٠

وتأثر العرب بالفرس ، ولكنهم لم يتعلموا منهم العلوم ، وان التاريخ لا يزودنا بعلماء كبار من الفرس قبل الفتح الاسلامي ، وكل ما نعرفه عن الحضارة الفارسية أنها اهتمت في المرحلة الاخيرة ما قبل الفتح بنقل العلوم الطبيعية والفلسفية الى الفارسية ، وانها على العموم لم تكن بمستوى الحضارة اليونانية في الثقافة والعلوم ٠

ان السبب الرئيس لازدهار الحضارة والعلم عند العرب لا يكمن في التأثير الحضاري الاجنبي ، بل في العوامل الذاتية لانطلاقة الامة العربية بعد الدعوة الاسلامية ، فقد فتحت العقيدة أبواب العلم وحثت على طلبه أينما كان ، وحولت فكر الانسان العربي من الاوهام والاساطير وعبادة الاوثان الى الاعتماد على النفس في الفهم واستخدام العقل لمعرفة ما يجري في الكون ، وتوحيد الغاية في نشر الرسالة واحلال العقل محل الاوهام ، والتجربة على الاساطير ، ووحدة الطبيعة التي تدل على عظمة الخالق محل عبادة الاوثان ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

وحقق العرب قبل اتصالهم بالعلوم الاجنبية قفزات علمية كبيرة ، والتقت جهودهم أول الامر حول القرآن والاحاديث النبوية ، فابتدعوا الاساليب العلمية والفنية للتثبت من رواية الحديث قبل التأكد منه وتدوينه ، واهتموا باللغة العربية لانها لغة القرآن الكريم واهتموا بالشعر الجاهلي ومفرداته ، فكان ذلك بداية نحو قيام علوم اللغة وتدوين الشعر والآداب والمعاجم ، واهتموا بالاحكام الشرعية وأصول الفقه والمعاملات والخراج وتقسيم الاموال وغير ذلك ، فكان ذلك بداية لظهور العلوم الشرعية والمعاملات الاقتصادية واهتموا بكتابة التأريخ وسيرة الرسول الكريم والصحابة وغيرهم ، وعرفوا أن التأريخ جملة من الوقائع المتتابعة زمنيا ، لذلك ابتدعوا الاساليب الدقيقة في تدوين الوقائع متأثرين من دون شك بمنهج تدوين الحديث النبوي ، ومبتعدين عن الخرافات والاساطير في اثبات السبب واستخراج العلة ·

ان التطور الثقافي والحضاري للعرب قد أسهم من دون ريب وبفضل العقيدة الاسلامية في بناء شخصية عربية جديدة تنزع نحو العلم والمعرفة ، متسلحة بأساليب متعددة في التثبت في الاقوال والوقائع ، متطلعة الى اكتشاف الحقائق الدالة على وحدة الخالق وعظمته ، متوثبة الى فهم ما عند الشعوب الاخرى ، منفتحة على الانجازات الحضارية للامم السالفة ، واثقة من ذاتها في حمل رسالتها الحضاريه الى العالم أجمع · فكان لهذا النضج الثقافي وحده الفضل في الاقبال على العلوم الاجنبية للتعرف عليها والافادة منها وتطويرها ، فلولا هذا الانفتاح العربي على العلوم لما استطاعت شعوب اخرى القيام بمهمة حضارية في العالم ولبقيت العلوم ثابتة ، ولتأخرت الانسانية قرونا كثيرة ، لان المعرفة العلمية وحدها لا تخلق نهضة علمية ، اذ لا بد من أمة متحفزة مؤهلة للفهم قادرة على العطاء ·

ان الحضارة العربية ذات جذور ومنطلقات ذاتية في المولد والنشأة وان احتضانها للثقافات وبعض المظاهر الحضارية لم يكن نتيجة تأثير اضطراري خارجي ، بل نتيجة طبيعيه لتفتحها وقدرتها على الاستيعاب والهضم ونزعتها الانسانية الى الافادة من جميع مصادر الفكر الانساني ·

ان مصادر التراث العلمي العربي كثيرة نظرا الى انفتاح الامة العربية والانسان العربي على انجازات الحضارات الاخرى التي سبقت قيام الحضارة العربية في ميادين العلوم والمعارف ومن هذه المصادر :

١ ــ المصدران المصري والبابلي ·
٢ ــ المصدر اليوناني ·
٣ ــ المصدر الهلنستي ·
٤ ــ المصدر الذاتي للامة العربية ·

http://www.al-maktabeh.com

ثانيا ـ الاصول العربية للعلوم الجيولوجية :

ان كتابات العرب عن الجيولوجيا التي توجد عادة في مصادر التأريخ الطبيعي والرسائل وكتب الجواهر والاحجار وكتب الجغرافية والرحالة العظماء وغيرها أظهرت اظهارا واضحا ادراك العرب لحقيقة العوامل التي تؤثر في سطح الارض والتغيرات والظواهر التي تصيبه أو التي تنشأ عنه والتحولات التي تغير سطح الارض كانتقال اليابسة والبحر وكذلك ادراك العرب للعوامل التي تؤثر في باطن الارض التي تنشأ عنها الزلازل والبراكين كما عرفوا الصخور والمعادن فأمعنوا فيها وعرفوا جيدها ورديئها (ادمز ٨ ـ ٥٠) ، فقد زخرت كتب اللغة بالمفردات الجيولوجية الكثيرة المعبرة عن الظواهر الجيولوجية المختلفة المتعلقة بالصخور والمعادن وبشكل سطح الارض أيضا والمياه واسماء البحار والجبال والاودية والارض والطين وانواع الحجارة ومن هذه الكتب :

١ ـ القرآن الكريم .
٢ ـ المخصص .
٣ ـ مختار رسائل جابر بن حيان .
٤ ـ رسائل الكندي الفلسفية .
٥ ـ مختصر كتاب البلدان .
٦ ـ الاعلاق النفيسة .
٧ ـ المسالك والممالك .
٨ ـ الجوهرتين العتيقتين .
٩ ـ التنبيه والاشراف .
١٠ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر .
١١ ـ أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم .
١٢ ـ رسائل اخوان الصفا .
١٣ ـ انباط المياه الخفية .
١٤ ـ كتاب الشفاء وكتاب النجاة .
١٥ ـ الجماهر في معرفة الجواهر .
١٦ ـ القانون المسعودي .
١٧ ـ تحديد نهايات الاماكن .
١٨ ـ الكامل في التأريخ .
١٩ ـ معجم البلدان .
٢٠ ـ عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات .
٢١ ـ آثار البلاد وأخبار العباد .

مكتبة المهتدين الإسلامية

لقد أصبحت التفسيرات للظواهر الجيولوجية وتغيير شكل الارض وطبيعتها بسبب الآلهة والابطال مادة للاساطير والخرافات · فقد اعتقد عامة الناس عند تفسيرهم حدوث ممر تمب TEMPE الذي كان أحد عجائب الاغريق ، ان للسهول المحفوفة بالجبال العالية لنيسالي ، كانت مغطاة يوما ببحيرة تعرضت مياها بفعل عطف الاله بوسيدون الذي فتح ممرا خلال الحاجز الجبلي معطيا الفرصة للماء الراكد ليجري الى البحر كما أعزت الاجيال المتعاقبة هذا العمل الجليل الى هرقل في زمن هيرودوت ، أي قبل ٥٠٠ سنة من الميلاد ·

استبعدت هذه القوى الخارقة وحلت محلها تفسيرات أكثر واقعية لمثل هذه الظواهر ، ومع هذا فان أبا التاريخ لم يرفض بازدراء الاعتقاد الراسخ القائل : « ان حدوث ممر تمب TEMPE كان من فعل الاله بوسيدون » · وانه شيء محتمل بالنسبة الى الذين يعزون الهزات الارضية والصدوع الى هذه الآلهه ، ويعتقد هيرودوت اعتقادا واضحا أن تمزق الجبال اربا اربا كان بفعل الهزات الارضية ·

لقد تراجعت في بداية العصر المسيحي هذه التفسيرات الخارقة للظواهر الجيولوجية أمام كتاب العصر الجديد ، فقد عزا « سترابو » (عاش من ٥٤ قبل الميلاد الى ٢٥ بعد الميلاد) ببساطة ممر تمب الى تأثير الهزات الارضية وبذلك تميزت كتابات هذا الجغرافي عن أسلافه المتقدمين بالابتعاد عن الاساطير والخرافات ، وهو أمر محتمل لنضوج الرؤية على مدى خمسة قرون وهذا أمر يؤكد ما ذهبنا اليه من سيطرة المعتقدات والاساطير على تفكير المفكرين والكتاب الاوائل عند معالجتهم للاحداث الجيولوجية التي لفتت انتباههم واذكت حماستهم ·

لقد استمر تأثير المعتقدات العامة بدرجة أو بأخرى على تصور الفلاسفة والمفكرين الذين بدأوا يلاحظون عمل القوى الطبيعية ونشاطها وعلى رغم من أن استنتاجات هؤلاء المفكرين غير علمية مثلها مثل الاساطير التي حلت مكانها، الا انه يمكن أن يعدوا روادا للجيولوجيا ويمكن ابراز أول تقدم في الافكار النظرية في هذه الموضوعات من خلال استعراض مختصر للآراء الجيولوجية المبعثرة في كتابات اليونان والرومان ·

وفيما يأتي ذكر للعصور المتعاقبة التي تطور خلالها الفكر العلمي والفكر الجيولوجي :

١ ــ عصر التجريب والاساطير ٤٠٠٠ ق·م ــ ٥٠٠ ق·م ·
(عصر الحضارات المصرية والبابلية واليونانية القديمة)

http://www.al-maktabeh.com

٢ ـ عصر الاساطير والفلسفة ٥٠٠ ق٠م ـ ٥٠٠ م ٠
(عصر حضارتي اليونان والرومان)

٣ ـ العصور المظلمة ٥٠٠ م ـ ٩٠٠ م ٠

٤ ـ عصر الفلسفة والاستطلاع ٩٠٠ م ـ ١٢٠٠ م ٠
(عصر الحضارة العربية في صدر الاسلام)

لقد شغلت الانهار ، من بين العوامل الجيولوجية التي تغير وجه الارض ، الجزء الاكبر من اهتمام الانسان في كل العصور ، فقد اهتم « هيرودوت » اهتماما بالغا بنهر النيل ابان زيارته لمصر وأفرد جزءا من كتاباته لمناقشة المميزات البارزة لهذا النهر ، كما عرفت أهمية الطمي الذي يرسب سنويا على سطح أرض مصر وخلص الى القول : ان (مصر هبة النيل) ٠

قدم هيرودوت فكرا جيولوجيا عن نهر النيل ورأى أن نهر النيل قد ملأ برواسبه المنطقة بين طيبة ومنف التي كانت يوما ما خليجا من البحر واستمر النهر يدفع أمامه الطمى حتى كون الدلتا كما لاحظ وجود اصداف بحرية متحجرة في تلال مصر ولا سيما في تلك القريبة من واجهة الالــه (جوبيتر آمــون) JOPITER AMMON وخلص من ذلك ، ومن وجود قشرة أرضية (رواسب ملحية رقيقة) على سطح الارض ، الى أن البحر قد غمر فيما مضى مصر السفلى ٠

يعد أرسطو ARISTOTHE (٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق٠م) الاب الحقيقي لعــلم التاريخ الطبيعي ٠ فقد أورد اضافة الى اسهاماته العلمية الاصلية اشارات قيمة عن كتابات من سبقوه ، وقد وسع (أرسطو) قول « هيرودوت » وأعلن أن (مصــر) كلها كانت حقيقة يوما ما مغطاة ببحر مستمر وان نهر النيل قد أطمى بحمولته السنوية من الرواسب ذلك الجزء من البحر محولا اياه أولا الى مستنقعات جفت تماما جفافا تدريجيا ، وختم بهذه الكلمات العظيمة « من الواضح أنه لما كان الزمن لا يتوقف وما دام الكون أزليا فان TANAIS ونهر النيل ، مثلهما مثل الانهار كافة ، لم يجريا جريانا دائما وان الارض المغطاة الآن بالماء كانت جافة يوما ما ، ولكنه اذا كانت الانهار تولد وتموت واذا كانت أجزاء من اليابسة لم تكن مغطاة دائما بالماء ، فان البحر لا بد أن يمر بتغييرات مشابهة يغطي بعض المناطق ويتركها الى أخرى حتى ليمكن القول : ان المناطق ذاتها لا تبقى بحرا دائما ولا يابسة دائما بل تتبدل من حال الى أخرى بمرور الزمن (جابكلي ـ ١٢) ٠

تكلم (أرسطو) في موضوعات متباينة على موضوع الارض ، وعلى الكون وعلى الزلازل وعلاقتها بالبراكين وعلى نشأة المعادن وعلى الانهار وعلى التغيرات

مكتبة المهتدين الإسلامية

٢٢ ـ أزهار الافكار في جواهر الاحجار ٠
٢٣ ـ نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ٠
٢٤ ـ تقويم البلدان ٠
٢٥ ـ نخب الذخائر في أحوال الجواهر ٠
٢٦ ـ البداية والنهاية ٠
٢٧ ـ مقدمة ابن خلدون ٠

ثالثا ـ المفاهيم والمعارف الجيولوجية عند الاغريق والرومان :

أيقظت القوى الاولية الطبيعية مخاوف الانسان البدائي ، وأثارت تخيلاته ونشطت حب الاستطلاع عنده ، فبدت له الرياح والبرق والعواصف وفيضان الانهار والامواج العاتية والمدود والزلازل والبراكين ظواهر مباشرة لكائن غير مرئي هائل عظيم وقوي ، كما اسهمت الظواهر الثانوية على سطح الارض في التأثير في الانسان كالجبال والانزلاقات الارضية والروابي والصخور الناتئة وما لها من أشكال غريبة شبه آدمية وكذلك الجداول وأخاديدها وأهويتها السحيقة المظلمة ٠

ولم يكن صعبا أن يتصور كيف نبتت من كل هذه الظواهر القصص والاساطير قبل نمو روح الملاحظة والاستنتاج العلميين ولم يكن صعبا أيضا تفهم استمرار تأثير هذه الاساطير في ارضاء تخيل العامة مدة طويلة حتى ظهور الروح العلمية بين عدد من المفكرين وظهرت الملاحظات الاولى لتفسير الطبيعة ونشأة الكون في علوم الاساطير الخاصة بالشعوب البدائية التي تباينت من بلد الى آخر تبعا للمناخ والعوامل الطبيعية الاخرى التي نشأت بها ، وعلى ذلك يمكن القول : انه يمكن تتبع التصورات الجيولوجية في أفكار انسان العصور الموغلة في القدم السابقة على عصر البحث العلمي حيث أعطى الكتاب الاوائل شروحا (تفسيرات) تتصف بالغرابة لتفسير عدد من الوقائع والظواهر الطبيعية التي شاهدوها ٠

وأبرز تلك الوقائع وجود قواقع متحجرة أو هياكل أسماك أو بقايا كائنات بحرية أخرى مدفونة في صخور القشرة الارضية فوق قمم جبال تعلو عن منسوب سطح البحر بقدر كبير ٠

يرى بعض الكتاب الاوائل أن هذه المتحجرات ليست بقايا حيوانات فحسب وانما وجدت هناك بفعل قوى أخرى غير الحياة ٠ فاعتقد بعضهم بأن هذه المتحجرات قد نجمت بفضل تأثير النجوم وأعطوا أسبابا لذلك ٠ واعتقد آخرون بأن نشأتها تعود الى عمليات شبيهة بعمليات التخمر حدثت في داخل

http://www.al-maktabeh.com

الصخور عندما كانت ما تزال طرية لدنة ، وفسرها آخرون بأنها أكاذيب ونكات للطبيعة أو انها من انتاج غير مألوف وعجيب للقوة الخالقة في أثناء لهوها . على حين يرى آخرون بأنها بقايا التجارب والمحاولات الاولى للخلق الفعلي للعالم الذي نعيش فيه ، غير أن آخرين غيرهم يعتقدون بأن هذه المتحجرات قد نجمت عن تأثير قوى شريرة لخداع البشرية ولتوليد الشك في تعاليم الكتاب المقدس بينما هب أبطال الكتاب المقدس يقاتلون ضد هذا الرأي بكل قواهم مبشرين بأن هذه الحفريات هي البقايا الفعلية لكائنات حية جاءت الى أماكنها الحالية فوق قمم الجبال بفعل مياه الطوفان وبأن هذه الحفريات المحفوظة داخل الصخور تؤكد سجل الكتاب المقدس ولا تعارضه .

ولكي نفهم الآن كيف قدم هؤلاء الكتاب والمؤلفون الاوائل وقد كان كثير منهم رجالا أفذاذا ، تفسيرات تافهة وغريبة ومنافية للعقل لاشياء تكاد تكون واضحة بنفسها وان ندرك الاسباب التي دفعت بهؤلاء الكتاب الاوائل الى أن يفرضوا تلك الفرضيات الغريبة ، فقد أظهر البحث والتنقيب في الكتب والمراجع لمؤلفين متميزين في ذلك الوقت ، انهم كانوا يعيشون في عالم تسوده الاساطير ، فكانت معلوماتهم وطرائق أبحاثهم وتفكيرهم متأثرة بذلك .

ان تنبه الكتاب الاوائل واهتمامهم لم يكونا محيطين بالفروع العلمية الاخرى ، ولم يمتدا ليشملا كل المدى الذي تشغله العلوم الجيولوجية بل تركزا أولا على موضوعات محدودة جذبت اهتمامهم واثارت حماستهم مثل :

- نشأة الاحجار الكريمة والمعادن الاخرى وطبيعتها وخواصها .
- نشأة الخامات والمعادن وتطورها .
- نشأة الاحجار وتكونها .
- طبيعة الاحجار المزينة في صخور القشرة الارضية ومغزاها .
- الاسباب التي أدت الى ظهور الجبال وسلاسلها .
- نشأة الينابيع والانهار .
- أسباب الزلازل ومغزاها وتأثير ذلك في الاستنتاجات حول طبيعة باطن الارض .

كما أثارت البراكين ونشاطاتها انتباه المفكرين وحماستهم خلال الازمنة السابقة ولا سيما في المناطق التي حدثت فيها هذه النشاطات البركانية ، الا أننا لم نجد تفسيرات منطقية مترابطة لهذه الظواهر .

مكتبة المهتدين الإسلامية

السالفة لسطح الارض وعلى فيضان عالمي . عرف (أرسطو) الارض بأنها ذات شكل كروي وهو أكمل الاشكال ودل على ذلك بالظل المستدير الذي تسقطه الارض على القمر في أثناء خسوفه وأفرد أجزاء من رسالته للنيازك ولمناقشة الزلازل وذكر أن الزلازل يجب أن يقل حدوثها وشدتها الى أن تقف الارض في النهاية عن الاهتزاز وما دام هذا التفاؤل لم يلاحظ فلا بد اذن من البحث عن تفسير آخر ، وقد قدم عندئذ تعميمات خاطئة فاعتقد أن الزلازل ناتجة من امتزاج الرطوبة والجفاف في باطن الارض ، حيث تكثر الزلازل في الربيع والخريف في أثناء فصول الامطار الكثيرة والجفاف الشديد وعد (أرسطو) ظاهرتي الزلازل والثورات البركانية وثيقتي الارتباط فيما بينهما .

لم ينس (أرسطو) في عرضه الشامل للمملكتين العضوية وغير العضوية أن يعالج طبيعة الاحجار والفلزات والمعادن وان يقدم مقترحاته بشأن منشئها المحتمل . ولقد افترض وجود نوعين من الغازات الزفيرية يسهمان اسهاما هاما في الطبيعة سواء داخل الارض أو خارجها ، وأحد هذين النوعين الغازات الزفيرية المدخنة أو الجافة (الناجمة عن احتراق مواد) تعطي المعادن والانواع الاخرى من الحجارة التي لا تذوب في الماء ، والنوع الآخر الغازات الزفيرية الرطبة التي تعطي الفلزات التي تنصهر أو تقبل السحب (ادمز ـ ١٥) .

ناقش (أرسطو) كذلك الظواهر الطبيعية للانهار وأبدى معرفة لا بأس بها بنظم الصرف الموجودة على الجانب الشمالي لحوض البحر المتوسط وذكر أن الجبال ببرودتها تكثف الرطوبة الجوية وتتلقى كميات ضخمة من المياه مما يمكن تشبيهها باسفنجة ضخمة معلقة ، وأعطى أرسطو رسوما جغرافية مستقاة من آسية ومن حوض بحر الابيض المتوسط توضح أن أعظم الانهار تهبط من أعلى البقاع حيث تتجمع في الكثير من القنوات ، وسلم باحتمال وجود البحيرات الجوفية تحت سطح الارض التي يمكن ان تنبع منها الانهار كما ألمح الى اختفاء بعض الانهار في مجاري قنوات تحت الارض .

طاف سترابو (٦٣ ق.م ـ ٢٠ م) بجزء كبير من العالم القديم بعين فاحصة ففحص ما شاهده وقيم ما سمعه برغم ان أعظم أعماله كانت وصفا للجغرافية الطبيعية والسياسية في عصره ، الا أنها كانت مطعمة بملاحظات دقيقة وبأفكار ثاقبة فيما يتعلق بالصفات الطبيعية للكثير من البلدان وبالعوامل الطبيعية التي سببت هذه الصفات ، فكتب (سترابو) كتابة مسهبة عن البراكين والزلازل وعن نشأة الجزر وعن جغرافية المياه بحوض البحر المتوسط وعن الانهار ودلتاتها وعن العمل الازاحي لجذور النباتات وعن فناء الجنس البشري وعن المتحجرات وعن التغيرات الجيولوجية السالفة ، فجغرافيته لا تتضمن النزر اليسير من الحقائق الهامة عن التأثير العام للطاقة الكامنة لباطن الارض ، بل أورد

http://www.al-maktabeh.com

ذكر عدد من الزلازل التي نجم عنها شقوق وأهوية وقتل آلاف البشر وابتلعت المدن واعطى بعض المعلومات عن ثورات براكانية حدثت في منطقة البحر المتوسط ابان الازمنة التاريخية (ادمز ـ ٢٥) ، (جايكاي ـ ١٩) ·

كتب الفيلسوف (سينيكا) (٣ ـ ٦٥ م) قبل وفاته اضافة الى الرسائل والمسرحيات التي عرف بها كراسه بعنوان « أسئلة طبيعية » ناقش فيها مناقشة واسعة الاجسام السماوية والظواهر الجوية كما ناقش أيضا مناقشة مسهبة أكثر من اي كاتب بعض العمليات الجيولوجية الهامة ، وقد كتب عن سريان الماء فوق سطح الارض وتحته وعن نشاة الزلازل ونتائجها ، ويبدو أنه قد تأثر كثيرا بالزلزال الذي أصاب مدينة كامبانيا CAMBANIA بخراب بالغ في الخامس من شباط عام ٦٣ ميلادية ، فقد أبلغه صديق رزين له جانب كبير من المعرفة انه كان عند حدوث الزلازل بالحمام ، ولاحظ أن بلاط أرض الحمام قد تباعد عن بعضه بعضا ثم اندفعت أجزاؤه لتتلاصق مرة أخرى على حين تسرب الماء في لحظة من خلال الشقوق التي نشأت بأرض الحمام وبعد ذلك غلى الماء واندفع خارجا ، وتعد هذه الرواية أول وصف تفصيلي وصل الينا عن الزلازل ·

كما قد تساعد قدرة النحت في الانهار التي تعلو الفجوات الارضية الكبيرة والعمل الدائب للماء في توسيع الشقوق واضعافها على حدوث الكوارث المروعة ، فبتعاظم هذه التأثيرات تتقوض هذه الفجوات فتنهار وتهبط الى الاعماق حاملة معها مساحات كبيرة من اليابسة أو مدنا كاملة في بعض الأحيان ·

لقد ميز « سينيكا » بين الحركة الرأسية وبين الحركة الترددية المشابهة لحركة مركب بالبحر كما كان يعتقد بوجود نوع ثالث من الحركات وهو الارتجاف أو الارتعاش وهو يعتقد ان لكل نوع من أنواع هذه الحركات أسبابه الخاصة ، فمرحلة الارتعاش كتلك الناجمة عن مرور عربة ثقيلة أو الناجمة عن انزلاق أرضي يمكن أن تكون ناتجة من انهيار جوانب فجوات ضخمة تحت سطح الارض حين تسقط الكتل الصخرية الثقيلة بصوت مدو في الاعماق ·

كتب بليني الاكبر (٢٣ ـ ٧٩ م) وهو معاصر لسنيكا عن التأريخ الطبيعي وجمع فيه ملاحظات عن النباتات والحيوانات والمعادن المعروفة للاوائل والزلازل والثورات البركانية وطغيان البحار والاحداث الطبيعية الاخرى التي حدثت ابان الحقبة المؤرخة وقد فقد حياته بالبحث عن المعرفة العلمية حيث اقترب كثيرا من موقع البركان الذي دمر (هيروكولانم وبومبي) عام ٧٩ ميلادية · ويعد هذا الفيلسوف ضحية الرغبة في استكشاف غوامض النشاط البركاني وهو الشهيد الاول المؤكد لعصور الجيولوجيا · كتب بليني بعد ذكر رأي البابليين في أن الزلازل والظواهر المماثلة هي من تأثير النجوم قائلا :

مكتبة المهتدين الإسلامية

« ان اعتقادي الشخصي عن الزلازل هو انها تنجم عن الرياح وتحدث فقط في مراحل السكون الكامل حين تخرج الرياح مندفعة بعد أن سبق هبوطها في الاهوية ما تحت السطحية كما أورد ذكر عدد من الزلازل الهامة وناقش الظواهر الطبيعية المصاحبة للزلازل على سطح الارض أو في البحر وقال : ان المدن ذات السراديب والمنازل ذات المكامن (Cellars) تعاني من الزلازل معاناة أقل من غيرها وان المنازل المبنية على أرض صلبة في مدينة (بومبي) قد تأثرت بدرجة بالغة كما ذكر وقائع لثورات بركانية ولظهور جزر بركانية جديدة دون ان يلقى ضوءا على أسباب تلك الاضطرابات » ٠

كتب (ثيوفراستوس ـ THEOPHRASTUS عام ٣٧٤ ـ ٢٨٧ ق٠م) ، أقدم كتاب عن موضوع الاحجار بأوسع مدلولها ويجوز أن يعد رسالة في صفة الاحجار وهي أقدم رسالة بطبيعة العالم تصف خواص الصخور والمعدنيات المختلفة وتبين مصادرها وفوائدها ، أما آراء (ثيوغراستوس) في المتحجرات فليست في هذا الكتاب بل في كتاب اخر في الاسماك المتحجرة وفيه يذكر بقايا اسماك وجدت في الصخور في البقاع الواقعة جنوب البحر الاسود ٠

سار (ثيوفراستوس) على نهج (أرسطو) فحاول تعليل طائفتين من طوائف عالم الجماد بينهما تباين تام هما الاحجار والفلزات ورأيه أن الاحجار ترابية الاصل ـ فالاحجار تتحلل فتصير ترابا وان الفلزات ذات أصل مائي واصطفى من بين الاحجار طائفة جعل لها شأنا خاصا تلك هي عجائب عالم الجماد ، أحجار الكرية ، والجواهر ، فان جزءا من رسالته يكاد يبلغ ربعها خصص للكلام في الجواهر ، وهذا الجزء من الرسالة هو الذي أعجب الباحثين أكثر من سواه وفي وصفه للاحجار الكريمة علم بكثير من خواصها الطبيعية كالثقل واللون والشفافية والبريق وقابلية الكسر وقابلية الانصهار والصلابة وبين الاماكن التي يمكن ان يصيب الناس فيها بعض الجواهر والاثمان العالية التي تدفع فيها ، وان وصفه يكفي لمعرفة بعضها ، كالمرمر والكهرمان والجمشت (الجمز) AMETHUST والزمرد ، والبيجاوي GARNET واللازورد LAPIS LIZULI والشب JASPER والعقيق والجزع ONUX والعقيق الاحمر CARNELIAN والبلور الصخري ، والPRASE وغراء الذهب CHRUSOCOLLA والدهيج MALACHITE وحجر المغناطيس MAGNETITE والخماهان (حجر الدم) HEINATITE . وقد ذكر كثيرا غير هذه منها ما نعرفه معرفة كاملة ومنها ما نجهله جهلا تاما ، فهو يذكر مثلا : الاوماس الذي لا تعمل فيه النار فما هو ؟ أهو الماس ؟ ! من المستحيل أن نقرر ذلك ٠ ولقد جاءت معلوماته من كل ركن من أركان الدنيا التي عرفها الاغريق من القارات الثلاث التي تحف بالبحر المتوسط

http://www.al-maktabeh.com

ومن هذه المعلومات ما هو قديم جدا ولعله من مصر وبابل ـ معلومات من قديم الازل ، أساطير شعبية ترجع الى ما قبل التأريخ فلا تأخذنا الدهشة حين نجد فيما يقول كلاما بعيد المسافة عن العقل ومع ذلك فالكتاب في مجموعه مقبول قبولا بعيدا فسمة علمية ، وبعض استنتاجاته صواب ٠ فقد عرف أن اللؤلؤ من الصدف ولا يكون من غير ذلك وطبيعي أن اللالىء توجد دائما في الصدف لا في غير ذلك وان الشعب المرجانية توجد في البحار ، وعرف التاج المتحجر ، ورسالة (ثيوغراستوس) DE LAPIDIBUS هذه تعد المصدر الاكبر للباب السابع بعد الثلاثين من كتاب (بليني) في التأريخ الطبيعي وعن طريق بليني استمر أثرها في علماء الجواهر حتى العصر الحديث ، واذا وازنا بين ثيوغراستوس وبليني رجح الاول ، وبليني وان جاء بعد (ثيوغراستوس) بما لا يقل عن أربعة قرون أقل كثيرا من (ثيوغراستوس) من الناحية العلمية ٠ نعم لقد كانت معلوماته أكثر لكن كانت يقينا أقل قيمة ٠

لقد أضاف عدد قليل من الكتاب الاغريق بعد ثيوغراستوس شيئا ذا قيمة الى علم الجيولوجيا ولا سيما بالاشارة الى الاستخدامات الاقتصادية وأهمية المعادن في مجالات الزراعة والمناجم والانشاءات البنائية وهؤلاء هم :

- **أجاثارشيدس** Agatharachide (١٨١ ـ ١٤٦) ق٠م ٠
- ديودروس Diosoros Siculos (٤٤) ق٠م ٠
- ديوسقوريدس Dioscorides (٦٠) ميلادية ٠
- **ديونيسنز** Dionysins (٨٠) ميلادية ٠
- سترابو Strabo (٧) ق٠م ٠

اختص ديسقوريدس في موسوعته أولا باستعمال المعادن ومنتجاتها في الطب وفي هذا المجال ذكر (١٠٠) معدن ومادة كما وصف الطريقة التي عملت بها هذه المواد واستخداماتها وخواصها الطبية ومن بين ما ذكر الكادميا والمولبدين وعدد من خامات الرصاص والزنك والنحاس والحديد ومستحضراتها وكذلك الستمي Stimmi (كبريتيد الانتيمون) والكريزوكولا من أرمينية ومالاكايت وماسيدونيا ، والسينابار والزئبق والاوربيمنت والريالجار والكبريت وكذلك أنواع المغرة الخام والمحروقة وكثير من الشب والاطيان والاملاح ٠

لقد ولد سترابو عالم الجغرافية والتأريخ اليوناني في حوالي ٦٣ ق٠م وتوفي بعد سنة ٢٠ ميلادية ، وقد حفظت أجزاء متناثرة من أعماله التأريخية ، الا أن أعماله الجغرافية التي تقع في سبعة عشر كتابا تعد أهم أعمال العصر القديم عن هذا الموضوع ، ولقد كتب الكتاب حوالي سنة ٧ ق٠م واضيف

مكتبة المهتدين الإسلامية

اليه أجزاء في الطبعات اللاحقة نتيجة أسفار (سترابو) المتعددة جدا ويعتمد وصفه اعتمادا كبيرا على ملاحظاته الشخصية ، فمن ضمن الاشارات المتناثرة عن الجيولوجيا ، اشارته الى ارتفاع المناطق الارضية وهبوطها فلقد ظن أن هذه الحركات كانت نتيجة الهزات الارضية ويفسر ارتفاع الارض وجود الاصداف البحرية في صخور القشرة الارضية التي تقع اليوم في أماكن مرتفعة كثيرا عن سطح البحر ، كما يفسر ان وجود النيران أصل البراكين ويعدها صمامات أمان تؤدي الى هروب الرياح والابخرة التي تؤدي الى حدوث الهزات الارضية عند اختراقها للارض (ادمز ــ ٢٧) ٠

لقد وصف سترابو براكين (أتنا وفيزوف وليباري) وذكر أدلة على أن انفجارات تحت أرضية كبيرة حدثت بمصاحبة الانفجارات البركانية كما ذكر أثر الماء الجاري في الرواسب النهرية عند مصب الانهار وعلى امتداد مجراها ٠

وقد أعطى سترابو فكرة عن طريقة وجود كثير من رواسب الخامات وخواصها في كثير من الدول وذكر ان الرواسب الاسبانية أغنى بالذهب والنحاس والحديد من مثيلاتها الموجودة في أماكن أخرى في العالم ٠

كما ذكر سترابو أن المقالع الكبيرة بالقرب من لونا (مقالع كارا اليوم) قد استخرج منها كتلا عملاقة وكثيرة من الرخام الذي استخدم في أغراض البناء في (روما) و (ايطاليا) كلها ، كما أن نوعية ممتازة من الرخام قد تم الحصول عليها من (هيمت) وجزيرة (باروس) وكان يستخدم لعمل التماثيل الدقيقة وبعض الاعمال الفنية الاخرى ويذكر (سترابو) أن رخام (باريان) عندما أخذ من المقالع كانت الفراغات الموجودة في الصخور قد امتلأت بمرور الزمن كما حدث امتلاء طبيعي مماثل في الحجر الرملي لمقالع (رود) ومناجم الحديد بالباو ومناجم الملح في الهند ٠

لقد عرف الرومان العلوم وكتبوا عن التأريخ الطبيعي والعلوم الجيولوجية وكان أول عالم وأعظمهم لوكريتيوس LUCRETIUS الذي ولد عام ٩٩ قبل الميلاد وتوفي عام ٥٥ قبل الميلاد ويقع عمله المسمى De Rerum Natura في ستة مجلدات ، معطيا فيها صورة من طبيعة الكون كما ناقش العناصر الاربعة « النار ، والهواء ، والارض ، والماء » وخواصها وعلاقتها ببعضها واتلافاتها كما ناقش تكون المادة من حيث هي مكون من ذرات هذه العناصر ٠ وعالج الكتاب أيضا الشمس والقمر ، والمد وتعاقب الفصول والمحيطات وعلاقاتها بالقارات وبعض العمليات ذات الاتصال المباشر بالجيولوجيا مثل : تحلل الصخر وتفتته ، ودرس أصل الينابيع والانهار والبحيرات الموجودة تحت الارض والرياح العاتية داخل الارض التي تؤدي الى الهزات الارضية والثورات البركانية أحيانا ٠

http://www.al-maktabeh.com

ألف بليني الاكبر (٥٢ ـ ٧٩) ميلادية كتاب التأريخ الطبيعي في (٣٧) جزءا ، حيث كانت الاجزاء من ٣٣ الى ٣٧ تتعلق بمملكة المعادن كما أشار الى مواقع عدة حصل منها على بعض الفلزات ، وأشار الى عمليات المناجم وكيفية استخراج الفلز من الخام وقال : ان الذهب يمكن استخراجه بثلاث وسائل هي : غسل رواسب الاودية ، وطريقة الانفاق وفتح الممرات الطويلة (ادمز ـ ٣٧) ٠

كما ذكر مناجم غنية بالذهب في (اسبانيا والبرتغال) و (النمسا) واعطى جانبا من حديثه عن الفضة والرصاص والنحاس وسبائكها والحديد كما ناقش أنواع الرخام والالباستر والرماد البركاني الذي صنع منه السمنت والحجر الجيري الذي حرقه لعمل الجبر وتصنيع البلاستر والمواد المختلفة المستخدمة في صناعة الزجاج وحجر الطاحونة ونوعيات متعددة من أحجار البناء ٠ كما عني بالاحجار الكريمة والمنافع الطبية لبعض الاحجار ٠

يعد (لوسيوس سينيكا Lucius Sinica) (٣ ـ ٦٥) ميلادية من معاصري (بليني) ومن مقربي الامبراطور « نيرون » ٠ ومن مؤلفاته « أسئلة الطبيعة » عن كثير من الموضوعات التي تتصل أولا بعلم الانواع الجوية وعلم الفلك وعلم الزلازل ، ويهمنا من الناحية الجيولوجية ٠ الجزء المخصص للمياه الجوفية والسطحية وكذلك الهزات الارضية ٠

يتضح مما سبق أن المعلومات التي قدمت من الاوائل عن العمليات الجيولوجية بالرغم من أنها احتوت على ملحوظات هامة الا أن التوقعات عن أسباب هذه الظواهر كانت متأثرة بالاساطير التي كانت شائعة ومتوارثة بين الاجيال المتعاقبة دون جهد حقيقي لتفسير هذه الملاحظات الفعلية عن الطبيعة تفسيرا ينسجم وما أحرزه ذلك العصر من تطور فلسفي وعلمي في مجالات عدة ٠ لقد أعطيت تفسيرات أسطورية أحيانا وصحيحة أحيانا أخرى ، عن تغيير سطح الارض وانتقال اليابسة والبحر وقد لوحظ في أغلب هذه التفسيرات أن العملية الثانوية أعطى لها قدر كبير بينما أسيء فهم العمليات الاصلية تماما ، فمثلا لم تكن هناك آية فكرة أو اشارة مهما كانت بعيدة عن التطور الطويل للارض الذي كشفت عنه الجيولوجيا بعد ذلك مما جعل المعلومات والملحوظات والتفسيرات التي أحرزها ذلك العصر لا ترتقي الى المستوى العلمي المنشود ٠

نجد أن هناك تحولا عاما ملموسا للوضع العلمي الذي ساد هذا العصر حيث اختفت الفكرة القائلة : ان الطبيعة تحكمها نزوات الآلهة وعبثها وحل محلها أن الطبيعة تحكمها قوانين ونظريات محددة وقد انتشرت هذه الفكرة الجيدة بسبب عدم وجود معارضة لها اذ ان لكل فيلسوف الحرية في التمسك

مكتبة المهتدين الإسلامية

بالمفاهيم واختيار الآراء التي تروق له . ان انهيار الامبراطورية الرومانية وغزو البربر حجبا الكثير من التطور المنشود للتأريخ الطبيعي (ادمز ـ ٥٠) ، والموسوعة البريطانية (٧٣ ـ ٧٤) .

رابعا ـ المنقول والمدلول في :

أ ـ الجغرافيا القديمة عند أرسطو واسترابو والمسعودي واخوان الصفا وابن سينا .

جاء المسعودي في النصف الاول من القرن الرابع للهجرة ليضع كتابه « مروج الذهب ومعادن الجوهر » نحو سنة ٣٣٢ هـ . ويعد هذا الكتاب من أجل المصنفات العربية ، كتب بأسلوب علمي سليم . وقد تعرض فيه المؤلف لبعض المعلومات الجغرافية كاستدارة الارض واحاطتها بغلاف جوي . وبحث طبيعة العواصف في الخليج العربي والجهات المجاورة . وشرح ظاهرة المد والجزر . كما أجرى بعض المناقشات الجيولوجية وتحدث عن البحار والانهار ووصف زلازل سنة ٣٤٤ هـ ـ ٩٥٥ م . وتحت عنوان : ذكر الاخبار عن انتقال البحار ، وجمل من أخبار الانهار الكبار ، يقول المسعودي في كتابه « مروج الذهب » المادة ٢١٣ ما يأتي :

ذكر صاحب المنطق ان البحار تنتقل على مرور السنين وطول الدهور حتى تصير في مواضع مختلفة ، وان سائر البحار متحركة الا أن تلك الحركة اذا أضيفت الى جملة مياهها وسعة سطوحها وبعد قعورها ، سارت كأنها ساكنة ، وليس مواضع الارض الرطبة هي أبدا رطبة ولا مواضع الارض اليابسة هي أبدا يابسة ، لكنها تتغير وتستحيل بصب الانهار فيها وانقطاعها عنها ولهذه العلة يستحيل موضع البحر وموضع البر ، فليس موضع البر أبدا برا ولا موضع البحر أبدا بحرا ، بل قد يكون برا حيث كان مرة بحرا ويكون بحرا حيث كان مرة برا . وعلة ذلك الانهار وجريها ، فان لمواضع الانهار شبابا وهرما وحياة وموتا ونشا ونشورا .

وناقش المسعودي في مروج الذهب دورة الماء في الكون وجريان الانهار وتراكم الاملاح من البحر يقول في المادتين ٥١٤ و ٢١٥ ما يأتي :

وقد اختلف الناس في الانهار والاعين من أين بدؤها ، فذهبت طائفة الى أن مجراها كلها واحد وهو البحر الاعظم وان ذلك البحر عذب ليس هو بحر أقيانس وزعمت طائفة انها في الارضين كالعروق في البدن ، وقال آخرون : حق الماء أن يكون على سطح ، فلماذا اختلفت الارض فكان منها العالي والهابط انحاز الماء الى أعماق الارض ، فاذا انحصرت المياه في أعماق الارض وقعورها

http://www.al-maktabeh.com

طلبت التنفس حينئذ لضغط الارض اياها من اسفل فتنبثق ، فيكون من ذلك العيون والانهار ، وربما يتولد من باطن الارضين من الهواء الكائن هناك وان الماء ليس بأسطقس وانما يتولد من عفونات الارض وبخارها ، وقالوا في ذلك كلاما كثيرا أعرضنا عن ذكره طلبا للايجاز وميلا للاختصار ·

ثم جاءت رسائل اخوان الصفا (القرن الرابع الهجري) بفكر جيولوجي جديد تناول جوانب من الجيولوجيا الطبيعية ، كتكوين الصخور الرسوبية ونشأة القارات واستحالة مواضعها بعد ذلك الى بحار كما تناولت رسائلهم تكوين المعادن وصفاتها ونشوءها وأنواعها يقول اخوان الصفا (٩١ ــ ٩٤) :

ان الارض بجميع ما عليها من البحار والجبال والبراري والانهار والعمران والخراب في كرة واحدة معلقة في الهواء في مركز العالم باذن الله وان الارض بجملتها نصفان ، نصف شمالي ونصف جنوبي ، وظاهر كل قسم منها ينقسم نصفين ، فتكون جملة أربعة أرباع ، كل ربع منها موصوف بأربعة أنواع ، فمنها مواضع براري وقفار وفلوات وخراب ومنها مواضع البحار والانهار والاجسام والغدران ومنها مواضع الجبال والتلال والارتفاع والانخفاض ومنها مواضع المراعي والقرى والمدن والعمران واعلم يا أخي ان هذه المواضع تتغير وتتبدل على طول الدهر وازمان فتصير مواضع الجبال براري وفلوات وتصير مواضع البراري بحارا وغدرانا وانهارا وتصير مواضع البحار جبالا وتلالا وسباخا وآجاما ورمالا وتصير مواضع العمران خرابا ومواضع الخراب عمرانا ، فوجب ان نذكر طرفا من هذه الاوصاف ···

واعلم يا أخي أن الاودية والانهار كلها تبتدىء من الجبال والتلال وتمر في مسيلها وجريانها نحو البحار والآجام والغدران ، وان الجبال من شدة اشراق الشمس والقمر والكواكب عليها بطول الازمان والدهور ، تنشف رطوبتها وتزداد جفافا ويبسا وتتقطع وتتكسر وخاصة عند انقضاض الصواعق وتصير أحجارا وصخورا أو حصى ورمالا · ثم ان الامطار والسيول تحط تلك الصخور والرمال الى بطون الاودية والانهار ذلك بشدة جريانها الى البحار والغدران والآجام وان البحار لشدة أمواجها وشدة اضطرابها وفورانها تبسط تلك الرمال والطين والحصى في قعرها سافا بعد ساف بطول الزمان والدهور ويتلبد بعضها فوق البعض وينعقد وتثبت في قعور البحار جبالا وتلالا ·

واعلم يا أخي أنه كلما أنطمت قعور البحار من هذه الجبال والتلال التي ذكرنا انها تنبت ، فان الماء يرتفع ويطلب الاتساع وينبسط على سواحلها نحو البرار والقفار ويغطيها الماء ، فلا يزال ذلك دأبه بطول الزمان حتى تصير مواضع البرار بحارا ومواضع البحار يبسا وقفارا ·

مكتبة المهتدين الإسلامية

وجاء في رسائل اخوان الصفا (١٠٢) واذا قد فرغنا من ذكر صورة الارض ، ووصف البحار والبراري والجبال واختلاف ترب البلاد ومياهها فنريد أن تذكر هنا طرفا من أسرار المعادن ، فنقول : انه ليس من جبل من الجبال ولا بحر من البحار ولا تربة ولا جزيرة ولا نهر ولا بقعة ولا بلد من بقاع الارض ولا صغيرة ولا كبيرة ، لا ظاهرها ولا باطنها الا ولها خاصية ليست لاخرى أو عدة خواص ، من خاصية بلد أو بقعة أن تتكون هناك ضروب من الجواهر المعدنية أو عدة ضروب • كما سنذكر في هذا الفصل نصوصا كاملة لبعض رسائل اخوان الصفا • انظر الشكلين (٥٨ ، ٥٩) •

وجاء الرئيس ابن سينا في أوائل القرن الخامس الهجري ليرسي دعائم علم الارض عند العرب في كتبه « الشفاء » ففي الفن الخامس من هذه الموسوعة القيمة ، مقالتان عن « المعادن والآثار العلوية » • وتناول فيهما عددا من الظواهر الجيولوجية والميترولوجية بالدراسة والتحليل • ومن ذلك نظريته في تكوين الجبال ، التعرية ونشأة الوديان ، وانتقال البحار أو علاقة الارض بالبحر ، المتحجرات ودلالتها ، وتكوين الصخور الرسوبية • واشار الى تكوين العيون ومنابع المياه وعلة الزلازل • كما أنه أفرد فصولا للحديث عن الظواهر الجوية كالسحب ، الرياح ، البخار ، الثلج ، البرد ، قوس قزح • بالاضافة الى : الرعد ، البرق ، الصواعق ، الشهب ، النيازك والمذنبات •

ونورد في الفقرات التالية النص الحرفي لكلام ابن سينا في تكوين الجبال وذلك لاهميته وخطورته في تأريخ العلوم فهو لا يكاد يختلف عما نعرفه اليوم ، وان كان ابن سينا قد وضعه منذ ألف عام تقريبا • يقول الشيخ الرئيس (الشفاء) :

وأما الارتفاع فقد يقع لذلك سبب بالذات ، وقد يقع له سبب بالعرض • **أما السبب بالذات ، فكما يتفق عند كثير من الزلازل القوية** أن ترفع الريح الفاعلة **للزلزلة طائفة من الارض ، وتحدث رابية من الروابي دفعة • وأما الذي بالعرض** • فأن يعرض لبعض الاجزاء من الارض انحفار دون بعض ، بأن تكون رياح نسافة أو مياه حفارة تتفق لها حركة على جزء من الارض دون جزء ، فينحفر ما تسيل عليه ويبقى ما لا تسيل عليه رابيا • ثم لا تزال السيول تغوص في الحفر الاول الى أن تغور غورا شديدا ، ويبقى ما انحرف عنه شاهقا • وهذا كالمتحقق من أمور الجبال وما بينها من الحفور والمسالك • « وربما كان الماء أو الريح متفق الفيضان ، الا أن أجزاء الارض تكون مختلفة ، فيكون بعضها لينة وبعضها حجرية • فيحفر الترابي اللين ويبقى الحجري مرتفعا • ثم لا يزال ذلك المسيل ينحفر وينحفر على الايام ويتسع ويبقى النتوء وكلما انحفر عنه الارض كان شهوقه أكثر » •

http://www.al-maktabeh.com

فهذه هي الاسباب الاكثرية لهذه الاحوال الثلاثة • فالجبال تكونها من أحد أسباب تكون الحجارة ، والغالب ان تكونها من (طين) لزج جف على طول الزمان، تحجر في مدد لا تضبطه فيشبه أن تكون هذه المعمورة قد كانت في سالف الايام غير معمورة ، بل مغمورة في البحار ، فتحجرت ، اما بعد الانكشاف قليلا قليلا في مدد لا تفي التاريخات بحفظ أطرافها ، واما تحت المياه لشدة الحرارة المحتقنة تحت البحر ، والاولى أن يكون بعد الانكشاف ، وان تكون طينتها تعينها على التحجر ، اذ تكون طينتها لزجة • ولهذا ما يوجد في كثير من الاحجار ، اذا كسرت أجزاء الحيوانات المائية كالاصداف وغيرها ولا يبعد أن تكون القوة المعدنية قد تولدت هناك ، فأعلنت أيضا • وأن تكون مياه قد استطاعت أيضا حجارة ، لكن الاولى أن يكون تكون الجبال على هذه الجملة ، وكثرة ما فيها من الحجر لكثرة ما يشتمل عليه البحر من الطين ، ثم ينكشف عنه ، وارتفاعها لما حفرته السيول والرياح فيما بينها » •

ولنقف وقفة تحليلية موجزة للتعقيب على هذه المراحل الاربع (السكري ــ ٣٠) • فقد أرجع ابن سينا تكون الجبال اما الى الحركات الارضية واما الى عوامل التعرية التفاضلية • وقد لاحظ تفاوت أجزاء التربة أو الارض بين اللين والصلابة وعلاقة ذلك بتكوين الجبال •

كما أدرك الفعل الميكانيكي للرياح والمياه « بأن تكون رياح نسافة أو مياه حفارة » • واشار الى تعميق السيول لمجاريها الاولية وتوسيعها بمرور الوقت « ثم لا يزال ذلك المسيل ينحفر وينحفر على الايام ويتسع » •

وقد أدرك ان البحر كان يغمر البر في الازمان الغابرة ثم انحسر عنه انحسارا تدريجيا « فيشبه ان تكون هذه المعمورة قد كانت في سالف الايام غير معمورة بل مغمورة في البحار ، فتحجرت ، اما بعد الانكشاف قليلا قليلا •• » وحينما يضيف قائلا « في مدد لا تفي التاريخات بحفظ أطرافها » فانه يكون قد أدخل الحساب الصحيح للزمن الجيولوجي في عملية تكون الصخور الرسوبية •

وأحس بفكرة تغيرات ما بعد الترسيب •

وهي اللازمة لتحويل الراسب الى صخر ، واعطاه الزمن الذي يستحقه « والغالب أن تكونها من (طين) لزج جاف على طول الزمان ، تحجر في مدد لا تضبط » واستخدم المتحجرات البحرية (الاصداف) استخداما صحيحا للدلالة على أن أجزاء من الارض كان يغمرها البحر في سالف الازمان « ولهذا ما يوجد في كثير من الاحجار ، اذا كسرت ، أجزاء الحيوانات المائية كالاصداف وغيرها » •

مكتبة المهتدين الإسلامية

كما يبدو ان المقصود بـ « استحالة الماء الى حجارة » هو نوع من ترسب المواد الذائبة في الماء ، اما بالبخر واما بالتركيز واما بطريقة كيماوية • فاذا صح هذا التفسير ، يكون ابن سينا قد ميز بين نوعين من الترسب : ترسب كيميائي (وهو الذي يستحيل فيه الماء الى حجارة) وترسب ميكانيكي ، حينما يقول ••• « وكثرة ما فيها من الحجر لكثرة ما يشتمل عليه البحر من الطين ثم ينكشف عنه » •

ب ـ طبيعة الارض بين سترابو وبايني وجابر بن حيان والهمذاني واخوان الصفا وابن سينا •

أدرك العرب ادراكا جليا تغير سطح الارض من حين الى آخر وحاولوا تعليل هذه الظاهرة بصورها المختلفة • وكان للزلازل والهزات نصيب واضح من تفكيرهم نظرا الى الاثر الحاد والمباشر الذي تتركه في نفوسهم ، وقد سبق للقرآن الكريم أن أشار اليها اشارات متعددة وعدها من العقوبات التي ينزلها الله تعالى بالعباد اذا خالفوا الصواب وجانبوه ، وقد تبنى العلماء العرب نظرية أرسطو التي تقول : اذا عملت حرارة الشمس في رطوبة الارض وحللتها ارتفع منها ألوان البخارات لانه يرتفع من كل بر وبحر وارض وجسم من الاجسام حيوان أو موات البخارات التي يظهر بعضها ويبطن بعضها فيكون فيما ظهر من تلك البخارات وكان رطبا ثقيلا المطر في أوقاته وما تكاثف منها الضباب والغمام ومما كان حارا يابسا الرياح • ويكون مما بطن في الارض من تلك البخارات الجواهر المعدنية على قدرة قوة تلك الارضين بعد أن يظهر من تلك البخارات ما تلطف حتى يصير الى أجزاء سطح الارض فان لم يجد ما تلطف وما غلظ من البخارات العميقة مخرجا ولا منفسا اضطربت الارض وتحركت لذلك فكان منها الزلزلة في جانبها الذي وقع فيه التأثير كالرطوبة الغليظة التي تولد في عضو من البدن فيحدث في ذلك العضو الاختلاج والارتعاش وكقرقرة المعدة التي يضطرب البدن دون حركة الانسان وان كانت تلك البخارات المحتبسة في بطون الارض غليظة كثيرة بقيت الزلزلة اياما كثيرة وان كانت قليلة رقيقة تحللت سريعا وسكنت الزلزلة (الجوهرتين ١٠٣ ، ١٠٥) وقد ظهر تأثير العرب بهذه الطريقة منذ عصر مبكر لان أول كتاب تبناها هو كتاب رسائل جابر بن حيان وقد أضاف جابر اليها قوله والدليل على ذلك أنها اذا كثرت ودامت حفرت لها الآبار فتبطل الزلازل وتقل (مختار رسائل جابر ٢٥) وتبناها الكندي والف فيها (الفهرست ٢٦١ ط ليدن) وتبناها الهمداني في كتابه الجوهرتين (الجوهرتين ١٠٣ ، ١٠٥) كما تبناها اخوان الصفا في رسائلهم (رسائل اخوان الصفا ٢ ـ ٩٧) وتبنى هذه الفكرة واخذ بها أبو علي الحسين ابن عبد الله بن سينا المتوفى سنة ثمان وعشرين واربعمائة (النجاة ١٥٥و١٥٦) فلم تكن من بنات أفكاره كما ادعى مؤلفا كتاب قراءات في تأريخ العلوم عند

http://www.al-maktabeh.com

العرب (قراءات في تأريخ العلوم عند العرب ٧٩) كما تبنى الفكرة القزويني في كتابه عجائب المخلوقات (عجائب المخلوقات ٩٦) ٠

ولكن أخذ العرب كان أخذا انتقائيا وقد اضافوا الى هـذه النظـرية اضافات مهمة فكان مما اضافه جابر بن حيان احتمال كون الرياح المستبطنة في داخل الارض هو من باطن الارض نفسه وليس من خارجها ويعد هذا عنصرا متقدما في نظرية الزلازل (مختار رسائل جابر ٣٥) ٠

واضاف اخوان الصفا ان باطن الارض يحمى من دون أن يدخلوا لعنصر الشمس أثرا في الاحماء (رسائل اخوان الصفا ٢ ـ ٩٧) ٠ ويعد هذا عنصرا متقدما جديدا في نظرية الزلازل ٠ أما ابن سينا فقد خطا خطوة كبيرة عندما تصور أسباب الزلازل ووضع لها أساسا علميا منطقيا وجعل الاسباب كلها باطنية من باطن الارض جاعلا للعوامل الخارجية أثرا سلبيا فقد عرف الزلازل بأنها : حركة تعرض لجزء من أجزاء الارض بسبب ما تحته ولا محالة أن ذلك السبب يعرض له أن يتحرك ما فوقه والجسم الذي يمكن أن يتحرك تحت الارض هو اما جسم بخاري دخاني قوي الاندفاع واما جسم مائي سيال واما جسم هوائي واما جسم ناري واما جسم أرضي (قراءات في تأريخ العلوم عند العرب) ، وقد أشار الى تكوين الزلازل في نص آخر فقال : وربما احتبست الابخرة في داخل الارض فتميل الى جهة فتبرد بها فتستحيل ماء فيستمد مددا متدافعا فلا تسعه الارض فتنشق فيصعد عيونا وربما لم تدعها السخونة تكثف فتصير ماء وكثرت عن أن تحلل وغلظت عن أن تنفذ في مجاري مستحصفة وكانت أشد استحصافا من مجاري أخرى فاجتمعت ولم يمكنها أن تثور خارجه فزلزلت الارض واولى بأن يزلزلها الدخان الريحي وربما اشتدت الزلزلة فخسفت الارض وربما حدث حركتها دوي كما يكون من تموج الهواء في الدنان وربما حدثت من تساقط عوال هذه في باطن الارض فيموج بها الهواء المحتقن فيزلزل الارض (النجاة ١٥٥ ـ ١٥٦) وابن سينا يشير في هذا النص أيضا الى حدوث الزلازل بتأثير تساقط الاجرام السماوية النيازك والشهب ٠

جـ ـ الجيولوجيا المائية بين أرسطو واسترابو وسنيكا وابن الكرخي ٠

لقد بحث العرب في تكون الانهار ودورة الماء في الطبيعة وكانت نظرياتهم وما قدموه من تفسيرات وتعليلات منطقية تماما تطابق ما جاء به العلم الحديث فلم يعد ما اضافه العلم الحديث توسعا لما قالوه وقد اشار اخوان الصفا الى ذلك فقالوا واما الامطار التي تتكون على رؤوس الجبال فانها تفيض في شقوق تلك الجبال وخللها وتنصب الى مغارات وكهوف وأهوية هناك وتمتلىء وتكون كالمخزونة ويكون في أسفل تلك الجبال منافذ ضيقة تمر منها تلك المياه وتجري وتجتمع وتصير أودية وانهار وتذوب تلك الثلوج على رؤوس تلك الجبال وتجري

مكتبة المهتدين الإسلامية

الى تلك الاودية وتمر في جريانها راجعة نحو البحار ثم تكون منها البخارات والرياح والغيوم والامطار كما كان في العام الاول (رسائل اخوان الصفا ٢ ، ١٠١ ، ١٠٢) ويقول ابن سينا عن الابخرة في داخل الارض : وهذه الابخرة اذا انبعثت عيونا امدت البحار بصب الانهار اليها ثم ارتفع من البطائح والانهار وبطون الجبال خاصة أبخرة أخرى ثم قطرت ثانية اليها فقامت بدل ما يتحلل منها على الدور دائما (النجاة ١٥٦) » وأما القزويني فيفصل ذلك تفصيلا أدق فيعقد فصلا بعنوان تولد الانهار يقول فيه :

« اذا وقعت الامطار والثلوج على الجبال تنصب الى مغارات وتبقى مخزونة فيها في الشتاء فاذا كان في أسفل الجبال منافذ ينزل الماء من الاوشال بتلك المنافذ فتحصل منها الجداول ينضم بعضها الى بعض فيحدث منها أنهارا وأودية فان كانت الخزانات في أعلى الجبال فيستمر جريانها أبدا لان مياهها تنصب الى سفح الجبال ولا تنقطع مادتها لوصول مددها من الامطار وان كانت الخزانات في أسافل الجبال فتجري منها الانهار عند وصول مددها ثم ينقطع عند انقطاع المدد وتبقى المياه فيها واقفة كما ترى في الاودية التي تجري في بعض الايام ثم تنقطع لانقطاع مدتها .. وكلها تبتدىء من الجبال وتنتهي الى البحار فالبطائح وفي ممرها تسقى المدن والقرى وما فضل ينصب الى البحار ويختلط بالماء المالح والشمس تشرق فيها فيصعد بخارا وينعقد غيوما وتسوقها الرياح الى الجبال والبراري وتمطرها هناك وتجري في الاودية والانهار تسقي البلاد ويرجع فاضلها الى البحر ولا يزال هذا دأبها وتدور كالرحى في الشتاء والصيف الى أن يبلغ الكتاب أجله (عجائب المخلوقات ١٠٨) وهذا النصان مقدمة دقيقة وصحيحة وعملية للهيدرولوجيا .

ويرفدنا كتاب انباط المياه الخفية لابي بكر محمد بن الحسن الحاسب الكرخي (كان حيا في القرن الخامس الهجري) بأسس وطرائف عن انباط المياه الخفية هي في الواقع موسوعة علمية للتنقيب عن المياه فهو يقول :

ومن المياه ما يفيض في الارض الى أن يصل الى تربة صلبة منمة من الغيض فيقف هناك فاذا انشىء فوق ذلك المانع مجرى جرى الماء فيه على قدر قوته وهذا الماء يسميه أهل الصناعة ماء التوأب ومغايض المياه في الارض سبب العيون الجارية من غير حفر وهي مادة العروق في الارض .

وقد رأيت بقرية يقال لها كندة من نواحي سارة واديا جاريا في شعب بين جبلين عذب الماء في وسط صخرة في الماء فيها ثلاث ثقب منها ماء مر يسهل شاربه ولا شك أن مادة هذا الماء الفائر من الصخرة المذكورة ليس من ماء الوادي وانما هو من مغيض بعيد منه وتغيره من التربة التي فيها مجراه .

http://www.al-maktabeh.com

وذكر أهل السفن الجارية في البحار بأن يكون في قرارها في بعض المواضع مغيض للماء وهذا عندي محال لان سطح ماء البحر أقرب الى المركز من جميع ما يحيط به ويقرب منه الارض وقراره أقرب اليه من سطح مائه وهو ريان من الماء الاصلي فلا يغيض فيه الماء بقوة كما يزعمون الا القليل منه في خلل الارض وعروقها ٠

فان قال قائل فرضت ان الارض كرية وعليها جبال عظيمة ووهاد وصعود وحدور وهذا يخرجها من أن تكون صحيحة التدوير وكل جزء منها طالب المركز ويطلب شكلها الكري فهذا يقتضي أن تكون متحركة دائما غير ساكنة كالماء الذي يطلب بحركته شكله الكري فليس يجده لما وصفنا فهو دائم الحركة (انباط المياه ـ ٨) ٠

فالجواب أن الذي على بسيط الارض من الصعود والحدور والجبال والوهاد ليس له قدر عند عظم الارض فلا يؤثر سكونها بتة مع تكافيء كل ثقلين في جهتين متقابلتين في جهات مركز العالم ولو كانت الارض مكعبا متساوي الابعاد أو جسما من الاجسام التي يحيط بها الكرة وتكون نهاياتها سطوح مستقيمة لوقفت في مركز العالم وسكنت بعد أن يكون ما في احدى جهات المركز مكافئا لما في الجهة الاخرى المقابلة لها تقريبا وذلك أن الارض بطبعها تطلب المركز بلا دافع ولا جاذب وليست تتمكن مع صلابتها والجبال عليها أن تدور حتى تكون كرة صحيحة التدوير ومتى وجدت الارض شكلها المخلوق لها وصحة تدويرها خربت لان المـاء يعمها اذا كان زائدا على ما تسعه الخلل في باطنها وان لم يكن زائدا على ذلك كان غائرا غير ظاهر ولم انباطه ولو كان شكل الارض مكعبا مختلف الابعاد توقفت في مراكز العالم بعد أن تكون الاجزاء التي تحيل بمركزها المتقابلة متكافئة ويمنع من استدارتها الصحيحة صلابتها وكثافتها فلو كان جسما كله ترابا غير مماسك لوجدت شكلها الكري ولما كان في وجود الارض شكلها أو الماء شكله خراب الارض خلقها تعالى جده بحكمته ذات جبال ووهاد وصعود وحدور عليها مواضع بعيدة من المركز تقابلها مواضـع مكافئة لها لتعتدل الاثقال المحيطة بالمركز على التقريب فتكون الارض ساكنة وخلق دائرة معدل النهار فصار النصف من دائرة الشمس في الشمال منها والنصف الآخر في الجنوب ليكون ذلك اختلاف الازمنة وانقسامها الى الفصول التي هي الربيع والصيف والخريف والشتاء واختلافها سبب قوي لبقاء عمارة الارض والحيوان عليها ٠ (انباط المياه ـ ٩) ٠

ومن حكمة الله تعالى أنه خلق في الارض مواضع كثيرة ذات جبال متصلة بعضها ببعض في فراسخ كثيرة ذاهبة طولا وعرضا فيما بينها شعاب وبطاح وعواقيل مشتركة فاذا كان الزمان في هذا الموضع شتاء وكثف الهواء واشتد

مكتبة المهتدين الإسلامية

البرد واستحال الهواء الى الماء استحالة قوية ووقعت عليها الثلوج العظيمة لا تنقطع شتاء ولا صيفا فاذا اشتد الحر بها بمسامتة الشمس اياها وصار ذوبها مادة العيون والانهار والقنى والآبار وجري مياهها في عروق الارض والخروق التي في بطنها فصارت مادة لمنابع في أمكنة بعيدة لان الله تعالى خلق في بطن الارض مجاري للماء ضيقة وواسعة وخلق فيها حواجز وموانع من الحجر والكذان والطين الصلب منها قائمة ومنها مسطحة على وجهها وفي بطنها ومنها مائلة عن موازاة سطحها وهي كالعصب والشرايين في بدن الحيوان وخلق تربتها شديدة الاختلاف كل ذلك لئلا يغمر الماء الارض فيجد شكله الكرى ويتحير ولا يجري فكثر لذلك في مكان فلذلك يوجد في موضع في قعر قريب وفي آخر في قعر بعيد وبعض الاماكن يكون نزالا ينقطع مادة وليس على وجه الارض ماء جارا وفائرا ولا في بطنها الا ومادته من مكان هو أبعد من المركز من موضع ظهوره وجريه وفورانه لا يجوز غير ذلك بوجه من الوجوه ، ومواد الانهار العظيمة والمياه القوية من الثلوج المتراكمة في الجبال المذكورة وهي التي لا تنقطع ثلوجها ويكون ذلك في المواضع الكثيرة العرض التي يقبل بها الحيوان . ولما خلق الله الارض والماء وخلق لكل واحد منهما مادة فمادة الماء الساكن في بطنها والعيون والاودية والانهار والينابيع عليها من الامطار والثلوج فلو انقطعت قلت المياه وأدى ذلك الى خراب الارض .

وسمعت بجزائر فيها عيون قوية ماؤها عذب ولا شك أن مادتها ليست من ماء البحر المحيط بها لان سطح مياهها أسفل من سطوح أرضها ولان ماء البحر ملح وماؤها عذب بل تكون موادها من مواضع بعيدة أعلى منها والثلوج المذكورة تذوب بمسامتة الشمس لها وتتبلور الارض تحتها شتاء وصيفا فمواد الاودية العظام من هذه المواضع المذكورة ، ومما يدل على ذلك في أنها تزيد في الايام الربيع لقرب الشمس من مسامتة موضع مادتها واذابتها للثلوج التي فيه .

هذا اذا كانت مواد من ناحية الشمال واذا كانت من ناحية الجنوب فان زيادتها تكون عند حلول الشمس الميزان والعقرب لانها تقرب من مسامتة الثلوج فيها مثل النيل فانه لما كانت مادته من ناحية الجنوب كانت زيادته من وقت الخريف بأرض مصر في ناحية الشمال . واكثر مواد المياه في الشمالية من المواضع الكثيرة العرض من القطب الشمالي الكثيرة الانداء الكثيفة الهواء الذي يروم استحالته الى الماء فهي تمد الاودية والعيون وعروق الارض وخروقها . (انباط المياه ــ ١٠) .

وفي المسكون من الارض جبال على الوصف الذي تقدم ذكره يجتمع من ذوب ثلوجها والعيون والبحيرات التي في بطاحها أودية متوسطة معروفة الابتداء

http://www.al-maktabeh.com

والانتهاء قد يجتمع من العيون ومن البر أودية دون ذلك ورأيت في مواضع كثيرة نزا ظاهرا أنشاء عليه في أهبج جرى منه ماء كثير ، وكثير من الاودية العظام يكون في مجراها القريب من مادة موضعها نز قوي ·

وقال بعض الحكماء ان الهواء يستحيل ماء في بطن الارض الكثيرة البرد ويصير ذلك مادة دائمة لمياه القنى متصلة غير منقطعة يمنع الماء الساكن ومن المياه الظاهرة العيون التي نبعت من غير علاج وسببها ما ذكرنا من راغبا الى الله عز وجل في أن يزيده رفعة على رفعة ورتبة فوق رتبة حتى ينفذ في المشرق والمغرب ويغمر أهل الارض فضله وعدله ويعيد الدولة الغراء في أحسن الملابس ويقل عن سعودها قرب المناحس ويحيي معالم الدراسة وينشر أعلام الفضل الطامسة ويزيل وحشة الجور ببهجة العدل بحول الله وحسن توفيقه ·

وبعد فلست أعرف صناعة أعظم فائدة واكثر منفعة من انباط المياه الخفية التي بها عمارة الارض وحياة أهلها والفائدة العظيمة فيها فبدأت بوصف الارض وكيفية وضعها وبيان موضعها من العالم ·

● ● ●

مكتبة المهتدين الإسلامية

المصادر الاولية

١ ـ اخوان الصفا وخلان الوفا (القرن الرابع الهجري) : رسائل اخوان الصفا ـ المجلد الثاني ـ دار صادر بيروت ١٩٥٧ م ، الصفحات (٢٤ ـ ٢٧) .

٢ ـ ابن سينا (الشيخ الرئيس أبو علي الحسين) : الشفاء ـ الطبيعيات ، المعادن والآثار العلوية ـ تحقيق الدكتور عبد الحليم منتصر ، القاهرة ١٩٦٥ م ، الصفحات (٣ ـ ٢٣) .

٣ ـ السابق : النجاة ـ مصر ١٩٣٨ م .

٤ ـ البيروني ـ (أبو الريحان محمد بن أحمد) المتوفى سنة ٤٤٠ هـ ـ القانون المسعودي ـ الصفحات (٢١ ـ ٢٨) .

٥ ـ تحديد نهايات الاماكن لتصحيح مسافات المساكن ـ الدكتور بوكجانوف ـ مجلة معهد المخطوطات العربية ـ المجلد الثامن (٣٨ ـ ٦٢) .

٦ ـ جابر بن حيان : المتوفى سنة ١٦٠ هـ ـ مختار رسائل جابر ـ تحقيق بول كراوس مكتبة الخانجي ١٣٥٤ هـ (١٥ ـ ٢٨) .

٧ ـ المسعودي : (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي) المتوفى ٣٤٦ هـ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ـ ط١ مطبعة مصر ١٩٤٨ م الصفحات (٩٩ ـ ١٠٩) .

٨ ـ الكرخي : (أبو بكر محمد بن الحسن الحاسب) ، كان حيا في القرن الخامس الهجري : انباط المياه الخفية ط١ ، مطبعة المعارف العثمانية ١٩٣٩ م ، الصفحات (٣ ـ ٦٦) .

المصــــادر الحديثـة

٩ ـ جورج سارتون : العلم القديم في العصر الذهبي لليونان ، دار المعارف بمصر ١٩٧٦ م الجزء الاول .

١٠ ـ حكمت نجيب ، دكتور : دراسات في تأريخ العلوم عند العرب ، جامعة الموصل ١٩٧٧ م الصفحات ٢٩٥ ـ ٣٠٠ .

١١ ـ فؤاد سيزكين : محاضرات في تأريخ العلوم ، الرياض ، ١٩٧٩ م ، الصفحات (٨٣ ـ ٩٨) .

١٢ ـ عبد الحليم منتصر ، دكتور : تأريخ العلوم ودور العلماء العرب في تقدمه ، الطبعة الخامسة ، دار المعارف بمصر ١٩٧٧ م .

١٣ ـ ياسين خليل : المفهوم الحضاري للتراث العربي ، مجلة آفاق عربية (٨٥ ـ ٩١) العدد الثامن ١٩٧٦ م .

١٤ ـ السـابق : التراث العلمـي العربي ، جامعـة بغداد ، ١٩٧٨ م ، الصفحـات (١٠ ـ ٢١) ت ع ع .

١٥ ـ السابق : العلوم الطبيعية عند العرب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٠ م ، الصفحات (١٧ ـ ١٩) .

http://www.al-maktabeh.com

16 — Adams F. D. 1950 The birth and the development of the geological sciences. Dover publications, U. S. A. — 1954. Pages

17 — Encyclopedia Americana 1978. American corporation international need quarters 575 Lexington, Avenus. Ney York Volume 9, Pages (446 — 450).

18 — Geikie A. 1962. The Founders of Geology. Dover publications U. S. A. Pages.

19 — The New Encyclopedia, Brotamika 1977 — 1974. William Benton and publ. Vol. 6. Pages 73 — 75.

مكتبة المهتدين الإسلامية


http://www.al-maktabeh.com

بدايات الترجمة في العهد الاموي
(٤٠ ـ ١٣٢ هـ)

لطف الله القاري

تمهيـــد :

بازدياد الابحاث عن تاريخ العلوم العربية والاسلامية ظهرت آراء جديدة لم تكن معتمدة في في السابق ، ومن هذه الآراء التي يتطرق اليها هذا البحث المتواضع أن العلوم الطبيعية والترجمة لم تبدأ في العهد العباسي . وانما بدأت قبله في عهد بني أمية . ونحن هنا نتطرق الى هذه البداية بالحديث عن الترجمة في العهد الاموي .

فعندما خرج العرب من جزيرتهم يفتتحون البلدان كان لديهم المام ببعض الظواهر الطبيعية وعندهم معرفة بالطب البسيط . ولكن هذه المعارف التي كانت لديهم في عصر الجاهلية لم تكن السبب الحقيقي للاهتمام بالعلوم المختلفة . وانما نشأ ذلك الاهتمام باتساع نطاق العلوم النظرية التي رافقت انتشار دين الاسلام . فالاسلام يلزم معتنقيه بتعلم احكام القرآن الكريم والسنة النبوية . ومن هنا نشأت علوم القرآن والفقه . ثم تبع ذلك الاهتمام باللغة العربية حيث نشأ علم النحو في الاصل من باب الاهتمام بصون القرآن الكريم والعناية به . ومن علوم العربية نشأ الادب الذي كان يعرف في ذلك العهد بأنه « الاخذ من كل فن بطرف » أي الاهتمام بشتى أنواع المعارف .

وكانت الامم التي حكم العرب ديارها أهل علوم طبيعية وفلسفة . ورثوا ذلك عن الذين سبقوهم من اغريق ومصريين وكلدانيين وآشوريين وفينيقيين وغيرهم . وفي خلال العهد الاموي كانت مدارس الطب والفلسفة والعلوم منتشرة في أرجاء المملكة الاموية . في جند يسابور والاسكندرية وحران والرها ونصيبين وغـيرها .

فلما نشأ لدى العرب الاهتمام بالاخذ من كل فن بطرف أدى ذلك الى اتصالهم بالثقافات الاجنبية والتمازج ثقافيا بالامم الاخرى . ففي مجال الوظائف كان يعمل في البلاط الاموى مثقفون نصارى . ومن هؤلاء عرف القس يوحنا الدمشقي الذي كان جده منصور بن سرجون خازن المال في دمشق خلال الفتح العربي . وقد احتفظ بمنصبه هذا ، ثم وليه ابنه والد يوحنا من بعده ،

مكتبة المهتدين الإسلامية

ثم يوحنا نفسه الذي ظل يعمل في البلاط حتى سنة ٧٢٤ م حيث انصرف الى الرهبنة وتأليف الكتب (١) ٠

ومن الذين اتصلوا بالبلاط الاموي ساويرا سابخت أسقف قنسرين اليعقوبي المذهب ٠ وقد كان ممثل الحركة الادبية السريانية في الشام على عهد الامويين ٠ وكما جادل الموارنة في بعض شؤون الدين المسيحي بحضرة معاوية ابن أبي سفيان سنة ٦٥٩ م (٢) ٠

وقد اختلط العرب بالعجم في السكنى ، فكان أكثر من نصف أهل الكوفة من الموالي الذين كانوا يحتكرون الحرف والصناعة والتجارة (٣) ٠ وكان السنديون في البصرة هم أهل الحساب والصيرفة ، فما وجد صيرفي في البصرة الا وكان صاحب صندوق ماله سندي(٤) ٠

فاذا علمنا أن الكوفة والبصرة مدينتان بنيتا للجنود العرب في عهد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه واتسعتا بمرور الزمن الى أن صارتا مركزين هامين للثقافة العربية كما أدركنا حال المدن الاخرى التي كانت في الاصل أعجمية واستوطنها العرب ٠

فكان العرب والعجم يعيشون معا متجاورين ، وكانت النتيجة الحتمية للاختلاط بين العرب والعجم أن بدأ العرب يرغبون في معرفة شيء من ثقافات الامم الاخرى ٠ وكانت الاديرة أهم المراكز الثقافية التي قصدها العرب للهو في البداية ٠ ثم أخذوا يتعرفون على ما في تلك الاديرة من ثقافة بعد ذلك ٠

فمعروف أن الاديرة تقام في أماكن خالية غالبا ، فاذا صادف أن مر بجانب أحد تلك الاديرة واحد من ذوي النفوذ العرب فانه كان يلجأ الى أهله يستريح لديهم مقابل أجر ٠ ثم صاروا يقصدونها من أجل التنزه والاستمتاع بالشرب وسماع الطرب ٠ والكثير من القصص المتفرقة في كتب الادب كالاغاني ، وما رواه ياقوت الحموي في مادة « دير » بمعجم البلدان ، تريانا كيف أن كثيرا من أهل العصر الاموي أقاموا مددا في بعض الاديرة للاستراحة او للهو ٠ ولكن الامر تطور بعد ذلك الى أن صار بعضهم يقصد هذه الاديرة لكي يتتلمذ في الفلسفة والحكم والآداب على أصحابها ٠ قال مالك بن دينار المحدث : « كنت مولعا بالكتب أنظر فيها ، فدخلت ديرا من الديارات ليالي الحجاج ٠ فأخرجوا

---

١ ــ فجر الاسلام لاحمد أمين ١٣٤ ، وتاريخ العرب لفيليب حتي ٣١٤ ٠
٢ ــ خطط الشام لكرد علي ١٩/٣ ٠
٣ ــ فجر الاسلام لاحمد أمين ٠
٤ ــ الحضارة الاسلامية للشكعة ١٢٩ ٠

http://www.al-maktabeh.com

كتابا من كتبهم فنظرت فيه ، فاذا فيه : يا ابن آدم ، لم تطلب علم ما لم تعلم وأنت لا تعمل بما تعلم »(٥) ٠

ومن أحد هذه الاديرة افتى القس يعقوب الرهاوي الذي كان أسقفا على الرها ثم اشتغل بالتدريس والتأليف ، أفتى رجال الدين النصارى بأنه يحل لهم أن يعلموا أولاد المسلمين التعليم الراقي(٦) ٠ فهذا يدل على ابداء بعض المسلمين الرغبة في تعلم « العلم الراقي » ٠

ولهذا فاننا نرى من خلال احاديث كبار العرب في ذلك العصر أنهم اكتسبوا معارف ما كانوا يكتسبونها لولا أن تعلموا شيئا من الفلسفة وآداب الامم الاخرى مما كان غير مألوف قبل العصر الاموي ٠ فمن ذلك قول خالد القسري حاكم العراق في عهد هشام بن عبد الملك في احدى خطبه يثني على الله جل وعلا : « كنت كذلك ما شئت أن تكون ، لا يعلم كيف أنت الا أنت ، ثم ارتأيت أن تخلق الخلق ، فماذا جئت به من عجائب صنعك ؟ والكبير والصغير من خلقك ٠ والظاهر والباطن من ذرك من صنوف أفواجه وأفراده وأزواجه ٠ كيف أدمجت قوائم الذرة والبعوضة ، الى ما هو أعظم من الاشباح التي امتزجت بالارواح » (٧) ٠

وخطب نصر بن سيار حاكم خراسان في آخر العهد الاموي يقول : « ألا ان بهراسيس كان مانح المجوس يمنحهم ويدفع عنهم ، ويحمل أثقالهم على المسلمين ٠ ألا ان اشبداد بن جريجور كان مانح النصارى ٠ ألا ان عقيبة اليهودي كان مانح اليهود يفعل ذلك ٠ الا اني مانح المسلمين أمنحهم وادفع عنهم وأحمل أثقالهم على المشركين » (٨) ٠

ومن أقوال نصر بن سيار كذلك : « كان عظماء الترك يقول للقائد العظيم القيادة : لا بد ان فيه عشر خصال من أخلاق الحيوان : سخاء الديك ، وتحنن الدجاجة ، وقلب الاسد ، وحملة الخنزير ، وروغان الثعلب ، وختل الذئب ، وصبر الكلبة على الجراحة ، وحذر الغراب ، وحراسة الكركي ، وهداية الحمام » (٩) ٠

---

٥ ــ حلية الاولياء لابن نعيم ٢/٣٧٥ ٠

٦ ــ فجر الاسلام ١٣٢ ٠

٧ ــ عيون الاخبار لابن قتيبة ٢/٢٤٦ ٠

٨ ــ تاريخ الطبري ٥/٤٩٢ ٠

٩ ــ الحيوان للجاحظ ٢/٣٥٣ ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

فخطبة خالد القسري التي تحمل في طياتها معرفة بالحكم والفلسفة الاجنبية وأحاديث نصر بن سيار التي تنطوي على معرفة بآداب الامم الاخرى تدل دلالة واضحة على اختلاط العرب بالاعاجم ثقافيا واخذهم عنهم ٠

ولم يكن الاتصال الثقافي بالاعاجم مقصورا داخل المملكة الاموية ، فقد كانت السفارات لا تهدأ بين دمشق والقسطنطينية ، وكذلك كان الرسل من الصين ويعودون اليها وهكذا ٠ فالمصادر الصينية تذكر ان الامويين أرسلوا ١٦ بعثة الى هناك (١٠) ٠ أما المصادر العربية فتذكر أن ملك الصين كتب الى معاوية بن أبي سفيان يقول : « أما بعد ، فاني قد أرسلت اليك هدية ٠ وليست بهدية ، ولكنها تحفة ، فابعث الي ما جاء به نبيكم من حرام وحلال ، وابعث الي من يبينه ، والسلام » (١١) قال راوي القصة : « وكانت الهدية كتابا من سرائر علومهم ، فيقال انه صار بعد ذلك الى خالد بن يزيد بن معاوية ٠ وكان يعمل منه الاعمال العظيمة من الصنعة وغيرها » (١١) ٠

ويبدو أن رحلات فردية كثيرة تمت بغرض التجارة بين الصين والعالم الاسلامي ٠ لان منتجات الصين كانت منتشرة في العالم الاسلامي كالحرير والخزف الصيني ٠ ومن أولئك الرحالة رجل أدرك عهد المنصور ثاني حكام العباسيين ، فقد روى بعض المؤرخين انه تعرض للمنصور ينصحه ويقول : « وقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر الى أرض الصين ٠ فقدمتها في بعض أسفاري وقد أصيب ملكهم بسمعه ٠ فبكى يوما بين يدي وزرائه ، فقالوا له : ما أبكاك أيها الملك لا بكت عيناك ؟ فقال : أما اني لست أبكي للبلية التي نزلت بي ، ولكني أبكي لمظلوم يصرخ ولا أسمع صوته ٠ ثم قال : أما ان ذهب سمعي فان بصري لم يذهب ٠ نادوا في الناس : ألا يلبس ثوبا أحمر الا مظلوم ٠ ثم كان يركب الفيل طرفي النهار وينظر هل يرى مظلوما » (١٢) ٠

وقد ظهر تأثير الفلسفة اليونانية والآداب النصرانية في بعض المذاهب الاسلامية المتطرفة ٠ فظهر مذهب القدرية بتأثير الديانة النصرانية ، فكان أول من تكلم في القدر رجل من أهل العراق كان نصرانيا فأسلم (أو تظاهر بالاسلام) ثم عاد فتنصر ٠ واخذ عنه ذلك المذهب معبد الجهني وغيلان الدمشقي ٠ وقتل معبد على يد الحجاج ، وغيلان على يد هشام بن عبد الملك (١٣) ٠

---

١٠ ـ تاريخ المسلمين في الصين لولي الدين حي ١٦ ٠
١١ ـ التحف والذخائر ٩ ٠
١٢ ـ الموفقيات لابن بكار ٣٩٦ ومصادر أخرى عدة ٠
١٣ ـ فجر الاسلام ٢٨٥ ٠

http://www.al-maktabeh.com

ونشأت في ذلك العصر فكرة الجبر والاختيار التي ترجع الى أبان بن سمعان الذي أخذ عن طالوت بن أعصم اليهودي (١٤) ٠

وفي أواخر العهد الاموي صار كبار علماء الدين الاسلامي على معرفة واسعة بفنون المنطق والجدل والفلسفة ، فظهرت فرقة المعتزلة دفاعا عن الاسلام ضد خصومه الذين كانوا يتخذون المنطق اليوناني والفلسفة اليونانية سلاحا لهم ٠ فتسلح المعتزلة بالسلاح ذاته ، وانبروا يدافعون عن الاسلام بالمنطق والافكار الفلسفية (١٥) وكان الامام جعفر الصادق على معرفة بالمنطق أيضا حيث كان يجادل الملحدين بالاساليب العقلية مجادلات طويلة أورد بعضها الحافظ ابن نعيم في كتابه « حلية الاولياء وطبقات الاصفياء » ٠

ترجمات ذلك العصر :

كان ما مضى في الاسطر السابقة محاولة للتمهيد للحديث عما تم ترجمته في هذا العصر ، وذلك لكي نضع القارىء في صورة تمثل التفاعل والتمازج بين الثقافة العربية والثقافات الاخرى قبل الحديث مباشرة عن الترجمات ، لئلا نصبح « حكواتية » نقول للقارىء : « تم في ذلك العصر ترجمة كذا وكذا » دون ان نحاول اقناعه بأن ذلك العصر كان فيه جو وبيئة صالحة للترجمة ٠ لان الحديث عن انشغال العرب بالعلوم الطبيعية والفلسفة في عصر سابق للعصر العباسي ٠ يعد حديثا جديدا ، فلهذا كان لا بد للتمهيد والاقناع ٠

١ ــ وقد اختلف المؤرخون المعاصرون حول أول ترجمة تمت في ذلك العهد وتخبطوا خبط عشواء فصار كل واحد منهم يدلي برأي مختلف ، لان الثقافة والعلوم في هذا العصر لم تؤرخ كما حدث ٠ فنجد مثلا المستشرق نللينو يرى أن أول كتاب ترجم الى العربية تمت ترجمته سنة ١٢٥ هـ أي في أواخر العهد الاموي امتد من سنة ٤٠ هـ الى سنة ١٣٢ هـ ٠ وبعض المؤرخين ينقل مباشرة ما رواه محمد بن اسحق النديم في كتابه « الفهرست » من أن أول ترجمة تمت على يد خالد بن يزيد بن معاوية حوالي سنة ٨٠ هـ أو ما حولها ٠ وفيليب حتي يرى أن أول كتاب علمي بلغة الاسلام كانت ترجمة ماسرجويه قبيل عهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه حوالي سنة ٩٠ هـ أو ما حولها ٠

ونحن هنا سنناقش كل هذه الترجمات مناقشة مفصلة ، ولكننا يجب في البداية أن نذكر أن أول ترجمة في العهد الاموي تمت على عهد معاوية بن أبي سفيان الذي توفي سنة ٦٠ هـ ٠

---

١٤ ــ فجر الاسلام ٢٨٥ ٠
١٥ ــ المصدر السابق ٢٩٩ ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

كان معاوية مغرما بالاطلاع على سير الملوك الذين سبقوه وسياساتهم . وقد استدعى لهذا الغرض عبيد بن شرية الجرهمي ليقص عليه أخبار الأمم الماضية ، وأمر كتابه أن يدونوا قصص ابن شرية ، فجمعت في كتاب طبع بالهند . وهو مجلدة واحدة تحتوي على كتاب « التيجان في ملوك حمير » لوهب ابن منبه و « أخبار عبيد بن شرية الجرهمي في أخبار اليمن واشعارها وانسابها » بتحقيق المستشرق كرنكو ونشر دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد سنة ١٣٤٧ هـ ١٩٢٩ م .

فنستنتج من هذا أن معاوية كان لديه كتاب ينسخون له الكتب . ولم يكن اطلاع معاوية مقصورا على المصادر العربية ، بل ترجمت له كتب أخرى كما يدل على ذلك كلام المسعودي الذي تحدث عن برنامج معاوية اليومي قائلا : « ثم يدخل فينام ثلث الليل . ثم يقوم فيقعد ، فيحضر الدفاتر فيها سير الملوك واخبارها والحروب والمكائد . فيقرأ ذلك عليه غلمان له مرتبون ، وقد وكلوا بحفظها وقراءتها . فتمر بسمعه كل ليلة جمل من الاخبار والسير والآثار وانواع السياسات » (١٦) .

قال جرجي زيدان معلقا على خبر المسعودي : « والغالب في اعتقادنا أن تلك الكتب كانت باللغتين اليونانية واللاتينية . وفيها أخبار اليونان والرومان كالاسكندر ويوليوس قيصر وهنيبال ، وان الغلمان يفسرونها له بالعربية » (١٧) .

أما أنا فأعتقد أن عملية قراءة الكتب باليونانية أو اللاتينية ، ثم ترجمتها ترجمة فورية الى العربية عملية مملة وشاقة في الوقت نفسه . وانما الغالب هو أن الكتب قد ترجمت من قبل الى العربية ثم كانت تقرأ له .

٢ ــ ومن الكتب التي ترجمت في عهد معاوية أو بعيده ذلك الكتاب الذي أرسله اليه ملك الصين وكان يحتوي على علوم الصناعات الصينية والحيل التكنولوجية وسبق الحديث عنه في قسم مضى من هذا البحث . حيث وصل هذا الكتاب الى حفيد معاوية خالد بن يزيد « وكان يعمل منه الاعمال العظيمة من الصنعة وغيرها » . والصنعة يراد بها السيمياء وهي الكيمياء القديمة التي كانوا يزعمون انها تمكن المرء من تحويل المعادن الرخيصة الى ذهب .

وخالد بن يزيد هذا شخصية بدت غريبة للذين لم يدققوا في دراسة هذا العصر . فقد وجدوا أن المؤرخين القدامى يحدثونهم عن أمير عربي يهتم

---

١٦ ــ مروج الذهب ٣١/٣ .

١٧ ــ تاريخ آداب اللغة العربية ٢٥٣/١ .

http://www.al-maktabeh.com

فجاة بالكيمياء والعلوم الطبيعية من دون أن يتطرقوا الى عوامل مهدت لهذا الاهتمام المفاجىء · ولهذا نجد الكثير من مثل ابن خلدون والمستشرق ألدوميلي وغيرهما ينكرون وجود شخصية كهذه تبرز من العدم فتهتم بأعقد العلوم والناس من حولها بدو غير مثقفين ·

ولهذا مهدنا لقارىء هذا البحث بالتمهيد السابق لكي نوضح أن خالدا لم يبرز هكذا من دون مقدمات ، وانما كان بروزه نتيجة حتمية لمقدمات سبقت ظهوره ·

قال محمد بن اسحق النديم : « كان خالد بن يزيد بن معاوية يسمى حكيم آل مروان · وكان فاضلا في نفسه ، وله همة ومحبة للعلوم · خطر بباله الصنعة فأمر باحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر وقد تفصح بالعربية ، وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي الى العربي » (١٨) · ثم يذكر في موضع آخر من كتابه « الفهرست » أن الذي ترجم لخالد كتب الصنعة وغيرها هو اصطفن الذي نعته بالقديم تمييزا له عن اصطفن بن باسيل المترجم الذي عاش في عهد العباسيين (١٩) ·

وقال في موضع آخر : « وهو أول من ترجم له كتب الطب والنجوم وكتب الكيمياء » (٢٠) ·

فنستنتج اذن أن كتبا كثيرة ترجمت لخالد · وهناك كتب كثيرة ترجمت له ، فقد تحدث الجاحظ عن الترجمة والمترجمين وان الكتاب المترجم لا يصل في بلاغته الى درجة الكتاب الاصلي ، ثم قال : « فمتى كان رحمه الله ابن البطريق وابن الناعمة وأبو قرة وابن هيلي وابن المقفع مثل أرسطاطاليس ومتى كان خالد مثل أفلاطون » (٢١) ·

وقال علي سامي النشار : « ومن الدلائل على علم المسلمين بالمنطق اليوناني في عهد بني أمية ما يذكر من أن خالد بن يزيد (٩٠ هـ) أمر بعض العلماء اليونانيين الذين كانوا يقيمون في الاسكندرية بترجمة الاورجانون من اليونانية الى العربية »(٢٢) · وقد اعتمد في كلامه هذا على رواية المستشرق لوكلير Leclere في كتابه « تاريخ الطب العربي » ج١ ص ٦٨ · والغالب أن لوكلير اعتمد على مخطوطات توافرت له اما في باريس واما في مكان آخر بأوربة ·

---

١٨ ـ الفهرست ٣٥٢ ·
١٩ ـ الفهرست ٣٥٤ ·
٢٠ ـ الفهرست ٥١١ ·
٢١ ـ الحيوان ٧٦/١ ·
٢٢ ـ مناهج البحث للنشار ٤ ·

مكتبة المهتدين الإسلامية

والاورجانون هو مجموعة كتب أرسطو في المنطق ٠

وقد رأينا في الاسطر السابقة كيف أن مالك بن دينار كان يدخل الى الاديرة فيقرأ فيها الكتب في عهد الحجاج بن يوسف ٠ وأغلب الظن أن تلك الكتب كانت قد ترجمت الى العربية ، وان مالك بن دينار اطلع عليها بالعربية لان الجدال بين المسلمين والنصارى كان باعثا للرهبان على التأليف عن الاسلام وترجمة الكتب المسيحية الى العربية ٠

وقد كان الحوار بين المسلمين وغيرهم من الديانات نشيطا في هذا العصر ٠ فقد سبق أن ذكرنا ان المعتزلة والامام جعفر الصادق كانوا من الذين تعلموا المنطق والفلسفة اليونانية للدفاع عن الاسلام ٠ أما الحوار بين المسلمين والنصارى فنستدل عليه من الادلة الآتية :

١ ــ أفتى القس يعقوب الرهاوي النصارى بأنه يحل لهم تعليم المسلمين الفلسفة ، وقد سبق أن ذكرنا ذلك ٠ فهذا يدل على اتصال المسلمين بالرهبان ، وهذا لا بد أن يشكل باعثا على الحوار بين الطرفين ٠

٢ ــ ترجم القرآن الكريم الى السريانية في هذا العصر«٢٣» مما يدل على أن الرهبان استعدوا لمحاورة المسلمين بترجمة كتابهم المقدس الى لغتهم ودراسته ٠

٣ ــ ألف القس يوحنا الدمشقي كتابا يرشد فيه النصارى الى طرائق الدفاع عن النصرانية ، وهو محاورة بين مسلم ومسيحي بطريقة « اذا قال لك العربي كذا فأجبه بكذا » ٠

٤ ــ تأثر بعض المشتغلين بدراسة الدين الاسلامي بالمعتقدات الدخيلة عليه من الديانات الاخرى كما سبق ذكره ٠

ويلاحظ أن مالك بن دينار كانت ترد على لسانه عبارات كثيرة قرأها في كتب أجنبية ٠ ومن ذلك أنه دخل على بلال بن أبي بردة والي البصرة فقال : أيها الامير ، اني قرأت في بعض الكتب : « من أحمق من السلطان ، ومن أغر ممن اغتر بي ٠ أيا راعي السوء : دفعت اليك غنما سمانا سماحا فاكلت اللحم وشربت اللبن وائتدمت بالسمن ولبست الصوف وتركتها عظاما تتقعقع »(٢٤)٠ ومن ذلك أيضا عبارات في الزهد رواها له صاحب « حلية الاولياء » ٠

---

٢٣ ــ مقالة لمحمد حميد الله في « المجلة العربية » عدد ٤ من السنة الاولى ٠
٢٤ ــ عيون الاخبار لابن قتيبة ١/٥٤ ٠

http://www.al-maktabeh.com

٤ ـ ثم ترجم ماسرجيوس كتابا لاهرن الطبيب ، وهو كناش (أي مجموعة مقالات مختلفة) في الطب • وكان عدد مقالاته ثلاثين زاد عليها ماسرجيوس مقالتين (٢٥) •

كان أهرن من الاطباء الذين عاشوا في الاسكندرية في عهد هرقل (٦١٠ ـ ٦٤١ م) وفي صدر الاسلام • ووضع كتابه باللغة اليونانية ، ثم نقله الى السريانية كما قال فؤاد سيد محقق كتاب « طبقــات الاطبــاء والحكماء » لابن جلجل اعتمادا على مصدر لم يذكره • أما فيليب حتي فيقول في كتابه « تاريخ العرب » : ان الكتاب ألف باليونانية وترجمه ماسرجيس من السريانية الى العربية ، وذلك اعتمادا على ابن العبري في كتابه « تاريخ مختصر الدول » • ولكن ابن العبري لم يذكر سوى أن ماسرجيس ترجم الكتاب من السريانية الى العربية ، ولم يذكر أن أهرن ألفه باليونانية ثم ترجمه الى السريانية •

ويبدو لي أن هذين الباحثين يعتقدان ان الكتاب ألف باليونانية لان لغة التأليف في الاسكندرية كانت اليونانية • ثم ترجم الكتاب الى السريانية اما عن طريق المؤلف نفسه كما قال فؤاد سيد ، واما عن طريق المترجمين السريان الذين كانوا يترجمون في أديرتهم ومدارسهم جميع العلوم والمعارف في ذلك العصــــر •

أما محمد بن اسحق النديم فيقول : ان الكتاب ألف بالسريانية (٢٦) • وأنا أعرض هذه الاقوال جميعها تاركا الفصل فيها برأي على ما يتولد من أبحاث أوسع •

وذكر ابن العبري المتوفى سنة ١٢٨٦ م أن الكتاب باللغة السريانية موجود عنده ، وانه في ثلاثين مقالة أضيفت اليه مقالتان • فاما أن المقالتين أضيفتا الى النسخة السريانية من تأليف ماسرجيس المترجم كما ذكر النديم سابقا • واما أن العبري يقصد أن المقالتين أضيفتا الى الترجمة العربية اعتمادا على ما ذكره ابن النديم فقط من دون أن يتضمن ذلك حوزته للمقالتين في النسخة السريانية •

وظلت هذه الترجمة محفوظة في مكتبة القصر لدى حكام بني أمية حتى ولي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فنشره بين الناس • قال ابن جلجل يتحدث عن ماسرجيس أو ماسرجويه كما سماه : « كان يهودي المذهب سريانيا • وهو الذي تولى في الدولة المروانية تفسير كتاب أهرن بن أعين القس الى

---

٢٥ ـ الفهرست ٤٢٧ •
٢٦ ـ الفهرست ٤٢٧ •

مكتبة المهتدين الإسلامية

العربية · وجده عمر بن عبد العزيز في خزائن الكتب فأمر باخراجه ووضعه في مصلاه ، فاستخار الله في اخراجه الى المسلمين للانتفاع به ، فلما تم له ذلك في أربعون صباحا أخرجه الى الناس وبثه في أيديهم » (٢٧) ·

ثم قال ابن جلجل : ان الذي حدثه بهذا الحديث هو ابن القوطية العالم النحوي المؤرخ الاندلسي الذي كان جده عيسى بن مزاحم مولى لعمر بن عبد العزيز · وفي أيام هشام بن عبد الملك وفدت أميرة قوطية الى الشام في قضية لها ضد أقربائها ، فتزوجها عيسى بن مزاحم وسافر معها الى الاندلس · وهناك ولد أبناؤه وحفدته الذين تحدر منهم ابن القوطية الذي نسب الى جدته المذكورة (٢٨) ·

اذن فقصة كتاب أهرن المترجم ونشره على يد عمر بن عبد العزيز رواها عيسى بن مزاحم لحفدته الذين رووها لابنائهم حتى وصلت الى ابن القوطية الذي حدث بها ابن جلجل الذي دونها في كتابه الذي ألفه بالاندلس في السنة نفسها التي ألف فيها محمد بن اسحق النديم كتابه « الفهرست » في بغداد (سنة ٣٧٧) · وقد روى النديم كما ذكرنا ان ماسرجيوس ترجم الكتاب واضاف اليه مقالتين ·

وعن النديم وابن جلجل نقل مؤرخو الطب والعلوم الآخرون القصة ، ومنهم القفطي وابن أبي أصيبعة وصاعد الاندلسي · وقد دخلت الى القصة تحريفات بمرور الزمن ، فعبارة : « تولى في الدولة المروانية تفسير كتاب أهرن » تحرفت الى « تولى في أيام مروان في الدولة المروانية تفسير كتاب أهرن » كما قال القفطي ثم « تولى في أيام مروان تفسير كتاب أهرن » كما قال ابن العبري ·

وللاسف فان الباحثين المعاصرين الذين لم يدققوا في دراسة هذا العصر نقلوا عبارة « في أيام مروان » واعتمدوا عليها · حتى ان محقق كتاب ابن جلجل نفسه يعتمد على تلك الرواية التي حرفت عن كلام ابن جلجل ·

فالكتاب اذن ترجم في عهد الدولة المروانية أو الدولة الاموية التي بدأت بفرع معاوية بن أبي سفيان ثم انتقلت بعد وفاته بأربع سنوات الى مروان ابن الحكم وأولاده فاستعمل الناس عبارة « الدولة المروانية » · أما هل ترجم الكتاب في عهد مروان بن الحكم أو لا فهذا ما لم يقله ابن جلجل ، وهو مصدر الروايات التالية له ، فلا يجوز أن يؤخذ بكلام غيره ·

---

٢٧ ــ ابن جلجل ٦٣ ·

٢٨ ــ وفيات الاعيان لابن خلكان ٤/٥ ·

http://www.al-maktabeh.com

وحدث تحريف آخر في قصة ماسرجيس أو ماسرجويه ، فهناك أكثر من شخصية تدعى ماسرجويه ، أحدهما هو صاحبنا الذي عاش في الدولة الاموية ، والآخر عاش في الدولة العباسية وكان معاصرا لابي نواس الشاعر (١٤٥ ــ ١٩٥ هـ) • وقد عدهما ابن أبي أصيبعة شخصا واحدا • ولكن قبول هذه الفكرة صعب جدا لبعد المدة الزمنية بينهما •

والمرجح عندي هو أن النديم الذي كان وراقا أدق تسمية ماسرجيس لانه رأى كتابه ، وكان هو صاحب الرواية التي تفيد بأنه أضاف مقالتين الى الكتاب الاصلي • أما ماسرجويه فقد عاش في العصر العباسي وعرف حتى أخذ أبو بكر الرازي عنه • وبعد ابن جلجل وابن القوطيه الذي روى القصة في الاندلس عن مكان القصة هو الذي جعلهما يحرفان اسـم ماسرجيس الى ماسرجويه لانهما كليهما أو احدهما سمع عن ماسرجويه الذي عـاش في القرن الثاني فظن أنه هو نفسه ماسرجيس •

٥ ــ وفي عهد هشام بن عبد الملك ترجم أكثر من كتاب •

قال المسعودي : « ورأيت بمدينة اصطخر من أرض فارس في سنة ٣٠٣ هـ عند بعض أهل البيوتات المشرفة من الفرس كتابا عظيما يشتمل على علوم كثيرة من علومهم وأخبار ملوكهم وأبنيتهم وسياساتهم ، لم أجدها في شيء من كتب الفرس كخداي نامه وآئين نامة وكهنامة وغيرها • مصور فيه ملوك فارس من آل ساسان سبعة وعشرون ملكا منهم خمسة وعشرون رجلا وامرأتان• قد صور الواحد منهم يوم مات شيخا كان أو شابا • وحليته وتاجه ومخط لحيته وصورة وجهه ، وأنهم ملكوا الارض أربع مائة سنة وثلاثا وثلاثين سنة وشهرا وسبعة أيام ••• » •

الى أن قال : « وكان تاريخ هذا الكتاب أنه كتب مما وجد في خزائن ملوك فارس للنصف من جمادى الآخرة سنة ١١٣ هـ ، ونقل لهشام بن عبد الملك من الفارسية الى العربية » (٢٩) •

فهذا كتاب بالفارسية نقل لهشـام بن عبد الملك عن سياسـات الفرس وعلومهم •

ومما ترجم لهشام أو أسلافه كتب البيزرة ، أي معالجة الطيور وتربيتها • فقد كان الغطريف بن قدامة الغساني صاحب ضواري هشام مطلعا على كثير من الكتب في طب الطيور وتربيتها • قال الحجاج بن خيثم عن « كتاب الطيور »

٢٩ ــ التنبيه والاشراف ١٠٦ •

مكتبة المهتدين الإسلامية

المحفوظ في مكتبة طوب قبو سراي باستنبول : « استخرجنا هذا الكتاب من خزانة الرشيد وعرضناه على الغطريف بن قدامة الغساني صاحب ضواري هشام بن عبد الملك والوليد فعرفه • وذكر أن معاذ بن أسلم زادهم فيه كلمات لملوك الاكاسرة • وذكر أن ميخائيل بن ليون عظيم الروم لما سمع بولع المهدي بالصيد ولذته أهدى اليه كتابا كان لاوائلهم في ضواري الطير • فأمر المهدي باحضار أدهم بن محروز الباهلي • وكان قد سمع منه فيها نوادر العرب ، فأمر بأن نضيف (في الاصل : نوهب) كتابا جامعا لمقالات الحكماء والترك والفلاسفة والروم مع مجربات العرب (في الاصل : جربت بعرب) فالفنا هذا الكتاب » (٣٠) •

اذن فالكتاب من تأليف الغطريف وأدهم • أمر بتأليفه المهدي ، وذلك بالاستعانة بكتاب لملك الروم وخبرة أدهم بن محروز ومعلومات الغطريف الخاصة عن كتب ألفها الترك وغيرهم • وما مهمة الحجاج بن خيثم هنا سوى أنه كان راويا للكتاب •

وقد اطلع الغطريف على كتب أصلها من التركستان أو بلاد الترك • فقد جاء في كتاب « القانون في البيزرة » أن الغطريف قال : « وجدنا في كتاب خاقان ملك الترك كذا ••• » (٣١) •

اذن فهناك كتب في طب الطيور ترجمت في عهد الامويين • منها الكتاب المنسوب الى خاقان ملك الترك • ولعله كتاب أرسله ذلك الملك الى الامويين كهدية فنسب اليه ، مثل الكتاب الذي أرسله ملك الصين الى معاوية وذكرناه فيما مضى ذكره •

٧ ـ واذا كان صاحب ضواري هشام بن عبد الملك مطلعا على كتب البيزرة المترجمة فان كاتبه أبا العلاء سالم بن عبد الرحمن كان مترجما أو مراجعا للترجمات • قال النديم : « وكان ختن عبد الحميد • وكان أحد الفصحاء والبلغاء • وقد نقل من رسائل أرسطاطاليس الى الاسكندر • ونقلّ له وأصلح هو • له رسائل • مجموع ، نحو مائة ورقة » (٣٢) • وجاء في طبعة رضا تجدد من كتاب النديم : « أو نقل له وأصلح هو » •

وقد كان سالم صاحب ديوان الرسائل في عهد هشام • ويروي له المؤرخون

---

٣٠ ـ فهرس المخطوطات المصورة لمعهد المخطوطات العربية ج٣ العلوم ، القسم الثاني الطب ص ١٢٦ •

٣١ ـ الصيد عند العرب للباشا ص ٣٦ •

٣٢ ـ الفهرست ١٧٧ طبعة مصر •

http://www.al-maktabeh.com

مثل الطبري وصاحب « العيون والحدائق » أخبارا كثيرة تدل على أنه كان ذا نفوذ قوي في بلاط هشام · وقد نبه وعلا ذكره حين صار كاتبا لبراعته في التعبير الكتابي · وكان قبل ذلك خاملا (٣٣) ·

وقد لاحظنا ان النديم قد قال : ان سالما كان ختن عبد الحميد ، وهو يقصد عبد الحميد بن يحيى الكاتب المشهور الذي قيل فيه : « بدئت الكتابة بعبد الحميد ، وانتهت بابن العميد » · والختن في اللغة زوج الابنة أو زوج الاخت · والاقرب الى الصواب هو أن سالما كان زوج أخت عبد الحميد لان عبد الحميد كتب في ديوان بني أمية بعد سالم ، أي أنه كان أصغر منه سنا · ومن ثم فالاقرب الى الصواب أن سالما تزوج أخته وليس ابنته ·

وأول ما يتبادر الى الذهن من علاقة الكاتبين الاسرية هو أن بينهما علاقة في العمل · وهذا ما يقوله المؤرخون ، حيث يتحدثون قائلين ان سالما كان أستاذ عبد الحميد في الكتابة ·

وقد رأينا النديم يقول : ان سالما ترجم رسائل أرسطو الى الاسكندر ·

وأسرد هنا ما وصلنا مترجماً الى العربية من رسائل أرسطو الى الاسكندر ، تاركا المجال للبحث في أية واحدة منها كان من ترجمة سالم على الذين يطلعون على هذه الرسائل في أماكنها :

١ ــ رسالة أرسطو الى الاسكندر في واجبات الامير ، مخطوطة في الفاتيكان

٢ ــ رسالة أرسطو الى الاسكندر في السياسة ، مخطوطة في الفاتيكان · ومنها نسختان في كوبر يللي ، ونسخة في أياصوفيا باستنبول ·

٣ ــ سر الاسرار ونسخها كثيرة جدا مذكورة كلها في المرجع الذي بالهامش (٣٤) ·

كما أن رسالتين وجهها أرسطو الى الاسكندر طبعتا في كتاب « مقالات فلسفية قديمة » · وهما وصية أرسطو للاسكندر ورسالته اليه في السياسة المذكورة في الاسطر السابقة (٣٥) ·

٨ ــ وفي سنة ١٢٥ هـ ترجم كتاب في التنجيم اسمه «عرض مفتاح النجوم» منسوب الى هرمس الحكيم · وقد وصل الينا هذا الكتاب · ويذكر المستشرق

---

٣٣ ــ اعتاب الكتاب ص ٦٢ والعقد الفريد (انظر الفهرست الابجدي) ·
٣٤ ــ مخطوطات أرسطو بالعربية لعبد الرحمن بدوي ·
٣٥ ــ الجاحظ للحاجري ص ١٤٧ ·

مكتبة المهتدين الإسلامية

نللينو أنه « وجد نسخة منه في جملة من نيف وألف وستمائة مجلدة عربية خط يد اقتنتها في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) الماضي (١٩٠٩ م) المكتبة الامبروسيانية في ميلانو من مدن ايطاليا » (٣٦) • وهذا الكتاب يتعلق بتحاويل سني العالم وما فيها من أحكام النجوم • وهرمس هذا حكيم خرافي لم يكن له وجود قط • فكثرت فيه الخرافات بين المؤرخين الاسلاميين الذين ألفوا في تاريخ العلوم • فمنهم من قال انه اخنوخ المذكور في التوراة ، ومنهم من قال انه النبي ادريس ، ومنهم من ذكر ثلاثة هرامسة وقال عن الثالث انه « هرمس المثلث بالحكمة » • ونسبوا اليه كتبا مختلفة في التنجيم والكيمياء والسحر (٣٦) •

٩ـ وفي أواخر عهد بني أمية ظهر مترجمون كان جل نشاطهم العلمي في الترجمة • ومن هؤلاء عبد الله بن المقفع الذي ترجم كثيرا من كتب الفرس مثل « كليلة ودمنة » و « خداي نامه » و « آئين نامة » و « وكتاب مزدك » و « كتاب التاج في سيرة أنو شروان » (٣٧) • وقد توفي ابن المقفع سنة ١٤٢ هـ ٧٥٩ م • أي أنه أدرك عشر سنوات من عصر العباسيين ، ولكن هذه السنوات العشر كان منها مراحل متقاربة مضطربة في بدايتها ونهايتها وقد انتهت باعدامه حرقا على يد مبعوث المنصور العباسي (٣٨) • ويستنتج من هذا أن ابن المقفع قام بجزء من ترجماته خلال العهد الاموي وجزء منها (قد يكون أقل من الجزء الاموي) خلال العهد العباسي •

١٠ ـ ومن مترجمي أواخر العهد الاموي حسان بن أبي سنان الانباري (٦٠ ـ ١٨٠ هـ/ ٦٨٠ ـ ٧٩٦ م) الذيكان يكتب بالعربية والفارسيةوالسريانية وكان نصرانيا فأسلم • وكان يعرب الكتب بين يدي ربيعة والي الانبار على عهد السفاح أول حكام العباسيين • وقد أدرك حسان في حداثته الصحابي أنس بن مالك رضي الله عنه في عهد الامويين (٣٩) •

١١ ـ ومن هؤلاء المترجمينجبلة بن سالم، قال النديم : «جبلة بن سالم كاتب هشام • وقد مضى ذكره » (٤٠) • فهذه العبارة تعني على ما هو مرجح أن المقصود بكاتب هشام هو أبو العلاء سالم بن عبد الرحمن الذي ذكرناه ، والمقصود بجملة « مضى ذكره » هو سالم أيضا • حيث سبق أن ذكر النديم سالما في كتابه قبل هذه العبارة ، ولم يذكر جبلة قبلها •

---

٣٦ ـ علم الفلك عند العرب لنللينو ص ١٤٢ •
٣٧ ـ الفهرست •
٣٨ ـ الاعلام للزركلي •
٣٩ ـ البداية والنهاية لابن كثير ١٠/١٧٥ •
٤٠ ـ الفهرست •

http://www.al-maktabeh.com

وكان جبلة ناقلا من الفارسية الى العربية • ذكر النديم اسم كتابين نقلهما • وهما كتاب « رستم واسفنديار » وكتاب « بهرام شوس » وموضوعهما تاريخ الفرس وسياسات ملوكهم •

ونختتم بحثنا هذا بايراد أفكار عامة عن الترجمة في ذلك العصر • فمن هذه الآراء ما أورده السيوطي في رسالته « صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام » على لسان ابن كثير من « أن علوم الاوائل دخلت الى بلاد المسلمين في القرن الاول لما فتحوا بلاد الاعاجم لكنها لم تكثر فيهم ولم تنتشر ، لما كان السلف يمنعون من الخوض فيها » (٤١) •

ومن هذه الآراء ما ذكره أكثر من باحث مثل الشهرستاني في « الملل والنحل » وأحمد أمين في « فجر الاسلام » من أن المعتزلة أصحاب واصل ابن عطاء المتوفى سنة ١٣٣ هـ ٧٢٨ م طالعوا كتب الفلاسفة وتأثروا باستدلالاتهم المنطقية • وهذا واضح لان مذهب المعتزلة القائم على تحكيم العقل في النصوص الدينية متأثر تأثرا واضحا بالمنطق اليوناني •

ومن هذه الآراء ما رواه صدر الدين الشيرازي في كتاب « الاسفار الاربعة » نقلا عن « المطارحات » للسهروردي من أن المتكلمين الاوائل أمثال واصل بن عطاء وغيره كان بأيديهم مما نقله جماعة في عهد بني أمية من كتبهم من كتب قوم أساميهم كشبه أسامي الفلاسفة • فظن القوم أن كل اسم يوناني فهو فيلسوف • ووجدوا فيها كلمات استحسنوها وذهبوا اليها وفرعوها رغبة في الفلسفة • وانتشرت في الارض وهم بها فرحون (٤١) •

ومن هذه الآراء ما نص عليه احسان عباس في تقديمه لكتاب « عهد أردشير » وهو وصية من أردشير الكسري الفارسي الى الملوك بعده في تدبير الرعية من أن الكتاب قد ترجم في الغالب أيام بني أمية • ودليله في ذلك أن الكتاب كان معروفا لدى عامة المثقفين في عهد الجاحظ والمبرد ، وان الترجمة في العهد الاموي كانت نشيطة فيما يتصل بموضوعات السياسة وادارة الحكم • وقد سرد بعض أخبار الترجمة التي سبقت في هذا الفصل (٤٢) •

ومن هذه الافكار ما رواه المؤرخون عن وهب بن منبه اليماني المتوفى سنة ١١٤ هـ ٧٣٢ م من أنه كان كثير الاخبار عن الكتب القديمة عالما بأساطير الاولين ولا سيما الاسرائيليات • ويقال انه قرأ ٩٢ كتابا سماويا منها ٧٢ في الكنائس و ٢٠ بين يدي الناس في عصره ولا يعرفون أنها كتب سماوية •

---

٤١ ـ مناهج البحث عند مفكري الاسلام للنشار ص ٢ ، ٣ •
٤٢ ـ مقدمة « عهد أردشير » ص ٣٤ •

مكتبة المهتدين الإسلامية

وقد ألف كتبا في تاريخ اليمن وأخبار الانبياء وقصص الاخيار · ورووا أنه كان يعرف اليونانية والسريانية والحميرية ويقرأ خطوط الآثار القديمة(٤٣) .

فاذا صحت هذه الاخبار فانها تدل على أن كتبا دينية وتاريخية كانت منتشرة في عصره · والغالب أن وهبا يقصد أنها كانت بغير العربية · وعندما نذكر أنه ألف في تلك المواضيع بالعربية فاننا نعني ضمنيا أنه ترجم المعلومات التي قرأها بلغات أخرى الى العربية ·

ومن الروايات الضعيفة عن الترجمة في ذلك العصر ما ذكره الفيروزابادي من أن ابن القرية ترجم الكتب القديمة الى العربية (٤٤) · ويضعف هذه الرواية ما رواه المؤرخون الذين ترجموا له من أنــه كان أعرابيا لا يقرأ ولا يكتب (٤٥) ·

---

٤٣ ـ الاعلام للزركلي ·

٤٤ ـ نوادر المخطوطات ١/١٠٢ ·

٤٥ ـ الاعلام للزركلي ·

http://www.al-maktabeh.com

الترجمة : بداياتها ـ أطوارها ـ توجهاتها ـ بعض نتائجها

أ٠ شحادة كرزون

ملحوظة ابتدائية :

نفضل في هذا البحث ، أن نطلق على الحركة الواسعة لنقل العلوم ، التي باشرها العرب عن اليونان وفارس والهند وغيرهم ـ ابان القرنين الهجريين الثاني والثالث وما تلاهما ، حركة التعريب ، ولا نميل الى استعمال مطلق لفظ الترجمة (١) ، فالترجمة هي النقل من لغة الى أخرى ، فاذا استعملنا اللفظ على اطلاقه ، حيث تكون العربية طرفا فهذا يفيد النقل الى العربية ، كما يفيد النقل من العربية ٠٠ فالطرف الاول من العملية ، هو التعريب ، وهو ما يهتم به المؤتمر السنوي السادس لتاريخ العلوم عند العرب ، واما الطرف الثاني فهو التعجيم ، وكلاهما ترجمة ، بالاضافة الى أن لفظ الترجمة ليس من العربية كما يرى بعضهم (٢) ٠

حركة التعريب عبر التاريخ :

ما ان فرغ العرب المسلمون من حركة الفتح الكبرى ، واستقر بهم الحال في الامصار التي فتحوها ، حتى نشطت نفوسهم الى حركة فتح ثانية ، وهي حركة علمية ثقافية فكرية ، حفزهم اليها توقهم الى أن يتعلموا ، وأن يأخذوا من علوم الامم المجاورة لهم ، أو البعيدة عنهم ، ما شاءت لهم هممهم أن يأخذوا ٠٠

ونحن لا نعرف للعرب نشاطا في موضوع النقل هذا ، بل نجد في أخبارهم أن بعضهم قد تلقى العلم في مراكزه المعروفة آنذاك ، وان كانوا من القلة حتى ان يهود يثرب وما جاورها كانوا يطلقون على العرب لفظ الاميين ، ونجد في أخبارهم كذلك ، أن عدد المتعلمين في قريش ـ زمن مبعث الرسول (ص) ـ لم يكن يزيد عشرة أشخاص ، كما نجد في الاخبار أن ورقة بن

---

١ ـ لسان العرب : مادة ترجم ٠
٢ ـ دائرة المعارف الاسلامية ٠
٣ ـ ابن ابي اصيبعة : الحارث بن كلدة الثقفي ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

نوفل ، كان أحد الكاتبين بالعربية ، وانه كان يكتب الانجيل بالعربية أي انه كان يترجم ، أو انه كان ينقل من نسخة مترجمة الى العربية ، وأيا ما كان الامر ، فهذا يعني أن حركة ترجمة الانجيل الى العربية كانت من أولى الترجمات الى العربية ٠

ولقد كانت المراكز الثقافية الاولى في بداية اتصال العرب بعلوم غيرهم ثلاثة(٤) الاديرة الكثيرة المنتشرة في بلاد الشام ـ ومدرسة جنديسابور(٥) ـ ومدرسة حران ولقد أخذ العرب من هذه المراكز الثلاثة جميعا : فأخذوا عن الاديرة اللاهوت والفلسفة والطب ، وأخذوا عن جنديسابور الطب والفلسفة وأخذوا عن حران الرياضيات والفلسفة ٠

بدأت حركة التعريب في عصر بني أمية ، وكان الامير الاموي خالد بن يزيد أول من ترجم في الاسلام (ت ٥٨ هـ) وهو أول من أعطى اهتمامه للنقلة والفلاسفة وخصص للتعريب من وقته واهتمامه ما وسعه ، حيث كان شغوفا بالكيمياء ، وتروي الاخبار أنه صحب مسلمة بن عبد الملك بن مروان الى بلاد الروم في غزو القسطنطينية وحصل في طريق عودته على كثير من كتب اليونان ، ثم دعاه شغفه بالعلم الى أن يدعو بعض علماء الكيمياء من مدرسة الاسكندرية ، ونقل له أحدهم (الصنعة) (٦) ٠ وكان هذا الامير قد تلقى العلم على صاحب لهؤلاء المعلمين العلماء الذين استقدمهم ، وكان يقيم في دير بظاهر دمشق وهو الراهب « مريانوس » وقد نقل له هؤلاء عن اليونانية والقبطية ، وفي عهد عبد الملك (٦٤ ـ ٦٥ هـ) نقل ماسرجويه البصري كناش أهرون بن أعين من السريانية وفي عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز أخرجه من خزائن الكتب حتى ينتفع به الناس ٠

ولا يمكننا تجاوز حركة التعريب التي شملت الديوان والتي قادها عبد الملك بن مروان حيث عربت الادارة في الشام ومصر والعراق ، واذا كانت حركة النقل العلمية البحث المنظمة لم تقم برعاية الدولة رسميا ـ لذلك العهد ـ بل تمت بمبادرات أفراد ، فان التعريب الذي باشره عبد الملك للادارة كان عملا رسميا منظما واسعا يهدف الى احلال العربية ـ في الادارة ـ محل اللغات الثلاث السائدة في الاقطار الثلاثة ، وهي على التوالي : السريانية ، والقبطيه ، والفارسية ، وكذلك كان تعريبه للسكة في تلك الفترة (٧) ٠

---

٤ ـ بروكلمان : تاريخ الادب العربي ج ٤/ ٩٠ ٠

٥ ـ مدرسة للطب والفلسفة ٠ اسسها انو شروان ، قوامها الفلاسفة الذين هربوا من يومتنيان بسبب موقفه من الافلاطونية الجديدة ٠

٦ ـ الاسم الذي كان يطلقه العرب على الكيمياء ٠

٧ ـ عرب الديوان عن الفارسية صالح بن عبد الرحمن مولى بني تميم (في العراق) ٠ وابو ثابت سليمان بن سعد في الشام ٠

http://www.al-maktabeh.com

وفي عهد هشام (١٠٥ ـ ١٢٥ هـ) نقل أبو العلاء سالم ـ كاتبه ـ بعض رسائل أرسطاطاليس الى الاسكندر · وهو أحد النقلة الفصحاء البلغاء ·

تراجعت حركة التعريب قليلا في أواخر عهد الدولة الاموية وأوائل عهد الدولة العباسية بسبب احتدام الصراع بينهما الذي انتهى بظهور الدولة العباسية وزوال الدولة الاموية ·

وكان أبو جعفر المنصور (١٣٥ ـ ١٥٨ هـ) أول من بعث هذه الحركة من كبوتها فلقد استقدم عام ١٤٨ هـ (جورجيوس بن بختيشوع) رئيس أطباء جنديسابور مع تلميذيه ابراهيم وعيسى بن شهلا ، وكان متقنا للفارسية والعربية ، وله كناشه المشهور الا أن الذي نقله من السريانية هو حنين بن اسحق (١٩٤ ـ ٢٦٤ هـ) وكان هذا متقنا لليونانية والسريانية والفارسية مع تميز بالعربية حيث كان شيخه فيها الخليل بن أحمد في البصرة قبل قدومه الى بغداد واشتغاله بالطب ويذهب بعضهم الى أنه كان يشتغل بالعربية مع (سيبويه) متتلمذين على الخليل وانه هو الذي أدخل كتاب العين الى بغداد(٩) ·

كما كلف المنصور أيضا ابن البطريق (أبو يحيى) بنقل اشياء من الكتب القديمة وقد نقل في الطب من أبقراط وجالينوس · وكلف ابراهيم بن حبيب الفزاري بنقل كتاب (السند هند) في الرياضة ، ونقله بعده يعقوب بن طارق المنجم وآخرون ·· وترجم (منكة) الهندي كتاب (شاناق) في السموم ، وعرب (كنكة) الهندي أيضا كثيرا من كتب الطب والفلك ·

وراسل المنصور ملك الروم يطلب كتب الحكمة فبعث اليه بكتاب اقليدس وبعض كتب الطبيعة ، أما ابن المقفع فعلى الرغم من أنه اشتغل بنقل كتب السياسة وشؤون الملك ، ولا سيما كتاب (كليلة ودمنة) من البهلوية المنقول اليها من الهندية الا أنه عرب من الفارسية بعض كتب أرسطو وفرفوريوس كذلك ·

ويأتي الرشيد (١٧٠ ـ ١٩٣ هـ) فيولي العلم والعلماء عناية فائقة ويخص حركة النقل برعاية متقدمة ويدفعها قدما بانشائه بيت الحكمة · فقد اهتم بجلب كثير من مؤلفات اليونان من بلاد الروم بوسائل شتى ، من ذلك أنه حين فتح عمورية وانقرة ، أمر بفحص مكتباتها وجرد ما فيها من كتب الطب والفلك والرياضة والحكمة والفلسفة فاختير له منها مجموعة

---

٨ ـ تختلف الرواية في المكان الذي تعلم فيه حنين اليونانية فبعض المؤرخين يرى انه تعلمها في بلاد الروم على حين يقول آخرون انه تعلمها في الاسكندرية ·

٩ ـ حديث ينسبه ابن أبي اصيبعة الى شهاب الدين عبد الحق الصقلي النحوي ·

مكتبة المهتدين الإسلامية

نفيسة أودعها بيت الحكمة ، وجعل أمرها الى طبيبه (يوحنا بن ماسويه) الذي رأس بيت الحكمة ، وقاد حركة التعريب ، وكان أكثر ما نقل في الطب ، اضافة الى الكتب التي جمعها المنصور ٠

وكان (مسلم) أول من ولي رئاسة بيت الحكمة في عهد الرشيد وكان متقنا للفارسية واليونانية وكان ممن عهد الرشيد الى جلب كتب العلوم من بلاد الروم وكذلك سافر للغاية نفسها في عهد المأمون ٠

ويقوم التعريب في بيت الحكمة على نظام محدد فبعض النقلة يأخذون من اللغة الاجنبية الى العربية ، وآخرون يراجعون وراءهم تنقيحا وتصحيحا ، وكانت حركة النقل ـ فيه ـ تتبع دوائر اختصاص ـ تبعا للغة المنقول منها أو العلم المنقول ـ فثمة دائرة للنقل من اليونانية وأخرى من السريانية وثالثة من الفارسية ، ومن المعروف أن بعض كتب اليونان تمت ترجمتها عبر السريانية ـ من حيث هي لغة وسيطة ، وكذلك اختص بعض المعربين بنقل كتب الطب ، وبعضهم الآخر بنقل كتب الحكمة أو الرياضة أو الفلسفة أو الفلك ٠ فمدرسة حنين في النقل كانت تنقل من اليونانية الى العربية نقلا مباشرا أو من اليونانية الى العربية عبر لغة وسيطة هي السريانية ، وكان رأس هذه المدرسة يشرف على النقل واصلاح ما ينقل غيره ، وكان يمنحه المأمون زنة ما ينقل ذهبا ٠ وكذا الحال كانت بالنسبة الى اللغة الهندية ، فقد نقل منها الى العربية مباشرة كما فعل (منكـة) وابن دهن أو منها الى العربية عبر الفارسية كما في أعمال عبد الله بن علي ، وأبي حاتم البلخي وعبد الله بن المقفع ٠٠ وكانت اللغات التي ينقل منها فيه ـ بيت الحكمة ـ هـي اليونانيـة والفارسية ، والسريانية والهندية والقبطية والنبطية (٩) ٠

وما ان ابتدأ عهد المأمون (١٩٨ ـ ٢١٨) حتى أخذت حركة التعريب أقصى مداها ، فهذا الخليفة العالم كان مقربا للعلماء ، نشط النقل ، وكان يقيم اتصالات سلمية (دبلوماسية) مع ملوك عصره من الروم ، رغبة منه في الحصول على كتب أفلاطون وأرسطاطاليس وأبقراط وجالينوس واقليدس وبطليموس ويأمر بترجمتها ترجمة محكمة ولم يكتف بالاتصالات الرسمية بل راسل العلماء في بلاد الروم يحثهم ان يلتمسوا له الكتب النادرة وترغيب مقتنيها ببيعها ، فاجتمع له من ذلك الكثير ، وكان قد أرسل يحيى بن أبي المنصور المنجم الى بلاد الرلوم وهو أحد علماء بيت الحكمة ومن المعربين فيه ـ ليجمع له نفائس الكتب ، وفي عهده ذهب أولاد موسى بن شاكر لمثل هذه المهمة وبذلوا من أجل ذلك الجهد والمال ، وندبوا غيرهم من العلماء ، كي يبحثوا لهم عن مثل هذه الكتب ، ولما اجتمعت لهم حصيلة وافرة كلفـوا بتعريبهـا النقـلة

٩ ـ ترجم عنها كتاب الفلاحة النبطية ، نقله احمد بن علي ابن المختار النبطي (ابن وحشية) ٠

http://www.al-maktabeh.com

الماهرين من كل مكان ، وبذلوا لهم ما يريدون فترجموا في الهندسة والحيل وغيرهما، وكان حنين ممن ترجم لهم وحبيش بن الاعسم وثابت بن قرة (٢٣٣ ـ ٢٨٨ هـ) الذي استصحبه محمد بن موسى (أحد أولاد شاكر) معه في رحلة العودة من بلاد الروم طلبا لنفائس الكتب ٠

وكان المأمون حريصا على أن يضمن معاهداته مع ملوك الروم شرطا ينص أن يرسل له نفائس كتب الحكمة ، كما فعل في معاهداته مع قيصر الروم (ميخائيل الثالث) حين تضمنت المعاهدة بينهما ـ فيما تضمنت ـ شرطا يتنازل وفقه قيصر الروم عن مكتبة معروفة بالقسطنطينية ، فيها كتاب بطليموس في الفلك ، وهو الذي سماه العرب بالمجسطي ، وفي عهده نقل ، وكذلك حين هادن ملك قبرص ضمن بنود المهادنة أن يوافي بكتب الحكمة ولا سيما كتب أرسطاطاليس ٠

وحين كان بمصر حدث أن اكتشف في مدينة (أخميم) أثر مدفن عثر فيه على رسالة فوصل خبر الكشف الى المأمون فندب العلماء لقراءة مضمون الرسالة فقرأها له رجل من حمير(١٠) ٠

وفي عهده بلغت الترجمة الى العربية أوجها بما حشد لها من نخبة ممتازة من النقلة من أصحاب الاختصاص في شتى العلوم ٠٠ وظل الاتجاه السائد للتعريب ـ كما في عهد والد الرشيد ، نحو الحكمة والفلسفة والطب والهندسة والرياضة والفلاحة والصناعات والتاريخ والادب ، واعيدت لعهده ترجمة بعض الكتب التي تم تعريبها سابقا في عهدي المنصور والرشيد وسميت هذه الترجمة (المأمونية) تمييزا لها من الاولى ، وحيث توافرت لكتاب منها ترجمة مأمونية فهي الاوثق ٠

واذا كانت الترجمة قد بلغت أوجها زمن المأمون فانها استمرت باستمرار الخلفاء بعده وحاز النقلة مكانة رفيعة لديهم فغدوا وزراء وكتابا وأثروا ورفهوا رفاها عجيبا (١١) ٠

---

١٠ ـ كشف الظنون ـ حاجي خليفة ، (٨٧١ ـ ٨٧٢) و (٦٧٦ ـ ٦٨٢) ٠

١١ ـ في مكانتهم عند الخلفاء والامراء انظر ترجمة (يوحنا بن يشوع) ومكانته عند الموفق ، طبقات الاطباء ، ص ٢٧٦ ٠ بيروت ١٩٦٥ ٠ ومكانة جبرائيل بن بختيشوع عند المتوكل الذي كان يضاهيه في اللباس والفرش وكان عظيم المنزلة عنده وعند المهتدي ٠٠ وكذلك مكانة عيسى الرقي عند سيف الدولة طبقات الاطباء ص ٦١٠ ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

لا نستغرب هذا الاندفاع العظيم منه نحو النقل ، اندفاعا ورثه عن أبيه ، وما رآه من كلفه واهتمامه بمثل هذا الامر ، وسمع بلا شك باهتمام جد أبيه بالعولم كذلك ، فتأثر بذلك كله ، ولا نقبل تفسير مبدأ اندفاع المأمون نحو حركة النقل بما فسره به الآخرون ، من أنه رأى في نومه (أرسطاطاليس) وحادثه ، فهو تفسير مبتر تأوله القدماء ، وانما نحب أن يفهم هذا الموضوع ـ الرؤية ـ بما يفسر به من معطيات علم النفس ، من أن المرء اذا اشتغل فكره بأمر فالح عليه ، فانما يستغرقه ، ويحيط به ، في يقظته ومنامه ، ويغدو شغله الشاغل ، فهو قد رأى (أرسطاطاليس) لانه كان قد سمع عنه وعن علمه ، وتعظيم اليونان له فأثر ذلك في نفسه ، في عقله الواعي ، وعقله الباطن ، حتى انتهى الى أن رآه في نومه ، وحادثه ، والخبر كما أورده ابن أبي أصيبعه لم يحسن تفسيره من أن ذات المأمون أشبعت اشباعا حقيقيا حبا للعلم وانصرافا شديدا نحوه ما أمكنه حتى طلبه في كتب اليونان وغيرهم ، وتمت هذه الحركة المتنامية على يديه ، فاذا كان الخليفة عالما ، محبا للثقافة متقفيا لآثار المعرفة أنى كانت فان الخاصة والعامة تندفع في هذا الامر مقتدية بصاحب السلطان وهذا ما حدث بالنسبة الى حركة النقل والتعريب تماما ، حيث اندفع عدد غير قليل من الامراء والوزراء والكتاب والاسر المثقفة في الاتجاه نفسه ، ونقلت لهم كتب خاصة باسمائهم ولمكتباتهم الخاصة ، ورزقوا التراجمة ، وأجزلوا لهم العطاء ، وضمت خزائن كتبهم كنوزا من هذه المنقولات العلمية ٠

وثالث هذه الدوافع يكمن في الغاية النفعية العملية للعلم ، فخالد بن يزيد هوى الصنعة لما كان من شيوع مقولة تحول المعادن الخسيسة بوساطتها الى معادن ثمينة ، وان المنصور كان ممعودا ، فكان ميالا الى التنجيم فاهتم لذلك بالطب والتنجيم ونقلت له وبأمره آثار منها ، وينسحب الامر نفسه على الرشيد والمأمون والمعتصم والواثق من حيث كلفهم بالطب والتنجيم وتقريبهما لاعلامهما ، حتى كانوا في عداد خواصهم على الدوام ، وما الكتب التي عناها أبو تمام في مطلع بائيته في مدح المعتصم التي جعل السيف فيها أصدق أنباء منها سوى كتب التنجيم ، وقد كان الباعث لدى العرب آنذاك ـ لتعريب هذا العلم ما كان شائعا من أن النجوم والكواكب في توافقاتها وتخالفاتها في منازلها وبروجها وأفلاكها تسهم اسهاما في حياة الانسان ، خيرا أو شرا سعودا ونحوسا ، فكان هذا العلم (التنجيم) في مبدأ نقله شعوذه وخرافات فاستحال على أيديهم الى علم الفلك بما أبدعوا فيه ٠٠ ولقد كان الطبيب والمنجم اذن من المقربين الى الخليفة والوزير وصاحب السلطان ، فأما غيرهم من علماء الحكمة والرياضة وسائر العلوم ففي الحلقة الثانية من الخواص ، وهكذا كان أبرز النقلة المعربين من أرباب هذين العلمين يليهم النقلة المعربون من العلوم الاخرى ، كذلك دعتهم حاجتهم الى معرفة الاوقات وضبط الازمان ، لصلاتهم وعباداتهم وأعيادهم ومواسمهم ومواقيت فلاحتهم وزراعتهم وحصادهم التي يمارسونها

http://www.al-maktabeh.com

في أوقات معلومة من الليل والنهار وامتداد الزمان وهذا كله دفع الى الاهتمام بعلوم الحساب والفلك والفلاحة وغيرها ، ويحسن ان نذكر بمدى أهمية الوقت في تأديتهم للفرائض بالنص الصريح على الوقت في منطق الآيات الكريمة : « ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا والحج أشهر معلومات » و « شهر رمضان الذي ·· فمن شهد منكم الشهر فليصمه » ·

أطوار الترجمة واشهر المترجمين :

مرت حركة الترجمة عبر عهدين من عهود الدولة العربية : أولهما عهد الدولة الاموية وثانيهما عهد الدولة العباسية ، ففي العهد الاول كان التوجه نحو الصنعة أولا ثم الطب والادارة والسياسة ثانيا ، وكانت مدرسة الاسكندرية هي المركز المؤثر في هذه الحركة بقدوم نفر من معلميها ، وكانت اللغات المنقول منها اليونانية والفارسية والسريانية والقبطية ، وكانت الثقافة اليونانية هي المنهل الذي نهلت منه حركة التعريب تليها مرتبة الفارسية ، أما في العهد الثاني فقد توسعت حركة النقل فشمل اهتمامها علوم الطب والنجوم والحكمة والفلسفة والرياضة والفلاحة ، وتميزت برعاية الخلفاء والوزراء لها وتنافسهم في ذلك ، ومن ثم أنشئت لها مراكز منظمة نواتها بيت الحكمة ، تقوم الى جانبه مراكز أصغر خاصة وعامة ، تقتدي بها · في العهد الثاني اتسعت حركة النقل اتساعا عظيما ونستطيع ان نميز مرورها عبر ثلاثة أطوار :

الطور الاول : وهو الطور الذي بدأه المنصور والرشيد بين سنتي (١٣٦ و ١٩٣ هـ) ·

الطور الثاني : وهو الطور الذي قاده المأمون ويبدأ من (١٩٨ الى ٣٠٠ هـ) وهو أجلها ·

الطور الثالث : ويبدأ بعد سنة ٣٠٠ هـ ·

من أهم مترجمي الطور الاول يحيى بن البطريق (عن اللاتينية) وجرجس ابن جبرائيل ، وعبد الله بن المقفع ، ويوحنا بن ماسويه ، وسلام الابرش ، وباسيل المطران · كما أن من أهم مترجمي الطور الثاني يوحنا بن البطريق والحجاج بن مطر وقسطا بن لوقا وعبد المسيح بن ناعمة الحمصي وحنين بن اسحق وابنه اسحق ، وثابت بن قره الصابي وحبيش بن الحسن الاعسم ابن أخت حنين ·

وفي الطور الثالث عرف من المترجمين متى بن يونس ، وسنان بن قره ، وهلال بن هلال الحمصي ، وعيسى بن سهربخت ·

مكتبة المهتدين الإسلامية

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

تختلط فيه الشعوذة بالحقائق العلمية اختلاطا شنيعا ، ونقوه من الاوهام فولد على أيديهم علم الفلك وهو مدين لهم بالشيء الكثير ، ولا أدل على ذلك ، من أن الغرب ما يزال يحتفظ بالمسميات العربية لهذا العلم ، مع قليل من التحريف وكان العرب قد أقاموا المراصد الخاصة والعامة (٢٠) ٠

ان الملاحظ أن حركة التأليف هذه لم تتأخر عن حركة التعريب كثيرا بل انطلقت بعيدها فاستمرت وتنامت وأعطت أكلها ، وهذه الانطلاقة كانت في بعض الحالات متداخلة واياها والملاحظ ان الاطباء النقلة هم الذين قاموا بعدئذ بالتأليف في الطب ، وأن هؤلاء خلفوا وراءهم من أولادهم وحفدتهم أطباء نقلة ومؤلفين أمثال أسرة يوحنا بن ماسويه وأسرة بختيشوع وأسرة الطيفوري وأسرة حنين ، وكذلك فان الذين اهتموا بالرياضيات ترجمة هم أعلام الرياضيات تأليفا ،وتطبيقا وكشفا كأسرة أولاد شاكر ، وأسرة ثابت بن قره ، وكل واحد من هؤلاء ترجم ثم ألف في الاغلب ٠٠ وحين تقدم بهم العهد ، وهمدت حركة الترجمة ، واطمأن العرب بامتلاكهم نواصي العلوم ، بدأت تلحظ التعمق ومحاولات الكشف المبدع في القرون التالية لما سبق ، فما حققه ابن النفيس (١٢١٠ ــ ١٢٨٨ م) من كشف للدورة الدموية ــ على سبيل المثال ــ لم يتم ابان الفورة في حركة النقل بل بعد استقرارها وبروز العلماء العرب من حيث هم مبدعون وأصحاب خط واضح في العلم ٠

وهكذا نستطيع ان نقول ونحن مطمئنون وواثقون : ان العرب لم يكونوا نقلة علوم فحسب بل نقلوا ما نقلوه ودرسوه ومحصوه وتعمقوا فيه وأبدعوا بعده مما سمح بالاشارة الى عبقريات علمية في الطب (كابن سينا وابن النفيس والرازي) والرياضة (كالبيروني) والكيمياء (كجابر بن حيان) والفيزياء (كابن الهيثم) ٠

وأدى بهم تعطشهم للعلوم الى أن ينهلوا منها جميعا مما أتاح ظهور العالم الموسوعي (٢١) (العالم بالطب والرياضة والفلسفة والفلك والموسيقا والخطاط والشاعر والنحوي جميعا) الا أن ذلك لم يمنع ظهور (صاحب المسألة) المتخصص في علم واحد المتعمق في مسألة خاصة كذلك فقد أتاح لهم النقل اغناء لغتهم بالمصطلحات العلمية لكل علم وحده وقد ولدت من أصل لغتهم حيثما دعت الحاجة الى ذلك فاستوعبت العلوم التي نقلوها أولاً ثم أخذوا يفتنون لهذه العلوم تعابيرها الاصلاحية الخاصة بها ، حتى استوت لديهم منها مجموعة وافرة ، كانت من ثم مدار لتآليف ورسائل جامعة أشبه بالمعاجم يرجع اليها أصحاب الاختصاص ٠

---

٢٠ ــ أمر المأمون بانشاء مرصد في قاسيون (دمشق) وآخر في الشماسية (بغداد) وابتنى أولاد موسى مرصدا على طرف الجسر في بغداد ، وانشأ الفاطميون المرصد الحاكمي على جبل المقطم (قرب القاهرة) وبنى نصر الدين الطوسي مرصد المراغة ولعله اكبرها واهمها سنة ٦٥٧ هـ ٠

http://www.al-maktabeh.com

ولعل أهم نتائج الترجمة هذه تأصيل أثر العرب في ايصال نتاج الحضارة الانسانية الى العالم بعد أن غدوا أساتذة عصرهم ، لقد كسبت الحضارة العربية نتيجة لحركة التعريب الواسعة غنى واتساعا وعمقا ، بيد أنهم أدوا من ثم عطاء عظيما في اغناء معطيات العلوم وتقدمها وقاموا بنقلها الى غيرهم من الامم فكان هذا رصيدا لحضارة الانسان ·

طور النقل العلمي الى العربية في الحاضر :

في أحد محاور البحث في هذا المؤتمد السادس تساؤل هو : هل تؤدي حركة الترجمة في العصر الحاضر ما أدته حركة التعريب الواسعة التي قام بها العرب في عصر ازدهار حضارتهم ؟ ·· يكمن ومن غير تطويل ، ولا أخذ بأسباب الجدل ، نسلم بأن أساس أي تقدم أو نهضة علمية يكمن في البداية الصحيحة والعلم هو الاساس الصحيح ، والعلم لا يكون الا بأن تنهض له مراكز متخصصة علمية جادة ، صورة عصرية لبيت الحكمة ، مركز قومي للنقل العلمي الهادف الواعي ، الملتزم تشمل جميع العلوم وتتوافر له الاطر العلمية القادرة وترصد له الامكانات المادية لبعث حركة نقل واسعة كثيفة عميقة وتنشط مراكز البحث الجامعي وجميع مؤسسات المدنية العربية المنشودة ·

حين ازدهرت الحركة العلمية عند العرب في عصورها الزاهية قامت على دعامتين : حركة التدوين ، وحركة النقل والتعريب ، ونحسب أن ازدهار الحركة العلمية العربية المعاصرة يتم اذا توافرت له دعامتان متوازيتان هما احياء التراث العلمي العربي وبعثه وتنشيط حركة ترجمة علمية لعلوم العصر والافادة منها أقصى ما يمكن من افادة ·

محمد شحادة كرزون



٢١ ـ طبقات الاطباء ص ٣١٣ و ١٠٤ وما بعد ·

مكتبة المهتدين الإسلامية


http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

أجزاء البلاد العربية أوجد نوعا من التداخل والخلاف في التسميات في عدد المصطلحات وغيرها من الكلمات والالفاظ والاسماء المستعملة في العلوم الطبية التي هي موضوعنا ٠

ومشكلة المصطلحات الطبية واللغة العلمية من المشكلات التي تصادف في جميع اللغات ٠ فهناك اللغة الفصحى ، لغة الشعر والادب بمصطلحاتها وتعابيرها وخصائصها ٠ وهناك اللغة العامية أو الشعبية بما فيها أيضا من تعابير وكلمات ومصطلحات لا يعرفها الا من عاش في الاوساط الشعبية واعتاد على سماع هذه اللغة الخاصة ٠ وأخيرا هناك اللغة العلمية والمصطلحات الخاصة بكل فرع من فروع كل علم ٠ وهنا كثيرا ما نصادف مصطلحات يختلف محتواها من مؤلف الى آخر ومن عالم الى غيره بحسب الزاوية التي ينظر كل منهما الى الموضوع ٠ كما أن المصطلح والاسم والكلمة أمور تختلف باختلاف الشكل السريري للمرض وما شاهده العالم أول مرة أو صادفه في مرحلة معينة من مراحل تطور هذا المرض وسيره ٠

واعتمادا على هذا كثيرا ما نجد للمرض الواحد أسماء عدة وأوصافا مختلفة وكثيرا من المرادفات ٠ اضافة الى الطريقة التي درج عليها العلم اليوم باطلاق اسم عالم على مرض أو تناذر (مجموعة أعراض وعلامات) أو عرض وهذا الاسم كثيرا ما يختلف من بلد الى آخر لاسباب كثيرة ومختلفة ٠

فالترجمة هي نقل الكلمة ونقل الفكرة من لغة الى أخرى ٠ أما نقل لغة الى أخرى بصيغتها وتراكيبها دون مراعاة خصائص اللغة المترجم اليها أو المتضمن الموضوع المترجم فهو تشويه ومسخ للغتين معا وللموضوع وللفكرة ومن هذا يستنتج أن الترجمة تحتاج الى اتقان اللغة المترجم عنها واتقان اللغة المترجم اليها وثانيا أتقان المادة التي تتم الترجمة فيها ثالثا ٠

أما التعريب أي الترجمة الى العربية فهو يحتاج بالاضافة الى الشروط الثلاثة المذكورة الى شرط رابع يعد بحسب رأيي وتجربتي أساسيا وجوهريا في التعريب ، وأقصد به نقل الفكرة بصيغة عربية محض ونقل الاسم الى شكل وصوت عربيين أيضا ٠ وهذا ما قام به أجدادنا من عرب ومسلمين وغيرهما فعربوا مثلا اسم هيبوقراط ببقراط أو ابقراط وغاليان بجالينوس وأرسطاطاليس بأرسطو وبلاطون بأفلاطون ٠٠ وكلها أسماء توافق الصوت والسمع واللفظ العربي موافقة كاملة ٠

والشيء نفسه جرى في اللغات الاجنبية حين أخذت تنقل العلوم العربية الى لغاتها فصاغت المصطلحات والكلمات العربية صياغة توافق أصواتها وما

http://www.al-maktabeh.com

اعتادت عليه في ألفاظها وكثيرا ما صورت الكلمة العربية وشوهت الاسم العربي بشكل كامل . فنقلت قبلا اسم الرازي على شكل رازيس وابن سينا أفيسينا وابن زهر أفينزوار والغول الكوهول والقلى ألكالي والامبيق آلامبيق ...

لم يعد موضوع استعمال اللغة العربية في تدريس الطب وفي العلوم عامة أيضا من المشكلات التي لا تزال موضع الجدال والنقاش والخلاف ، فقد أصبحت القناعة تامة في ضرورة استعمالها وصلاحها في الدرس والتدريس لفائدتها في الفهم والحفظ والتفكير لكونها اللغة الام الاولى . ولفائدتها أيضا في تكوين أساس متين من المعرفة والعلم . ومن ثم لا بد أيضا ـ كما هي الحال ـ في أي بلد أو أي لغة ، من العودة الى المصادر والمراجع المتعددة اللغات لاكمال الثقافة ولمتابعة سير العلوم وتطورها والاستفادة من مختلف المصادر والمناهل .

وهذا هو الوضع الحالي للتعلم والتثقف . ومما لاحظناه خلال المرحلة الطويلة التي عايشنا فيها تدريس العلوم الطبية ودراستها باللغة العربية ومرحلة التعريب المستمرة وجود بعض الثغرات والعثرات في المصطلحات الطبية العربية وما يقابلها في اللغات الاخرى وذلك بحسب التعريف والحد الموضوعي لها . بالاضافة الى اختلاف التسميات من منطقة الى أخرى ومن بلد الى غيره .

ولا بد أن نشيد هنا بالجهد الكبير الذي قام به الاطباء الذين قاموا ولا يزالون بتعريب العلوم الطبية وجمع المصطلحات وايجادها ونحتها ومحاولة اشتقاقها .. كأطباء مدارس الطب في استنبول والقاهرة ودمشق . وقد تم هذا كله في المرحلة الاولى من التعريب ثم نشط ذلك في بغداد والشمال الافريقي وأفضل أن أقول الغرب العربي .

فقد زخرت المكتبة العربية بعدد كبير من المعاجم الطبية كمعجم شرف وحتي وخياط ورفيقيه والكواكبي والبعلبكي ومن ثم الموحد وغيرها على سبيل المثال .

ولننتقل الآن الى استعراض بعض هذه المشكلات ومحاولة حلها وقبل اتخاذ القرار النهائي في أمر اختيار المناسب منها بغية الوصول الى علم عربي واحد ولغة عربية واحدة .

الالتهاب والانتان :

نعلم أن الالتهاب Inflammation هو مجموع أعراض أسبابها عدة ومتعددة وهذا المجموع من الاعراض هو الوذمة والاحمرار والحرارة والالم .

مكتبة المهتدين الإسلامية



http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

الشقيقة أو الشقة :

وهما كلمتان تستعملان للافادة عن Miograine .

فالشقيقة والشقيق هما الاخ والاخت · ولكن الكلمة المستعملة والدارجة هي الشقة من الشق أي نصف الشيء · وهي الاصلح والافضل ·

الطاعـون :

وهذه الكلمة مثل رائع على الطريقة التي اتبعها أجدادنا في نحت الكلمات وصياغتها فان كلمة Plaga, Pestis, Plague . كلها تقصد الطعن والضرب ·· وهكذا كانت كلمة الطاعون ·

هذا قليل من كثير مما يصادفنا في كتابة الطب ودرسه وتدريسه بالعربية ولكنها مشكلة مرحلية لا تلبث الا أن تمر وتعود العربية لغة العلم والحضارة كما كانت في مرحلة سابقة تكاد تبلغ عشرة قرون ·

وان مرحلة التعريب التي عاناها أجدادنا العرب والمسلمون في القرنين الاول والثاني للهجرة (الثامن والتاسع للميلاد) تشبه شبها ما المرحلة التي مرت بالبلاد العربية ولا سيما سورية منها منذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر وكانت الرائدة في التعريب والتدريس بالعربية حتى الآن · فقد وفق الاطباء الذين كانوا ولا يزالون هم الذين يقومون على الترجمة والتعريب فاشتقوا بعضا من المصطلحات ونحتوا بعضها الآخر كما أوجدوا كلمات عربية جديدة كان لا بد من استنباطها وايجادها أو تبنيها لضرورة سير العلوم وتقدمها وتطورها ·

المصادر والمراجـع

١ ـ قواميس اللغة العربية ·

٢ ـ قواميس اللغتين الانكليزية والفرنسية ·

٣ ـ قواميس الاصول اللغوية ·

أثر حركة الترجمة والابداع في اللغة العربية

أ· سليمي محجوب

ان موضوع الترجمة في تراثنا العربي متشعب واسع بعيد الاغوار ، تضافرت فيه أسباب ومؤثرات كثيرة طوال مسيرة الفكر العربي خلال العصور التاريخية المختلفة ·

والترجمة ظاهرة اجتماعية قديمة ، استطاعت أن تقرب بين الانسان ونفسه وبين الشعوب بعضها بعضا ، لان من طبيعة الحضارات أن تقوم على الاخذ وعلى التفاعل والتبادل ، وما تراثنا العربي الا صورة صادقة للمعطيات التاريخية المستمرة ، والعقلية المتراكبة من اجتماع التأثيرات الناتجة من تلك المعطيات ·

والحركة الفكرية للامة لا تنبثق من ذاتها ، ولا تتدفق ينبوعا منحدرا من التلال بل ترفدها جداول متشعبة من الثقافات · وكذلك كان شان الامة العربية فقد صبت فيها روافد علمية متعددة أتتها من مختلف الشعوب التي انضوت تحت لوائها · فامتزجت الثقافة العربية بالثقافة الهندية واليونانية والفارسية ثم لم تلبث أن صهرتها في بوتقة الثقافة العربية التي عبرت عنها اللغة العربية تعبيرا دقيقا وعميقا ·

ومع اطلالة القرن الهجري الثاني · أصبحت العربية لغة الثقافة والتفكير ، والترجمة والتأليف · ولغة الفكر والتعبير · انها لغة القرآن والحديث ، لذلك سارعت الامم المنضوية تحت لواء الاسلام تتعلمها وتتكلم بها حتى انتشرت انتشارا واسعا في البلاد المستعربة كالعراق والجزيرة والشام فقط ، وفي البيئات النائية أيضا كايران وخراسان ومصر وبلاد المغرب والاندلس ·

وبعد ان كانت اللغة العربية محصورة في شمالي الجزيرة العربية لا يتكلم بها الا فئة من العرب حظهم من الخشونة عظيم تصبح لينة سهلة مرنة تتسع لآداب الهند وفلسفة اليونان وثقافة الفرس · على حين انسحبت اللغات السامية الاخرى وفي مقدمتها السريانية الى الاديرة وبعض المراكز الثقافية القديمة كمدارس جنديسابور وحران ونصيبين ·

لقد كانت اللغة العربية القناة الكبرى التي ساقت هذه الثقافات الاجنبية الى الثقافة العربية ، والمطبعة الحية التي نشرت العلوم المختلفة بأحرف عربية وجعلتها في متناول الجميع ·

مكتبة المهتدين الإسلامية

وهكذا اتسعت اللغة العربية لتصبح أداة الترجمة التي نشطت في ظل الخلافة العباسية ولا سيما في عهد المنصور والرشيد والمأمون . حيث ترجم كثير من الكتب اليونانية الى العربية . فترجم كتاب كليلة ودمنة ، وكتاب « السند هند » وكتاب أرسطو في المنطقيات والمجسطي لبطليموس وكتاب الارثماطيقي وكتاب اقليدس ، ويذكر القفطي ان ابن المقفع هو أول من ترجم للمنصور كتب أرسطو المنطقية الثلاثة من الفارسية الى اللغة العربية . وأطلق عليها تسميات عربية ، فسمي كتاب قاطيفوراس (المقولات) وكتاب باري ارميناس (العبارة أو القضايا التصديقية) وكتاب (أنالوطيقا) الذي ترجم الى العربية باسم (القياس وصورة انتاجه) .

ويلمع في عصر المأمون اسم الطبيب العربي حنين بن اسحق في الترجمة . وقد نقل كثيرا من الكتب الطبية القديمة الى اللغة العربية ومنها : كتاب « المسائل » وكتاب « العشر مقالات في العين » وكتاب « الترياق » وغيرها .

اضافة الى كتب كثيرة في الكيمياء وعلم المناظر والفلك والرياضيات وعلم الحيوان كانت قد نقلت من اليونانية الى العربية وأهمها : « كتاب الاصول في الهندسة » لاقليدس ، « والمجسطي » لبطليموس و « الترياق » لجالينوس ومختصر في النفس لارسطاطاليس .

ولم تكن اللغة العربية وسيلة نقل وترجمة فحسب ، بل كانت أداة ابداع وخلق وتأليف . لقد صلحت للتعبير عن جميع العلوم التي استقاها العرب من الشعوب الاخرى فمدتهم بثروة لفظية واسعة للتعبير عن أفكارهم ، وبمصطلحات علمية دقيقة لوصف تجاربهم وشرح نظرياتهم وعملياتهم الجراحية والكيميائية والرياضية وبتعابير لتسمية موادهم وأدواتهم والاجهزة التي استخدموها في اكتشافاتهم العملية والعلمية .

ولنتساءل الآن ما المميزات التي تتصف بها اللغة العربية ، التي أهلتها لان تقف هذه الوقفة الشامخة : من حركة الترجمة أولا والخلق والابداع ثانيا . أو لتقف هذه الوقفة التي مكنتها من أن تفتح صدرها لتتقبل هذا التقدم العلمي والتدفق الفكري الذي وفد اليها من حضارات ولغات لا تمت اليها بصلة .

لا شك في أن لغتنا العربية تتصف بالخصب والغنى ، وبالقدرة غير المحدودة على استيعاب المصطلحات العلمية الحديثة ، والتعابير والافكار الجديدة ، وهي تمتلك من التجدد والتطور ما يجعلها قادرة على أن تهضم العلوم التي نشأت في ظل الحضارة العربية أو التي نقلت اليها عن طريق الترجمة ولا سيما في العلوم والفلسفة الاغريقية .

http://www.al-maktabeh.com

واللغة العربية ذات طواعية كبرى فهي تعتمد على الاشتقاق والنحت والتصريف ، كما تتصف بخاصة الكسع وهي الحاق حرف أو حرفين أو ثلاثة بآخر الكلمة · كالحلق والحلقوم والزمهر والزمهرير ، ونحر ، نحرير ، وابن وابنم وغيرها · كذلك تعتمد على القياس لتجعل ما لم يكن عربيا من الكلام عربيا · وكما قال ابن جني « ما قيس على كلام العرب فهو منه » · كذلك خضع كثير من الكلمات الوافدة من غير العربية لاوزان اللغة العربية بعد أن طرأ عليها بعض التغيير مراعاة للجرس العربي وطريقة النطق العربي ·

وان اللغة العربية تفوق السريانية في القدرة على التعبير العلمي والفلسفي كما تفوق أختها العبرانية من حيث الطواعية والاشتقاق ، لذلك قال عنها ماسينون : « انها لغة الحكمة ولغة الالهام » ·

ويبين لنا الجاحظ خصائص اللغة العربية ، كما يوضح الفرق بين لغة العرب ولغة الفرنج فيقول « ··· والدليل على أن العرب أنطق ، وأن لغتها أوسع وان لفظها أدل ، وأن أقسام تأليف كلامها أكثر · والدليل على أن البديهة مقصورة عليها ، وأن الارتجال والاقتضاب خاص فيها » (١) ·

وهذا ايضاح صادق عن طبيعة اللغة العربية ، وطرائق بنى ألفاظها ، وبناء العبارة فيها ، وما يعرض لها من صلة بغيرها أو انقطاع عنها · ولما كانت العربية لغة القرآن والدين فقد دانت لها شعوب العالم وحضاراتهم ، وفرضت نفسها على عقولهم ، فأصبحت لغة العلم والادب ، ولغة التخاطب في كل أرض حلت بها ·

وبذلك انحسر سلطان اللغات السامية القديمة ليحل محلها لغة عربية متطورة ، قادرة على خلق علم جديد يتمثل العلوم اليونانية والفارسية والهندية ·

وهكذا ألف العلماء العرب كتبهم باللغة العربية الفصحى في مختلف العلوم ففي الطب بلغت مؤلفات الرازي وحدها حوالي ستة وخمسين كتابا أهمها كتاب « الحاوي » وكتاب « المنصوري » و « كتاب دفع مضار الاغذية » ورسالته المعروفة في « الجدري والحصبة » · كما كانت مؤلفات ابن سينا في الطب كثيرة جدا · ومن منا لا يعرف كتاب « القانون » الذي كان موسوعة طبية شاملة ، وكتاب « تذكرة الكحالين » لعلي بن عيسى الكحال الذي اكتسب مكانة كبيرة في أوربة · وترجم من اللغة العربية الى اللاتينية والعبرية ·

---

١ ــ البيان والتبيين ج١ ، ص ٢٤٣ ·

مكتبة المهتدين الإسلامية

وكذلك تدفقت اللغة العربية لتعبر ببيان واضح عن أدق العلوم بأدق العبارات ففي علم الحساب وبعد ترجمة كتاب « سند هانتا » وهي رسائل هندية في علم الفلك الى العربية باسم « السند هند » أمر المنصور أن يؤلف على نهجه ، فألف كتاب « السند هند الكبير » وعمل به حتى عصر المأمون . حيث أعاد كتابته وقام بتصحيحه الخوارزمي . ومن هذا الكتاب أخذ العرب عن الهنود نظام الترقيم . اذ وجدوه أفضل من النظم الحسابية التي كانت شائعة بينهم . كما أوجدوا طريقة الاحصاء العشري واستعمال الصفر ، وقد ترجمت اللفظة الهندية (سوفيا) الى العربية باسم (الصفر) وانتقلت الى الغرب باسم (Cipher) ، (Chiffer) ، ypher) وبطريق الاختصار أصبحت هذه الكلمة Zero كما في الانكليزية .

وقد كان للمؤلفات العربية التي وضعها العرب في هذا المضمار تأثير كبير في الحركة العلمية في الغرب . ومن أهم من ألف بالعربية في علم الحساب محمد بن موسى الخوارزمي الذي ألف كتابا ضاع أصله العربي وبقيت ترجمته اللاتينية ، وأثرت في بعض علماء الرياضيات في الغرب كرجيومونتانوس . وفي هذا دلالة واضحة على أن اللغة العربية استطاعت أن تعبر عن الحضارة العربية في مجالات ابداعها العقلية والعلمية ، وان تنقل هذه الحضارة الى الدول الاوربية لتصبح أساسا لنهضتها في العصور الحديثة .

كما أسهمت اللغة العربية أيضا في تأليف كثير من الكتب في علم الجبر منها : « الكامل في الجبر والمقابلة » لابن أسلم الحاسب المصري وكتاب « الجبر والمقابلة » وكتاب « الفخري في الجبر والمقابلة » لابي بكر بن محمد الازدي . وكتاب « المقنع في الجبر والمقابلة » لاحمد بن عماد علي المصري المعروف بابن الهائم .

ونلاحظ في هذه المؤلفات وغيرها أن علماء الرياضة العرب قد استعملوا تعاريف خاصة وتعابير عربية معينة مثل « المجهول والشيء والمال ، والكعب ومراتبها ، جزء الشيء والمال والكعب ومراتبها أيضا » . وهذا جدول يبين المصطلحات العربية التي استعملها العرب مقارنة بما يقابلها في علم الجبر الحديث :

التعابير التي استعملها العرب	ما يقابلها في العصر الحديث
ـ المجهول أو الشيء	ـ س
ـ المال = مضروب الشيء في نفسه	ـ $س \times س = س^{٢}$
ـ الكعب = مضروب الشيء في ماله	ـ $س \times س^{٢} = س^{٣}$
ـ جزء مال	ـ $\frac{١}{س^{٢}} = س^{-٢}$

http://www.al-maktabeh.com

ولفظ جزء يعني مقلوب ، أو بالتعبير الرياضي الحديث : عكس اشارة اس (٢) ·

الى غير ذلك من التعابير العربية الدقيقة التي انتقلت من اللغة العربية الى اللغة الانكليزية واللغات الاوربية الاخرى بلفظها العربي · كتعبير :

الجبر Algebar .

الخوارزمي (والمقصود حينذاك بالحساب) Algorsim .

المقابلة Almachabel .

صفر Cipher

وغيرها كثير لا يتسع المجال لذكره ·

أما في علم الهندسة فقد أخذ العرب عندما بدأت نهضتهم العلمية كتاب آقليدس في الهندسة وترجموه من اليونانية الى العربية · وتعمقوا بدراسته فمنهم من اختصره ومنهم من شرحه وعلق عليه ، كما اضافوا الى نظرياته اضافات علمية وابتكروا مسائل هندسية جديدة وتفننوا في كيفية حلها والفوا على نسقه · الا أنهم أدخلوا في مؤلفاتهم العربية قضايا جديدة لم يعرفها القدماء ، تعد أبحاثا قيمة في هذا المضمار · ولعل من أهم النظريات التي أسهم العرب وأسهمت لغتهم في التعبير عنها وبنائها بناء علميا دقيقا نظرية « الخطوط المتوازية » هذه النظرية وغيرها هي التي قادت المفكرين الاجانب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الى اكتشاف « الهندسات اللا اقليدية » ·

وقد توصل العرب الى الاشتغال بالمربعات التي هي أصلا فن صيني ، فاذا جمع بين بعض الاشكال الهندسية ظهر منها خواص أخر · لا تظهر في واحد منها على وحده وقد استخدم اخوان الصفا مثل هذه الاشكال في بعض الطلاسم والعزائم وضربوا على ذلك أمثلة كثيرة عبرت عنها اللغة العربية تعبيرا مرنا وعميقا وواضحا كقولهم في احدى رسائلهم « ما من شيء من الموجودات الرياضية والطبيعية والالهية ، الا وله خاصية ليست لشيء آخر ، ولمجموعاتها خواص ليست لمفرداتها من الاعداد والاشكال والصور والمكان والزمان والعقاقير والطعوم والالوان والروائح والاصوات والكلمات والحروف والحركات ، فاذا جمعت بينها على النسب التأليفية ظهرت خواصها وأفعالها ، والدليل على صحة ما قلنا أفعال الترياقات والمراهم والشربات والحانّ الموسيقى وتأثيراتها في الاجساد والنفوس جميعا · مما لا خفاء به عن كل ذي لب حكيم فيلسوف »(١) ·

---

١ ــ رسائل اخوان الصفا ج١ ، ص ١١٣ ·

مكتبة المهتدين الإسلامية

وقد اهتم العرب أيضا بالهندسة من الناحية العملية ، فشيدوا كثيرا من الابنية المختلفة التي نقلت نقوشها الى الحضارة الغربية وما زالت هذه النقوش تقلد الخطوط العربية في الريازة والهندسة المعمارية ، ومن الكتب العربية التي كان لها تأثير في الغرب في هذا المجال كتاب « المساحة والهندسة » لابي كامل شجاع المصري الذي ترجم من العربية الى اللغة الايطالية ·

كذلك اتسعت اللغة العربية لمصطلحات علم الفلك أو الهيئة لبعد العهد بينها وبين هذا العلم · فقد عرفته منذ جاهليتها ونطقت بأسماء كثيرة من النجوم كالصرفة والسماك وسعد الذابح وهي نجمان ، وسعد بلع وهي نجمان والدب الاكبر ويسميه العرب بالنعش وبناته الكبرى ، وهي ذنب الدب ومنها الدب الاصغر ويدخل فيه بنات نعش الصغرى والفرقدان والجدي وغيرها ·

ثم ترجمت بعض الكتب اليونانية في الفلك الى اللغة العربية وكان أولها كتاب « عرض مفتاح النجوم » المنسوب الى هرمس الحكيم · ثم قام أبو يحيى البطريق بنقل كتاب « الاربع مقالات لبطليموس » في صناعة النجوم · وترجم ابراهيم الفزاري كتاب (سندهانتا) الى اللغة العربية باسم « السند هند » · ومن المؤلفات الهامة لهذا العلم كتاب « المدخل في علم الفلك » الذي ألفه العالم الفلكي أحمد بن محمد الفرغاني ، وقد ترجم من العربية الى اللاتينية « وكان له تأثير كبير في احياء علم الفلك في أوربا » (١) ·

ومن الافكار الهامة التي حقق فيها ابن الهيثم النجاح في هذا العلم هي « أن ارتفاع القطب يساوي عرض المكان » كما أوضح « أن تأثير الانعطاف على ارصاد الكواكب عند قربها من سمت الرأس يكاد يكون معدوما · فالاخطاء التي تنشأ عن تعيين الارتفاع بوساطة الاجهزة تخلو من تأثير الانعطاف · كما تخلو من عامل زاوية اختلاف النظر ، اذ ان المسافة بين الكواكب والارض بالنسبة الى نصف قطر الارض كبيرة جدا » · وما زالت هذه الطريقة تستعمل الى عصرنا الحاضر ·

ومن المصطلحات الفلكية التي اتسعت لها اللغة العربية واستعملتها ثم انتقلت الى الغرب بأصلها العربي قولهم :

العذارى	Adara	القطربوس	Alkaturops
الجبهة	Algieba	بنات نعش	Benet nach
الغـول	Algol	ذنب العقاب	Deneb el akab
الغراب	Algorab	ذنب الجدي	Deneb el gedi

١ ــ المقتطف ، فبراير ١٩١١ ج٣ ص ١٤٧ ·

http://www.al-maktabeh.com

وغـيرها كثير ٠

ان النظر وحده في هذه المصطلحات الفلكية الكثيرة ذات الاصل العربي يدلنا على أن الغرب مدين لما قام به المسلمون والعرب من دراسات فلكية في العصور الوسطى ٠ غير أن « معظم هذه الاسماء قد تركت في الوقت الحاضر واستعيض عنها بأسماء غيرها » (٢) ٠

أما في العلوم الطبيعية فقد كانت اللغة العربية طيعة مرنـة للترجمـة وللتأليف والتعبير في علمي الكيمياء والفيزياء ٠ ويرى « همبولد » ضرورة أن يعد العرب المؤسسين الحقيقيين للعلوم الطبيعية بمفهومها الحديث ويقول : « فما أطول الزمن الذي انقضى بين ديسقوريدس الذي استخرج الزئبق من الزنجفر والعالم الكيمياوي جابر ، وما أطول الزمن الذي انقضى بين اكتشاف بطليموس في البصريات واكتشاف ابن الهيثم » ٠ وقد أضفى العرب على هذين العلمين أصالة البحث العلمي فأوجدوا منهجا سليما سموه بالعربية « المنهج الاستقرائي » وهو يعتمد على التجربة والملاحظة الدقيقة ، ويشير حاجي خليفة صاحب « كشف الظنون » الى أن خالد بن يزيد ، هو أول من تكلم في علم الكيمياء واشتغل فيها ، حيث وضع بعض المؤلفات وبين صنعة الاكسـير والميزان ٠ وذكر الجاحظ عنه « أنه كان أول من قام بترجمة كتب النجوم والطب والكيمياء الى اللغة العربية » ٠ ويشير الجاحظ وصاعد الاندلسي وابن الطقطقي الى أن خالدا كان بليغا وفصيحا ، وخطيبا وشاعرا ٠ له فيها أشعار كثيرة مطولات ومقطعات داللة على حسن تصرفه وسعة علمه » ٠

واذا كان خالد عالما وشاعرا بليغا ففي هذا دليل على تضلعه من اللغة العربية وحسن تصريفه للكلام والتعبير عن هذا العلم الدقيق ٠ ومن ثم دليل آخر على قدرة اللغة العربية ومرونتها في البحث العلمي ٠

ولا بد هنا من أن نشير الى الرائد الاول في علم الكيمياء « جابر بن حيان » الذي نسبت الكيمياء اليه فقيل « علم جابر » ٠ والعلماء الغربيون في العصر الحاضر يفرقون بين الكيماء المعرفة بـ « الـ » التعريف العربيـة "Alchemy" وبين كيمياء بغير أداة التعريف "Chemistry" فيطلقون الاسم الاول على علم الكيمياء القديم المنقول عن جابر بن حيان ، والمعروف في القرون الوسطى ٠ ويطلقون الاسم الثاني على علم الكيمياء الحديث ، بعد أن قام العلامـة الفرنسي « لافوازيه » بتهذيبه واحكام قواعده في النصف الاخير من القرن الثامن عشر الميلادي ٠

---

٢ ـ أثر العرب في الحضارة الاوربية ، جلال مظهر ، ص ٤٠٣ ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

ولنذكر هنا أيضا أن جابرا كان من علماء الفلسفة والمنطق اضافة الى كونه كيميائيا ولا بد أنه قد أخذ نفسه بثقافة واسعة في علوم العربية وكلامها للخوض في المناظرات والجدل المنطقي مما كان له أثره في كتاباته العلمية • فكان ينتهج أسلوبا خاصا في التعبير حيث كان يطلل الشرح أحيانا ويوجزه أخرى • وقد جاء في كتاب « الاشتمال » انظر الى هذا العالم كيف يتلاعب بالناس ويخرج هذه الصناعة الشريفة في المعارض المختلفة ومغزاه واحد ، وكيف يعرض مرة ، ويصرح مرة أخرى » • ولعمري فان هذا أسلوب هام من أساليب البلاغة في اللغة العربية •

وقد عرف جابر كثيرا من العمليات الكيمياوية ووصفها وصفا دقيقا وبين الاغراض من أجرائها بأسلوب عربي عريق وبعبارات عربية دقيقة من ذلك : « لتبخير ، والتحليل ، والتكليس ، والتنقية ، والاذابة ، والتلغيم ، والتبلور والتصعيد ، والتقطير ، والتشميع » وغير ذلك من العمليات الاساسية في الكيمياء •

ومن علماء الكيمياء الذين تجلت عبقرية اللغة العربية في أبحاثهم أبو بكر الرازي الذي تجرد في مصنفاته الكيميائية عن الغموض والابهام والطلاسم والتمويهات ، فوصف المواد الكيماوية وصفا دقيقا وواضحا وشرح خواصها وصفاتها وطرائق تنقيتها كما وصف الآلات الكيماوية وقسمها الى قسمين :

أ ــ آلات لاذابة الاجساد (المعادن) كالكور والمنفاخ والبوتقة والماشة وغيرها •

ب ــ آلات لتدبير العقاقير (المواد الكيميائية) منها الانبيق ، الاقداح والمستوقد والاتون وغيرها •

وانتقل هذا العلم الى أوربة وانتقلت معه ثروة من المعرفة والحقائق والتجارب والنظريات ، ومن ثم انتقلت ثروة من الالفاظ العربية التي لا تزال تستعمل في اللغة الانكليزية كما وردت عن العرب ومنها :

الكيمياء	Alchemy	كبريت	Kibrit
الكحـــل	Alcohol	الانبيق	Limbick
القلوي	Alkali	زعفران	Saffran
الاكســير	Elxir	بورق	Borax
		زرنيخ	Arsemic

http://www.al-maktabeh.com

ولا شك في أن هذه الكلمات وأمثالها بصمات واضحة لما خلفته اللغة العربية في اللغات الاوربية ومن ثم في الفكر والعلم الاوربي الحديث ·

وكما كانت التعربية لغة الكيمياء كذلك كانت لغة التعبير عن الظواهر الطبيعية ، كظاهرة « المد والجزر » مثلا · فقد شرح البيروني في كتابه « تحقيق ما لاهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة » ظاهرة المد والجزر فقال : « وأما خاصتهم فيعرفونها في اليوم بطلوع القمر وغروبه ، وفي الشهر بزيادة نوره ونقصانه » (١) ·

وكذلك شرح البيروني فكرة الجاذبية الارضية وان الارض تجذب ما فوقها نحو مركزها في كتابه « القانون المسعودي » حيث قال ببيان عربي « والناس على الارض منتصبو القامات على استقامة أقطار الكرة ، وعليها أيضا تزول الاثقال الى السفل » (٢) ·

كما عرف العرب الثقل النوعي لبعض المواد الصلبة والسائلة وقدروا ثقلها بدرجة دقيقة وبحثوا في الصوت ومنشئه وقوته · وهذا كله قادهم الى البحث في الموسيقا ووصف الآلات الموسيقية وأنواع الانغام الصادرة عنها ·

هذا ما كان من اتساع اللغة العربية لهذه الحركة الواسعة من الترجمة والنقل والتأليف · لكن أثر العربية لم يقف عند هذه الظاهرة الشكلية بل تسرب الى أعماق هذه الحركة فاثرت اللغة العربية في اللغات الاجنبية الاخرى وتأثرت ، واغتنت وأغنت وأخذت وأعطت في حركة دائمة من التفاعل والتبادل·

ان الاشعاع الفكري الذي أخذته العقلية العربية لم يكن اضافة حسابية الى ما لديها من ومضات ، بل كان لقاحا منقطع النظير في سرعته ومفعوله وعمقه وشموله وأبعاده · لقد تمخضت هذه الحركة عن عقلية جديدة وافكار عميقة · لقد لقح الفكر العربي بالعقل الهندي فأخذ عنه التأمل والتصور والخيال ، وعاطفة الزهد والتصوف ، فكان العقل الهندي من البواعث الكبرى على الحكمة والمجاري الزهدية والقصصية عند العرب ·

كما لقح الفكر العربي بالعقل الفارسي فأخذ عنه كل ما كان قد استوعبه من عنصر فارسي أو يوناني أو هندي · والحضارة الفارسية تغلب عليها المادة

---

١ ـ البيروني : « تحقيق ما لللهند ·· » طبعة لايبزغ : ١٩٢٥ م ، ص ٢٥٣ ·

٢ ـ البيروني : « القانون المسعودي » ج١ ص ٢٢ ·

مكتبة المهتدين الإسلامية

فأخذ العرب عن الفرس الزخرف والتفخيم والاطناب في الكلام والكتابة وتوسيع حقل الموسيقا وآلاتها ·

وتأثرت الافكار العربية بالعقلية اليونانية · فاكتسبت منها فلسفة منطقية بدت آثارها في فلسفة التعليل والتحليل ، والتعمق وسبر أغوار المعرفة سبرا علميا دقيقا ·

ولا بأس هنا من ان اشير الى بعض الافكار الجديدة التي اتسع لها صدر اللغة العربية نتيجة هذا البحث والاستقصاء ، فعبرت عنها تعبيرا علميا دقيقـا :

فمن ذلك ان ابن سينا جعل للتجربة سبعة شرائط هي القواعد الثلاث التي وضعها الفيلسوف المنطقي الانكليزي جون ستيورات ميل سنة ١٨٧٣ لتحقيق الفروض · وهي قاعدة الاتفاق وقاعدة الاختلاف وقاعدة التغير النسبي ، والقاعدة الاولى عند ميل Mill هي السادسة عند ابن سينا ، واما القاعدتان الثانية والثالثة عند Mill فتقابلان الثانية والثالثة عند ابن سينا (١) ·

ولمعرفة الادوية عن طريق القياس يذكر ابن سينا طرقا خمسة هي :

١ ــ سرعة الاستحالة وبطؤها ·

٢ ــ سرعة الجمود او بطؤه ·

٣ ، ٤ ، ٥ ــ الطعوم والروائح والالوان ·

وللامانة العلمية يشير ابن سينا الى ان هذه العلامات غير يقينية والاخذ بها يكون على سبيل التخمين لا على سبيل القطع·:

ومن هذه الافكار الجديدة ايضا تعريف ابن سينا لعلم الكيمياء حيث يقول : « انه سلب الجواهر المعدنية خواصها ، وافادتها خواص غيرها ، وافادة بعضها خواص بعض ، ليتوصل الى اتخاذ الذهب والفضة من غيرهما من الاجسام » ·

---

١ ــ انظر كتاب الدكتور عبد الرحمن مرحبا « من الفلسفة اليونانية الى الفلسفة الاسلامية » ص ٤٨٨ ·

٢ ــ أي امتزاج الضوء بالظلمة بنسب مختلفة ·

http://www.al-maktabeh.com

ومن هذه الافكار ايضا ما توصل اليه ابن الهيثم في علم الضوء من أراء في الاضواء الذاتية والعرضية والمنعطفة والفجر والشفق والتقازيح(٢) (وهي امتزاج الضوء بالظلمة بنسب مختلفة) والالوان والخداع البصري والهالة وقوس قزح والكسوف والخسوف وغير ذلك ٠

ومن هذه الافكار ما قدمه البيروني الذي كان قمة شامخة من قمم الفكر الاسلامي ٠ فقد حدد الكثافة النوعية لعدد من المعادن والاحجار تحديدا دقيقا يقترب من التقديرات الحديثة ٠ وكانت النتائج التي توصل اليها غير مختلفة عما توصل اليه العلماء في الوقت الحاضر الا اختلافا يسيرا ٠ فقد عرف قاعدة ارخميدس واستخدمها احسن استخدام ولئن اكتشف ارخميدس قوانين الثقل النوعي فان البيروني وغيره من العلماء قد توصلوا الى استخراج الثقل النوعي لكثير من الاجسام الصلبة والسوائل ٠ وقد ذكرها البيروني في كتابه « مقالة في النسب التي بين الفلزات والجواهر في الحجم » ٠

وعلينا هنا ألا ننسى ما كان للفلسفة من أثر في تطوير الفكر العربي ٠ فقد اصبح العقل العربي عقلا متفلسفا كما اصبح عقلا علميا واستطاعت اللغة العربية ان تعبر عن هذا العقل المتفلسف تعبيرا دقيقا ٠ والمتكلمون وعلى رأسهم المعتزلة هم أهم من تعمقوا في الفلسفة بجميع شعبها ودقائقها ومنها استطاعوا ان ينفذوا الى كثير من النظريات والافكار والآراء التي لم يسبقوا اليها ٠ فقد بحثوا في العلاقة بين الله والانسان وبين الله والطبيعة كما تحدثوا عن مسألة الجوهر الفرد او الجوهر الجزء الذي لا يتجزأ ومسألة الكمون ككمون النار في الحجر وبحثوا في الكونيات وفي قدم العالم وحدوثه أي ارتباط البحث في هذا الموضوع بالمسائل الميتافيزيقية ٠

اما المناهج التي استعملها العرب في البحث العلمي فقد كانت في غاية الموضوعية وقد ابتكروا مصطلحات جديدة لتسمية هذه المناهج فقالوا :

المنهج الاستنباطي ، والمنهج التجريبي الاستقرائي ، كما استفادوا من المقاييس والمدارك الاجنبية في مناهجهم العلمية فاستخدموا منهج الملاحظة والتجربة ، وعنوا بالتعريف والتنظيم والتقسيم والمقارنة ، والتسلسل في عرض الافكار والآراء والمذاهب والمعتقدات ، واصبحوا فحولا في التمحيص والتحليل والتدقيق والربط والتوحيد والتوفيق والغوص على المعاني تمهيدا لوضع قوانين عامة لتفسير هذه الوقائع ٠ فعبرت هذه القوانين بألفاظ عربية ومصطلحات دقيقة عن مسائل ونظريات وتعاريف علمية مبتكرة لا تقل اهمية عما توصل اليه العلماء المحدثون ٠

هذا ما كان من أثر الترجمة في المناهج العلمية الجديدة وطريقة التعبير

مكتبة المهتدين الإسلامية

عنها ، اما ما كان من أثرها في ألفاظ اللغة العربية واساليب التعبير فيها فلا يمكن عربيا ان يجحد ما للعربية من طاقة خلاقة لم تمكنها من التعبير الدقيق عن المشاعر الوجدانية والاخيلة الفنية والعواطف المتدفقة كما في عالم الادب فحسب بل اتسعت لكثير من المفردات والمصطلحات العلمية والاسماء الاعجمية التي عربتها وصهرتها في بوتقتها ٠

والاسماء المعربة كانت على ضربين :

١ ـ احدهما لا يعتد بعجمته وهو ما ادخل عليه (ال) التعريف نحو « الديباج والديوان » ٠

٢ ـ والثاني ما يعتد بعجمته وهو ما لم يدخلوا عليه (ال) التعريف كـ « موسى وعيسى » (١) ٠

وقد اوضح الجواليقي في معجمه المعروف(٢) كيف استعمل العرب اللفظ الاعجمي فقال : « اعلم أنهم كثيرا ما يجترئون على تغيير الاسماء الاعجمية اذا استعملوها فيبدلون الحروف التي ليست من حروفهم الى أقربها مخرجا ، وربما غيروا البناء من الكلام الفارسي الى أبنية العرب » (٣) ٠

ولم يحدث التعريب بين عشية وضحاها بل اخذ يتدرج الى اللغة شيئا فشيئا واخذت العربية بذلك تتطور صورا مختلفة من التطور فكان اول ما اصابها ان محيت بفضل القرآن الكريم ولغته القرشية فروق اللهجات بين القبائل المختلفة واصبحت لغة القرآن هي اللغة العامة التي يتكلمها العرب جميعا ٠ كما حدث تطور آخر في لغة التفاهم فاستخدم العرب تعبيرات مبسطة كي يفهم عنهم الموالي ويلوكوا ما يلفظون بسهولة ٠ ويستعيرون في أثناء ذلك منهم بعض الكلمات الاعجمية ولا سيما في الاطعمة وأدوات الحضارة ، وكانوا يعربونها او يبقونها على صورتها الاصلية ٠ ويعرض علينا الجاحظ في كتاب البيان والتبيين كثيرا من الكلمات الفارسية التي جرت على ألسنة أهل الكوفة ممن خالطهم من الفرس ٠ فمن ذلك انهم كانوا يسمون المسحاة « بال » والحوك او البقلة او البقلة الحمقاء « الباذورج » وملتقى اربعة طرق « جهارسوك » ويسمون السوق « وازار » والقثاء « خيارا » والمجذوم « ويذي »(٤) ويتضح

---

١ ـ انظر الجواليقي في كتابه « المعرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم » ٠
٢ ـ المصدر نفسه ، الجواليقي ص ٦ ٠
٣ ـ البيان والتبيين ج١ ص ١٩ وما بعدها ٠
٤ ـ البيان والتبيين ج١ ص ١٩ وما بعدها ٠

http://www.al-maktabeh.com

هذا التأثير ايضا في دخول مقطع « آن » الفارسي على كثير من أسماء القطائع مثل « عمران » لعمر بن عبيد الله بن معمر ، و « سويدان » لسويد ابن منجوف الشدوسي و « خالدان » لخالد بن أسيد ، و « مهلبان » لابن المهلب ·

ولعل من الطريف ان نستشهد هنا ببعض الشعر الذي يصور لنا دخول هذه الالفاظ المعربة الى اللغة العربية واستعمال كثير من الشعراء لها · فهذا الفرزدق يستخدم كلمة « البيدق والبيادق » المعروفة في لعبة الشطرنج استخداما يدل على أنه كان يعرف اللعبة وما يصيب البيدق فيها حين يتقدم الى آخر الرقعة فيصبح وزيرا · فيقول مخاطبا جريرا (١) :

ونحن اذا عدت تميم قديمها ... مكان النواصي من وجوه السوابق
منقلك ميراث الملوك وتاجهم ... وأنت للرعي بيذق من البياذق

ومما دخل في كلام العرب من كلام فارس(٢) « البهرج » وهو المعدول عن جهته ودرهم مبهرج او نبهرج أي رديء · قال بعض الرجاز :

قالت سليمى قولة تحرجا ... يا شيخ لا بد لنا من تحجبا
قد حج هذا العام من تحرجا ... فابتغ لنا حمال صدق فالنجا
لا تعطه زيفا ولا نبهرجا ·

وبهذه الصورة نفسها دخلت الى اللغة العربية كلمات نبطية « كالابلة » وهي القدرة من التمر · واخرى رومية مثل كلمة « الدرياق او الترياق » او « الطرياق » وهي لغة في الترياق و « القمقم » وهو الجرة او ما يستسقى به من نحاس · و « الفردوس » وهو البستان وقيل فردوس بالسريانية (٣) كما اخذوا « الترعة » من السريانية · وغير ذلك من الكلمات المعربة التي جمعها الجواليقي في معجمه المشهور ·

كذلك تسربت الى اللغة العربية كلمات جديدة في المنطق والفلسفة والعلوم والآلات والادوات لم تتغير بعد ان خضعت لاوزان العربية · فأخذت عن الفارسية لفظ الكيمياء والمارستان والقافور « وهي لغة في الكافور » والتوتياء والجوهر(٤) والهندسة ·

---

١ ــ نقائض جرير والفرزدق (طبعة بيفن) ص ٧٨٧ ·

٣ ــ الجواليقي : المصدر نفسه ·

٤ ــ الجواليقي : المصدر نفسه ·

مكتبة المهتدين الإسلامية

ومن السريانية (الميمر) بمعنى الباب او الفصل و « التامور » وهو الدم او دم القلب وعن اليونانية كلمة (هيولى) بمعنى (مادة) واسطقس بمعنى (عنصر) ٠

وهذه الكلمات المعربة كما رأينا ما لبثت ان تضاءل عددها وحل محلها الفاظ عربية رشيقة ومصطلحات دقيقة فترجموا « أنالوطيقا » الى التحليل والمغالطة ، « وسوفسيطيقا » الى المقولات ، و (قاطيفوياس) الى التعاليم الوافدة٠ وحدث شيء من هذا القبيل في مصطلحات العلم والفلسفة والاخلاق والمنطق ٠ فقالوا : مادة وصورة ، وجوهر وعرض ، وماهية وهوية ، وموضوع ومحمول ، وقضية وفصل ، وحد ورسم ، وتصوير وتصديق ، واستقراء وقياس ، ومقدمة ونتيجة ، وكلي وجزئي ، وعام وخاص ، وعلة ومعلول و ٠٠٠٠ الى آخره واشتقوا من هذه الاسماء أفعالا فقالوا : قدم المقدمات ، وانتج النتائج ، وصادر على المطلوب و ٠٠٠ غير ذلك ٠ كما كثر استعمال ياء النسبة (٥) كقولهم (علمي ، فلسفي ، منطقي ، رياضي ، عشوائي ٠٠٠ الخ) وفي بعض الحالات القليلة استعملت النسبة بالالف والنون على الطريقة السريانية فقالوا (نفساني ، روحاني ، جسماني ، عقلاني ٠٠ ، الخ) ودخلت (لا) النافية على الصفات بعد (ال) التعريف (اللامحدود ، اللانهائي ٠٠٠) ٠ وهكذا اتسع صدر اللغة العربية بفضل حركة الترجمة والابداع في تراثنا العربي لكثير من العبارات والمصطلحات والاستعمالات ، وقد من الكلمة الواحدة كلمات متعددة قادرة على تحمل شتى المعاني ٠ فكان لا بد من وضع المعاجم لتفسير ما ينشأ من مصطلحات او عبارات جديدة كان اهمها (كشاف اصطلاحات الفنون) للتهانوي ٠ و (التعريفات) للجرجاني ، و (الكليات) لابي البقاء ٠

ولا بد لي هنا من ان اشير الى ان حركة الترجمة هذه وان اغنت اللغة العربية وزادت من ثروتها اللفظية الا انها كلفتها مشقة لم تكن لتحتملها ومن ثم كان على اللغة ان تدفع ثمن التطور الذي اصابها ٠ « فاللغة اذا دخلت على أختها أفسدتها » كما يقول الجاحظ ٠ والذي يمحص النظر في اللغة العربية ويقارن بين ماضيها قبل الترجمة وحاضرها لا بد ان يلاحظ ان الجملة العربية قد فقدت من متانتها وانتابها بعض الضعف وتسرب اليها بعض اللحن ٠ لقد كانت قوية متينة في بداية عصر الترجمة لكنها اخذت تتغير مع الصورة الجديدة حتى لكأنها حملت اشياء فوق طاقتها ومن غير طبيعتها ٠ لكنها وان فقدت شيئا من فصاحة الجاهليين وبلاغة أرباب البيان منهم فانها مقابل ذلك قد أصبحت لغة الفلسفة والعلوم والصنائع بل لغة الحضارة ٠

---

٥ ـ المرجع في تاريخ العلوم عند العرب د٠ محمد عبد الرحمن مرحبا ص ٢٤١ ٠

http://www.al-maktabeh.com

وفي هذه الوقفة الراسخة للغة العربية وصمودها في وجه التيارات الوافدة وتقبلها لها ثم تمثلها وتطويرها واخضاعها لسلطانها رد على كل من وصفها بالعجز والقصور ، والضعف والكلالة في مسايرة الركب العلمي والتقدم الحضاري الذي نشهده في العصر الحاضر ٠

لقد شكك بعض المعاصرين في صلاح اللغة العربية لاحتواء العلوم الحديثة ٠ وقدرتها على التعبير ، ومتابعة التغييرات العلمية السريعة ولا سيما في مجال العلم والتكنولوجيا ، كما ان كثيرا من العلماء المحدثين يرى ان اللغة العربية عاجزة عن استيعاب التقدم العلمي المتسارع والمصطلحات العلمية والحضارية الحديثة التي نشأ في لغات أوربية أخرى ٠٠

وان في هذا القول مغالطة وتناقضا شديدين ٠ مغالطة شائعة فيما يتعلق باستعمال اللغة العربية في البحث والتدريس والتأليف في العصر الحاضر ٠ ونرد على هؤلاء بأن نذكرهم بما كانت عليه اللغة في عصور ازدهار الحضارة العربية أو الاسلامية ، وازدهار العلم والفلسفة العربية عندما كانت اللغة العربية تستوعب العلوم المختلفة ، وتمتلك من الغنى والخصب والتجدد ما جعلها قادرة على التعبير والتأثير سواء في العلوم التي نشأت في ظل الحضارة العربية ، أو في تلك التي نقلت اليها كما رأينا عن طريق الترجمة ٠

وهذا التطور والتجدد من أبرز الادلة على الحركة والحيوية التي اتصفت أو تتصف بها اللغة العربية والقدرة العربية في مرحلة الوعي الاولى لخصائص الذات في اطار خصائص الآخرين ٠

وقد يكون من المفيد هنا ان نبرز بعض الاسباب التي حدت ببعض العلماء المحدثين الى أن يقعوا في مغالطة هذا الادعاء :

فقد يكون القائلون بعجز اللغة العربية عن استيعاب علوم العصر لا يفهمون لغتهم الام حق الفهم ولا يدركون قدرتها وامكاناتها العظيمة في التجدد والتطور لمسايرة كل تقدم ٠

كما ان بعض الكسالى منهم يقول : ما دمنا نأخذ مضمون الكلام ومحتواه من الخارج فلم نتعب أنفسنا ونبدد وقتنا في محاولة نقلها الى العربية ؟ ٠ على حين يعتقد قوم مغالطون آخرون ان استعمال اللغة العربية يعزلنا عن العالم المتقدم ــ المنشىء للعلوم الحديثة ويجعلنا عاجزين عن الاتصال بهذا العالم والتأثر أو التأثير فيه ٠ وفي الرد على هؤلاء نقول : ان التأثير في العالم واحتلال مكان بارز فيه لن يتم الا ببناء الوحدة الثقافية للامة والارتباط بالجذور التاريخية لها ٠ ولن يكتمل هذا الا باستعمال اللغة الام التي هي وعاء ثقافي وقومي ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

ان الدعوة الى استعمال اللغة العربية في العلوم المعاصرة ليس دفاعا عن القومية العربية فحسب بل لانها وسيلة وضرورة لاكتشاف الجذور العميقة في التراث العربي ولكي تعرف أين نقف من ماضينا الثقافي حتى نتمكن من اقتحام العلم المعاصر ٠

وقد اثبتت اللغة العربية خلال التاريخ أنه يمكنها ان تؤدي مهمتها الثقافية والفكرية في العالم المعاصر في الوقت نفسه الذي تظل فيه مرتبطة بجذورها الحقيقية وقيم البيئة العربية ٠

لذلك نجد انه ما ان بدأ عصر اليقظة العربية الاخيرة في أواسط القرن الثالث عشر الهجري حتى رأينا الكتب الاجنبية العلمية والتاريخية والاجتماعية تترجم الى اللغة العربية ٠ فوفد اليها كثير من المصطلحات الجديدة والالفاظ الاوربية ، وظهرت في الصحف والمجلات وكتب القصص والروايات لغة عربية جديدة فيها آثار الترجمة والاقتباس ، وفيها الغث والسمين والخطأ والصحيح والجميل والقبيح ، فضلا عن المصطلحات التي اتحدت معانيها ومقاصدها واختلفت ألفاظها ودلالاتها في اللغة العربية ٠

وكان لا بد أمام الحملة العنيفة على اللغة العربية وخوفا على اللغة أن يدخل فيها ما ليس من طبيعتها أو ما ليس يلائمها من الجزالة والفصاحة ودقة التعبير من اتخاذ موقف حاسم ٠ فسارعت الدول العربية الى انشاء مجامع اللغة العربية لتحفظ للغة كيانها وتجعل تطورها على أساس علمي سليم ٠ فأنشىء المجمع العلمي العربي بدمشق ثم أنشىء المجمع العلمي العراقي وقد سارع المجمعات في اصدار مجلة تعالج مشكلة اللغة وتقترح مصطلحات جديدة وتسميات حديثة لما أتت به الحضارة الاوربية من الاختراعات والابتداعات في شتى العلوم والفنون ٠

كما نشرت مراكز التعريب معجمات لجعل المصطلحات الاعجمية عربية الالفاظ منها معجم الكيمياء ، ومعجم الرياضيات ومعجم الطب الموحد و « الاصول العربية والاجنبية للعامية المغربية » والمستدرك في التعريب ٠ كما وصفت المعاجم العلمية باللغة العربية لتكون مراجع للدارسين والباحثين اذكر منها على سبيل المثال : معجم (العلوم الطبية) تأليف رجب محمد شرف ٠ و (معجم الحيوان ، والمعجم الفلكي) لامين فهد المعلوف ٠ و (معجم أسماء النباتات) لاحمد عيسى ٠ (والقاموس الفلكي) لمنصور جرداق ، ومعجم في (الطب) للاستاذ الدكتور مرشد خاطر ، ومعجم في (الزراعة) للامير مصطفى الشهابي ، و « المعجم الهندسي » للدكتور أنور عبد الواحد ٠ وغير ذلك مما كان له اثر في تطوير اللغة العربية لمواكبة اليقظة الفكرية والحضارية الحديثة في البلاد الاوربية ٠

http://www.al-maktabeh.com

وهكذا نرى ان اللغة العربية ظلت ذات شخصية قوية لم يمحها تفتح العرب على الحضارة الحديثة والعلوم الاجنبية ، كما انها لم تصب بالانكماش والانزواء برغم النكسة التي أصابت حضارتنا العربية الاسلامية في العصر الذي انبعثت فيه حضارة الغرب متفتحة على حضـارتنا وحضـارة الآخرين بوساطتنا ٠

وعندما انحدر العرب سياسيا وثقافيـا ، كانت هـذه اللغة الانسانية العظيمة الوعاء الفكري الذي حمل تراثنا العلمي العربي وحماه ليقدمه منهلا سائغا الى الغرب ٠ الذي بنى عليه حضارته المعاصرة ٠

سليمي محجوب

مكتبة المهتدين الإسلامية

الترجمة ومدى تأثيرها في تحول الجدل الديني

الى اهتمام بالبحث العلمي والفلسفي

عبد الرحمن مرحبـــا

لا يجوز في رأيي ان نعطي للترجمة عن اليونانية في عصور الازدهار الاسلامي كل تلك الاهمية التي تضفي عليها فنحن لا ننكر ان الترجمة كانت لها نتائج هامة بل هامة جدا في الفكر العربي • ولكن الترجمة وما أعقبها من نتائج وابعاد لا تعدو ان تكون هي أيضا نتيجة لعامل يفوقها اهمية هو العامل العربي الاسلامي والمخاض العربي الاسلامي والثورة العربية الاسلامية •

أجل ، ينبغي لنا ألا نغــلو في تقدير أثر النقلة السريان كما يفعل بعض الباحثين لحاجة في نفس يعقوب ، فلا يجحد الاهمية الكبيرة التي يتمتعون بها في تاريخ الفكر العربي الا جاهل او مكابر ، ولكن هذه الاهمية لها حدودها المقررة التي لا يجوز أبدا تخطيها ، سواء في الحضارة الاسلامية او في أي حضارة أخرى •

ان الترجمة كانت محطة من المحطات الكثيرة التي توالت في مسيرة الفكر العربي الاسلامي تزود فيها ببعض الزاد ثم انطلق بنفسه وحيدا يشق طريقه لا يلوي على شئ • لقد كانت الثقافة اليونانية في طور احتضار عند انطلاق المارد العربي فبعث فيها الحياة ورد اليها الروح التي سلبها منها تقادم القرون وتعاقب العصور والدهور • لقد كانت ثقافة مهترئة تعاني من أمراض كثيرة تداركها العرب وأقالوا عثرتها وصححوا اتجاهها • فمنهجها قياسي تجريدي وكان دائما عقبة في طريق تقدم العلم والحضارة • وحسب العرب فخرا انهم طلعوا على العالم بالمنهج العلمي الذي ينسب في العادة الى بيكون ، حتى أصبحت الكلمتان (المنهج العلمي) و (المنهج البيكوني) كلمتين مترادفتين •

لقد نتج من المنهج القياسي التجريدي عند اليونان ان جميع علومهم كانت فلسفية ان لم تكن اسطورية • فالكيمياء كانت أسطورية والفيزياء فلسفية وكذلك الطب والفلك فالعرب هم الذين أنشأوا العلم الطبيعي بالمعنى الحديث ، وهم الذين نقلوا الكيمياء من الطور الاسطوري الى صورتها العلمية الرائدة • وتجارب الرازي في هذا الباب لا تحتاج الى فضل بيان • كما ان الطوسي والبتاني والبيروني والصوفي •• الخ جعلوا علم الفلك علما رصديا يقوم على الملاحظة وأوجدوا له الآلات والادوات المناسبة •

http://www.al-maktabeh.com

وبقدر ما كان اليونان عمالقة في الهندسة فقد كانوا أقزاما في الحساب وتقنية العدد ، وهنا أيضا اقتحم العرب الساحة وعمدوا الى الفراغ القاتل في اعظم حضارة سبقتهم فملأوه بذوب عقولهم وعصارة اذهانهم ووهبوا الحضارة علم الحساب وصناعة الارقام • فانطلقت من عقالها وقفزت الى مستويات رفيعة بعد ان طال تعثرها واشتدت معاناتها • ولا غرو في ذلك ، فالعدد عصب الحضارة كل حضارة •

أجل لقد كان العرب الورثة التاريخيين للعلم اليوناني والفلسفة اليونانية • ولكنهم لم يرتضوا هذا العلم ولا تلك الفلسفة وان كان تحفظهم بالنسبة الى كل منهما متفاوتا في القوة والدرجة لاسباب مرحلية تاريخية ولظروف موضوعية متعددة سنذكر بعضها ونمسك عن ذكر بعض الآخر • فالعلم اليوناني كما هو معروف علم غائي قوامه الانتقال من العام الى الخاص أو من الكلي الى الجزئي ، في حركة منطقية مطردة تتصاغر فيها الاشياء وتضمحل لتتعاظم الماهيات والجواهر ، حتى ينتهي بها الامر الى عالم من العقول والمجردات لا أثر فيه لشوائب المادة ومعاطبها ، عالم جميل ساحر لا أثر فيه الا للمنطق ، ولا مطلب له الا اتفاق الفكر مع ذاته • فالعقل أساس المادة ، والشيء انما يعرف بتجاوز المحسوس الى المعقول والبحث عن العلل الاولى والمبادىء الاساسية التي تكمن وراء الاشياء •

ولكن العلم في الوقت الحاضر يختلف عن العلم القديم في المنهج والموضوع والغاية • فمنهج العلم القديم كان منهجا منطقيا ، ومنهج العلم الحديث تجريبي ، وموضوع العلم القديم أولا وما يلحقه من عوارض الحركة والتغير والنقلة ثانيا ، وموضوع العلم الحديث دراسة ظواهر الاشياء واكتشاف القوانين وشبكة العلاقات التي تربط بينها ، وغاية العلم القديم تطهير النفس بالمعرفة والسمو بها الى عالم العقول المفارقة والمبادىء العالية ، اما غاية العلم الحديث فهي تسخير المعرفة لاغراض الحياة والزيادة رفاهية الانسان •

فاذا كان العلم اليوناني على ما رأينا ، واذا كان العلم الحديث هذه سماته فما ملامح العلم العربي ؟ وما مقوماته ؟ واين يقف بين العلمين ؟

ان العلم العربي تلتقي فيه خصائص العلم القديم والعلم الحديث فهو في طور وسط بينهما • لقد كان يجتاز مرحلة انتقال من المرحلة القديمة في البحث الى الطريقة الحديثة التي استقر عليها منذ البداية عصر النهضة في أوربة • ولم يكن ممكنا ان يحدث هذا الانتقال من حيث هو طفرة وعلى غير انتظار • وهذا ما يفسر لنا وجود التأمل الفلسفي في تراث العرب العلمي اضافة الى المنهج التجريبي ، واعتماد البحث على النظر العقلي المجرد الى جانب أخذه بالواقع العيني المحسوس • فاليونان ورثوا العرب طريقتهم التجريدية ونظرهم العقلي وتأملاتهم الرائعة فأخذ العرب ذلك كله واستوعبوه ، بل لقد

مكتبة المهتدين الإسلامية

أضافوا اليه ما يختلف به العرب عن اليونان وهو اختبار معارفهم واخضاعها للتجربة . فالعرب هم الذين اكتشفوا ميزات المنهج العلمي ، وهم أول من أوجد طريقة التجزبة والملاحظة ووضعوا لها القواعد والاصول ، فخلقوا بذلك علم الطبيعة التجريبي ووصلوا به الى مستوى لائق لم يخطر لليونان على بال بل الى مستوى لو أدركه اليونان لادانوه فورا ، ولنددوا بأصحابه ولحكموا عليهم بالخزي والعار ، لانه يفسد المبادىء الشريفة التي يجب أن تظل بمنأى عن المادة الخسيسة وادرانها وحقارتها .. وان تبقى في عالمها السامي موضوعا للتأمل والنظر ومتعة للعقول والاذهان . لقد كفر اليونان بالمادة وأشادوا بالعقل الا قليلا منهم لم ينجحوا في تغيير ما هو عميق واصل في الفكر اليوناني . وبرغم ان أرسطو كان أكثر واقعية من افلاطون فانهما يتساويان في توكيد التنافر بين المادة والعقل ولم يفلحا قط في التوفيق بينهما برباط من الالفة والانسجام .

أما العرب فقد آمنوا بالمادة من دون ان يكفروا بالعقل ، بل لم يزدهم الايمان بالمادة الا ايمانا بالعقل . لقد جمعوا بينهما في اطار من الوحدة والتناسق لم يعرف من قبل ، وكان ذلك واضحا في نهضة علوم المادة بينهم ، كالكيمياء والفلك والعلم الطبيعي والحيل والطب ... الخ . نعم ، لقد كانت هناك تيارات أفلاطونية صوفية ولكنها لم تستطيع القضاء على التيارات المادية . بل لقد ظل التعايش والتفاعل والحوار قائما بينهما ، خلافا لما كانت عليه الحال عند اليونان حيث لم تنجح التيارات المناوئة لافلاطون وارسطو ان تعلن عن ذاتها الا بشق النفس . وقد ظلت غريبة في عقر دارها ، فلم تؤثر ، ولم تخلق الظروف الموضوعية المؤاتية لها ، كأنها نشاز مزعج في سمفونية رائعة .

لقد انكب العرب على علوم الاوائل دراسة وتمحيصا ، وأقبلوا عليها بكل جوارحهم . فلم يغادروا علما الا نقلوه الى لغتهم ولا فنا الا رضخ للسانهم . وفي نهاية عصر الترجمة كان العلماء العرب يقفون على قاعدة صلبة من علوم اليونان التي أضيف اليها جزء كبير لا يستهان به من علوم الهند وفارس .. منذ ذلك الوقت بدأوا يعتمدون على مصادرهم الخاصة أي على العوامل الداخلية بالرغم زخم الطاقات التي انطلقوا بها من بطن الجزيرة . لقد قام العلم عند العرب أولا على شروح أرسطو وغيره ، ثم انصرفوا بعد ذلك الى دراسة العلم في الطبيعة ، وفضلوا ذلك على دراسته في بطون الكتب . وهذا تطور خطير في مفهوم العلم عندهم . فقد ادركوا في وقت مبكر جدا ان التجربة والملاحظة لا يعدلهما احسن الكتب . وهذا تطور خطير في مفهوم العلم عندهم . فقد أدركوا في وقت مبكر جدا ان التجربة والملاحظة لا يعدلهما احسن الكتب . هذه الحقيقة التي أصبحت معروفة اليوم لم تكن كذلك في الدهر السالف . فقد ظل علماء القرون الوسطى يدورون في الحلقات المفرغة ألف سنة قبل أن

http://www.al-maktabeh.com

يدركوها · يعزو الناس في العادة الى بيكون قاعدة التجربة والملاحظة ، وهما الاصل والاساس في كل بحث علمي حديث · بيد ان الواجب يقضي علينا اليوم ان نعترف بأن هذه القاعدة من مبتدعات العرب · وقد أورثت هذه الطريقة اعمالهم العلمية الوضوح والابداع الذي تميزت به منجزاتهم الطبية والطبيعية وقادتهم الى الكشف عن أمور وفقوا اليها في ثلاثة قرون أو أربعة توفقا لم يكتب مثله لليونان ولا لغيرهم في زمن أطول من زمنهم · فهذه الذخيرة من العلم التي انتقلت الى اليونان قبلهم ولم يستخرجوا منها شيئا ذا طائل وان آغنوها بالتأملات الفلسفية العميقة ، لكن العرب نقلوها الى أخلافهم من بعدهم وقد أضافوا اليها ثمرات عقولهم وتجارب أيديهم · لقد كانوا علماء وجعلوا غيرهم علماء · وهذا حسبهم ·

ان اكثر الذين عالجوا التراث العربي لم يعيروا العلم الطبيعي فيه حقه من الاهتمام ولو فعلوا لوجدوا أشياء ولتيقنوا أن العرب لم يصلوا الى ما وصلوا اليه الا بفضل منهجهم الجديد الذي طلعوا به على العالم وكان سمة بارزة من سمات تفكيرهم ·

نحن لا ننكر وجود فريق آخر من المفكرين العرب ظلوا يعولون على المنطق والجدل الفلسفي لاثبات ما يريدون اثباته او نفيه · ولكن ذلك لا أهمية له أبدا ، بل هو دليل صحة وعافية · ولئن دل على شيء فانما يدل على تنوع الفكر العربي وخصبه · فهو لم يجمد على طراز واحد ونمط واحد في التفكير والنظر الى الاشياء · انه كالفكر الاوربي اليوم ، فيه الدعوات المثالية التي ترفض الدعوات المادية ، والمذهب الحدسي الذي يعارض المذهب التجريبي والمذهب الحسي الذي يساوي المذهب العقلي ، وتجد المذاهب الدينية المتزمتة وهي تندد بالتحرر الديني والانجراف في تيار الالحاد ، بل تجد فيه ايضا مذاهب الاخلاق والفضيلة في مواجهة الاباحية والجنس · وهكذا دواليك ·

ان تصادم الافكار وتلاطمها واصطراع هذه الافكار فيما بينها ، وهذا لا يعيب الفكر الاوربي في شيء ، بل هو احد امجاده ، انه فكر فعال نشيط متفتح على جميع الآفاق ، ومستعد لكل التحديات · ولولا هذه الفاعلية ، وهذا الصراع ، وهذا التضاد لما كان فكرا عملاقا ·

وهذا التنوع نفسه نجد شبيها له في الفكر العربي الاسلامي الذي ازدحمت فيه ــ في عصوره الذهبية ــ جميع الاتجاهات والمدارس والنزعات ووجدت فيه تعبيرا لها · فهو لم يضق بمذهب واحد منها لانه لم يخش واحدا منها بل اتسع لها جميعا وقدم لها المتنفس والمناخ · ففي خضمه اصطرعت جميع الملل وتضاربت ، وفي أفيائه تعايشت وتجاورت وتحاورت ·· ومع كل هذا ، فقد ظل على ايمانه بالتجربة والمادة والواقع المادي · بل اننا لنجد الفلاسفة التقليديين

مكتبة المهتدين الإسلامية

كالرازي وابن سينا وابن طفيل وابن رشد وغيرهم ، من دون ان يتخلوا يوما عن هذا الايمان • فهم رغم ذهابهم في متاهات العقل كل مذهب فقد ظلوا يحتفظون برشدهم مشدودين الى واقعهم ، وظلت التجربة عندهم أفضل من ألف كتاب • لقد أخذوا بالمعيارين معا ــ معيار التجربة ومعيار المنطق ــ وكانوا يستعملونهما استعمالا بارعا ومقتصدا وبمعادلة دقيقة ، فما وقع في نطاق التجربة أخضعوه للتجربة ، وما خرج عن نطاقها اخضعوه للمنطق • بينما كان الامر واحدا ــ أو كاد ــ عند أساتذتهم اليونان الذين كان العقل رائدهم في كل شيء • بل كثيرا ما كذبوا الحس والواقع ــ ومن ثم التجربة ــ حفاظا على انسجام العقل واتفاقه مع ذاته •

وبهذا المعنى نجد ان الفكر العربي الاسلامي لا يدين بعبقرياته ومواهب أبنائه لنفحات بعض النقلة المحترفين الذين انما قاموا بترجماتهم تكسبا للمال لا حبا للعلم • فمع تقديرنا العظيم لهؤلاء النقلة والمترجمين وللخدمات الجلى التي أسدوها للعرب ، الا انه يجب ألا نذهب في هذا التقدير مذهبا شططا فنجعل من العرب والمسلمين كمية مهملة ومن المترجمين عمالقة أفذاذا ، كأن الفكر الاسلامي بين أيديهم مادة طيعة يشكلونها كما يشاؤون ويهوون • وكم كان أحرى بأولئك السريان ان يشكلوا انفسهم ويصلوا الى القمة التي وصل اليهم سادتهم ، بدلا من ان يظلوا في السفح لا عمل لهم الا رجع الصدى • فالسريان لم يبتكروا شيئا من عند انفسهم لان كل ما ذكروه مأخوذ من الكتب اليونانية التي اختصروها او شرحوها او نقلوها وكان احدهم يندر ان يقبل من تلقاء نفسه وانما كان في أكثر الاحيان يعمل بأمر من خليفة أو وزير او أمير أو أحد اصحاب المال او النفوذ • فهم مترجمون محترفون ونقله مأجورين لاهم لهم الا التكسب والنشب •

لقد كان بعضهم أفذاذا في النقل كحنين بن اسحاق مثلا • ولكن حنينا لم يخلق شيئا خارج اطار النقل ، وجميع كتبه الخاصة هزيلة لا قيمة لها • الا اذا استثنينا ثابت بن قرة الذي يدين بنبوغه للجو العلمي الذي أتاحه له العرب لا الى سريانيته الضيقة الهزيلة •

فهو صاحب مواهب كانت ستظل كافئة مقبورة لولا أن اكتشفها المناخ العقلي العربي الاسلامي غير المتعصب وهو يكتشف مواهب بنيه ويفجر طاقاتها •

كلا لم يكن العرب كمية مهملة بين أيدي السريان ، والا فكيف نفسر استقدام العرب لهؤلاء السريان وتشجيعهم اياهم وتسابقهم على اقتنائهم وان يغروهم بالاجور العالية وايفاد البعوث والسفارات للبحث عن الكتب في الاقبية والزوايا والسراديب وغياهب الكهوف ، وانقاذها من الرطوبة والحشرات

http://www.al-maktabeh.com

والديدان التي تتهددها يوما بعد آخر وعقد المعاهدات لحيازتها ، وجعل الحصول عليها شرطا لوقف القتال وجزءا من غنائم الحرب ؟ ٠

فليت شعري ! علام يدل كل هذا ؟ ٠ أفلا يدل على انه لا بد من أن ندخل في حسابنا ــ الى جانب السريان ــ أولئك الذين استقدموا هؤلاء السريان وأغروهم بالمال والجاه والمجد للعمل معهم ونقل ما يمكن نقله من الكتب الى لغتهم ؟ ٠ أفلا يدل هذا على أن النقلة انما كانوا أدوات مسخرة فقط لاغراض سادتهم ، وعلى أن الكتب التي نقلوها لا تمثل نزعاتهم هم وانما تمثل نزعات هؤلاء السادة ونهمهم الى العلم والمعرفة وسعيهم الى تحقيق الذات واجتراع المعجزات في تلك المرحلة التاريخية المشرقة والغنية بالمواهب والعبقريات ؟ فالسريان ــ لا العرب ــ هم الذين كانوا آلات طيعة ووسائل للتعبير عن الذات ، الذات الحية الاصيلة ، التي تتدفق بالقوة والنشاط وتجيش بالامكانيات والطاقات التي توشك أن تتفجر ، فتركب كل صعب ، وتذلل كل عقبة ، وتقضي على كل عائق ، وتنطلق كسيل العرم لايقف في طريقه شيء ٠

ولنا شاهد على ذلك مما يجري أمامنا اليوم ويتكرر كل يوم ليثبت لنا ان المعرفة وحدها لا تكفي اذا لم تجد المناخ الملائم والتربة الصالحة ، واذا لم تجد الطاقات المشحونة والوعي الجياشي وارادة تحقيق الذات والرد على التحديات ٠

هنالك ــ وهنالك فقط ــ يتم التفاعل وهنالك يحدث التلاقح والاخصاب ٠ فها هو ذا العلم الاوربي اليوم مترجم في كل مكان لا تكاد تخلو منه لغة من لغات الارض ٠ وهناك الاذاعات والصحف ووسائل الاعلام المختلفة التي تخترق الحدود والسدود فضلا عن المدارس والجامعات المنتشرة في العالم الثالث كله ٠ لكن ذلك لم يكن كافيا لتحقيق التفاعل المطلوب وانجاب الفلاسفة والعلماء والقادة ورجال الفكر ٠ فهؤلاء محصورون الآن في مناطق ضيقة جدا ليست شيئا مذكورا في حساب المعمور من الارض ٠ هناك يعمل العلم ، وهناك فقط يؤتي أكله ويونع ثمره ، هناك فقط تتفاعل المعقول وتتلاقح الاذهان ، وهناك فقط يصنع التاريخ ٠ وليس هناك فحسب ، بل الآن فقط ٠ بمعنى ان عقولا قليلة جدا تختمر في هذه المرحلة ذاتها وهي مرحلة قصيرة جدا ليست شيئا مذكورا في عمر الزمن ٠ تلك سنة التاريخ ٠ وذلك دأبه فهو لا يستقر في مكان فريد يبقى فيه الدهر كله ، كما لا يشتعل في آن واحد في كل مكان ٠ وانما هو كثير التقلب والتجوال ٠ لا يكاد يحل ببلد مدة من الزمن حتى يغادره الى غيره فالايام دول بين الناس ٠

ولم يشذ العرب عن ذلك ٠ فقد أتى عليهم حين من الدهر كان التاريخ فيه طوع بنانهم وكان صوتهم هو الصوت الوحيد الذي يجلجل في الآفاق ، وقد

مكتبة المهتدين الإسلامية

بلغوا في ذلك مبلغا عظيما حتى أنه لا يكاد يأتي يوم الا تكشف لنا فيه أعمال البحث والتنقيب بين المخطوطات القديمة مأثرة جديدة من مآثرهم المطوية • ولا ينكر ذلك الا جاهل أو مكابر • فلا يجوز ان نتحامل على هؤلاء القوم لاغراض غير علمية وغير موضوعية أملاها الحقد والتشفي والتعصب الذميم •

وهكذا فان الفكر العربي كان فكرا فذا اضاف اضافة عظيمة الى الارث الكبير الذي تلقاه من أساتذته اليونان خاصة والحضارات القديمة عامة • وهذه الاضافة مختلفة نوعا لا كما فقط • فنحن هنا لسنا بازاء اضافة حسابية بل بازاء بعد جديد حملته تجربة العرب وهم يطلون على العالم بالفتوح والحضارة • فليس التراث الانساني قبل العرب نفسه بعدهم • وان الفرق بين التراثين لم يكن فرقا عدديا فقط بل كان شيئا أبعد من ذلك بكثير • فالتغير الذي طرأ على التراث الانساني كان ـ حقا ـ شيئا منقطع النظير في سرعته وعمقه وشموله وابعاده في موازين تلك العصور • فقبل العرب كانت الاسطورة والمنطق يتنازعان تفسير العالم والحكم على نظام الاشياء • فكما ان اليونان جاءوا بالمنطق للحد من سلطة الاسطورة كذلك جاء العرب بالتجربة للحد من سلطة المنطق والتخفيف من وطأته • فكما كان اليونان تلامذة المصريين والبابليين والهنود فأخذوا عنهم ثم تجاوزوهم الى آفاق لم تكن بالحسبان ، كذلك كان العرب أيضا تلامذة اليونان والهنود والفرس وقد اغتذوا بأفكارهم ورضعوا من لبانهم ثم لم يلبثوا ان تجاوزوهم وحلقوا في عوالم جديدة • لقد انتقلوا من طور النقل الى طور الخلق بسرعة مذهلة فهم ما كادوا يتدارسون الكتب المنقولة الى لغتهم ، حتى سعوا الى تحقيق مسائلها ومناقشتها والزيادة عليها •

فألفوا وابتكروا حتى فاقوا أساتذتهم وصححوا لهم من الاخطاء وأكملوا لهم كثيرا من الابحاث المبتورة ، ثم جاءت التجربة تتويجا لهذه الجهود وشاهدا على أصالة انتاجهم كما ونوعا وعلى المنجزات التاريخية التي حققوها للفكر والحضارة • وبهذه الصفات الضخمة غدت الامة العربية وريثة الفكر الشرقي واليوناني ، والقيمة ـ وحدها ـ على ذخائر الثقافة والفن ، والقوة الوحيدة الفاعلة في سير التاريخ ، والممثلة الحقيقية للحضارة الانسانية الرفيعة في العصور الوسطى كلها • فعظمت الحركة العقلية بين المسلمين واتسع نطاقها حتى شملت كل شيء من مظاهر الحياة تقريبا •

ولم يأت بعد هذه الحركة من مثيل لها في التاريخ الا حركة النهضة العلمية في ايطاليا وأوربة بعد سقوط القسطنطينية على يد محمد الفاتح مؤسس دولة بني عثمان •

والآن نتساءل كيف حصلت هذه النقلة ؟ ، وما الاسباب والعوامل التي أدت اليها ؟ •

http://www.al-maktabeh.com

ان اللقاح الخارجي وحده لا يكفي اذا لم تنضم اليه العوامل الداخلية العتيدة ، فكما ان الزراعة على الصخر أمر غير ممكن ، وكما ان البناء فوق الرمال لا سبيل الى تحقيقه ، فكذلك الترجمة اذا لم تجد الطاقات المشحونة والتلقائيات المتوثبة والقوى الفاعلة في التاريخ والحضارة ؟ ، وبعبارة أخرى ، اذا لم تجد العوامل الداخلية التي تشق لها الطريق وتفتح لها الابواب ، فانها (أي الترجمة) تظل عقيمة وتظل شيئا دخيلا مقحما من خارج لا فعل له ولا تأثير · انها في هذه الحالة عنصر غريب سرعان ما يلفظه الجسم بل قد يتأذى به وينمو نموا غير سوي ، كالدسم يؤذي الممعود ويلقي به الى التهلكة · فاذا رأينا أخصابا بعد تلاقح ، وتفاعلا بين العوامل الداخلية والخارجية في أمة من الامم ، عرفنا انها بدأت تقرع أبواب التاريخ وانها على موعد مع الاحداث ·

فما العوامل الداخلية التي مكنت الترجمة من الفعل والتأثير في عصور الاشراق العربي الاسلامي وقذفت بالعرب الى أتون الاحداث ·

لذلك قصة طويلة سنعرض هنا عرضا مختصرا لاهم فصولها ·

العوامل الداخلية لنشأة الفكر الاسلامي

قبل ان نتطرق الى كيفية تحول الجدل الديني الى اهتمام بالبحث العلمي والفلسفي في نطاق الفكر الاسلامي ، يجدر بنا ان نتطرق أولا الى نشأة هذا الفكر والعوامل التي أدت الى ظهوره فبالاضافة الى العامل الخارجي الذي ساعد على تكوين هذا الفكر، هناك مجموعة أخرى من العوامل كانت تفعل فعلها في داخل الجزيرة العربية كان من شأنها بروز فكر جديد له هويته الخاصة ويتمتع بمجموعة من الخصائص والمقومات لولاها لم يكن للترجمة ان تؤتي ثمارها · وهذه العوامل جميعا ترجع الى طبيعة الاسلام والقرآن والى التحديات والعوائق والانتصارات والانتكاسات التي صادفها الدين الجديد في مراحل الطريق والى التفسيرات والاجتهادات التي أدلى بها بنوه لفهم أصوله وتعاليمه وهكذا فالفكر العربي الاسلامي يدين عموما لحركة محمد عليه السلام والى القرآن الكريم فلولا هذه الحركة ، لما وجد الفكر العربي الاسلامي على النحو الذي وجد عليه ولاتخذ التاريخ العالمي مسارا آخر من مئات الآلاف من المسارات الممكنة التي هي أيضا وليدة الظروف التاريخية والموضوعية التي كانت تتفاعل في داخل الجزيرة العربية وخارجها لم تكن حركة دينية فحسب والا لكان لنا مندوحة عن ذكرها هنا وانما هي ثورة اجتماعية وسياسية واقتصادية وروحية ايضا ·

انها حركة حضارية طبعت كل ما ظهر في العالم الاسلامي من آراء ونظريات ومذاهب بطابعها · وكما ان الحراث الذي يشق الارض يثير الغبار من حوله ويجعل عاليها سافلها ، كذلك أثار الاسلام عقول العرب وافئدتهم وقلب أوضاع المنطقة رأسا على عقب فاعتناق العرب للاسلام لا يدل على القضاء على بعض

مكتبة المهتدين الإسلامية

العادات والاعراف التي كانت شائعة بينهم فحسب وانما يدل على أنه كان انقلابا شاملا لمثل الحياة التي كانت سائدة من قبل وتبدلا عميقا في المفاهيم والغايات وقيم الاشياء . فقد كان ظهور الاسلام حدثا عالميا ضخما ترتبت عليه نتائج عظيمة لم تقف عند الحدود الجغرافية للبلاد التي شهدت بوادره الاولى ، بل لقد تجاوزت هذه الحدود الى ما وراءها واستمرت تفاعلاتها الفكرية والروحية تنتقل من بلد الى آخر ، ومن أفق الى غيره ، ومن عصر الى سواه حتى فرضت نفسها على تطور الحضارة العالمية وأصبحت من أهم الظواهر الاساسية لتطور الحياة والمجتمع .

ومع أن النبي عليه السلام أمي لا يدري ما الكتاب ، فقد خلف كتابا لا يزال قسم كبير وعظيم من أهل الارض ينظرون اليه على أنه نبراس كل علم وحكمة وفلسفة .

فالقرآن كتاب ديني مذهبي ، وأثر أدبي رائع ، بلغ الذروة من الفصاحة والبيان فالكلمات مرصوفة فيه رصفا كأنه السحر الذي يجعلها في النفس تجاوب الاصداء في الوادي الفسيح فتكشف عن آفاق بعيدة كبرى ، وتخلق في الفكر حماسة تسمو به فوق هذا العالم فما في أسلوبه من قوة ومتانة ، وما في تعبيره من القدرة على ايصال المعاني عن أقرب طريق ، وما في تشبيهاته والصور التي يرسمها من وضوح ، وما في القصص التي يرويها من دروس وعبر ، وما في سوره من ايقاع موسيقي آسر ، كل أولئك قد هز أمراء الفصاحة وأرباب البيان وغزا مشاعرهم ووصل الى المكامن العميقة في نفوسهم .

ان كل أية من القرآن موضوعة لغرض وتؤدي الى غاية . فهي اما تقرر عقيدة ، واما ان تسن قانونا واما ان تبشر بنصر واما ان تحذر من عدو واما ان تتفجر بحكمة واما ان تمنع عادة ، واما ان تدعو الى موعظة . وفيه صور شتى من المعاني المتجسدة والامثال المضروبة ، والرموز المحيرة . فهو يصور البخل والشح والتهرب من زكاة الاموال ومؤامرة الاغنياء لاكل حقوق الفقراء ، صورا جميلة معبرة أجمل ما يكون التعبير وأروع ما يكون المثل ، ويضعها في اطار من الترهيب والترغيب أوفى على الغاية في الوصف والتمثيل . وكذلك يصور المعاني تصويرا متجسدا متحركا تنخلع له القلوب وترتاح له الافئدة في فيلم سريع خاطف معبر بجبروت وعظمة .

وحسب القرآن فخرا أن اللغة العربية أصبحت به لغة حضارة وبه أيضا استقبلت الامة العربية عهدا جديدا في تاريخها الطويل . فقد تغلغلت لغة القرآن في أفكار الناس وعقائدهم ، وظل العالم المتمدن بعد الفتوحات الاسلامية

http://www.al-maktabeh.com

يفكر بعقلية القرآن ويكتب بعلمه ويؤلف بلسانه وكانت لغته أداة لكل ما نقل من علوم الفرس والهند واليونان ٠

هذا والقرآن ليس كتابا علميا أو فلسفيا ٠ فلم يكن العلم بمعناه المألوف أهدافه ولم تكن الفلسفة من قضاياه ، وانما فضيته الاساسية أن يحرر عقل الانسان وتفكيره ويحطم الاغلال المتراكمة الموروثة عن الاجيال الماضية التي عزلت العقل عن تفكيره والقلب عن احساسه والوجدان عن معاناته ٠ فهو يخاطب العقل ويدعوه الى التأمل والتفكير ، كما يخاطب القلب والضمير والوجدان مهيبا به أن يظل محتفظا بدفقه وتراثه لقد جاء القرآن ينبه العقل من سباته ويدعوه الى التفكير في خلق السموات والارض والايمان باله واحد فاعل خالق مختار ٠

اجل ان القرآن يقدس العقل الحر والتفكير الجريء ، وينعى على التقاليد الجامدة والمعتقدات الموروثة العفنة ، فقد انكر على القوم محاكاتهم آباءهم بغير علم ولا هدي ولا كتاب مبين ودعاهم الى مثله وقيمه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن وجعل ذلك لهم طريقا ومنهجا ٠ وكم أشاد القرآن بالحكمة ولفت أنظارهم الى أحداث العالم وحثهم على التفكير فيها ، فلقد أكد القرآن وحدة الله وكرامة الانسان حرا طليقا من سلطان الهياكل والمحاريب وسلطان كهانها وسدنتها ٠ وكل أولئك ان يرفع كل حجر على وجدانه وتفكيره ويفتح لضميره منفذا واسعا الى الالوهية ويقيم له صومعة في أعماق نفسه لا حدود لها غير حدود الكون بما وسع من سموات وأرضين ٠

واذا لم يكن القرآن كتابا علميا أو مؤلفا فلسفيا فليس معنى ذلك أنه لم يكن ذا أثر فعال في التفكير العلمي والفلسفي عند أتباعه ٠ فالقرآن ليس فيه نظرية علمية محددة واضحة في المادة والفلك والحياة كالتي نجدها في أبحاث العلماء اليوم ، كما أننا لا نجد فيه نظريات فلسفية في طبيعة الله وأصل الكون وغاية الحياة ٠٠ على نحو ما نجد في كتب الفلاسفة ، لكنه يحتوي في الوقت نفسه على طائفة من الافكار والآراء في الله والمادة والفلك والكون والحياة ان لم تكن علمية فلسفية بالمعنى الاصطلاحي ٠ فمن الممكن جدا ان توجه الفكر العلمي والفلسفي وجهة معينة خاصة اذا توفرت له بعض العوامل والظروف والمساعدة ، ومنذئذ فان كل مفكر ، وكل عالم فيلسوف ، سيعكف على استنطاق آي القرآن الكريم ونصوصه وسيحسب حسابا للقرآن في كل ما يقول ويكتب ويفكر ٠٠ وكان كل غواص يخرج بدر جديد ٠ ومن هنا فان القرآن سيكون محورا لحركات شتى ٠

فهو بمثابة المولد الكهربائي الذي يضخ الحركة والنشاط ٠ لقد كان العمود الفقري للامة الاسلامية كلها ، فكل عناية المسلمين انما كانت متجهة اليه استقراء وعلما وتطبيقا ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

فقد درسوه جملة جملة ، وكلمة كلمة ، وفي بعض الاحيان حرفا حرفا ، بغيرة وتقوى وورع لا نظير له بين المنقبين في النصوص الدينية ، فأعد هذا العمل عقولهم لتحليلات المناطقة وبراهين الفلاسفة ومنهجية رجال البحث العلمي وفي ظله نشأت العلوم العربية والاسلامية والبحوث الكونية ومن أجله قامت وانتصبت • فقد شغلت البحوث والدراسات القرآنية العالم الاسلامي من أقصاه الى أقصاه ، وكانت علوم القرآن أولى التأليف في الاسلام • ففيه صدرت كل فرقة ، وفي سبيل فهمه قام كل مذهب • انه كالدوحة تفرعت عليها الفروع وامتدت الاغصان أو كالشمس دارت من حولها الافلاك •

والقرآن لم يفهم فهما جيدا لدى العرب جميعا برغم أنه قد جاء بلغتهم • اذ يشترط فيمن يتصدى لتفسير أشياء كثيرة لا تتوفر لكل انسان • فأولا يجب التمكن في اللغة وآدابها ومعرفة عادات العرب في أقوالهم وأشعارهم معرفة واسعة • كذلك يجب معرفة ما يسمى بأسباب النزول أي المناسبات التي وردت فيها الآيات والاسباب التي دعت اليها ، اذ ان القرآن نزل منجما على حد التعبير الاسلامي أي على دفعات استمرت ثلاثا وعشرين سنة هي عمر الدعوة الاسلامية • ويشترط أيضا فيمن يريد تفسير القرآن معرفة الناسخ والمنسوخ ، ففي القرآن آيات تقرأ ولا يجوز العمل بها لانها منسوخة وآيات أخرى أبطلتها •

ومما يزيد من صعوبة فهم القرآن أخيرا ان فيه نوعين من الآيات آيات بينات وأخر متشابهات يفيد ظاهرها الجبر وأخرى تفيد الاختيار • كذلك نجد فيه آيات تؤكد التنزيه المطلق لله • وفي مقابلتها آيات أخرى ربما تشعر بالتشبيه والتجسيم •

وليس لنا أن نأسف لوجود هذه الصعوبات وأمثالها في القرآن • بل ان الامر على العكس من ذلك فيجب علينا في نظري ان نغتبط بها أشد الاغتباط • فلقد كانت في الحقيقة نعمة على التفكير الاسلامي ، لانها بتحديها العقول والافهام ستكون منطلقا لتيارات ومذاهب في الفكر والرأي والاجتهاد لا حصر لها • انها تربة خصبة مؤاتية جدا للخلق والابتكار ، لان العقل أشد ما ينشط في الصعوبات والمعضلات والغوامض ، ولا سيما اذا كان ذلك في مجتمع صحي سليم فكيف اذا كان الامر متعلقا بنصوص لها صفة القداسة في نظر أصحابها • وهكذا سيكون للقرآن تأثير أي تأثير في توجيه التفكير في بلاد الاسلام ، وسيكون منطلقا لحركات عقلية جديدة هي وليدة القرآن والتفكير في القرآن وازالة ما عسى ان يكون فيه من غموض وابهام ، ولا سيما وهو بحكم العقيدة الاسلامية كلام الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه وهذه الحركات العقلية الجديدة ستكون مدينة أولا وقبل كل شيء لا لليونان ولا للسريان ولا لمترجمين محترفين ــ بل لانتفاضة محمد عليه السلام ، ولهذه الانتفاضة وحدها ما نتج منها من

http://www.al-maktabeh.com

مواقف وتحديات . فالامم انما تنمو من باطن كشأن الكائن الحي ، لا كالبلوريات والاجسام الجامدة التي انما تتكون بالتراكم والترسب من خارج .

ان العرب ينفردون بميزة لم تتوفر لغيرهم هي أن يقظتهم القومية اقترنت برسالة دينية ، ولعل الادق أن نقول : كانت هذه الرسالة تعبيرا عن تلك اليقظة . فالاسلام بحق خير مفصح عن يقظة العرب ونهضتهم . لقد جاء بلغتهم ولبى حاجات بيئتهم ووحد شخصيتهم واصطبغ بعبقريتهم وامتزج بتاريخهم ودمج فيهم اللفظ بالشعور والفكر ، والتأمل بالعمل . فهو خلاصة ما في الشخصية العربية من قيم ومثل ، وما تصبو اليه من آمال وأحلام ، وما يشغلها من هموم وهواجس وما تتطلع اليه من وسائل وغايات .

أجل لقد كان العرب في القرن السادس الميلادي على أبواب نهضة عقلية دائبة نجد طلائعها في حركة الحنفاء الذين لم يكونوا في مستوى تطلعاتها فتهافتوا الواحد بعد الآخر . لقد كانوا يبحثون عن بطل يأخذ بأيديهم ويوحد كلمتهم ويهديهم سواء السبيل .

كما كان النبي عليه السلام يبشر برسالة جديدة رائدة يبحث عن حملة لها وقياديين يشاركونه في أعبائها وحواريين يموتون في سبيلها فكأنما جاء على موعد مع الاحداث .

لقد وجد العرب البطل المنشود ووجد النبي حملة رسالته . ولقد استطاع في جيل واحد من الزمان ان ينتصر في مائة معركة ، وفي قرن واحد ان ينشيء دولة عظمى وأن يبقى الى يومنا هذا قوة فاعلة مؤثرة في سير الاحداث وتوجيه قوى التاريخ . وان في هذا الانتصار المذهل لعظمة لا تقل عما نجده في قصص الملاحم وصناع الخوارق .

ولو تجرد المرء من كل هوى مع الاسلام او عليه ، ونظر الى الامور نظرا موضوعيا خالصا ، لادرك ان الاسلام كان مبعث نهضة فكرية عظيمة شاركت في تجربة البشر العقلية والحضارية مشاركة ايجابية فعالة وأسهمت في تطوير الوجدان الانساني في الشرق والغرب فصار نتاجها جزءا لا يتجزأ من تراث الفكر العالمي وتاريخ العطاء الانساني قاطبة . وكذلك لو تجرد المرء من كل هوى مع الاسلام أو عليه لتحقق أن العصر الذي ظهرت فيه هذه الثورة كان من أغنى عصور التاريخ في شرف النفس والضمير وفي المشاعر الحية المخلصة فلا يجوز لاحد أن يتحدث عن الرقي الانساني دون أن يذكر الاسلام ، بينما هو يذكر الحضارات الاغريقية والرومانية واليهودية والمسيحية والبوذية أيضا ، ويقف عند ذلك فاذا تحدث عن الاسلام فانما يتحدث حينئذ عن النكاح والطلاق

مكتبة المهتدين الإسلامية

وتعدد الزوجات وما الى ذلك من الاحاديث التي لا يدل التعلق بها الا على السطحية والضحالة فضلا عن سوء النية والتنفيس عن الاحقاد والضغائن ·

ومن الدين الى التفلسف ان هي الا خطوة واحدة · فالدين أيا كان لا يخلو من بذور التفكير الميتافيزيقي ، أو قل هو من صميم العملية الميتافيزيقية · أو وفق التعبير الجميل لاشنغلر في كتابه (انحلال الغرب ٢٧٨/٢) « انما الدين ميتافيزيقا معاشة » ·

فالفلسفة دائما تنشأ في أحضان الدين ، أو أثر الايمان بالدين ، على ما يذكر « دركيم » في كتابه (الصور الاولية للحياة الدينية) ، وكما أثبت ذلك أيضا يسبرز في الفصل الاخير من الجزء الاول من كتابه (فلسفة) · ويؤيد ذلك ما نراه من أن الفلاسفة في الطور الاول من أطوار فلسفتهم انما يستعملون المصطلحات الدينية ويتكلمون لغة الدين (أو التصوف) · وقد كتب برغسون صفحات رائعة في هذا الموضوع في كتابه القيم (ينبوعا الاخلاق والدين) ·

والواقع ان الحدود غير واضحة بين الفلسفة والدين بل ان هناك تداخلا مستمرا بينهما ليذهب أحد فلاسفة الحضارة في أيامنا هذه الى : « ان التمييز بين النظرة الكونية الدينية التي تنشد فهم نفسها فكريا تصبح فلسفية كما هي الحال عند الصينيين والهنود أولا · كما ان النظرة الكونية الفلسفية ، اذا كانت عيمقة حقا ، تتخذ طابعا دينيا ثانيا ، (البرت أشفيتسر : فلسفة الحضارة ص ١٣٩ ـ ١٤٠) · ويعبر اشفيتسر عن ذلك على وجه آخر عندما يربط بين الدين والاخلاق والفلسفة فيقول : « ان في كل عبقرية دينية يحيى مفكر أخلاقي ، وكل أخلاقي يتفلسف بعمق حقا هو صاحب دين على نحو آخر » (المصدر السابق ص ١٣٣) ·

يضاف الى ذلك ان كثيرا مما يعد في عصر من العصور تابعا للفلسفة قد يعد في عصر آخر تابعا للدين · والعكس صحيح أيضا · فعقيدة الخلود التي هي حقيقة فلسفية عند أفلاطون مثلا انما تمت الى الدين وحقائق الايمان عند الغزالي ، بل ان فكرة الالوهية التي هي محور التفكير الفلسفي لم تكن في الاصل سوى فكرة دينية · ويذهب كثيران الى أن الاساطير الدينية والخرافات السحرية واعمال الخوارق كانت الاصل في نشأة التفكير الفلسفي ·

وتاريخ الفلسفة نفسه شاهد على ما بين الفلسفة والدين من وشائج وروابط لاانفصام لها · فأولا نجد ان فلاسفة كثيرين قاموا من بين رجال الدين (او علماء اللاهوت) فلم يكونوا مفكرين منغلقين على أنفسهم يحترفون مهنة التفكير النظري وحده ، بل لقد كانوا متفتحين على جوانب أخرى من النشاط

http://www.al-maktabeh.com

الحضاري • ثم ان كبار الفلاسفة كافلاطون وأفلوطين والفارابي وابن سينا والغزالي وكنط •• الخ • يعمدون الى ما حققه الوعي الديني للانسانية من ضروب التقدم فيقدونها أفكارا وخواطر ويجعلون منها صرحا عقليا شامخ البنيان • واخيرا ، لقد كان النزوع الديني في أكثر الاحيان – ان لم يكن دائما – متسلطا على النزوع الميتافيزيقي لدى الانسان جاثما فوقه ، فكان من نتيجة ذلك ان ظل هذا النزوع أسيرا لبعض المعتقدات الدينية الشعبية الراسخة ، يسعى دائما للتحرر منها والاستقلال بذاته ما استطاع الى ذلك سبيلا • ومع ذلك فان القطيعة غير ممكنة بين الفلسفة والدين وان فلسفة الدين لا تزال حتى يومنا هذا جزءا لا يتجزأ من التفكير الفلسفي العام ، ولنا في برغسون وشيلر وسنتيانا وكيرك غارد وغابرييل مارسيل وغيرهم أكبر شاهد واعظم برهان •

ثم ان ملكات الانسان الشعورية واللاشعورية مترابطة متماسكة يفتقر بعضها الى بعض ولا يغني بعضها عن بعض ، وهي تتآزر جميعا للقيام بالعمل الواحد وتجند للوصول الى هدف واحد ، حتى ان كل فاعلية يقوم بها الانسان تحتاج الى نشاطه كله ، لا فرق في ذلك بين مجال الدين أو التفلسف وميدان الاخلاق أو التصوف ، وسواء تعلق الامر بالعلم أو الادب أو الفن • فالانسان وحده كلية تجده كله في سيرورات عملية التفلسف والشعر والتخيل والانفعال والمحاكمات العقلية والمنطقية • والانسان كله هو الذي يفكر ويتدين ويتفلسف ويتخيل ويبدع • الانسان كله هو صاحب العملية النفسية والفكرية والدينية والفنية • فالتفلسف مثلا يحتاج الى جهد واع وغير واع أيضا • فهو يحتاج الى طاقات عقلية ووجدانية وارادة تهدف لغاية محددة متأثرة بظروف واوضاع المجتمع والمرحلة التاريخية والحضارية • انه لا يرى النور الا بفعل الطاقة الهائلة التي تتفجر على الساحة النفسية تسخر جميع القدرات الكامنة فيها لخدمة عملية التفلسف، وانضاج فعلها • وكذلك لا بد من ان تتضامن جميع قوى النفس في عملية الانسحاق الديني وخدمة أغراضه وغاياته • فالانسان لكي يدرك أقل ملامح الوجود ويفهم أحقر الموجودات يجب ان يتوافر له – على تفاوت في ذلك – خيال الشاعر ، وايمان النبي ، وتجربة العالم ، وتجرد الراهب وانضباط الجندي ، وشجاعة المناضل ، وارادة الاخلاقي ، وتأمل الفيلسوف ودقة المنطقي وتحليل الرياضي ، والهام المتصوف ، واخلاص العاشق ، ودأب المتعبد ، وخضوع المطيع ، وحساسية الشاعر والفنان •• الخ •

ففي الانسان فاعلية مستمرة من التنظيم تشمل مجالات الشعور وما تحت الشعور وتسهم في كل وجه من وجوه النشاط الانساني عقليا كان أو غير عقلي ، اسهاما في وجوه فاعلياته الاخرى • وهذه الفاعلية الناشطة تتأثر بمشاغلنا واهتماماتنا واستعداداتنا • فتجمع بنا الى هذه الجهة أو تلك تبعا لما يثيرنا أو وفقا لما نهيأ له ، حتى ليخيل الينا أن النشاط الواحد لا يحتاج منا الى اكثر من عامل واحد والضغط على زر واحد ، وما درينا أن عوامل

مكتبة المهتدين الإسلامية

متعددة وأزرارا كثيرة اشتركت في الفاعلية الواحدة · لكن هذا الاشتراك لم يكن على مستوى واحد ، ولا عمق واحد ، ولا على درجة واحدة من التركيز والنضج · فكان بعضها أظهر من بعض ، وبعضها الآخر أخفى من بعض ، وبعضها فيما بين ذلك حتى تشابه الامر علينا ، فاستولى علينا المظهر دون المخبر ، وبهرنا الضوء فلم نر الظل ، واستهوانا المركز دون الحواشي ، وحسبنا التعقيد غاية من البساطة ·

وهكذا ، فالوعي الديني لا يختلف في نشأته عن الوعي العقلي ، حتى ان كل لحظة من لحظات التدين العميق تهز الانسان كله وتتحدى جميع طاقاته · فكلاهما ينبثق من ينبوع واحد ، ويغتذي بمعايير المعرفة وقيم الحقيقة اغتذاءه بنوازع القلب وأخيلة الروح ، ثم يتخذ بعد ذلك مظاهر شتى منها ما هو ديني ومنها ما هو أخلاقي ومنها ما هو عقلي ومنها ما هو جمالي وفني كالحديقة الواحدة مختلفة الالوان طيبة الثمرات ، عظيمـــة الجنى تؤتي أكلها كل حين ·

يخلص معنا من كل هذا ان جميع امكانيات الفلسفة والعلم كانت متوفرة للعرب قبيل اتصالهم بأي لقاح أجنبي ومن ثم نجد ان عقلية جديدة ، وحضارة جديدة على الابواب · فاللقاح الاجنبي لا يؤتي أكله في أرض موات · فهذا نبيهم قد انطلق انطلاقته ، وهذه جزيرتهم قد انتفضت وهذا كتابهم فيه من الصعوبات ما يتحدى عقولهم ، وهذا دينهم يوفر المناخ الملائم لغمائر التفكير ، فمنطق الاشياء يقتضي ان تشهد شبه الجزيرة العربية حركة فكرية لا كالحركات وحدثا تاريخيا لا كالاحداث ، وانقلابا شاملا من المعايير والمثل والاهداف قل ان تجود بمثله الايادي ·

مسألة الخلافة وأثرها في قيام التفكير الاسلامي

توفي النبي عليه السلام ولم يستخلف أحدا من بعده ، فمن عساه ان يخلفه ويحفظ البناء الذي أقامه ؟

سؤال هام جدا لا بد من الاجابة عنه فورا لئلا ينهار الصرح وتغرق السفينة في الاعاصير الهوجاء · فالخليفة امام المسلمين ورئيسهم وراعيهم وربان سفينتهم وقائد مسيرتهم انه يجمع في شخصيته السلطتين الدينة والزمنية في آن واحد · لذلك ستكون الاجابة عن هذا السؤال معقدة وستتضارب فيها الآراء وتتعارض المذاهب والاجتهادات وستتباين الاغراض من حولها وستختلف النيــات ·

سؤال يطرح أول مرة في مجتمع صحي سليم اكتملت له جميع عناصر

http://www.al-maktabeh.com

النمو يريد منذ الآن أن يستأنف السير وحده بعد رحيل قائده • ان الصدمة قوية حقا ، ولكن لا خطر على الدعوة ما دام النبي قد أرسى قواعد المجتمع الجديد وهيأ الاشخاص الذين سيخلفونه • فقد انجبت الدعوة كثيرا من هؤلاء الاشخاص •

ان المشكلات اذا ثارت في المجتمع الصحي السليم كان فيها تنشيط له ودفع لعجلته وشحذ لمواهب أفراده وتفجير لطاقاتهم • وهذا كله ايذان بمولد عقلية جديدة ستتمخض عنها الاحداث •

فالمشكلات في هذه الحالة دليل المجتمع الصحي ، انها نبض الحياة فيه ، وكلما اشتد الحاحها اشتد نبض الحياة في اصحابها • أجل ، ان البيئة الخصبة بالمشكلات هي في الوقت نفسه وبالمقدار ذاته خصبة بالتفكير • ونحن لا ننكر ان المشكلات التي ثارت في المجتمع الاسلامي الاول كان لها طابع ديني وسياسي فقد جرت اليها خلافات حول الامام وشروط الامامة ومن هو أحق بها وأهلها الخ • لكن هذا لا أهمية له ، وانما الذي له كل الاهمية ان كل خلاف هذا القبيل من شأنه ان يجر المختلفين فيه الى محاولة كل فريق تصويب رأيه بجذب نصوص العقيدة اليه وتأويلها بحسب فهمه اياها • وهذه الخلافات وان أعطاها الباحث الطبيعة الدينية السياسية فهي من وجهة نظر مؤرخ الحياة العقلية ذات أثر كبير في تغيير مجرى التفكير على تعدد صوره وتباين أغراضه ، لان من المتعذر وضع حد لآثار الحوادث وقصرها على بعض نواحي الحياة دون بعض • والاوصاف التي تعطى للاحداث بأنها دينية أو عقلية او اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية ••

انما الغرض منها تنظيم البحوث وتسهيل معالجتها • وعلى كل حال ، نجد أن الزمان كان كفيلا بعد ذلك بنخلها وتنقيتها وتفريغها شيئا فشيئا من مضمونها الديني وملابساتها السياسية والاجتماعية قدر الامكان ، فيتبقى من كل ذلك شذور كشذور الذهب تنمو وتنمو على قانون خاص ومنطق مرسوم • ماذا أقول ؟ ان المضمون الديني والسياسي الكثيف لمشكلة الخلافة والامامة وما أعقبها من مشكلات أخرى ارتبطت بها انما هو الدليل القاطع على اصالة الفكر العربي الاسلامي وعلى أنه وليد بيئته ونتيجة حتمية منطقية للجدل الديني السياسي الذي فجر في العصور الاسلامية الاولى وظل يتطور ويتفرع من شحناته الدينية والسياسية وذلك بقوته الذاتية وبما تسرب اليه من روافد خارجية وعناصر لم يتوقف عن طلبها والبحث عنها في جميع مظانها مدفوعا بتلقائية غنية خصبة تحدوها ارادة واعية تصارع طبيعة متمردة قاسية • لقد كان كل ذلك بين يديه أداة لتحقيق ذاته واعطاء معنى لوجوده • ان الجدل الديني هو الاب الشرعي للجدل العقلي الذي نشأ بعد ذلك • والتفكير في المسائل الشرعية هو الذي هيأ للمسلمين فيما بعد للاعمال الذهنية والنظر

مكتبة المهتدين الإسلامية

في العلوم الطبيعية وأورثهم العقلية المنهجية المنسقة التي تعالج الامور بنظرة كلية شاملة ، وما ذلك الا لكثرة معاناة اصحابها للتفكير في مسائل الفقه وأقضيته وقياساته • فمن السذاجة ان يقال ان الدراسات الفقهية المعقدة غريبة عن العمل العقلي والتفكير المنهجي والنظر في العلوم والمعارف ، أو انها تحتاج الى دأب أدنى منها وجهد أقل مؤونة •

حسبنا الآن هذا الاستطراد ولنعد الى ما كنا فيه فنقول :

عندما توفي النبي عليه السلام اشتد النزاع حول من يكون خلفا له حتى ان وحدة الامة اصبحت في خطر • فقال الانصار للمهاجرين : « منا أمير ومنكم أمـير » واتفقوا على رئيسهم سعد بن عبادة الانصاري • وفي الحال حضر أبو بكر وعمر سقيفة بني ساعدة استدراكا لفتنة لا تعرف عقباها • وقبل ان يبدأ الانصار مبايعتهم لسعد مد أبو بكر يده الى عمر فبايعه الناس وسكنت الفتنة باعجوبة • ولما أحس أبو بكر بدنو اجله اوصى بالخلافة لعمر بن الخطاب • والمعلوم أنه لم يحدث في عهد أبي بكر وعمر شيء ذو بال يفجر الصراع العقلي الذي سنحرص هنا على تتبع مساره • فكل شيء كان يجري على ما يرام ، فلم تثر مشكلات ومنازعات تطلق زناد الفكر • لكن هذا الوضع بدأ يتغير في عهد عثمان • فبعد ان اتفق المسلمون « على بيعة عثمان رضي الله عنه وانتظم الامر واستمرت الدعوة في زمانه وكثرت الفتوح وامتلأ بيت المال وعاش الخلق على أحسن خلق وعملهم بأبسط يد » (الشهرستاني ٢٦/١) ثارت الفتنة في البلاد لان أقاربه من بني أمية استأثروا بالحكم والسلطان ، فركبوا المهالك وجاروا على المسلمين وأخذت عليه احداث سببها كلها بنو أمية ، ولم تسكن هذه الفتنة بعد ذلك (المصدر نفسه) •

تلك كانت قسطا من المشكلات في مجتمع صحي سليم بدأ يقرع أبواب التاريخ يضاف الى ذلك تلك الصدمة التي أحدثها مصرع عثمان في مشاعر المسلمين ، مما كان من شأنه ان يشحن الطاقات ويفجر المواهب •

وهناك قسط آخر من المشكلات تهز المجتمع الجديد من القواعد وتتوالى سراعا بما يكفي لقيام المدارس في مذاهب الفكر والعقيدة • لقد كانت الهزات التي تحدثها المشكلات قبل الآن أقل من أن تضع الفكر الاسلامي في طريق اصحاب التيارات والمدارس ، واما الآن فان الهزات ستعقبها هزات وسنرى المشكلات تترى لتفجر طاقات كانت كامنة حتى عهد قريب ، كالنار وقعت على هشيم يابس •

والحق ان المدارس الفكرية في الاسلام تدين لعلي بن أبي طالب وعهده بدين كبير •

http://www.al-maktabeh.com

ان حال التوتر وعدم الاستقرار التي كان يتسم بهما المجتمع الاسلامي في زمان علي ــ وهو مجتمع صحي سليم كما اسلفنا ــ كانا من العوامل الحاسمة التي وضعت المسلمين في طريق قادة الفكر واصحاب المذاهب وجعلت منهم أمة في الطليعة · فالمرجئة التي تسلم فيها زمام الامور كانت من أخطر المراحل التي مر بها المسلمون في عصورهم الاولى · ولولا ان المجتمع الذي ثارت فيه هذه المشكلات مجتمع صحي سليم نواكبه ثلة مخلصة من قادة الرأي لاطيح به سريعا غير ان المشكلات التي ثارت بدلا من أن تطيح به آنذاك كانت من عوامل بنائه ·

التحكيم يعجل في نمو الفكر الاسلامي

ففي زمان علي كان خروج طلحة والزبير الى مكة ، ثم حمل عائشة الى البصرة ثم نصب القتال معه ويعرف ذلك بحرب الجمل ، فأما طلحة والزبير فقد رجعا وتابا ، واما عائشة فكانت محمولة على ما فعلت ثم تابعت بعد ذلك ورجعت · ولكن الخلاف الاكبر الذي كانت له ذيول ومضاعفات لا حصر لها فانما هو الخلاف بين علي ومعاوية وما نتج عنه في معركة صفين ومخالفة الخوارج وحملهم عليا على التحكيم ومغادرة عمرو بن العاص أبا موسى الاشعري ·

لم يجن عليا من هذا التحكيم الا الشوك والعلقم ، فبه فقد طائفة من خاصة اتباعه · فهو بحكم الشرع أمير المؤمنين فكيف يقبل بالتحكيم ؟ ان قبوله به فقط يثير الشك في شرعيته ، وبذلك فقد حقه في خلافة المسلمين · وهؤلاء المنشقون الذين خرجوا عليه بعد ان كانوا أشد الناس اخلاصا له وبرا به هم الخوارج ، ويقال لهم النواصب جمع ناصبي ، وهو الغالي في بغض علي ابن أبي طالب ومناصبته العداء · وهم أول فرقة في الاسلام ·

وللخوارج أهمية كبيرة جدا في تطور الفكر الاسلامي برغم ما يؤخذ عليهم من تصديع وحدة المسلمين · وهم طوائف كثيرة تختلف فيما بينها في بعض التفاصيل ، لكن يجمعهم القول في التبري من عثمان وعلي ويقدمون ذلك على كل طاعة ولا يصححون المناكحات الا على ذلك ، ويكفرون اصحاب الكبائر ، ويرون الخروج على الامام اذا خالف السنة حقا وواجبا ·

لقد كانت حركة الخوارج حركة فطرية بدوية تتميز بالتطرف والتصلب في العقيدة واعلان الرأي بصراحة والدفاع عنه بقوة لا هوادة فيها ، فقد اظهروا في الدفاع عن آرائهم بسالة نادرة لا تظهر في التاريخ الا في أزمنة وضاءة غنية بالتضحية والفداء في سبيل ما يرون أنه الحق ·

وعلى نقيض الخوارج كان الشيعة وهم أصحاب علي وشيعته الذين ظلوا

مكتبة المهتدين الإسلامية

مخلصين له حتى بعد موقعة صفين والذين لم يزدهم سفك دمه الا تعلقا به . لقد قالوا بامامته وخلافته نصا ووصية اما جليا واما خفيا واكدوا ان الامامة لا يجوز ان تخرج من اولاده بعده فالامامة عندهم ليست قضية مصلحية تناط باختيار العامة وينتصب الامام بنصبهم ، بل هي قضية اصولية ، انها لا يجوز للمرسل عليهم السلام اغفاله واهماله ولا تفويضه الى العامة وارساله ، كما يقول الشهرستاني (الملل والنحل ١٤٦/١) .

وهم كالخوارج طوائف كثيرة يجمعهم القول بوجوب تعيين الامام والنص عليه ، وثبوت عصمة الانبياء والائمة وجوبا عن الكبائر والصغائر (المصدر السابق) .

وعلى كل حال نجد ان حركة التشيع مضادة في أكثر صورها لحركة الخوارج . فالتصلب في الرأي الذي يتسم به موقف الخوارج يقابله مرونة عند الشيعة . ومن هذه الناحية فان حركة التشيع أرقى نوعا ما من حركة الخوارج الجامدين لانها أكثر واقعية واكثر ذكاء لقولها بالتقية أي مدارة أولي الامر ولذلك رسخت في نفوس كثيرة وفي بلدان واسعة ، وخلافا للخوارج الذين لا يجيزون انتقال الامامة بالوراثة بل يقولون بامكان الاستغناء عنها وبذلك يذهبون بالديمقراطية الى أبعد مدى - نجد الشيعة ينادون بامامة بيروقراطية اساسها الحق الالهي الذي هو لآل البيت . وبهم تستحيل المقاومة العلنية التي كان يبديها الخوارج الى مقاومة سرية ، اذ ينادون بالتقية أي مداراة أولي الامر والعمل في الخفاء على تقويض حكمهم بينما يندد الخوارج بمبدأ التقية ويستحلون دم القائلين به .

يتبين مما تقدم ان الخوارج والشيعة على طرفي نقيض او يكادان يكونا كذلك فمنطق الحوادث يقتضي ظهور فرقة ثالثة تتخذ موقفا وسطا ويكون لها شبه بكليهما . هذه هي فرقة المرجئة . فاذا كان الخوارج يوحدون بين الايمان القلبي والعمل بالجوارح لا فرق في ذلك بين الكبائر والصغائر فالمرجئة يفصلون بينهما اذ يقولون ان الاصل في الدين انما هو الايمان لا العمل فمن آمن بالله ورسوله ثم اقترف ذنبا ، كبيرا كان او صغيرا ، او ترك فريضة أو قصر في عبادة ، ظل مؤمنا فالايمان انما هو المعرفة بالله وبرسله وبجميع ما جاء به من عند الله ، وان ما سوى هذه المعرفة من الاقرار باللسان والعمل بالجوارح فليس بايمان . فلا تضر مع الايمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة (انظر مقالات الاسلاميين للاشعري ١٩٧/١ والملل ١٣٩/١ وما بعدها) .

وهناك فرقة اخيرة تمخضت عنها احداث السياسة تشبه المرجئة والخوارج والشيعة وتأخذ من كل منها بطرف ، وبذلك تسد الثغرة بين الفرق الثلاث او تكاد ، وتتقارب جملة الآراء فيها . اذ يبدو ان تصلب الخوارج وتساهل المرجئة أحدثا توترا في بعض النفوس ، مما كان سببا في ظهور مذهب اعتزل اصحابه

http://www.al-maktabeh.com

قول الخوارج وقول المرجئة » هذا هو مذهب المعتزلة الاولى أسلاف المعتزلة المتأخرة ، معتزلة واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد ومن جاء بعدهما · فالمعتزلة الاولى اعتزل اصحابها عن علي وامتنعوا عن محاربته والمحاربة معه بعد دخولهم بيعته والرضى به فسموا المعتزلة وصاروا اسلاف المعتزلة الى آخر الدهر كما يقول النوبختي في كتابه (فرق الشيعة) ، وقالوا لا يحل قتال علي ولا القتال معه · وبذلك اعتزلوا الفتنة ولزموا منازلهم ومساجدهم وقالوا نشتغل بالعلم والعبادة (انظر فجر الاسلام ص ٢٩٠) ·

وهكذا نرى كيف ان طائفة من الافكار والنظريات لا عهد لها لبادية العرب بها قد تمخضت عنها مسألتان دينيتان سياسيتان فالشرارة الاولى انما انطلقت عند بحث مسالة الخلافة والشرارة الثانية عندما لجأ علي ومعاوية الى التحكيم · ولا بد ان تجد كل نظرية من هذه النظريات وكل فكرة من هذه الافكار نصيرا يؤيدها او معارضا ينقضها او محايدا لا يبالي بها ولا يتخذ أي موقف منها · وبتلاقح هذه النظريات والافكار التي انما نبتت في بطن الصحراء والتي تتميز بفجاجة البدو وبساطة عقولهم وما أعقب ذلك من محاولة كل فريق تأييد وجهة نظره هو أو معارضة وجهة نظر خصمه معتمدا على الكتاب والسنة ، أقول بذلك بدأت تتكون النواة الاولى للفكر الاسلامي ·

طغيان بني أمية يعطي زخما جديدا للفكر الاسلامي

وسيتمخض الدين والسياسة عن مشكلات أخرى لكن ذلك سيكون في هذه المرة خارج بادية العرب ·

فقد كان بنو أمية يعلمون ان دولتهم لا يرضى عنها كثير من المؤمنين برغم ما كان للامويين من فضل على الاسلام في توسيع رقعته · ولم يكونوا يجهلون أنهم في نظر كثير من رعاياهم قد وصلوا الى السلطة بالخديعة والغدر والقهر وغير ذلك من الوسائل التي لا يقرها الدين · هذه مشكلة هامة تواجههم الآن وتحتاج الى حل سريع والا اطيح بهم · فليطلبوا سندا من الكتاب والسنة ان كان ذلك ممكنا ، لان المجتمع ديني والحساسيات الدينية لا تزال جياشة لها الغلبة والسلطان · فلو أمكن تسخير القرآن لمصالح الحكم اذن فقد استطاعوا امساك الامة بالعنان وصرفها عن الشغب عليهم · وهذا ما فعلوه وهمسوا بذلك الى بعض أعوانهم من قادة الرأي الذين توسموا فيهم القدرة والاستعداد لتولي هذه المهمة · فنقب هؤلاء عما في القرآن الكريم من آيات ربما تشعر بالجبر ليستغلوها في الدفاع عن الحكم الاموي · فالله قدر أزلا ان تصل اسرة بني أمية الى الحكم ، وهو الذي قضى ان يبدو من هذه الاسرة ما نرى من اعمال الظلم والعسف والقهر والطغيان فلا حيلة لاحد في تجنب قضاء الله ، وما قدر ، يكون جفت الاقلام وطويت الصحف ــ فليس في الامكان ابدع مما كان ·

مكتبة المهتدين الإسلامية

ولم تعدم هذه الدعوى مفكرين وشعراء وعمالا جندوا أنفسهم لمناصرتها والمنافحة عنها وتهيئة العقول والافئدة لقبول فكرة الجبر التي كانت دعامة حكم الامويين ، اما اقتناعا بها وتصديقا لها واما ممالاة للسلطات ورجال الحكم • ومهما تكن النيات والطوايا فيمكن ان جهم بن صفوان في مقدمة المنظرين للجبرية في بواكيرها الاولى • فباستغلاله لبعض الآيات التي يفيد ظاهرها الجبر لم يترك للانسان قدرة على أفعاله • فالانسان في نظره لا يستطيع شيئا البتة انه كريشة في مهب الرياح فليس له قدرة ولا ارادة ولا اختيار ، لان أفعاله كلها مخلوقة لله كأي شيء آخر • اننا اذ نسند الى الانسان أفعال ذاته فانما يكون ذلك منا على سبيل المجاز لا الحقيقة ، وشأننا في هذا كشأننا عندما نسند الى الاشياء أفعالا ليست لها ارادة فيها ، فنقول مثلا اثمرت الشجرة وجرى الماء وأمطرت السماء وزالت الشمس الخ • وانما فعل ذلك بالشجرة والماء والسماء والشمس الله سبحانه وتعالى ، الا انه خلق للانسان قوة كان بها الفعل وخلق له ارادة الفعل واختيارا له ينفرد به ، كما خلق له طولا ولونا ينفرد بهما • فلا خالق الا الله فاذا جعلنا الانسان خالقا لافعاله أشركنا بالله الها آخر وقلنا بخالقين في الكون ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا واما الآيات التي ربما تشعر بالاختيار فيجب تأويلها •

وكان جهم أيضا ينتحل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويقول ان الجنة والنار تفنيان ، وان الايمان هو المعرفة بالله فقط ، والكفر هو الجهل به فقط (انظر مقالات الاسلاميين ٣١٢/١ والملل ٨٦/١ ـ ٨٧) •

ان السبب النظري الظاهر الذي حمل جهم بن صفوان على القول بالجبر انما هو عقيدة التوحيد وحساسية الاسلام الشديدة لكل ما يعارض التوحيد • وان عقيدة التوحيد هذه نفسها ستجره أيضا الى انكار الصفات الالهية من سمع وبصر وكلام و •• ما دامت تشعر بالتعدد في ذات الله فهو عند جهم شرك •

فاذا قلنا ان لله صفات دل ذلك على شيئين على الاقل : ذات الله أولا وصفاته ثانيا والصفات فيما بينها متعددة هي ايضا • فالسمع غير البصر وهو غير القدرة ، وغير الارادة وهلم جرا • وبما ان القرآن صريح في دلالته على وحدانية الله فمن الضروري انكار الصفات والتوحيد بينها وبين الذات • وفضلا عن ذلك لا يجوز ان يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه لان ذلك يقضي تشبيها (الملل ٨٦/١ ـ ٨٧) •

لذلك اذا وجدنا في القرآن آيات تثبت الصفات لله تعالى يجب تأويلها بما يتفق وعقيدة التوحيد المطلق ولا يتعارض والتنزيه الالهي ومن ثم يجب صرفها على المجاز • فكما اننا ننسب الى الاشياء ـ من باب الضرورة اللفظية

http://www.al-maktabeh.com

افعالا ليست لها فكذلك القرآن ينسب الى الله ـ من باب الضرورة اللفظية ايضا ـ صفات انسانية لتقريبه الى أذهان البشر ، اذ لا يجوز أبدا حملها على ظاهرها • فاللغة لها مقتضيات واحكام تمنع ـ في كثير من الاحيان ـ من أخذ الالفاظ بمعانيها الحرفية •

ولكن المسلمين لم يكونوا نعاما يسوقهم الراعي بما يهوى ويشتهي ، بل لقد تجرأ كثير من أرباب الرأي على تكذيب هذه الدعاوي والرد على اصحابها بالكتاب والسنة أولا وبالحجة والمنطق ثانيا وعلى كل حال نجد ان آراء جهم بن صفوان لم تستطيع ان تجتذب اليها جميع المسلمين ، كشأن كل دعوى في المجتمعات الانسانية تجد دائما من يناصرها ومن يعارضها على درجات مختلفة ، وما من دعوة في التاريخ انعقد عنيها اجماع قط • هذه هي طبيعة الفكر في كل زمان ومكان • فاذا وجدت الجهمية من يتحمس لها ويدافع عنها فقد هب كثير من قادة الرأي والنظر لمقاومتها وابدوا في الرد عليها نشاطا كبيرا ومما حملهم على الرد أنها دعوة صريحة الى ابطال التكاليف الشرعية وحث على الكسل والتوكل والركول الى القدر ، فضلا عن انها فتحت الباب واسعا أمام تأويل القرآن وتحميل الآيات فوق طاقتها ، هذا الى ما ذكرنا من انها تأييد مباشر للقمع الاموي وممالأة الحكام ، كما انها أخيرا تنسب الظلم الى الله • وقد تصدت لها فرقة القدرية ، وهي جماعة تنكر على رجال السلطة دعواهم وتعتمد هي أيضا على أدلة من الكتاب والسنة فضلا عن دلائل العقل والمنطق والقدرية حركة داخلية صرف يقتضيها منطق الاشياء وجدل الاحداث ، اذ لا يعقل ان يقف المسلمون جميعا على اختلاف طبقاتهم مكتوفي الايدي أمام طغيان الحكام دون ان يبدوا معارضة ما ، نظرية على الاقل ودون ان يتخذوا موقفا من مواكب الافكار التي تبرز على المسرح أمامهم وهي كما قلنا أفكار لا يمكن ان ينعقد عليها اجماع ابدا ، ولكن ذلك لا يمنع ان تتغذى المقاومة ولا سيما وقد خرجت المعركة من بادية العرب ـ بخبرات الامم الاخرى وما تراكم لديها من تجارب ومكتسبات في بلاد الشام وارض العراق •

وهكذا نشأت الحركة القدرية في العالم الاسلامي أول مرة ، وكان لها مؤيدون كثيرون أبرزهم معبد الجهني وغيلان الدمشقي ، وحجتهم في ذلك ان عدل الله يقتضي ان يكون الانسان مختارا في افعاله اذا كان سيثيبه عليها في الدار الآخرة ، والا بطل التكليف ونسب الظلم الى الله • وكما وجدت الجهمية من يعارض ما فيها من جبر كذلك وجدت من يعارض ما فيها من تنزيه وما تدعو اليه من تعطيل للصفات الالهية • انها الصفاتية التي تثبت الصفات لله تعالى ، فوقع غلاتها في هوة التجسيم والتشبيه • فهم ينادون بفهم نصوص القرآن فهما حرفيا لا يعبأ فيه بالضرورات اللفظية واحكامها • فله يد يمسك بها وعرش يستوي عليه من ثم صفات كصفات الانسان •

مكتبة المهتدين الإسلامية

وبين هؤلاء وأولئك يقف السلف الذين « يسلكون طريق السلامة » فقالوا نؤمن بما ورد في الكتاب والسنة ولا نتعرض للتأويل بعد ان نعلم قطعا ان الله عز وجل لا يشبه شيئا من المخلوقات وان كل ما يتمثل في الوهم فانه خالقه ومقدره • وكانوا يحترزون عن التشبيه الى غاية ان قالوا من حرك يده عند قراءة قوله تعالى « خلقت بيدي » واشار بأصبعه عند روايته « قلب المؤمن بين أصبعين من اصابع الرحمن » وجب قطع يده وقلع اصبعه (الملل ١/١٠٤ انظر ايضا ـ ١/٩٢ ـ ٩٣ ومقالات الاسلاميين ١/٣٢٠ ـ ٣٢٥) •

ذابت القدرية وجانب نفي الصفات من الجهمية في فرقة المعتزلة المتأخرة التي ستتمخض عنها الاحداث قريبا ولم يعد لها وجود مستقل وكثير ما تسمى المعتزلة باسم (القدرية) أما لنعيهم القدر السابق واما لانهم أثبتوا للانسان قدرة على الفعل والترك •

وهكذا نرى ان عقيدة الجبر كانت سببا في عقيدة الاختيار ، ونظرية نفي الصفات اقتضت ظهور نظرية اثبات الصفات ، ونظرية التنزيه استتبعت قيام نظرية التشبيه • وهكذا برز الخوارج والشيعة والمرجئة والمعتزلة من قبل ، أي ان كل ذلك انما حصل بضرورات داخلية بحت كان عنصر الاقتباس فيهـا ـ عندما يثبت بالدليل القطعي لا رجما بالظنون والاوهام وبافتعال التأويلات والاجتهادات التي يكون رائدها تجريد العرب من كل اصالة في الرأي والفكر ، وهذا عامل مساعد فقط يغذي حركات واتجاهات كانت هي أيضا قائمة من قبل ويحل معضلات ومشكلات وليدة بيئتها نشأت جميعا في بلاد الاسلام • ان هذه المشكلات والمعضلات قد أثارت عقول المسلمين وافئدتهم قرونا طويلة • فلو لم تكن مشكلاتهم هم ، ولو لم تكن نابعة من أعماق وجودهم ومن مقتضيات أحوالهم اذن لما كانوا تحمسوا لها ولما استفرغوا غاية الجهد والوكد في حلهـا •

نعم ان بعض هذه الحركات قد تبدوا لنا اليوم ـ ونحن ننظر اليها من مسافات زمانية ومكانية بعيدة ـ حركات أقرب الى أن تكون ساذجة وبدائية • ولكن لا بأس • فحسبها أنها كانت أساسا صالحا للنشاط الذي لم يكد يشتد ساعده حتى وجدنا أنفسنا أول مرة أمام حركة عقلية جدية حاولت ان تفيد من جميع الادوات العلمية والفلسفية الميسورة في ذلك العصر • وانتهى الامر بظهور قلة من العلماء والفلاسفة العظام الذين كانوا غرة في جبين العصور الوسطى كلها • لقد انتفض المارد الجبار واتخذ طريقه الى الشمس •

فاذا كان للدين تلك الاهمية التي أسلفنا القول فيها ، واذا كان الاسلام قد هيأ للعرب الحوافز التي لا بد منها لتفجير العقول بالطاقة الكافية لوضعهم في طريق البحث العلمي والتفكير الفلسفي ، واذا كان القرآن فيه من الصعوبات

http://www.al-maktabeh.com

ما يتحدى التفكير العادي فضلا عن التفكير الذي ينزع به الفضول منازع الشطط ، واذا كانت الخلافات والمنازعات التي أعقبت موت النبي عليه السلام قد أثارت من المشكلات ما لا حصر له ، منها الديني ومنها العقلي ومنها الاقتصادي ومنها السياسي والاخلاقي والعسكري ••• واخيرا اذا كان الاجتهاد في الرأي وطلب العلم والتفكير في خلق السموات والارض فريضة على كل مسلم ومسلمة ـ أقول اذا كان الحدث العظيم الذي تمخض عنه شبه الجزيرة العربية في أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع للميلاد مشحونا بكل هذه الطاقات ، فلا نستغربن تلك الانتفاضة المغطيمة التي نقلت العرب من جزيرتهم وهزت أقطار آسية واوربة وافريقية •

وعلى كل حال ، نجد ان الاسلام قبل ان ينجب علماءه وفلاسفته أنجب عددا من الحركات الفكرية التي وضعت ـ برغم الصبغة الدينية السياسية التي غلبت عليها ـ أساسا صالحا للنشاط العقلي الخالص الذي سيقوم به الباحثون عن الحقيقة فيما بعد ، لقد انبثق الفكر الاسلامي وانتعش فكونت النواة ولسوف تنمو هذه النواة نموا ذاتيا بغير لقاح أجنبي • فكيف اذا جاءها اللقـــاح •

والخلاصة ان التفكير العربي الاسلامي قد تكون بانطلاقة محمد بن عبد الله وسيتطور هذا التفكير بعد أن أوجد الجدل الاساسي لتطور التفكير واستتبع ذلك قيام مشكلات تحتاج الى حل سريع فوضعت لهذه المشكلات حلول مختلفة على ضوء الكتاب والسنة وبضغط الظروف والاحوال المستجدة التي أخذت تحيط بالمسلمين وتؤثر في حياتهم كلما تطاول بهم الزمن •

وهكذا وجدت نواة للفكر الاسلامي جعلت تنمو وتنمو لا بالترسب من خارج كما هي الحال في البلوريات بل من الداخل كما ينمو الكائن الحي ، أي بطروح مشكلات تنبجس من صميم الجماعة الاسلامية الناشئة ومن احوال هذه الجماعة ومن طريقة تفكير المسلمين وتصورهم لله والانسان والعالم •

نحن لا ننكر ان المذاهب والآراء التي تمخضت عنها هذه المنازعات لم يكن الباعث عليها باديء ذي بدء نظريا مصرفيا ، بل كان رائدها وهذا ما لا نمل تكراره ـ الدين أولا واغراض السياسة ثانيا • ولكن لا ضير عليها ولا حرج لانها ستتطور قريبا الى منازعات نظرية على يد المتكلمين بعد ان اوجد الجدل الديني السياسي الاساس والقاعدة لهذا التطور الذي سيبلغ غاية مداه على أيدي العلماء والفلاسفة التجريديين •

لقد أصبح في متناول المفكرين المسلمين الآن ثروة لا يستهان بها من المصطلحات والافكار الجديدة التي انما نبتت في بيئتهم كالجبر والاختيار

مكتبة المهتدين الإسلامية

والتنزيه والتشبيه والوصف والتعطيل ٠٠ كذلك ظهرت أول مرة بين المسلمين فكرة المعنى الحرفي والمعنى التأويلي لالفاظ القرآن ، كما بحثت أول مرة شروط الخلافة والامة ودرجات الايمان وصلة الايمان بالاعمال ، والحق الالهي لآل البيت وتجريدهم من هذا الحق ٠٠ الى غير ذلك من بحوث وموضوعات لا عهد لبادية العرب بها ، ولا يخفى أوجه الشبه بينها وبين البحث العلمي والفلسفي ٠

والآن وقد تكونت نواة التفكير عند العرب ــ أي وجد الاساس العلمي والقاعدة الفكرية لتطور الحياة العقلية عند المسلمين وبعد أن أحس هؤلاء بأوجه النقص والفجاجة في طرق معالجتهم للمشكلات والقضايا المطروحة ، اذ لم تكن هذه المعالجة تحمل حتى الآن طابع العلم الخالص والبحث المنظم والتفكير العميق القائم على النظر العقلي وصياغة المفاهيم ــ كيف لا ولم يكن لديهم منهج عام للبحث ولا مقياس واحد يتعرف منه اليقين ؟ بل لقد كان معظم تفكيرهم قائما على النصوص وتفسيرها ، كما كان عامل الشخصية الفردية عندهم المؤثر الاكبر في تكييف الآراء واصدار الاحكام ٠ وعلى الجملة فلقد كان تفكيرهم مرتبطا بالنصوص محصورا في نطاقها لا يتطلع الى ما وراء ذلك ، ولكن سيأتي زمان ــ ولن يكون بعيدا ــ يتطور فيه هذا التفكير وسيتحول من دائرة التفكير الفردي المرتبط بالنصوص الى تفكير منهجي يتعمق في درس القضايا في ذاتها فلا يرجع الى النصوص الا لتكون سندا للنظر العقلي وشاهدا على صحة هذا النظر وسيأتي بعد ذلك زمان يتطور فيه التفكير ويتحرر من وصاية النصوص لينطلق في أجواء بعيدة جدا عن هذه النصوص ، باحثا منقبا معتمدا على قوته الذاتية لاهم له الا الوصول الى الحقيقة والبحث عنها في جميـع مظانهـا ٠

لقد خطا المسلمون الخطوة الاولى في هذا الطريق وحدهم ، ولا بأس بعد ذلك ان يطلبوا العون من غيرهم ليقطعوا أشواطا أخرى في الطريق الذي لا يرون له من نهاية ، لذلك فقد راحوا يتطلعون الى آفاق أوسع ليكملوا معارفهم ويتعلموا من الشعوب التي هي أعرق منهم في العلم والحضارة وأرسخ قدما في طريق البحث ومنهج التفكير فضلا عن المادة الغزيرة ٠

والآن كيف تمت النقلة ؟ وكيف حصل العبور من الجدل الديني الى اهتمام بالبحث العلمي والفلسفي ؟ لم يكن للعرب قبل الاسلام شخصية عقلية واعية بالمعنى الصحيح ومن ثم لم تكن عندهم نواة للتفكير المدروس المنظم فلما جاء الاسلام طرأت تغيرات عميقة على شبه الجزيرة العربية والمنطقة المحيطة بها ، فاستتبع ذلك نشوء مجتمع جديد له حاجات وهموم ومشكلات وآمال واهداف وقيم ومثل جديدة وبذلك فقد اتيحت فرص للتفكير واجهاد القرائح لا عهد للعرب بها من قبل فالامر كله اذن مرهون بالنواة التي تكونت وبحاجة

http://www.al-maktabeh.com

هذه النواة الى الاكتمال والنضج ، ولا يكون ذلك الا باستمرار التغذي وطلب الرفد ومواصلة الجهد في البحث عن الحقيقة والاخلاص لها والصدق في سبيل الوصول اليها • يجب الابقاء على الدوافع النبيلة والمثل الرفيعة التي رافقت تكوين النواة وعلى الآمال الجياشة التي تحركها وتبث الحياة فيها •

ان الخطوة الاولى دائما أصعب الخطوات وقد خطا العرب هذه الخطوة وانطلقوا في المغارة الكبرى وما تبقى بعد ذلك فانما هو مسألة زمان واستمرار وتكامل فالزيت الذي يضمن للشعلة ان تستمر وللجذوة ان تبقى ليس كله في حوزة العرب •

فلا بد ان يستوردوه من خارج بلادهم فلا غرابة بعد ذلك ان يندفعوا في طلب العلم والتماسه في كل أفق ومورد لقد كانت نفوسهم عرثى عطشى لا يروي ظمأها الا العلم ولا يسد رمقها الا المعرفة حتى اذا خرجوا من عقر دارهم واخترقوا الآفاق وفتحوا البلاد والامصار ، بدأوا يغترفون من ثقافات هذه البلاد ويستقون من مناهلها ها هم أولا الآن وجها لوجه مع العالم الجديد الزاخر بالصور والاحداث والافكار والحضارات وامامهم مئات المفكرين والباحثين والمثقفين وألوان من الناس والامزجة والمواقف والخبرات لقد خرج المارد الجبار من القمقم ليصنع التاريخ ويتولى بنفسه قيادة الاحداث •

ان الجدل الديني في المجتمع الصحي السليم كان بداية التحرك للمغامرة الكبرى • قبل ان تنطلق السفينة الى حيث تريد كان لا بد من ان تقطع وتغادر المرسى لتمخر عباب اليم وسط العواصف والاعاصير وليس الاقلاع عملية سهلة ، ولا سيما اذا كان الماء عند الشاطىء ضحلا وكان الطريق الى أعالي البحار مليئا بالصخور والخلجان والشعاب المرجانية • فالاقلاع يحتاج الى مجموعة من الصفات لا تتوافر لكل انسان كما ان السير في أعالي البحار يحتاج الى مجموعة أخرى من الصفات لا بد منها للابقاء على توازن السفينة وقيادتها في اللج لقد اقلع العرب الآن بالسفينة وانطلقوا يشقون طريقهم وسط عباب اليم • ان الجدل الديني غطاء لاهتمامات كبيرة تشغل المسلمين لم تكن تشغلهم من قبل • أجل ان الجدل الديني في هذه الحالة يخفي تحته صراعا داخليا يحرك الشخصية ويثير منها ، وينعكس في حركات ظاهرية يمكن قراءتها قراءة عملية لاستنطاق مكامن الصمت في هذه الحركات التي لا تقول كل شيء وللتوصل الى رؤية الحركة الباطنية في مجراها الحقيقي الذي تتوارى فيه القوى الفاعلة والدوافع الاساسية •

ان الجدل الديني قبل ان يتحول الى اهتمام بالعلوم والفلسفة يجب ان تتوفر له بعض الصفات التي رأينا طرفا منها • فاذا اردنا استنطاق هذا الجدل في مرحلته تلك ونقبنا فيه وحللناه الى عناصره الاولى وجدنا تحت الغطاء

مكتبة المهتدين الإسلامية

مبلغهم من العلم واما اصحاب الفطرة الفائقة فقد كان العلم عندهم مواقف حية ومناهج فكرية وتربية خلقية وضبطا للذات واقتحاما للمجهول • لقد وقر العلم في نفوسهم وامتزج بمهجهم واختلط بشغاف قلوبهم واصبح عشقا للمعرفة وحبا للحقيقة ومتعة للروح تجردت من أي حاجة عملية وابتذال مادي رخيص اما اثره فيهم فلم يكن سوى تأجج نار بدأت تلتهم قلوبهم وفكرهم •

وبطبيعة الحال لم يكن ذلك على نطاق فردي • فلو قامت هذه الحركة على اكتاف بعض الآحاد لاخفقت ولقضي عليها في المهد • فالحركات التاريخية الكبرى لا تقوم على مجهود شخص واحد او بضعة أشخاص بل لا بد لها من جهاز كامل من المواهب والآلات والادوات ، لا بد لها من أجيال متعاقبة من العلماء والنظار والمفكرين من أصحاب الخيال الواسع والعقل المبدع والبصيرة النافذة والتعليل الصحيح والايدي الخبيرة والانامل الطيعة الدقيقة ، والقرائح الرياضية الخصبة • وكذلك لا تقوم الدول الحقيقية المعتيدة على الافراد وعلى ارادات الافراد وحدهم ، ما لم تكن دولا من الكرتون • بل تفرز جهازها الكامل من المفكرين والعلماء والحكام والمحسنين ودور الرعاية والتشجيع •• فتخلقهم خلقا وتنجبهم انجابا من محض مادتها وصميم نسيجها ، بقوتها الذاتية وروحها الباطن وتلقائيتها الفعالة ليأخذوا بناصيتها في أوقات الشدة والرخاء ويسددوا خطاها ويهدوها سواء السبيل • فالعلوم مرآة صادقة تعكس الوجه الحضاري لاي أمة من الامم ونصيبها من الرقي والتخلف • ولا يمكن ان تقوم نهضة علمية الا في أمة ذات قيم حضارية • فلولا نهضة العرب وتقدمهم في جميع الميادين لما انجبوا ذلك العدد الضخم من الفلاسفة ، والعلماء والاطباء والقادة في عصور الازدهار الاسلامي ، ولما تفتحت تلك المواهب والعبقريات التي كانت غرة في جبين الاسلام • وهذه المواهب والعبقريات قد خلقت لنفسها الجو والمتنفس وشقت الدروب والقنوات ونسجت الحياة والمصير في حركة متجددة دائمة من الاخذ والعطاء والتبادل لم تتوقف الا عندما بدأ ذلك المد العظيم ينحسر من جميع جوانبه ، فانطوى ذلك البساط وذهب العلم والعلماء •

ولنأخذ علما كعلم الفلك مثلا • فقد بذل العرب جهودا جبارة لاقامته علما استقرائيا مستقلا عن التنجيم يستند الى الملاحظة الحسية ويصطنع الارصاد لتعليل حركات الاجرام السماوية وتفسير الظواهر الفلكية ، كل ذلك تم برغم امكانياتهم المتواضعة وظروف العمل الصعبة والاغلال التي كانت تكبل هذا العلم وتتعثر بها خطواته • بل ان العرب عندما لم تتوافر لهم الامكانيات المطلوبة ، خلقوا هذه الامكانيات من ذوب عقولهم وعصارة أذهانهم واعصابهم • وذللوا كل ما وسعهم تذليله من صعوبات وعقبات ما كان اكثرها في تلك العصور ! فهم لم يسلموا بالقدماء أوصياء عليهم وان نهلوا منهم ما نهلوا • فقد عدلوا ما أخذوه ونقحوه وعارضوه وانتقدوه وخالفوه وتوسعوا فيه وخلقوا

http://www.al-maktabeh.com

خلقا جديدا وابتكروا محدثا وادى التقدم في الفلك الرصدي على أيديهم الى آفاق جديدة رحبة • وما ينطبق على علم الفلك ينطبق على علم الطب والكيمياء والرياضة والعلم الطبيعي والجغرافية والتاريخ والاجتماع •• ولم يكن ذلك ليتوافر لولا أنهم كانوا في مستوى الحدث الكبير ولولا انهم كانوا اكفاء للمسؤولية التاريخية الضخمة التي ووجهوا بها فجندوا لهذه العلوم جميعا العقول والقرائح والخبرات ، ورصدا لها الاموال والهبات واخترعوا لبعضها شتى الاجهزة والآلات •

والخلاصة ان وراء الطريق الذي كان العرب روادا فيه تلك الصفات السرمدية التي مكنتهم من ان يكونوا في يوم من الايام منائر تشق حجب الظلام وان يمروا في هذه الارض مرور الغمامات الخيرة فوق الفيافي والقفار تهطل ثم تهطل ثم تمضي تاركة وراءها الرياض والمروج مخلفة الرواء والسقيا لقوم جياع عطاش تاعسين • فالعرب لم يصلوا الى ما وصلوا اليه الا بفضل اخلاصهم للمعرفة وشغفهم بالعلم ، وتعلقهم بالحق والخير والجمال • لقد تخطوا الحاجات العملية فأصبح عندهم متعة بعد ان كان سلعة وغاية بعد ان كان وسيلة وخبزا يوميا بعد ان كان تسلية وقتية • لقد انفصل العلم عن العمل واصبح يطلب لذاته بعد ان كان يطلب لغيره • وعندما يصل الايمان بالعلم الى هذا المستوى الرفيع من النضج ، وعندما يستولي على صاحبه ويستهويه فارتقب يوم يأتي بالمعجزات •

وبذلك لم تكن أرض الخلافة تلك الا امبراطورية فسيحة تمتد من الخليج الى المحيط بقدر ما كانت تلك القيمة الانسانية الحضارية التي طلت عبر القرون والدهور نموذجا للاشعاع العقلي والسمو الروحي وصيغة فريدة فذة للتعايش والتسامح والتكافل سبقت جميع الصيغ المماثلة المعروفة الى اليـوم •

الاهتمام بالبحث الفلسفـي

والآن بعد ان فرغنا ـ أو كدنا ـ من رسم الخطوط العريضة لعملية تحول الجدل الديني الى اهتمام بالبحث العلمي ، هلم الى رسم الخطوط العريضة لعملية أخرى موازية لها انتهت بتحول هذا الجدل نفسه الى اهتمام بالبحث الفلسفي • والعمليتان متشابهتان ومتكاملتان في رأينا • فما قلناه عن كيفية تحول الجدل الديني الى اهتمام بالبحث العلمي ينطبق بعد شيء من التعديل على ما سنقوله الآن في كيفية تحول هذا الجدل الى اهتمام بالبحث الفلسفي وما سنقوله الآن ينطبق هو ايضا بعد شيء من التعديل ايضا على ما قلناه من حيث تحول الجدل الديني الى اهتمام بالبحث العلمي • فالمنطلقات واحدة والخلاف انما ينجم عن التركيز على بعض العوامل اكثر من بعض الآخر تبعا لسياق وقرائن التفكير •

مكتبة المهتدين الإسلامية

الديني الكثيف مجموعة من القيم والمثل كان على رأسها طلب الحكمة والبحث عن الحقيقة والشغف بالوصول اليها • وقد فعل العرب ذلك بتصميم اكيد وعزيمة قوية والتزام كلي •

وآية ذلك ما أبدوه من حماسة للمعرفة تجاوبت اصداؤه في طول البلاد وعرضها لقد وجدوا في هذا الجدل حلا لمشكلاتهم يؤيد ذلك العدد الكبير من المدارس الفكرية التي ظهرت قبل ان ينقضي القرن الاول للهجرة • لقد كان كل شيء ينتظر الشرارة الاولى ، وهي مشكلة الخلافة حتى اذا انطلقت هذه الشرارة برزت أربع مدارس في الرأي دفعة واحدة • وعندما انطلقت الشرارة الثانية وهي معركة صفين وما أعقبها من مشكلات وأزمات برزت مدارس أخرى تفاعل بعضها ببعض واصطرع بعضها ببعض • والرأي كان يجر الرأي ، والفكرة تشحذ بالفكرة لقد تكونت النواة • لقد أقلعت السفينة بأمان وغادرت الصخور والخلجان ويمكنها الآن ان تذهب الى حيث تشاء •

لقد شغف العرب بالعلم والمعرفة شغفا لا نظير له الا في عصور التطورات التاريخية الكبرى • وقد ظهر ذلك واضحا جليا فيما بعد في تنافس الحكام والولاة والوزراء والخلفاء في اعلاء مقام العلم والعلماء وبسط اليد في الانفاق على بيوت العلم ومساعدة الفقراء في طلبه • واعظم ما يذكر لهم في هذا المجال الاثر الكبير الذي قامت به الكتب الاجنبية في حروب تلك العصور والطريقة التي جلبت بها • فقد كانت المخطوطات الاغريقية على رأس تعويضات الحرب التي خاضها الخلفاء مع الروم ، فكان هؤلاء عقب المعارك التي هزمهم المسلمون فيها ــ كعمورية مثلا ــ يسعدون بتسليم ما عندهم من مخطوطات والتخلص منها بقدر ما سعد العرب بالظفر بهذه المخطوطات وقراءتها وتحصيل المتعة والفكرة التي تنطوي عليها ، هذا على الرغم من أن أولي الامر في القسطنطينية كانوا يضنون بها على طوائف السريان في الشرق ويعدونها من الكنوز الثمينة التي لا يجوز التفريط فيها • وكثرت بعثات بغداد وقرطبة الى بلاد الروم • لقد كانت هذه بعثات حضارية فريدة في التاريخ • فقد حرصت على شراء مخطوطات الاغريق بأي ثمن والتنقيب عما اختفى منها في الاقبية والسراديب وانقاذ ما كان منها مهددا بالتلف والفناء واصابت تلك البعثات من النجاح ما فاق كل تقدير •

يضاف الى ذلك ان الدين ــ كل دين ــ في مراحله الاولى اندفاع وحماسة وعواطف جياشة ، لكنه في المرحلة الثانية يقل الجيشان العاطفي فيه ليحل محله الهدوء والتفكير المنهجي ، ويتخفف من شحناته الحماسية كلما تقدم به الزمن ويتبلور بمضي الوقت في صيغ من التحرك الواعي المدروس الذي يتشعب في اتجاهات ومواقف تتفاوت في نصيبها من الدفء الديني والبرود المنطقي • واما المرحلة الثالثة فهي طقوس وشعائر ورسوم جامدة فقدت روحها ولب لبابهـا •

http://www.al-maktabeh.com

وهكذا كان الاسلام في مرحلته الثانية فقد كان منطلقا لمدارس وافكار منها الصوفي ومنها الفلسفي • وقد تدخلت الحاجات العملية للتعجيل ببعض هذه الحركات دون بعض وتغليب بعضها على بعض • وما هي الا أن تخففت من هذه الحاجات واستغنت عن أطيافها المادية وانتهت الى معارف تطلب لذاتها بعد ان كانت تطلب سندا للدين وحاجات الايمان او لتحقيق منفعة دينوية عاجلة • فنجد مثلا ان العرب ـ بعد التوسع في الفتوح ووفرة الخراج واستفحال الحضارة احتاجوا الى علوم تسهل عليهم القيام بفروضهم الدينية التي تعتمد على الحساب والتقويم والتوقيت وتساعدهم على تنظيم شؤونهم المالية وضبط حساباتهم ، ومن هنا أقبلوا على دراسة الرياضة والهيئة لضبط الزكاة ومعرفة الاهلة وتحديد القبلة وأوقات الصلاة • ويدخل في هذا الباب أيضا حاجتهم الى علاجات جديدة : غير علاجات البادية البسيطة بعد ان ترهلت أجسامهم وفشت فيهم أمراض الحضر نتيجة لانغماسهم في الترف وتهالكهم على المآكل الدسمة التي اتقنها الفرس والروم •

كما ان العرب عندما خرجوا من عالمهم الضحل الهزيل وأقبلوا على عالم غني بالافكار والمعاني وهبوا ليصنعوا عالمهم الجديد ونهضتهم الفذة أحسوا بالحاجة الى أساس نظري للدين يساعدهم في الدعوة الى الاسلام والدفاع عنه أمام المخالفين والمنكرين الذين هم أكثر ثقافة من العرب واعرق منهم في العلم والحضارة • فلا بد لهم والحالة هذه من اصطناع وسائل هؤلاء المخالفين والمنكرين في الرد عليهم وعلى الخصوم والمبتدعة من المشاركين لهم في الملة • فقد كان الجدل الديني والعقائدي على أشده بين المسلمين بعضهم مع بعض وبينهم وبين المشركين واهل الكتاب • فكان لا بد من الاطلاع على الفلسفة اليونانية ليتثقفوا بها وعلى المنطق اليوناني ليسترشدوا به في تنظيم الحجج وترتيب البراهين ويكونوا اكفاء لاهل الكتاب علما وثقافة واستخداما لاساليب الحجاج والمجادلة • فالجدل الديني الذي كان عصب هذه الحركة وجد في ثروته الجديدة من المخطوطات بغيته وضالته المنشودة •

لقد قوى فيهم الآن المنطق والرياضة والطب والفلك • واقتادتهم هذه العلوم الى علوم أخرى كالكيمياء والجغرافية والتاريخ •• فدرسوها جميعا وأمعنوا النظر والفكر فيها • لقد شقت هذه العلوم قنوات لها في عقول المسلمين وفتحت أذهانهم على آفاق مجهولة لديهم • وكان بينهم الموهوب ومن هو دون ذلك • وتفاعل ذلك كله بعضه ببعض وكان لقاح وكان اخصاب • فأما متوسطو الذكاء فقد جمدوا واوقفوا من هذه العلوم عند الحاجات العملية واكتفوا بالقراءة والشرح والتعليق والاغراب في الحواشي دون أن يضيفوا اليها شيئا ذا بال • لقد مسهم العلم من السطح دون ان يتغلغل في الاعماق كأنه عابر سبيل • لقد اصطنعوا العلم للحذلقة والتفاخر والتباهي بمعرفة علوم الاوائل وفي أحسن الحالات للدفاع عن موقف ديني • ذلك

مكتبة المهتدين الإسلامية

فالجدل الديني في رأينا هو الذي وضع الفكر العربي وهو في ابان تطوره العاصف في مجرى التفكير العلمي والفلسفي في آن واحد • اجل ان هذا الجدل لم يبقى جدلا بحتا بل لقد طرأت عليه تطورات كثيرة غيرت معالمه • واذا اردنا الدقة قلنا ان الجدل الديني طاقة قابلة للتحول الى صور أخرى من الطاقة باجراء بعض التعديلات عليها فقسم من هذه الطاقة ظل جدلا يخدم أغراض الدين والايمان • وقسم آخر بتطوره الذاتي وباللقاح الخارجي الى اهتمام بالبحث العلمي واللغوي •• الخ وهناك قسم ثالث ظل يتطور ويتخفف من غلوائه الدينية وشحناته العاطفية ليتخذ في نهاية المطاف صورة البحث العقلي الهادي الرصين ، لقد اصبح ـ بحكم دوافعه الداخلية وبروافد خارجية لم يتوقف يوما عن طلبها والسعي اليها ـ نظريات فلسفية في الله والكون والانسان والمصير •

وأول تطور طرأ على هذا الجدل تحوله الى ما يعرف بعلم الكلام • فعلم الكلام فلسفة دينية غايتها الدفاع عن العقائد الايمانية بأدلة عقلية والرد على المبتدعة والنخالفين والمنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف واهل السنة •

فعلم الكلام بدأ جدلا في العقائد ولكنه جدل اعتباطي غير منهجي ، وقد ظلت مواد هذا الجدل تتراكم وتتفاعل ببعضها بعضا وبروافد جاءتها من خارج من غير نسق او نظام وبقيت متعثرة مفككة مشتتة لا تنتظمها وحدة تاليفية تجعل منها علما مستقلا قائما بذاته حتى جاء عصر المأمون • هنالك بدأت تبرز أولى طلائع الفكر الفلسفي الذي بدأ يستقل عن علم الكلام ، وكان الكندي أول مظهر لحركة الاستقلال هذه • ففي القرن الثالث كان علم الكلام قد بلغ درجة عالية من النضج عن يد المعتزلة ، ان منهجهم في البحث والنظر كان يتسم بظاهرة الامعان في استقصاء الفكرة الواحدة وتقليبها من جميع وجوهها والتغلغل فيها الى أقصى امكانياتها وشق أبعاد جديدة لها واكتشاف يمكن ان تنطوي عليه من عناصر عقلية ومواد فكرية تساعدهم على صياغة وجهة نظرهم في الله والكون والحياة والمصير فما من مسألة كانت تطرحها حركة الحياة في المجتمع الا تصدى لها المعتزلة لمعالجتها وتحليلها وعرضها على ميزان العقل والالتزام بحكمته والاهتداء بنوره وايجاد اللحمة بين الموقف الديني والموقف الميتافيزيقي فصرفوا كثيرا من الآياتعن معانيها الظاهرة الى معان أخرى يقرها العقل وأنكروا الاحاديث التي لا تستقيم مع معيار العقل • وقد اكسبوا الاسلام معارك مظفرة ، واتاحوا له فرصا ذهبية للدفاع عن الذات والصمود في وجه الحملات التي ما انفكت تشن عليه في كل صعيد • وظلوا في كثير من الاحيان منسجمين ومنهجهم الفكري المتماسك وان اخفقوا في بعض الحالات الاخرى في تأويل بعض الآيات وتحميلها فوق ما تحتمل ومضوا في هذا السبيل الى آخر المدى ، بل لقد نفذوا الى جوهر عملية التفكير

http://www.al-maktabeh.com

وطرقوا بذلك أبواب الفلسفة واقتحموا معاقلها وكانوا يفعلون ذلك بالتزام كلي وبتجرد مطلق لقد كان رائدهم اولا دعم الموقف الديني بأقصى ما يمكن من الالتزام العقلي واغناء المنقول بآفاق المعقول ثانيا ولكن سرعان ما تخطوا ذلك الى رحاب الفلسفة ومعاقل الميتافيزيقا ·

وقد كانت العلوم مزدهرة في بغداد آنـذاك حيث يزدهر العلم تزدهـر الفلسفة · فالفلسفة لم تظهر في بلاد الاسلام الا بعد ان اكتملت النواة وبعد ان نضجت البذور الفكرية وبعد ان وجد الاساس النظري والقاعدة العقلية التي سيقوم عليها البناء وجاءت الظروف الموضوعية والاحـداث التاريخيـة والتطور الحضاري لتعجل بهذه المسيرة وتصب في المجرى الكبير الذي شقه الفكر العربي الناشىء لنفسه ، لقد نمت البذور في حضانة الحياة العربية الاسلامية وبدأت تؤتي أكلها وتعطي ثمارها في القرن الثالث وتتبلور فلسفة خصبة · لقد استقام الفكر العربي واتخذ طريق تطوره العاصف وجاءت ظاهرة الفتح لتقدم الزاد الغذاء ولتعجل في تمازج العناصر الداخلية والخارجية وتقوي عملية التفاعل الثقافي والاجتماعي بين العرب والشعوب التي اتصل بها الاسلام · وكانت الفلسفة الاسلامية احدى ثمار هذه العملية · فجميع المسائل التي نجمت عن الشرارة الاولى والشرارة الثانية دخلت حلبة الصراع الديني السياسي أولا ثم تحولت الى حلبة الصراع الفكري النظري بعد ذلك فكل ظاهرة دينية وسياسية تنطوي على ظاهرة فكرية تبدأ جنينا يظل ينمو وينمو حتى ينفض عنه جميع أغشيته ويخرج فكرا سويا يمكن توجيهه بعد ذلك توجيها علميا او فلسفيا أو غـير ذلك بحسب مشارب الاشخاص الذين يتأثرون به واستعدادتهم ومقتضيات احوالهم ومطالب بيئتهم وعصرهم ·

فالناس متفاوتون في الذكاء والتفكير والمواهب والقدرة على مواجهة المشكلات والازمات والتحديات وهم غير قلة منهم ليس لها من الانسانية الا الاسم ـ تحتدم في نفوسهم أزمات وصراعات تختلف في حدتها من شخص الى آخر لاسباب نفسية واجتماعية واقتصادية وعقلية وحضارية الخ ··· واكثر هؤلاء يجدون في الدين علاجا لازماتهم ويكتفون بما جاء فيه من حلول واجابات ترضي تطلعاتهم وتريحهم من عناء التفكير الشخصي والبحث الذاتي المستقل فالله خلق السموات والارض في ستة ايام وانما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون · وفي الكون آيات وشواهد تدل على انه خالق هذا العالم وعلته · والناس من آدم وآدم من تراب · والموت ليس نهاية للحياة بل هو مدخل الى حياة أخرى يجد فيها الانسان ما قدمت يداه ان خيرا فخير وان شرا فشر لقد كفاهم الدين مؤونة التفكير في هذه الامور فعلام اعنات الذهن ؟ هؤلاء الناس موجودون دائما لا يخلو منهم زمان ولا مكان · انهم مادة الانسانية وعنصرها الغالب فالنصوص المقدسة لم تترك مسالة من هذه المسائل دون ان تجيب عنها ·

مكتبة المهتدين الإسلامية

وكفى الله المؤمنين القتال . والحق ان الدين قد قام بوظيفة حيوية هامة في حياة هؤلاء الناس والا لاضناهم القلق وتآكلتهم الازمات . لكن هناك قلة ضئيلة من النـاس لا يرتوون بما جاءت به النصوص المقدسة بل يطلبون المزيد والمزيد ويتطلعون الى ما وراء هذه النصوص والى الاسس النظرية التي تنطلق منها والافاق البعيدة التي تتراءى خلفها حيث يعمل العقل حرا طليقاً معتمداً على مصادره الذاتية انه يفضل المحاولة واحتمال الخطأ على التلقين الآلي انها روح المغامرة تشعل بعض النفوس وتزج بها في مأزق تجد هذه النفوس غاية المتعة والمنى في مواجهتها وحيدة بلا حجر عليها ولا عون يأتيها من مصدر آخر غير ما يتدفق فيها من قوى وطاقات . ولا عليها بعد ذلك ان تخطىء او تصيب فليست العبرة في احتمال الخطأ والصواب بقدر ما هي في الايمان بالذات والقدرة على اثباتها .

وقد انجب العرب عدد لا يستهان به من هؤلاء الافذاذ القلائل الذين لا يشفي غليلهم ظاهر النصوص بل يريدون ان ينفذوا الى أعماق هذه النصوص ولا سيما في عصر التطور الثقافي العاصف الذي بدأ يجتاح العرب والمسلمين منذ القرن الثالث للهجرة فهم لا يكتفون بالمنطلقات الايمانية دون ان يضعوا لها الاسس النظرية وان ينهلوا مادة هذه الاسس من معين نفوسهم ومن مجموعة المعارف الفلسفية التي كانت تتدفق عليهم من مختلف المصادر المتوفرة لعصرهم ومجتمعهم آنذاك . انهم ملح الارض ولا يزكو الطعام الا بقليل من الملح . انهم شذور الذهب بين ركام من الطين والتراب وانما الدين للعامة ، هذا ما يقول به فلاسفة الاسلام دائما أو هذا لسان حالهم على الاقل . اما هم ــ الخاصة ــ فلهم مناهجهم في البحث والنظر فهؤلاء الذين فضلوا انفسهم عن العامة واستنكفوا عن فهم النصوص كما تفهمها العامة وكانت لهم مدرستهم وطريقة تفكيرهم ، هم طلائع التفكير الفلسفي في الاسلام . لقد مضى عهد الايمان الساذج وجاء طور البحث والنظر واضفاء الصبغة العلمية والفلسفية على قضايا الدين والايمان فالفلسفة انما تنطلق من منطقها الخاص لا من منطق المسلمات الدينية وان كان الخير كل الخير في هذه المسلمات لكن ما العمل اذا كانت المغامرة هي عصب التفكير الفلسفي ليس من الجائز بعد الآن قبول النصوص بمدلولها الحرفي ان العامة بحكم تكوينهم العقلي وعجزهم عن الغوص على المعاني الخفية وراء هذه النصوص ليسوا حجة في الدين بل لا بد من الشك في مدى ما فهموه من النصوص ومراجعة النظر فيها والتأمل في جميع الوجوه المحتملة للوصول الى ضرب من اليقين يزيل كل شك ويدفع كل شبهة ، وسواء أرضي العامة باجتهادات الخاصة أم لم يرضوا فالقافلة يجب ان تمضي وليكن بعد ذلك ما يكون . لقد اشتد الصراع بين الفريقين ، فريق أهل المنقول وفريق أهل المعقول في نطاق فهم آيات القرآن أول الامر وظل يشتد حتى خرج الى نطاقه الاوسع الكبير وتطور الى صراع فكري شامل وكل فريق من

http://www.al-maktabeh.com

هذين الفريقين ليس موحد الرأي والاتجاه فالفريق الذي اسميناه فريق العامة ينطوي على أفرقاء صغرى مختلفة فيما بينها يجمعها الالتزام بالتقليد والعداء لكل تفكير مستقل ويدخل في هذا الباب المحدثون والفقهاء والحشوية والظاهرية واضرابهم كما ان فريق الخاصة يجمع رجاله احتقار التقليد والالتزام بالرأي والاجتهاد والعداء لكل تحجر نصي ضيق ويدخل في هذا الفريق علماء الكلام ولا سيما المعتزلة ـ والفلاسفة والصوفية وجميع أهل الرأي وارباب النظر والاجتهـاد ٠

ليس المهم في تكوين الفيلسوف ان يقف من الدين موقف الخصومة والعداء ، بل ان تتوافر له الموهبة العقلية والاستقلال في الرأي وان تكون له آفاق فكرية رائدة ٠ فاذا انضم الى ذلك المناخ الطيب والتشجيع الصحيح والروافد الخارجية واوقات الفراغ وما الى ذلك من الظروف الموضوعية ، فلا بد لهذه الموهبة من ان تنمو وتتعاظم ولا بد لهذا الاستقلال في الرأي من أن يفتح لصاحبه معاقل جديدة ولا بد لهذه الآفاق من ان تتسع وتترامى ٠ ماذا أقول ؟ ان الموهبة قد تكون أحيانا اقوى من الظروف الموضوعية وكثيرا ما تشق طريقها بين الصخور والاشواك كما حصل للفارابي الذي يقال : انه كان ناطورا في بستان في دمشق وكان دائم الاشتغال بالفلسفة وكان من الفقرة بحيث كان يستضيء في الليل بالقنديل الذي للحارس ثم عظم شانه بعد ذلك كما يقول ابن أبي أصيبعة ٠ وهذه الرواية لا تقلل من قدره فقد كان اكليانت الفيلسوف الرواقي سقاء يوزع الماء في البساتين وفي ضواحي أثينا وكان اسبينوزا يعيش من صنعة الساعات في هولندا ٠ وهكذا كان اكثر الفلاسفة والعلماء والمفكرين في كل جيل ٠ الموهبة تاتي أولا وهي تتولى الباقي حتى لو لم تتوفر لها الظروف التاريخية والموضوعية ، فكيف اذا توافرت هذه الظروف ؟ العبرة بالموهبة فان وجدت فذاك والا خلقتها لا أقول من العدم بل بتحين الفرص التي لا بد من ان تجد فيها اصحاب الفطرة الفائقة مواطىء لاقدامهم ومواقع ينطلقون منها الى الاعمال الكبيرة بينما سائر الناس لا يقدرون على شيء وكم من فرصة تفوتهم في ركب الحياة فيمرون عليها وهم غافلون ٠

هناك مشكلات كثيرة تحتدم في ساحة الصراع الفكري في بلاد الاسلام وكان كل مستطيع يدلو بدلوه وكانت الحلول تختلف باختلاف الرجال واقدارهـــم وقدراتهم بهم تظل النار المشتعلة والصراع محتدما حامي الوطيس ٠ فكل حل من هذه الحلول هو وقود جديد يثير من المشكلات والازمات بقدر رغبته في التخفيف منها ٠ الجميع يشاركون في الصراع كالكرة يتقاذفها الفريقان في الملعب الواحد فتحرك بها العقل العربي كله تصعد به وتصوب وتمخضه مخض القرب وكانت حصيلة ذلك مذاهب دينية وعقلية انطلقت بالفكر العربي في مجرى تطوره العاصف نحو التفكير الفلسفي ٠ فالافكار الجديدة التي ظهرت في ظروف الصراع الديني والسياسي كانت وليدة هذه الظروف غير انها

مكتبة المهتدين الإسلامية

أنا لا أزعم ان الفلاسفة العرب قد خلقوا مادتهم الفلسفية من العدم ، فكل ما أقوله ان الشرارة الاولى والشرارة الثانية كانتا التحدي الكبير الذي فتق الاذهان وفجر الطاقات وفتح المنافذ لتلقي الافكار الجديدة وتمكينها من الاندماج والتفاعل في أمة جديدة ناشئة بدأت تعي ذاتها وتشق طريقها وتصنع تاريخها وبعبارة اخرى في مجتمع صحي سليم يمكن الترجمة منذ الآن ان تؤتي فيه ثمارها ، لقد وجدت الحوافز التي تمكن الترجمة من الفعل والتأثير في البنية الداخلية للفكر الاسلامي وشق القنوات فيها لتلقي نفحات الفكـر الخارجي الذي كانت جميع الابواب موصدة أمامه . لقد اشرعت الابواب الآن وفتحت النافذة ودخل ضوء الشمس بعد ليل طويل . لقد تفتحت اذهان كانت حتى الآن مغلقة ووعت قلوب كانت غلفا فولدت افكار ونبتت علوم ونشأت مذاهب فجة اولا ثم اخذت تنضج بعد ذلك وتتعمق بتلقائيتها الذااتية وبما وصل الى عقول المسلمين وأمامهم من المعارف والمناهج والفلسفات التي ظلت تتعرض لعمليات مستمرة من الصهر والتحويل تجعلها قادرة على ان تندمج في صميم الحركة العقلية الصاعدة وتكون تعبيرا عن الذات في صراعها مـع الذات واداة لاثبات الذات وعرض الذات على الواقع الجديد المعقد الذي تعيشه هذه الذات وتتلقى آثاره وترد على تحدياته ، وتكون من ثم منطلقا لفكر اسلامي جديد وفلسفة اسلامية جديدة بدت طلائعها في الافق فلولا ما تفتح من أبوابولولا ما زال من غواش رنت علىالعرب قبل الاسلام فحجبتعنهم الرؤية ومنعت تسرب الضوء اليهم ، اذن لما استطاعت جميع كتب الارض من ان تنفذ آثارها اليهم ، وللبثوا في كهفهم الى يوم يبعثون .

http://www.al-maktabeh.com

قسطنطين الافريقي

وغيره ممن تولى ترجمة الكتب الطبية

الحكيم أحمد بن ميلاد

الجامعة التونسية ــ تونس

قسطنطين الافريقي شخصية تونسية نالت هالة من السمعة والمجد خلال القرون الوسطى في أوربا كلها وفي فرنسا وايطاليا خاصة بفضل ترجمة الكتب العربية الممتازة في عصره والتآليف التي قام بها في الموضوع نفسه . وقد تولى البحث عنه كثير من المؤرخين من الايطاليين والفرنسيين والالمانيين . والمعلومات التي أوردوها لم تكن صحيحة دوما ، بل كانت أحيانا مشكوكا في صحتها . فتارة هي متناقضة وتارة نجدها لم تزل في مرحلة الفحص والتدقيق . وقد جهل أخباره ومكانته المؤرخون العرب عامة والتونسيون خاصة لانه قضى حياته العلمية الخصبة كلها بايطاليا وكتب وعلم باللغة اللاتينية ، وان كانت لتونس صلات تجارية بايطاليا أو بوساطة صقلية فلم تكن لها في ميدان الادب والطب . اذن فالبسطة التي أعرضها اليوم ستكون نقدية وأملي أن يتناولها النقد لان باب التفتيش عن حياة المؤلف وانتاجه لا يزال مفتوحا . وسعيا في الايضاح سأعرض عليكم حياة الرجل ونزوحه الى ايطاليا والمكانة التي نالها وعرف بها حتى بلغت درجة القصة والاسطورة والرجل هو قسطنطين الافريقي .

قسطنطين اسم علم مسيحي . وافريقي نسبة الى مسقط رأسه وافريقية هي تونس . ولد سنة ١٠١٥ أو ١٠١٦ م بقرطاج باجماع المؤرخين . وتوفي في جنوب ايطاليا سنة ١٠٨٧ م عن سن تناهز ٧٠ سنة "Monté Cassino" بدير جبل كسن واختلف المؤرخون في بيان ديانته ، أكان مسلما أم كان مسيحيا . وقد ذهب المؤرخ حسن حسني عبد الوهاب الى انه كان مسيحي (كتاب الورقات ، الجزء الاول ، صحيفة ٢٢) مستندا الى وجود جاليات مسيحية بقرطاج والقيروان ، أثبت التاريخ وجودها الى القرن الثاني عشر . وهذا صحيح فقد كانت بقرطاج وغيرها من البلدان التونسية جاليات مسيحية كثيرة بملاحظة ان الكنيسة بأفريقية اصبحت بحكم سياسة الدولة العبيدية في القرن الحادي عشر الحاكمة في تونس ومصر تابعة لاسقف الاسكندرية عوضا عن البابا بروما . وانه يوجد بالمغرب العربي باستثناء الاندلس ، ١٤٥ أسقفية من الاسكندرية الى طانجة من بينها ١٤٠ اسقفية تابعة لقرطاج (المرجع : مناج Ménage صحيفة عن تاريخ كنيسة أفريقيا طبع الجزائر Une page d'histoire de l'Eglise d'Afrique. Alger 1903

مكتبة المهتدين الإسلامية

لم تذهب بزوال ظروفها بل ظلت باقية وقتا يطول أو يقصر تعيش حياتها الخاصة وتشق لها قنوات وقنوات في أجيال قادمة من اصحاب القرائح والعبقريات . ان مهمتها لم تنقض بانقضاء المرحلة التاريخية التي تمخضت عنها عصور الاسلام الاولى بل لقد نمت بعد ذلك واتسع نطاقها .

وللوقوف على طبيعة هذه الحركة التي انما انطلقت من أحشاء الاسلام ، نفرق في الدين ــ كل دين ــ بين نوعين من المسائل مسائل ليس لها أي كثافة ميتافيزيقية كالطلاق والنكاح والوضوء مثلا ومسائل ذات كثافة ميتافيزيقية تختلف من مسألة الى اخرى كالتوحيد والعدل والخلود فلا يتطور في اتجاه الميتافيزيقية الا ما فيه قابلية للتطور أما ماقعدت به الهمة عن هذه الغاية فانه يظل رهين واقع العمل وحبيس الحاجات العابرة لصيقا بها لا يبغي عنها فكاكا . وهكذا فالمسائل ذات الكثافة الميتافيزيقية هي وحدها التي ستنمو في أحشاء التفكير الفلسفي الاسلامي وستسوفي جميع أبعادها الميتافيزيقية وتعيش حياتها الخاصة بعيدة عن اجواء الدين وصخب السياسة وستولد عنها مسائل اخرى تتفتح براعمها تباعا في ابان الحركة العقلية وتندمج في نسيجها الذي ما انفك ينمو ويتعاظم ليصبح في نهاية المطاف ذلك التراث العتيد الذي يعبر عن افكار فلاسفة الاسلام وتطلعاتهم العقلية والروحية في الحياة وبعد الممات فالمسائل الدينية ذات الكثافة الميتافيزيقية قد انطلقت من عقالها واصبحت مسائل فلسفية من الطراز الاول . فما زال المنهج العقلي يعمل فيها تهذيبا وتشذيبا وتمحيصا واضافة وحذفا ونسخا حتى جعل منها لبنات في بناء الصرح الذي ظل ينمو ويتطاول بقرائح مفكري الاسلام وفلاسفته وبما استرفدوه من أساتذتهم اليونان وآثارهم التي وصلت اليهم . ولنلاحظ مرة اخرى ان التشذيب والتهذيب والتمحيص والبناء امور لم يقم بها سوى أفراد قلائل من اصحاب الفطرة الفائقة . فالمسألة مسألتهم ، وهي انما تعنيهم وحدهم دون شرائح المجتمع الاخرى التي لا ناقة لها فيها ولا بعير .

لقد تحول الصراع السياسي الى صراع عقلي ، وخرجت المسائل الدينية ذات الكثافة الميتافيزيقية من اطارها التقليدي المتحفظ الى أجواء الفلسفة وآفاقها الواسعة ، وكان ذلك على أيدي المتكلمين أولا ، ثم انطلقت من أيدي هؤلاء الى أيدي الفلاسفة الذين أوغلوا بها بعيدا في عوالم فكرية معقدة وبنوا منها صروحا يلوذ بها احرار الفكر والمعتقد . لقد تخلى علم الكلام للفلسفة عن المواقع التي اكتسبها واسلم لها زمام قيادة التطور العقلي عند المسلمين . فالمتكلمون بجناحيهم المعتزلي والاشعري كافحوا كفاحا مستمرا للوصول الى صيغة عقلية للمبادىء الاساسية للايديولوجية الاسلامية . لقد كان هاجسهم الاول ارساء التوحيد على قاعدة صلبة من التنزيه الالهي والتسامي بالذات الالهية . والفرق بين المعتزلة والاشاعرة في هذا الباب انما ينحصر في درجة الالتزام بالخط الميتافيزيقي على حساب الايمان والعكس صحيح ومن هنا يظهر

http://www.al-maktabeh.com

التناقض والاضطراب في المنطق الداخلي في معالجة بعض الموضوعات المهمة المشتركة بين الفريقين ·

والخلاصة · لقد اصبح كل شيء معدا لنضج التفكير وانجاب المذاهب الفلسفية · فهذه المذاهب كما قلنا لا تتطور الا على ايدي اشخاص مهيئين لها ، فالفكرة الواحدة يتلقفها اشخاص متعددون ثم لا تلبث ان تظهر على ايديهم في مظاهر تختلف باختلاف ثقافة كل منهم واستعداداته ومشاغله وهمومه وعصره وما يموج فيه من فلسفات وعقائد ، كالنبات يسقى بماء واحد فيخرج لنا ثمرا مختلفا ألوانه · فهي لا تكاد تخرج من مصانع السياسة او تتمخض عنها الخلافات الدينية والمنازعات العقائدية حتى تصطدم بأنماط شتى من التفكير والعقليات فيها المتزمت والمترخص ، فيها المقلد والمجتهد ، فيها العبقري والعادي ·· وكل نمط من هذه الانماط على درجات مختلفة من الظلال والالوان والوجوه تنجذب الاشياء في الفكرة المطروحة ولا تنجذب لاخرى ، وتهزها حوافز فيها لا تهزها غيرها · ومن هنا نجد ان تناول الفيلسوف لهذه الفكرة غير تناول الفقيه ، وهذان يختلفان عن تناول المتكلم او الاصولي او المتصوف لها الخ ·· فكل واحد من هؤلاء يمحص الفكرة على منواله الخاص ويدفع بها الى غيره ليعاود النظر فيها ثانية ويضيف اليها عناصر ومواد من ذوب اعصابه وعصارة افكاره وهكذا تبدأ الفكرة دينية سياسية وتنتهي بفكرة اخلاقية او فقهية او صوفية او فلسفية · بل ان الفكرة في نهاية المطاف قد تعود كرة أخرى فتتحول الفكرة الفلسفية الى فكرة صوفية والعكس صحيح ، وقد يعيد الفقيه والمتكلم فيها النظر ويخضعانها لتطورات وعمليات جديدة وهلم جرا ·

المهم ان الجدل الديني والسياسي لا يبقى على حاله بل تطرأ عليه تطورات واحداث توجهه وجهات لم تكن في الحسبان · وهكذا يتطور الانقسام الديني الى انقسام في المواقف الفكرية من القضايا المطروحة ، ومن هنا تنشأ المذاهب والنظريات ومواكب الافكار والفلسفات التي تقتحم اجواء المعتزلة فتنجب العلاف والنظام وتصطدم بالاشاعرة فتنجب الباقلاني والامام الجويني · لقد برزت ظاهرة التفكير الفلسفي واقتحمت كل مجال في تفكير المعتزلة والاشاعرة ـ برغم ما بينهما من تباين واختلاف وعدم تخلي كل منهما عن مواقفه الدينية الرئيسة بل لقد لقد عززت الفلسفة العقلية الميتافيزيقية هذه المواقف وزادتها زخما ورسوخا وهذه الافكار التي انجبت العلاف والنظام والاشعري والامام الغزالي وامثالهم هي التي ستنجب الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد ·· فالجسور بين العقل والفعل قد اقيمت قبل هؤلاء بزمن طويل عند المعتزلة والاشاعرة لقد قطعت المسافة بينهما ولم تعد الفلسفة الا على خطوات قريبة ·

مكتبة المهتدين الإسلامية

ومسلك عبد الوهاب المؤرخان لبأير وبلقران Carthage Latine et Chrétienne Lapeyre et Pellegrin, Payot 1950 فقد جاء في كتابهما ان قسيسا من دير كسينو يدعى قسطنطين الافريقي ولد بقرطاج سنة ١٠١٥ وتلقى ثقافة لاتينية وعربية وتولى الكتابة عند ربار جسكار Robert Giscard ملك صقلية ثم اعتنق المسيحية واستقر بدير كسينواين ترجم منتخبات من عدة كتب لعامل القيروان . ولم يقدم لنا هذان الكاتبان أداة على زعمهما ولم يشيرا الى موردهما . ويتبعهم في التفكير وعدم الحجة الاستاذ ادريس صاحب كتاب بلاد البربر الشرقية في عهد الدولة الزيرية La Berbérie Orientale sous les Zirides في الجزء الثاني من هذا الكتاب ص ٧٥٨ ما نصه : « أن الجالية المسيحية بقرطاج مدة البابا بنوا ٧ Benoit VII سنة ٩٧٤ ــ ٩٨٣ انتخبت من بينها قسيا يدعى جاك Jaoues وأرسلته الى رومة ليتوج أسقفا . وان رسائل البابا قريقوار الثاني عشر Grégore XII تثبت حيوية تلك الجالية وان قسطنطين الافريقي أبن من أبنائهـا » .

وفي صحيفة ٨١٠ من الكتاب نفسه يعود الاستاذ ادريس الى الكلام على قسطنطين فيكتب قائلا : ان قسطنين الافريقي العربي ولد سنة ١٠١٥ ــ ١٠١٦ وبعد جولة كبيرة بالشرق بصفته تاجرا وطبيبا تمسح ورجع الى قرطاج ومن هنالك الى بلدة سلرنة Salerne حاملا كمية من المخطوطات العربية ــ ويظهر انه هو المؤسس لمدرسة سلرنة الطبية ثم استقر بدير كسينو وصار راهبا . ان هاتين الروايتان تنقصهما الحجة والمرجع .

والخلاصة : ان انصار الفكرة الرامية الى أن قسطنطين مسيحي تنقصهم الدقة والحجة في أبحاثهم . اما انصار العقيدة الاسلامية فهم اكثر بيانا وحجة . واليكم ما أمكنني اثباته .

ان أول من أرخ لقسطنطين الراهب بيتروس دياكنوس Piatrus Diaconus وهو رجل من القرن الثاني عشر فقد أثبت ان قسطنطين كان « سرزان » Sarrasin وهو اسم أطلقة الايطاليون والفرنسيون على مسلمي شمال أفريقية في القرون الوسطى . واخذ عن دياكنوس المؤرخون المتأخرون الذين أعاروا المسالة عنـاية خاصـة أمثـال دورانزي De Renzi ودرنبـار Daremberg محافظ المكتبة الوطنية بباريس في غرة هذا القرن وفستنفالد Wustenfeld ولـــكلار Leclerc وألف الالماني استنشيدار Steinscheider كتابا خاصا عن حياة المؤلف سنة ١٨٦٥ ــ ودعم هذه النحلة البربرية الدينية المستشرق الالماني كارل سدوف Carl Sudhof عنـدما اكتشف وثائق جديـدة هامـة بقـرية ترينتا ديلا كافا Trinita della cava في شمال أفريقية مفادها ان قسطنطين كان على الدين المحمدي De religion Mahométane ونشر هذه الوثائق في مجلة أركيون Archeon سنة ١٩٢٢ .

http://www.al-maktabeh.com

ويذكر كارل سدوف طبع الوثائق الآنفة الذكر ان قسطنطين نزح أول مرة الى ايطاليا تاجرا وهو قادم من صقلية . وقد سمي في هذه الوثائق مركنتي Mercator يدعى قسطنطين السقلي Constantin Siculus وفي صقلية اصيب بمرض فالتجأ الى أخ الامير قزلف Gusulf وكان طبيبا . وتولى الترجمة بينهما طبيب آخر قد اصطحبه من صقلية يدعى عباس من قريات Abbas de Curiat لان قسطنطين كان يجهل اللغة الايطالية واثناء الفحص لاحظ انه لم يسأل عن القارورة (أي قرورة البول) وان الطبيب الذي جاء لفحصه قليل الخبرة وان الطب في ايطاليا مقصور على معلومات تطبيقية بسيطة الامر مما ادى بقسطنطين الى أن يسأل هل توجد بايطاليا تآليف طبية شافية . فاجيب بالنفي . فشعر الرجل الذي كان يتمتع بثقافة واسعة برسالة تمدنية تمكنه القيام بها . فرجع الى قرطاج وكان مذهبه آنذاك محمديا Mahomethan واشتغل بالطب مدة ثلاث سنوات وجمع كتبا عدة في الطب Accipienslibros وسافر حاملا هذا الكنز نحو ايطاليا الجنوبية قاصدا سلارنه وفي طريقه اليها مارا بساحل لكنيا Lucanie شمال خليج بولكسترو Policastro قامت زوبعة في البحر اصيبت بعض المخطوطات بعطب وضاع من كتب علي بن عباس المجوسي ما قبل الكتاب الرابع ووصل ما تبقى الى سلرنة واعتنق الدين المسيحي ثم حل بدير جبل كسينو واشتغل بالترجمة » .

هذا ما نقلناه من بحث كارل سدوف مترجما ترجمة دقيقة وسدوف هذا عالم متضلع من التاريخ معروف بالجد في البحث شأن علماء الالمان . وقد لاحظتم ان الذي تولى الترجمة بينه وبين الطبيب الايطالي في رحلته الاولى متطبب تونسي أيضا : ألم يدعى عباس من قريات هذه جزيرة صغيرة أمام بلدة المهدية ، وان قسطنطين كان تاجرا ومثقفا ولا غرابة في ذلك . فالتعليم في جامع الزيتونة وبيوتات العلماء كان في متناول الجميع يشمل المنقول والمعقول ــ وان المبدلات التجارية بين تونس وايطاليا كانت مزدهرة ولم تنفك كذلك حتى في أوقات الشدة . فكانت لتونس مراكز تجارية في نواحي صقلية المسيحية وفي ايطاليا الجنوبية نفسها . نذكر منها بلدة باري Bari وترنتــه Tarente والقريبولي Agripoli وقنليــانو Gagliano . كانت تونس تصدر زيت الزيتونة والشمع والجلد والصوف والمنسوجات وتستورد القمح أيام المسغبة . ومن الملاحظ : ان قسطنطين اعتنق الدين المسيحي فلا غرابة في ذلك . قد كان الامر معتادا في ذلك العصر ولا سيما اذا ارغم المرء شأن الاسير . والرحالة المغربي حسان الوزاني الذي اعتنق المسيحية وسمي ليون الافريقي Léons l'Africain .

ناتي الآن الى انتاج قسطنطين العلمي :

ان هذا الانتاج : تراجم من كتب عربية قيروانية وبغدادية ويونانية ومن

مكتبة المهتدين الإسلامية

بنات أفكاره بحسب الظن · وليست كلها كتبا بالمعنى المتداول بل ان منها ما كان كتابا ومنها ما كان رسائل ومنها ما كان مقالات سميت كتبا ·

وهذه هي قائمة الكتب التي أدلى بدلوه بها ووصفها بتروس درنسي Betradore De Rezzi (المتوفى سنة ١١٤٠) · وكانت الاولى من نوعها ·

كتاب زاد المسافر لاحمد بن الجزار المتوفى سنة ٩٧٩ سماه فياتكم Viaticum ترجمه لنفسه ونسبه اليها اختلاسا ·

ثلاثة كتب لاسحق بن سليمان القيرواني الاسرائيلي : كتاب الاغذية وكتاب الحميات وكتاب البول ·

كتاب اسحاق بن عمران القيرواني المتوفى بعد سنة ٩٥٣ في المليخولية ·

كتاب أمراض المعدة والامعاء والكبد والكلى والمثانة والطحال وكيس المرة أهداه الى الاسقف الفنوس Alfanus الذي اشتكى له من معدته مرارا · والكتاب مشتق من أحسن التآليف بحسب قول قسطنطين نفسه ·

كتاب منهاج الطب لجلنوس Galien ترجمه من اليونانية وسماه مقتكي Microtechni .

كتاب مدخل لفن الطب لابقراط Hyporcrate وهو مجموع من رسائل يصحبها شرح لجلنوس وسماه مكرتقني

كتاب الكامل لعلي بن العباس البغدادي المتوفى سنة ٩٩٤ يشمل ١٢ جزءا وسماه Pantegni بنتتني · وقد جاء هذا الكتاب ايضا تحت اسم براتك Pratica سبق للمترجم ان اضاع في طريقه الى اطاليا الاجزاء الثلاثة الاولى من هذا الكتاب · ومع ذلك لم يتمم ترجمته الاجزاء الاخرى فاستتممها تلميذه يوسف الفاسي Iones Afflacius ·

كتاب أعضاء التناسل المرأة واسقامها ·

كتاب المفردات في الطب ·

كتاب المفردات في العشب والتوابل ·

كتاب السقيا

كتاب أدوية العين

كتاب الاعضاء الباطنية ·

كتاب حوار بين أبو قراط وأفلطون ·

http://www.al-maktabeh.com

كتاب النبض ·
كتاب الباءه ·
كتاب الجراحة ·
كتاب الآلات ·
كتاب التنبأ ·
كتاب النصايح في الطب Pronostics
كتاب التجارب ·
كتاب أمراض البشرة ·
كتاب داء الفيل ·

وترجمت هذه الكتب باللغة العبرانية ـ وطبعت في بلدة ليون Lyon بفرنسا في القرن السادس عشر وكذلك في ايطاليا وكان لها حظ كبير في نشر الطب العربي الذي كان راقيا ذلك العهد ويثبت التاريخ انها كانت كتب التدريس من القرن الحادي عشر الى القرن السابع عشر أي طوال سبعة قرون ·

سؤالان يخطران على البال :

السؤال الاول : هل أحسن قسطنطين الترجمة · وبعبارة أخرى هل كانت الترجمة لديه تتم مطابقة للاصل أو لا ؟ ·

لقد قام بتحقيق هذا الامر الاستاذ أبو بكر بن يحيى في السنوات الاخيرة ـ المرجع : مجلة العلوم تونس سنة ١٩٥٣ Revue des Sciences 1953 وقصر عمله على كتاب المالخوليا لاسحاق بن عمران · ويستفاد من هذا العمل أن المترجم احتفظ على ترتيب الكتاب واقسامه : الا انه أهمل كل ما عسرت عليه ترجمته وحذف كل كلمة او اشارة تدل على أن يفهم ان اصل الكتاب عربي ، وأدى بصيغة مبهمة كل التجارب والخدمات العربية المنصوص عليها في الكتاب ، وذكر أسماء الاطباء اليونانيين التي استشهد بها المؤلف وغفل عن ذكر اسماء الاطباء العرب · ومن هنا نفهم لماذا نسبت آنذاك الكتب التي ترجمها قسطنطين الى أطباء اليونان وفقدت بايطاليا وقيل : انها رجعت على يده من اللسان العربي · أولا ، أما ثانيا فيتخللنا الشك في زعم قسطنطين بأنه الف كتابا من بنات أفكاره في المظنون اقتبسها من كتب يونانية وعربية ولم يذكر اسماء مؤلفيها ·

والسؤال الثاني : لماذا أسند قسطنين اليه تأليف كتاب زاد المسافر ؟

قيل : انه فعل ذلك باشارة من رئيسه بدير كسينو الاب ديديي l'Abbé Didié وربما يكون ذلك صحيحا · لكن الراجح ان قسطنطين لم يعوزه الذكاء وكان تاجرا في أوله ومتخلقا بأخلاق التجار وكل تاجر يسعى الى شيء واحد : ترويج

مكتبة المهتدين الإسلامية

بضاعته ولما كانت السوق ألتي كانت معادية له وخشية عدم الاقبال على بضاعته وبوارها وضع عليها عنوانا مزيفا ٠ ألم تكن العداوة شديدة في القرن الحادي عشر بين المسلمين والمسيحيين ؟

ألم يفرض الاسطول الاسلامي سلطاته على الاسطول المسيحي في البحر الابيض المتوسط من القرن الثامن ؟ ألم يحتل العرب وبربر شمالي أفريقيا الاندلس ؟ ألم تفتح جيوش الدولة الاغلبية معظم جزيرة صقلية وتغزو المرة تلو الاخرى شواطىء ايطاليا وتشرف على رومة ؟ بل دخلتها ونهبت الفاتكان سنة ١٠٢٠ م ونهبت كثيرا من الكنائس وأسرت الرجال وسبت النساء والبنات ؟ واختصارا ألم تنفك الحرب مستمرة بين الفريقين في البحر الابيض المتوسط ولا غرابة اذن ان يحتال قسطنطين لترويج كتبه واللوم ينقلب عذرا ٠

واليوم اتضحت الحقيقة وأخذ كل ذي حق حقه والفضل ، كل الفضل لقسطنطين الذي غزا اوربة بالعلم لا بالرمح وانتفعت أمم واجيال بثمرة بذره وسبق بذلك قرنا كاملا جرارد دي كرمون Gerard de cremono وغيره ممن انتقل الى الاندلس لينهل من نتاج قرائح العرب لافادة مواطنيهم ٠ أما قسطنطين فقد حمل اليهم بنفسه العلم فحكموا له بالفضل مجمعين ٠ والفضل ما شهد به الاعداء ٠ وخاتمة المقال جاءت في دراسة درنبارق Deremberg المشار اليه ، وهي هذه الكلمة (لا بد ان يجتمع يوما من الايام علماء العالم ويشيدوا بسلرنة تمثالا لقسطنطين تخليدا لذكراه) كما يجب على الدول العربية وعلماء العرب اقامة تمثالا لقسطنطين على قمة قرطاج ٠

الحكيم أحمد بن ميلاد

المرجـــع :

تاريخ الطـــب العربي ل٠ و٠ كليرك
وزارة الاوقـــاف والشؤون الاسلاميـــة
الرباط ــ المغرب

تاريخ سورية ولبنان وفلسطين
الدكتور فيليب حتي
دار الثقافة ــ بيروت

حيـــاة القـــيروان ومـــوقف ابن رشيق
الدكتور عبد الرحمن باغي
دار الثقافة ــ بيروت

Nomenclature :

nneuve Paris.
Robert Brunschving Adrien Maiso-
La Berbérie Orientale sous les Hafsides

Paris.
Hady Roger Idris, Adrien Maisonneuve
La Berbérie Orientale sous les Zirides

taliste Larose Paris 1933.
Browne Librairie coloniale et Orien-
La Médecine Arabe, Edward G.

http://www.al-maktabeh.com

عيون الانباء في طبقات الاطباء
ابن أبي أصيبعة
منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت

Saint Cyprien EVEQUE DE CARTEGE Carles Saumagne Editions du Centre Nationale de la Recherche Scientifique Paris 1975.

Histoire de la Médecine Charles Lichtenthaeler Fayard Paris 1978.

Adrien Maisonneuve Paris
L'Emirat Aghlabide Mohamed Talbi

glioni Payot Paris.
L'Histoire de la Médecine A. Casti-

Description de l'Afrique Léon l'Africain Adrien Maisonneuve Paris

La Science Arabe Aldo Mielli Leiden E. J. Brill 1966.

I Codici di Medicina Del Deriodo Presaler Edizioni di Storia Elettera-tura Rome 1956.

مدرسة سلرنة :

موضوع يتعلق بهذا البحث : ما يجب أن يفهم من كلمة مدرسة سلرنة ٠

سلرنة قرية مزدهرة تقع في خليج الشاطىء الجنوبي الغربي من ايطاليا بالقرب من بلد نابلي وجزيرة صقلية وفي فحص خصب اسطوطنه النرماند Les Normands في القرن الحادي عشر وأزاحوا العرب منها ٠ تأمر عليهم زعيمهم ربار جيسكارد Robert Giscard ونالت سلرنة بفضل مدرستها في الطب مكانة كبرى طول القرون الوسطى ٠

والملاحظ انه لم توجد وثيقة تثبت تاريخ انشاء هذه المدرسة وموضعها وانظمتهـا ٠

لكن الارشيف الموجود بخزائن نابلي يشير الى وجود أطباء يدعون أساتذة وأسـيادا Maitres احترفوا سنة ٨٦٤ أي قبل قسطنطين ٠

ويشير الى أن طبيبا ينتسب الى سلرنة يوجد بالبلاط الملكي الفرنساوي سنة ٩٠٤ ٠ وان اسقف بلد فردان Alberoni Verdan البرني حل بسلرنة سنة ٩٨٤ للعلاج ٠

ويثبت سلفدور دو رنسـي Salvador De Ranzzi الذي أرخ في القرن الثاني عشر ان كاتبا يدعى فريوبنتوس Vario Pontus ترجم موسعة من اللغة اللاتينية الى اليونانية اسمها بسيوناريوم Passionarium يوجد فيها ألفاظ طبية متداولة ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

وان هذا الكتاب وغيره من الكتب التي ظهرت في أوائل القرن الحادي عشر لم تشر قط الى وجود طب عربي بسلرنة ·

ويخطر على البال السؤال الآتي : كيف نشأت مدرسة سلرنة ؟

جاء في كتاب قانون الطب الذي صدر سنة ١٩٥٣ لصاحبه اقوست بكاره Auguste Beccara ان كتبا من القرون الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر موجودة في خزائن سلرنة وروما وفلورنس Salerne Rome et Florance تنسب الى جلنوس وأبقراط لا تثبت لوجود مستشفيات في هذه المدن · وان الاساتذة Les Maitres يجتمعون في أندية خاصة بهم · والمظنون ان قسطنطان حل ببلاد سلرنة ونفخ فيه روحا جديدة وعلما ممتازا فصار مدرسة سلرنة نالت مكانة كبرى · وحل بها التلامذة قادمين من أنحاء أوربة ·

محمد بن حسن بيرم الثاني :

من علماء جامع الزيتونة ــ تولى خطة القضاء مرتين للمذهب الحنفي ، واستقال منها بمكتوب ولم يقله صاحب البلاد حمودة باشا وقلده الفتوى وابتلى بموت امرأته واولاده الخمسة في الطاعون الجارف سنة ١٧٨٤ ، وله رسالة واشعار في هذه الكارثة ·

ولد سنة ١٧٤٨ وتوفي سنة وتوفي سنة ١٨٣١ · توجد الرسالة بعنوان (حسن البنا في جواز التحفظ من الوبا) بمكتبة حلب (سورية) تحت رقم ١٧٢٣ الاوراق ٢٦ اسم الناسخ : زاهد الشافعي ، التاريخ سنة ١٣٢١ وله كناشة بالمكتبة الوطنية بتونس تحت رقم ١٨٢٥ بها قصايد عدة يصف فيها حالة البلاد وموقف طبقات السكان ازاء المرض ·

وترجم للطبيب الاجنبي يوسف القير كتابا في الطب ورسالة في المياه المعدنية ·

الرسالة : قال انها عجيبة مفردة ··· لم يسلك طريقها وارد ·· موضوعة في التدبير في الحمامات السخنة المعدنية في خصوص ··· حمام الانف تناولت قول أطباء الاسلام في فضل دخول الحمام بصفة عامة وشراب المياه المعدنية وذكر المياه التي تمر عليها ونأخذ منها وهي بحسب يوسف القير : الحديد والكبريت وملح الطعام والجير ويذكر سبب سخانتها ــ ثم يأتي على حمام الانف خاصة والاملاح الموجودة في مائه ومنافعها شربا واغتسالا ·

توجد الرسالة بالمكتبة الوطنية تحت الارقام ١٦١٤ ــ ٥٤٠٦ ــ ٥١٠ ·

http://www.al-maktabeh.com

الكتاب من غير عنوان جاء ليسهل على الناسي وجوده من الادوية ويكون ثابتا بعد التجربة الصحيحة التي جربها بنفسه ثمان وأربعين سنة وجربها أكثر علماء النصارى الكبار مما قدر على الاخذ منهم ·

ويشتمل الكتاب على مقدمة في أسباب الامراض : الطبيعية والكليات والاعراض الاكثر وجودا والعلاج باختصار ·

يوجد الكتاب في المكتبة الوطنية تحت الارقام ١٦٣٠٥ ـ ١٨٤٣٨ ـ ١٦٣١٤ ـ ٥٤٠٦ ·

ترجم الشيخ بيرم من اللاطنية بالمشافهة الى اللغة العربية ·

والقير من أصل اسبنيولي وقيل طلياني · ولد بتونس او نزح اليها حرا او اسيرا في القرن الثامن عشر ·

احمد بن الحشا :

هو أبو جعفر احمد بن محمد بن الحشا · طبيب تونسي من القرن السابع الهجري والثالث عشر الميلادي · ألف مجمعا للالفاظ الطبية : من الاعضاء والاوصاف والآلات والادوية التي وردت في كتاب المنصوري لابي بكر الرازي · يذكر المؤلف : اللفظ كما جاء في المنصوري ، ويذكر اشتقاقه من العربية او الفارسية ، ويشرح معناه ، ويأتي على ما يرادفه في المغرب العربي · واقتبس المستشرق الهلندي دوزي "Dozy" كلمات كثيرة من المعجم أدخلها في كتابه « ملحق القاموس العربي » ·

وترجم معجم بن الحشا من اللغة العربية الى اللغة الفرنسية المستشرقان كــــلان "Collin" ورونــد "Benaud" وطبعت هذه الترجمة بباريس ومنها نسخة بمكتبة اللغات الشرقية بباريس تحت رقم ١٦٦٤ ـ كان رنو وزميله من أساتذة المدرسة العليا بالرباط ·

والكتاب اسمه : « مفيد العلوم ومبيد الهموم » يوجد منه نسخ كثيرة · بتونس : رقم ١٨٠٠٦ ·

الرباط : رقم ٢٩٩٦ بالمكتبة الملكية ·

هولاندة : مكتبة لايدن رقم ٥/ ٣٣١ ·

مكتبة المهتدين الإسلامية

حسين بن سليمان خوجة :

ولد بتونس ١٦٦٦/١٠٧٧ وتعلم على علماء جامع الزيتونة واحسن العربية والفارسية والتركية واليونانية وتولى رئاسة ديوان الانشا بالحاضرة التونسية وترجمان الدولة الحسينية · أصيب بمرض سنة ١٦٨٩ فذهب الى ايطاليا للعلاج · فاجتمع الى الاطباء · واغتنم من رحلته هذه فائدة دواء يزيل الحمى وهو قشر شجرة الكينة · وكانت تسمى « الكينة كينة » ولما راجت في تونس حمى المستنقعات سنة ١٧٢٦ جلب من ايطاليا مسحوقا من القشور مصحوبة برسالة توضح استعمالها ، فترجمها واستعان على حل الغويص من ألفاظها بالصيد لي هارون أبي العيون · وكتب رسالة بالعربية في متناول الجمهور التونسي عرف فيها بهذا الدواء الذي لم يسبق به العمل بتونس ، وسماها « الاسرار الكمينة بأحوال الكينة كينة » (١) وكان ذلك سنة ١٧٢٦ ·

وقد احتوت على مقدمة واثنتى عشرة مقالة وخاتمة أتي فيها على البلاد التي وجدت فيها شجرة الكينة ومتى دخلت الى أوربة وبيان بأوصافها وخصائصها ومفعولها كما اشتمل على أنواع الحميات وظهورها والحث على المبادرة لعلاجها وختم الرسالة ناصحا قائلا : « ينبغي أن يتأهل الطبيب في حال المريضَ سنا وقوة وضعفا واخلاطا وغذائا » ·

توجد الرسالة بالمكتبة الوطنية بتونس تحت الارقام : ٤٨٦٥ ـ ٥١٠ ـ ١٤١١٧ ـ ١٥٨٤٧ ـ ١٣٩٤٧ ـ ١٢٣٨ ـ ١٣٦٥ ·

فكان لهذه الرسالة صدى كبير وشكره عليها العلماء ومدحه الشعراء ·

http://www.al-maktabeh.com

هل العرب نقلة للعلوم فقط ؟

شفيق أحمد خان الندوي

محاضر اللغة العربية وآدابها

زعموا ان « العرب نقلة للعلوم فقط وقلما توجد لهم ابداعات وفضلهم الوحيد هو انهم حافظوا على طب الاولين فحسب » طبقا لما يرى المستشرق براون في محاضراته المعروفة عن الطب العربي(١) ، في جامعة كمبردج عام ١٩١٩ م · والحقيقة ان الطب القديم الذي ينتمي الى العرب والمسلمين هو طب عربي أصيل(٢) ، اقتبسه العرب من المصادر المختلفة من اليونان والرومان والفرس والهند وما الى ذلك ؟ ونوروا سراجهم بمزيد من النقد والجرح والبحث والتحقيق وزينوه باضافات نفسية ثم قاموا بابداعات فريدة وابتكارات متنوعة لم يسبق لها نظير في الامم التي استفادوا منها وزودوهم بالمواد الاساسية وضاعفوا نوره بخبراتهم الطويلة وتجاربهم الدقيقة وجهودهم الجبارة المتواصلة عبر القرون ناالطويلة وهكذا تمكنوا من أن يقدموه الى العالم ولا سيما الى الغرب تحفة نافعة ثمينة(٣) ، متسمة بالاصالة والابداع لا بالمحاكاة والتقليد · حتى استطاع الغربيون بفضله ان يهتدوا الى مصباح ثقافي علمي مضيء ، يسطع نوره ويبهر اكثر من ذي قبل ·

من الطبيعي ان نجد مصباحا يستنير بمصباح والامتعة الثمينة تصنع بمواد أولية خام والمهم هو العمل والبراعة في الصنعة ، لان الفضل يرجع دائما الى من يتمكن بالمواد نفسها من القيام الدقيق بالانجازات والابداعات والابتكارات ومن تقديمها في باقة أزهار عطرة سهلة المنال الى العالم · ولا شك في أن العرب نقلوا الثقافات الاجنبية اليهم في القرنين الثامن والتاسع من الميلاد أي في الحركة العلمية من تاريخ الاسلام العلمي الاول حيث نقلت العلوم والآداب الى اللغة العربية ودرس العرب والمسلمون الفلسفات المعاصرة ، ودونوها ، ثم لخصوها وشرحوها ثم انتقدوها ، بكفاءة علمية ، واخذوا منها ما طاب ونبذوا ما لم يطب ، ولم يبرعوا فيها فحسب ، بل غربلوها مرة ثانية وقاموا بالاجتهادات المستقلة · وقد انتقد ابو سهل كثير من الاعتقادات الطبية القديمة(٤) ، وآخذ الشيخ الرئيس أبو علي ابن سينا نظريات ابن أبي صادق ، واعترض علاء الدين أبو حسن حازم القرشي الدمشقي على الشيخ الرئيس وعلي بن رضوان على زكريا الرازي(٥) ·

اما الابداعات التي قام بها العرب بخبراتهم الواسعة فمن اهمها تاكيد ابن الوافد على العلاج بالتغذية وتأييده من الطبيب رضي الدين وأوجد أوحـد

مكتبة المهتدين الإسلامية

الزمان أبو البركات علاجا بقطع الانامل لبعض العدويات(٦) وروج أبو المنصور صاعد بن بشر في نظام طبه العربي الادوية الباردة مع المنع عن بعض الاغذية ، في أمراض الشلل والفالج ضد حكماء اليونان ونظامهم الطبي القديم وفازوا بها فوزا كبيرا • وابتكر العرب كذلك كثيرا من العلوم فدونوا علم الحفاظ الصحة وحققوا بحوثا عن أمراض العيون وطوروا فن الجراحة تطويرا(٧) • واعدوا السكر فأنشؤوا معامله ، أول مرة في التاريخ (٨) واستخدموا السكر للتداوي بدلا من العسل • وقد خصص جرجي زيدان بابا لهذا الموضوع في كتابه « تاريخ التمدن الاسلامي » بعنوان ما أحدث المسلمون في الطب (٩) •

لقد قاموا بخدمات جليلة في علم الادوية وبحثوا عن خصائص العقاقير والبذور المختلفة واستخدموها ، بما فيها بذرة ريوند والسناء ، والكافور في العلاج(١٠) • واكتشف ابن البيطار وابن جلجل عقاقير طبية لم يسمع عنها الاطباء اليونان من قبل • وحققوا تدوين الصحف المنشورة في علم القراباذين من السنسكرينية واللغات الاخرى ، بمراجعة دقيقة(١١) •

أما في علم الكيمياء فالحقيقة ان العرب هم الذين أبدعوه من العدم والذين قدموا أسسا منهجية للكيمياء وابتكروا طرائق كيميائية للتصعيد والتقطير والتبلور والترشيح والتذويب • والجدير بالذكر ان العرب لم يقوموا بتأسيسا جديدا للكيمياء فحسب بل انتقدوا آثارا بالية من الكيمياء القديمة وفندوها واشهرهم في هذا الميدان يعقوب بن اسحق الكندي(١٢) •

يشهد التاريخ بأن العرب لديهم ميل طبيعي الى الابداع والابتكار فلا يخفى على من له المام بالتاريخ أنهم هم الذين قاموا أول مرة بصناعة الورق وخلقوا البارود • وتفننوا بأنواع من السكر ومعامله ، والخترعوا آلات الجر والثقل وصنفوا كتبا عدة في مجالها واعدوا آلات جراحية لا تعد ولا تحصى ، صورها متوافرة في كتاب أبي القاسم الزهراوي المعروف : التصريف لمن عجز عن التاليف » (١٣) • كما بادروا بصناعات القوارير والخترعوا الساعات أول مرة في التاريخ(١٤) فعرفت ساعة جامع دمشق في معظم أنحاء العالم ، كما ذكرها ابن جبير في رحلته المعروفة • واعدوا الاسلحة الحربية وآلات مائية ، وروافع ، وانواعا متنوعة من الناقلات كما صاغوا أواني وامتعة من الفضة والآبنوس والصندل وتفننوا بالذهب والفضة على الملابس الحريرية المتنوعة(١٥) •

هذا واما التقدمات الصناعية والتجارية للعرب فقد أخذوا منها بنصيب كبير ، كما برعوا في التجارة أيضا في اصطناعها وارتقت الصناعات عندهم حتى فاقوا في بعضها غيرهم ونالوا قصب السبق على البلدان الاخرى وامتازوا ببراعاتهم في العمل ، فذكر المغفور له السيد أمير علي في كتابه عن التراث

http://www.al-maktabeh.com

الاسلامي ان المهندسين الذين كانوا يشتغلون في معادن الحديد والصلب والفولاذ وفي معادن الرصاص بخراسان كانوا جميعا من العرب ، وبقيت معامل الصابون والورق والقوارير العربية في البصرة ، معروفة في الآفاق ، بينما كانت الكوفة معروفة بأحزمتها الحريرية لمدة وكانت معروفة بين الناس بالكوفية • وعرفت بلاد الشام بمصانعها للاواني البلورية الذهبية والفخارية عبر العصور(١٦) •

هذا شأنهم في الصناعات ، أما النشاطات المعمارية العربية فانهم بنوا المدن الكثيرة وعمروها في عصورهم الزاهرة ومن ضمنها الكوفة والبصرة والفسطاط ، وكانت الكوفة مركزا للعلوم والفنون ، وكانت مدينتا القاهرة والاسكندرية كذلك مشيدتين على أيدي العرب الفاطميين وكذلك بغداد مهد الخلفاء العباسيين • كما أسسوا مدينة القيروان في المغرب وواسط في العراق ودمشق في الشام وغرناطة وقرطبة وطليطلة في الاندلس ، يسردها جرجي زيدان فيقول : فتح المسلمون الاندلس فنزلوا طليطلة ثم جعلوها مقرا لاماراتهم في قرطبة وزاد الامويون عماراتها ، وانشؤوا فيها القصور والمساجد والجسور وغيرها • ومن أهم المباني العربية جامع الوليد بن عبد الملك الاموي بدمشق وقبة الاسلام للحجاج بن يوسف الثقفي في واسط وقصر الخلافة وقصر باب الذهب للعباسيين وقصر التاج وقصر الثريا للمعتضد في بغداد ودار الشجرة للمقتدر ، وكذلك قصر عبد الرحمن الناصر في قرطبة مع الجامع الذي تحول اليوم للاسف الشديد والقلق البالغ ـ الى صومعة للمسيحيين ، والزهراء داخلية وسكن للطلاب التي أنشأها المنصور بن أبي عامر ، وقصر الحمراء لابن أحمر في غرناطة وبيت الذهب لابن طولون في مصر والجامع الازهر لمؤسسيه الفاطميين، وحصن الايوبيين والسلاطين المماليك بالقاهرة ما زالت تستلفت أنظار العالم الى الحقيقة بأن العرب ليسوا نقلة أو مقلدين جامدين بل كانوا مبدعين في العمل بعد النقل والاخذ والاستقاء من المنابع العلمية العصرية الاجنبية الاخرى، وفقا للحديث النبوي الشريف : الحكمة ضالة المؤمن ، حيث وجدها فهو أحق بها •

كان الامير الاموي خالد بن يزيد بن معاوية مولعا بالكيمياء وحريصا على تطويرها وكان رائدا لحركة نقل علوم اليونان الى العرب ، وجمع العلماء في مصر وامرهم بترجمة كتب أجنبية الى العربية وكان معه في الكوفة جابر بن حيان الذي لم يزل يعترف المؤرخون بفضله في علم الكيمياء ويقولون انه ومعه كثير من العلماء العرب والمسلمين اضافوا اضافات قيمة في أسس الكيمياء وبثوا بها روحا جديدة ، يدل على ذلك الكلمات العربية الموجودة الى الآن في الكيمياء بما فيها كلمة كيمياء ذاتها والكحل وقرع انبيق •

ولم يكتف جابر بن حيان الكوفي بالاطلاع على التراث والنقل فقط بل تعدى ذلك الى ابتكارات عدها الغرب مرجعا اصيلا • واتفق المؤرخون العادلون على أن جابرا هو الذي بدأ تيارا منهجيا علميا للكيمياء وابتكر كثيرا من الكيماويات من الطلاء والحموضة والاملاح المعدنية وعرف العالم بكيفية اعمال

مكتبة المهتدين الإسلامية

التصعيد والتبخير والتخطير ونحوها كما اكتشف طريقة الحصول على الكحل من الخمر ، وفصل السموم عن المركبات المعدنية المختلفة (١٧) ٠

من الصواب ان نقول : ان اسهام غير العرب في التدوين الطبي العربي يبدو أكثر بالمقارنة من العرب الذين عملوا على تشجيعهم لغير العرب على نشر الثقافة العربية الاسلامية السمحة ودعمها بالثقافات الاخرى ، وانهماكهم في الاعمال القيادية والتفكير بالابداعات ٠ ولكن اسماء المسلمين العرب في الطب العربي والعلوم ايضا لا تقل ، واهمهم الحارث بن كلدة ونصر بن الحارث ، وابو الحكم ، وابو يعرب يوسف بن محمد واخيرا علاء الدين أبو الحسن علي ابن حازم القرشي المولود في مكة المكرمة زادها الله شرفا والساكن في دمشق الذي توفي عام ٧٧٠ هـ بعد ان قام بشرحين لفصول ابقراط ولخص قانون الشيخ الرئيس وشرحه شرحا مفصلا طويلا (١٨) ٠

كان أبو القاسم الزهراوي أهم الاطباء الجراحين العرب في الاندلس ولد في مدينة الزهراء التي أنشأها الامير عبد الرحمن الثالث باسم حبيبته الزهراء فنسب اليها ولقب بالزهراوي ٠ كان طبيبا جراحا لعبد الرحمن الثالث الحاكم الاموي الثامن في الاندلس (٩١٢ ــ ٩٦١ م) من مآثره الطبية العلمية الخالدة « التصريف لمن عجز عن التأليف » انه تأليف ضخم ينقسم الى جزأين : نظري وتطبيقي ، ولكل منهما ١٥ بابا بما فيها باب مهم يخص الجراحة ويتزين بالصور التي يستخدمها الاطباء الغربيون في هذا العصر مع الشرح الوافي للعمليات الجراحية وكيفية استخدام آلاتها بالتحديد ٠ طبع هذا الباب مصورا عدة مرات في أوربة باللغة الانجليزية واللاتينية واللغات الغربية الاخرى ٠ وهو ينقسم الى ثلاثة فصول : الفصل الاول في العلاج بالكي والثاني في الفصد والحجامة واخراج السهام ونحوها والثالث في الجبر والخلع وغيرهما ٠ والجدير بالذكر ان الزهراوي تقدم بالاجتهادات العلمية النادرة وتجاربه الشخصية البديعة في هذا الكتاب ٠ وقد استفاد الزهراوي أولا من المصادر السالفة من بولس ، وجالينوس والرازي ٠ ثم اضاف تجاربه الشخصية الذكية ، وآراءه البديعة وشرحها بأسلوب سهل وشيق وجزل ، وربط بين النظرية والتطبيق مع رسم صور الآلات الجراحية حتى عد الزهراوي مؤسسا للجراحة العصرية يعترف به الدكتور دانلد كيمبل فيقول « انه سرعان ما سبق صيت الزهراوي ابن سينا في أوربة وبدأت أوربة تحرص على الآداب العربية وسيطرت اصوله على الطب الغربي طوال ٥٠٠ عام ، ويضيف قائلا : ان ابن رشد (المتوفى ١١٩٨ م) وأبا القاسم الزهراوي (١١٢٢ م) هما اللذان أسسا بناء التقدمات الجراحية وأثرا في الغرب في هذا المضمار تأثيرا عميقا واستفاد منها الغربيون تماما وفي مقدمتهم روجر بيكون (١٢٤٥ ــ ١٢٤٩) وجوي دي سوليك (١٣٠٠ ــ ١٣٦٨) استفادة موفورة (١٩) ٠

http://www.al-maktabeh.com

ان تاريخ علم الادوية وتطورها معروف ومتواصل عبر القرون كان العرب يرثون طبا عربيا من العقاقير والحشائش وكان طبيبهم الاول لقمان وبعده خذيم واستمر حتى العصر الاسلامي . ثم شاعت العلوم اليونانية عند العرب وتقدم الحارث بن كلده الثقفي من حيث هو رائد عربي يوناني بالعلوم اليونانية ومن ضمنها الطب وفتح بابا جديدا للمعرفة حتى أتى عيسى بن حكم بتاليفاته الطبية المتعددة وعرب جابر بن حيان كتبا يونانية ومصرية قديمة وهكذا كانت الاحوال حتى طلعت العصور الزاهرة للحضارة العربية الاسلامية في ظل الخلافة العباسية واسست دور للترجمة ولا سيما بيت الحكمة للمأمون الذي شجع المسيحيين واليهود والناطقين بالسريانية خاصة على أن ينقلوا العلوم الاجنبية الى العربية لكي يتسنى للمسلمين طريق للمعرفة ثم للابداع ورباهم تربية سخية حتى ليروى ان الخليفة المأمون منح حنين بن اسحق في بغداد ما يساوي وزن كتبه المترجمة الى العربية ذهبا فازدهرت العلوم والفنون وامتزجت بالحضارة العربية الاسلامية امتزاجا (٢٠) .

واهتم العرب والمسلمون بعلم الادوية اهتماما لائقا ، يوضحه ابن خلكان في كتابه وفيات الاعيان فيقول : ان العرب قاموا بخدمات جليلة في علم الادوية وبدؤوا استخدام البذور واكتشفوا خصائص بذور ريوند والكافور والسناء وغيرها من الادوية الاخرى التي لا يمكن ان تحصى والتي كانت عنها اليونان جاهلة تماما . من اشهر حكماء علم الادوية ابن جلجل (٣٧٢ هـ) الذي عمل في كتاب ديسقوريدوس وعلق عليه بكتاب . وكان ابن البيطار (٦٦٣ هـ) على لسان ابن أبي اصيبعة اوحد زمانه وعلامة وقته في معرفة النبات وتحقيقه ومواضع نباته ولغة اسمائه على اختلافه . وسافر الى بلاد الاغارقة بلاد الروم ولقي جماعة من المهتمين بهذا الفن واخذ منهم معرفة نباتات كثيرة وعاينه في مواضعه ، واجتمع في المغرب وغيرها من الاقطار بكثير من الفضلاء في النبات وتحقق ماهيته واتقن دراية كتاب ديسقوريدوس لانه كان ذلك الكتاب لمؤلفه الطبيب اليوناني ديسقوريدوس مرجعا مهما لعلم الادوية ، عربها اصطفن بن باسل في عصر جعفر المتوكل وراجعه حنين بن اسحق حتى وصلت هذه الترجمة العربية من بغداد الى الاندلس في زمن الناصر بن محمد . واضاف ابن البيطار كثيرا على معرفة الاولين في أثناء شرحه لكتاب ديسقوريدوس باسم الابانة والاعلام وتاليف كتاب بأسم الجامع في الادوية المفردة ، الذي كان مرجعا لاهل أوربة في نهضتهم الاخيرة . ثم جاء رشيد الدين الصوري (٥٧٣ هـ) المولود في صور (والمتوفى ٦٣٩ هـ في دمشق) الذي كان يرافقه مصور او رسام في المناطق الجبلية والصحراء يرسم له صورا رائعة ملونة للعقاقير ينسقها في كتابه « الادوية المفردة » ، وذلك غاية ما يفعله الباحثون في هذا العلم اليوم فكان اول من أبدع الرسم والتصوير الملون ذا الالوان السبعة في كتاب علمي فني . هكذا أقام داود الانطاكي والكندي والكرماني والغافقي بابداعات

مكتبة المهتدين الإسلامية

عظيمة في علم الادوية وكانوا يبذلون الجهد لجلب العقاقير من الهند وغيرها ايضا في سبيل البحث والاستكشاف ، وقد عني الافرنج بعد نهضتهم بذلك فاعترفوا بأن العرب هم الذين وضعوا أساس هذا الفن وهم اول من اشتغلوا في تحضير الادوية والعقاقير وانهم اول من الفوا القراباذين على الصورة التي وصلت الينا .

ومن الغريب ان براون بالرغم من اعترافه بنفسه في محاضرته الثالثة بأنه مر الطب العربي بطورين : طور الترجمة والاستفادة من المصادر الاجنبية ، وطور الغربلة والابداع ، بالاضافة الى ذكر كثير من شواهد الابتكارات العربية الاسلامية وقوة ابداع العرب والمسلمين ونبوغهم في العلوم قائلا : ان العرب اضافوا اضافات غالية نفيسة الى معلومات حصلوا عليها من اليونان على وجه الخصوص (راجع : براون الطب العربي ص ١٠٠) .

ولكنه مع تلك الحقائق الموجودة في محاضراته بالذات يتجاهل عنها حيث يبدأ كلمته بالادعاء الواهن بأن العرب نقلة للعلوم فقط ويستنتج استنتاجا متشائما نحو الجهود العلمية والطبية التي بذلها علماء العروبة والاسلام ، التي من اجلها وعلى أساسها استطاعت أوربة والغرب اعتمادا عليها ان يصلا الى التقدمات العلمية التكنولوجية الحديثة .

دعنا ننظر على سبيل المثال الى ما يروي براون نفسه في المحاضرة الثالثة ذاتها عن الطب العربي عن محمد بن زكريا والذي واصل عيادته الخاصة طوال ٥٠ عاما في بغداد ، فيقول : ان الامير المنصور (المتوفى ٣٦٥ هـ) قد اصيب بمرض خطير لم يبرأ منه زمنا طويلا ، وعجز الاطباء من علاجه ، فاضطر المنصور الى أن يطلب الرازي لعلاجه . فانطلق الرازي اليه ، حتى اذا بلغ نهر جيحون ورأى السفينة ، فخافها خوفا شديدا ورفض الركوب ولم يرض أن يركب سفينة شراعية بنهر فيه أمواج وعده القاء لنفسه بيده الى التهلكة وتولى عنه فعاد رسول الامير الى المنصور واخبره بخبره ، واسف الامير وامره بأن يذهب اليه مرة أخرى ولا يرجع الا به ، فخرج الرسول ووصل الى الرازي الذي كان قد ألف كتابا للامير في هذه المرحلة ، باسم المنصوري فقدمه للامير وقال اقرأ سلامي عليه وقل ان هذا الكتاب سوف ينوب عني ويغنيك عن أي طبيب . وانصرف عنه رسول الامير خائبا ووصل الى الامير فحزن الامير حزنا شديدا وامره مرة ثالثة بأن يذهب اليه بهدية ألف دينار ويجبره على الحضور . فخرج اليه رسل عدة من بلاط الامير واجبره على وصوله الى الامير ، هنالك رضي الرازي ولم يركب السفينة الا بعد ان كان مشدودا بالحبال ولم يفرج عنه الا بعد عبور نهر جيحون . وعندما وصل الى البلاد ، رحب به الامير ترحيبا عظيما واعتذر اليه . ثم شاهده الرازي وفحصه فحصا ، واقبل على العلاج ، استمر العلاج مدة طويلة ولكنه

http://www.al-maktabeh.com

لم يشف . وقد بذل الرازي قصارى جهده فقال اسمح لي يا أمير ان أقوم بتجربة جديدة لعلاجك شرط ان تزودني بحصان سريع ، يقطع مائة وعشرين ميلا في ليلة . فرحب الامير بذلك واذن له بأن يعمل ما يشاء مع تزويده بحصان مطلوب على الفور . وفي اليوم التالي ذهب الرازي مع الامير الى حمام بعيد من القصر وامر خادمه بأن يكون جاهزا تماما ومستعد للفرار معه من هناك فور خروجه من الحمام . وكان قد منع جميع الناس عن المرور بذلك الحمام . أمر الرازي الامير بأن يستحم معه فامتثل الامير مستسلما واستحم استحم استحماما ساخنا ثم تناول شرابا من الدواء ، ولاحظ الرازي آثاره وابدى عضبه عليه قائلا وفي يده خنجر : انت الذي أمرت بشدي في مخاطر نهر جيحون ، لعنة الله عليك لاقتلنك اليوم ، نكالا لما كسبت ايديك ضدي يابن ابيك سمع الامير كلامه واشتد غضبا ، فخرج الرازي من الحمام وفر فراراً ثمل من اسد ، على متن ذلك الحصان الذي كان جاهزا أمام الباب ، ولم يقف الا في مرو ، وكتب من هناك رسالة الى الامير شرح فيها سلوكه معتذرا بأسلوب ممتع وهو يقول انه بذل أقصى جهوده في علاج الامير ولكن العلاج الطبيعي لم يكن يؤثر فيه من اجل ضعف حرارته الغريزية . ففكر في ذلك كثيرا ، وذهب ذهنه كل مذهب في معالجته حتى وصل من تلقاء نفسه الى علاج نفسي وهو على نحو ما قام به معه في الحمام ، لانه أراد ان ينضج حرارته أولا ثم أثارها بشدة من الغضب ثم ناوله الدواء في ابان الحالة المثيرة والهيجان ليكون اكثر فاعلية في حقك يا سيدي ، حياك الله وبارك فيك .

ثم هذا أولا ثم خرج الامير ذاته ثانيا من الحمام بعد ان كان مصابا بمرض من وجع المفاصل لم يبرح من أجله ، ولم ينشط منذ زمن عسير واستطلع الامير عن الرازي ، ولم يجده فاستغرب ولم يفهم شيئا .

ولكنه لاحظ غريبا في شخصيته وفي حالته الصحية . اذ انه استطاع ان يتمشى بنفسه عقب الحادث من دون اية مساعدة . ففرح الامير وملأ قلبه السرور وفرح أبناء الشعب جميعا من ذلك ووزعوا صدقات ولم يستطلعوه الا بعد أسبوع ، عندما تسلموا خطابا منه من مرو . استلم الامير خطاب الرازي ولثمه وارسل اليه هدايا نفيسة(٢١) وفرض له منحة سنوية غالية .

هذه حقائق ومثلها كثير لا يعد ولا يحصى ولكن المجال لا يتسع لذكرها او هي تدل على أن العرب والمسلمين لم يقتصروا على فئة معدودة من المترجمين(٢٢) من آل حنين ، وآل بختيشوع ، وآل ثابت ، وآل ماسرجويه ، وقسطا بن بوقا ، وحجاج بن مطر ، وابن بطريق وعيسى بن يحيى واحمد بن أبي الاشعث ، ويوحنا بن ماسويه ونحوهم ولم يقلدوهم تقليدا جامدا ، بل غربلوا التراجم الاجنبية أولا بكفاءة علمية واخذوا عنها ما طاب ونبذوا ما لم يطب لهم ثم قدموها الى العالم في باقة أزهار عطرة كتحفة ثمينة سهلة لم يسبق لها نظير في التاريخ البشري ، وهذا يعني انهم ليسوا نقلة للعلوم فحسب بل انهم ايضا من المبدعين الاولين بمعنى الكلمة .

مكتبة المهتدين الإسلامية



http://www.al-maktabeh.com

مـأزق الترجمـة الحضـاري

د٠ غانم هنا

استاذ في جامعة دمشق

ترجم العرب في القرون الاسلامية الاولى الكثير من الكتب الاجنبية فأصبح ما نقلوه في العلم ـ اضافة إلى علمهم ـ من ركائز تقدمهم الاساسية ورقي حضارتهم، ثم ترجم ما ترجمه العرب وما ابتكروه العرب لاتينية واصبحت فلسفتهم ورياضياتهم وطبهم علومهم الاخرى أساسا لوعي أوربة وحضارتها من القرن الحادي عشر الميلادي حتى عصر النهضة ٠

واليوم نعود نحن العرب الى الترجمة مرة ثانية ناشدين من خلال التعرف على مختلف العلوم لدى الشعوب الاخرى ، ولا سيما المتقدمة منها ، نهضة علمية وازدهارا حجبته عنا عوامل مختلفة طوال قرون مضت ، منذ عصر الانحطاط الى اليوم ٠

ولا يزال الكثير من المؤرخين والباحثين يلجأ الى السيرة الذاتية ، والى عمل الافراد ، لفهم ظواهر تاريخية هي في حقيقتها معقدة لا تفهم الا بفهم المركب الاجتماعي الذي احتضنها ٠ فحركة نقل العلوم الفلسفية والرياضية والطبيعية في بداية القرن التاسع لا يمكن ان تفهم من خلال سيرة حاكم او تصور عالم او طمع مترجم ٠ لان ما اعتدنا على ترداده والتسليم به نقلا عن « فهرست » ابن النديم ، من ان الخليفة المأمون قد رأى في منامه أرسطوطاليس فسأله بعض الاسئلة ، فلما نهض من منامه طلب ترجمة كتبه ، فكتب المامون الى ملك الروم يسأله الاذن في انفاذ ما يختار من كتب العلوم القديمة المدخرة في بلاد الروم فأجابه الى ذلك بعد امتناع ٠ فأخرج المامون لذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر وابن البطريق وسلم صاحب بيت الحكمة وغيرهم ، فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا ٠ فلما حملوه اليه امرهم بنقله ، فنقل(١) ، كذلك حينما يروى ان منام خليفة او حاكم كان في بداية نقل كتب علمية الى العربية ، لا يزيد عن كونه اسلوب سرد طريف فقط ، فحين نقرأ ان الانظار قد اتجهت الى مدرسة جنديسابور واطبائها واساتذتها في عهد المنصور أبي جعفر ، حينما استعصى المرض بالخليفة ولم يقدر اطباؤه على شفاء معدته ، وحينما نصح

---

١ ـ ابن النديم ، الفهرست ، طبعة لايبزيغ ١٨٨٢ م ص ٢٤٣ ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

مراجـــع البحـــث

١ ـ اي· جي· براون : الطب العربي ، مطبعة جامعة كيمبردج ١٩٢١ (باللغة الانجليزية) ·

٢ ـ نيرواسطي : تعليق على الطب العربي للدكتور براون وترجمته (باللغة الاوردية) ادارة ثقافة اسلامية ، كلب ردو ، لاهور ١٩٥٤ م ·

٣ ـ شوكت موفق الشطي : تاريخ الطب عند العرب : دمشق ١٩٥٦ م ·

٤ ـ الطبيب أجمل خان : « مئة مسيحي » ، (مخطوط) : مكتبة الطبيب أجمل خان الخاصة في دلهي ، (برواية نيرواسطي) ·

٥ ـ ابن سينا ابو علي (الشيخ الرئيس) : القانون في الطب ، ج٣ ، القاهرة ١٢٩٤ هـ ص ٢١ ·

٦ ـ ابن أبي اصيبعة : طبقات الاطباء : ج١ ، ص ١٢٣ ـ ١٣٣/ج٢ ص ١٠١ طبعة مصر ١٨٨٢ م ·

٧ ـ دونلد كيمبل : الطب العربي ، لندن ١٩٢١ م ، ج١/ص ٨٦ (باللغة الانجليزية) ·

٨ ـ الموسوعة البريطانية (مقال عن السكر) باللغة الانجليزية ·

٩ ـ جزجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي ، ج٣/ص ١٨٣/١٨٤ ج١/ص ٩٩ ، ج٥ ص ٢٠٠/٤٤/٩١ ·

١٠ ـ ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج١ ، ص ٣١٢ ـ ٣١٣ ·

١١ ـ ابن النديم : الفهرست ، مطبعة ليسك ص ٣٠٣ ·
والموسوعة البريطانية : (مقال عن الطب) باللغة الانجليزية ·

١٢ ـ الكاتب التشلبي : كشف الظنون ، طبعة استانة ، ج٢ ص ٣٤١ ·

١٣ ـ الزهراوي : التصريف لمن عجز عن التأليف ، مطبعة نامي ، لكناؤ ، الهند ·

١٤ ـ المقري : نفخ الطيب ، مطبعة بولاق ، ج٢ ، ص ٨٧٣ ·

١٥ ـ ابن جبير ، رحلة ، مطبعة ليدون ، ص ٢٧١ ـ ٢٦٣ ·

١٦ ـ المسعودي : مروج الذهب ، طبعة مصر ، ج١ ، ص ٣٧٦ ·

١٧ ـ لاوزيف هيرز : تاريخ الطب العربي ، طبعة باريس ص ٧ · باللغة الفرنسية ، (ملخصا من الاستاذ نير واسطي في تعليقه على الدكتور براون) ·

http://www.al-maktabeh.com

١٨ ـ نبي واسطي : تعليقه على براون : ادارة ثقافة اسلامية ، كلب رود ، لاهور ، ١٩٥٤ / ص ١٧٨ ٠

١٩ ـ دونالد كيمبل : الطب العربي ، طبعة ليدون ١٩٢١ ج١ ص ٨٨ ـ ٨٩ ٠

٢٠ ـ حسام الخطيب (الدكتور) : ملامح في الادب والثقافة واللغة ، دمشق ١٩٧٧ ص ٣١٥ ٠

٢١ ـ رهبر فاروقي : الطب الاسلامي ، مطبعة اعظم استيم ، حيدر آباد ، دكن الهند ١٣٥٦ هـ ، ص ٤١ ٠

٢٢ ـ راندهاوا م٠ س٠ : مساهمة العرب في العلوم ، جريدة هندوستان تايمز اليومية ، نيودلهي بتاريخ ١٩٨٢/٢/٢١ م (باللغة الانجليزية) ٠

٢٣ ـ ظل الرحمن : تاريخ علم التشريح : طبي أكاديمي ٢٥٢٧ باره دري شيرافكن دلهي ١٩٦٧/٦ (باللغة الاردية) ٠

٢٤ ـ محمد اسماعيل : دراسة مقارنة بين الطب القديم والطب الحديث : كتب خانة سعيدية ، حيدر آباد دكن الهند ١٣٥٧ هـ ٠

٢٥ ـ ميان محمد شريني : أفكار المسلمين : مجلس ترقي ادب ، لاهور ١٩٦٣ م (وباللغة الاوردية) ٠

٢٦ ـ أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامي : مكتبة وهبة ، القاهرة ١٩٦٤ م ٠

٢٧ ـ مصطفى الرافعي : حضارة العرب : دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٦٨ ٠

٢٨ ـ عبد الرزاق نوفل : المسلمون والعلم الحديث : دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٧٣ م

بقلم :
شفيق احمد خان الندوي
محاضر اللغة العربية وآدابها في
الجامعة الملية الاسلامية ، نيودلهي ،
الهند ٠
١٤٠٢/٦/١٢ هـ
١٩٨٢/٤/٧ م

مكتبة المهتدين الإسلامية

بالاستعانة بابن بختيشوع ، رئيس أطباء جنديسابور ، فاستقدمه المنصور الى بغداد هو واتباعه ، فبدأ الطب يزدهر وترجمت اصوله اليونانية والهندية والفارسية ووصل الى تلك المكانة المرموقة التي اخذها في تاريخ العلوم عند العرب(٢) · ان مثل هذه الشروح الطريفة لا تتعدى كونها سردا شائقا لا يولي التاريخ والواقع الاجتماعي كله حقه من الجدية في البحث ·

ان حركة الترجمة في تلك العصور ، كما هو الامر في كل العصور ــ تعبير أصيل عن درجة من التطور الاجتماعي تنم عن تحركات ونمو في المجتمع توصف بها وتستمد منها قوة فعاليتها ، وهذا ما سوف نحاول الاقتراب من محاولة الجواب عنه في هذه النظرة العاجلة · وذلك عبر تساؤل مزدوج : الاول يلقي حول طبيعة اعراض العرب عن ترجمة الادب والتاريخ اليونانيين ، وهو سؤال حول مفهوم الترجمة الحضاري واثرها ، كما أرى ، ثم أحاول في سؤالي الثاني أن أسعى الى استيضاح البعد الاجتماعي للترجمة في العصر الحاضر · وبين السؤالين رباط أساسي أذكره منذ البداية ليتضح الخيط الأحمر الذي يرافق البحث ·

كان العربي في عصور الترجمة الاولى قد وصل الى درجة وعي لحضارته وعلمه أولا ، ولحضارة من نقل عنهم وعلومهم ثانيا ، مكنته من الحفاظ على أصالته وساعدته على توظيف الجديد في خدمة تطوره · واليوم يتضاءل وعي الحضارة الخاصة ويتفاقم الانجراف في سيل المعرفة والتقنية ، مما يسهل استعباد الانسان والسيطرة عليه ·

لقد قدمت حلول مختلفة لمشكلة تسلط عليها الاضواء اليوم أكثر فاكثر ، تتلخص في السؤلين الآتيين : لماذا لم يترجم العرب الادب اليوناني ولا سيما المرتبط بالشعر والمسرح ؟ ثم لماذا لم يترجموا تاريخ اليونان ؟ وقد يضاف الى هذين التساؤلين أمر آخر ، أهمل بحثه : كيف لم يتعرفوا ، أو لم يأبهوا بما كتب باللغة اللاتينية ؟

والسؤال الاخير يلفت النظر اليه ولا سيما اذا علمنا ان العرب قد جاوروا الناطقين باللاتينية في القرون الوسطى وكان هؤلاء يؤمون قرطبة واشبيليه لطلب العلم (١) ·

---

٢ ــ راجع في ذلك رواية ابن أبي أصيبعة في : طبقات الاطباء ، الجزء الاول ص ١٢٤ ·

١ ــ لا بد من الاشارة الى بعض آثار ترجمة الشعر اليوناني التي وردت هنا وهناك في الترجمات العربية · الا انها ــ كما هو معروف من كنوز العالم ــ غير كافية لدحض مقولة العرب اعراض العرب عن الشعر والمسرح · فان من ترجم في الادب والتاريخ او علوم الدين لا يتعدى الاستشهادات الواردة في النصوص الفلسفية او

http://www.al-maktabeh.com

يقال : ان العرب لم يترجموا الادب او التاريخ لانهم كانوا مشبعين بشعرهم وفخورين به • وهذا اسهل شرح وابسط تعليل • الا انه غير كاف ليفهمنا حقيقة ظاهرة من هذا النوع •

والاكثر تبسيطا من هذا القول ما ذهب اليه بعض المؤرخين ، من ان من ارسل لجمع المخطوطات اليونانية لم يعثر على نصوص ادبية او تاريخية • ومن هذا القبيل ايضا رأي من يكتفي برواية ابن النديم او غيره من المؤرخين فيزعم ان الاباطرة البيزنطيين قد بخلوا بهذه الكنوز او انهم كانوا قد منعوا قراءتها في بلادهم فلم تقع بين أيدي مرسلي الخليفة • كذلك رأي من قال ، ان الاديرة التي وجدت فيها المخطوطات والتي نشأت داخلها أو بتأثيرها مدارس الترجمة لم تكن تتداول مثل هذه النصوص •• وجميع هذه الآراء غير خالية من بعض الواقعية • ولكنها لا تقوم الا على صدق المصادفة والتخمين •

أما من لجأ الى عامل الدين ليشرح غياب الشعر والمسرح عن اهتمام العرب ، فلربما يكون قد قدم تعليلا هاما • فنحن نعلم ان مسرح اليونان وشعرهم مليئان بالمقولات الميثولوجية ووصف عالم الآلهة وتصورات الطبيعة والانسان وعالم الخلود بما كان يتفق والمعتقدات اليونانية ، ولم يكن يمكن المسلم المؤمن ان ينطق بها او يتصورها ، ولا سيما اذا علمنا ان النزعة الايكونوكلاستية في الاسلام قد ادت في مراحل مختلفة من تاريخ المنطقة الى تعقيدات اجتماعية ، لا مجال للتعرض لها في هذا البحث •

ولكن هل هذا صحيح ايضا بالنسبة الى التاريخ ؟ وهل يوثق ذلك ان اتباع الدين او الاخلاص لتعاليمه كان واقعا مشبعا لدى جميع الاوساط ؟ أو كان البديل المادي لمثل هذه الترجمات غير كاف لدى الاوساط غير المؤمنة ؟

يبدو انه ليس من الممكن البت في هذا الموضوع من خلال العروض السابقة بل لا بد من عودة الى معرفة طبيعة العلاقة الخاصة ، القائمة بين الفن والمجتمع وبين التاريخ والمجتمع ايضا لفهم حقيقة هذه الظاهرة •

العلمية التي ترجمت • أما بخصوص الترجمة عن اللاتينية فقد اتحفنا منذ أيام الدكتور عبد الرحمن بدوي بتحقيق كتاب « تاريخ العالم » لاوردسيوس ـ معاصر القديس اغسطينوس الكبير الذي وكل الى اوروسيوس في بداية القرن الخامس الميلادي ان يكتب تاريخ العالم ليبرىء المسيحية من تهمة القضاء على الحضارة الرومانية • راجع نص الكتاب المذكور مقدمة المحقق لدى : منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ١٩٨٢ •

مكتبة المهتدين الإسلامية

فالفن ، ولا سيما الشعر والمسرح ، أمور لا يمكن ان تفهم الا لدى أولئك الذين يشتركون في أشكال حياة متجانسة • وأشكال التعايش هذه هي مصدر الفهم للغة والفن • ففي الفن ، كما هو معروف ، تتجسد ميزة حضارة شعب وتفرده في اصالته وابداعه • فكيف كان يمكن عربي القرن الثامن او القرن التاسع ان يفهم شعر هوميروس او مسرح سوفوكليس ، وهما يعبران عن واقع حياة ، او تصور لحياة ، أمنية خارجة خروجا تاما عن أفقه وحضارته ؟ وكذلك هو الامر بالنسبة الى التاريخ فهو تدوين وتفسير لتسلسل مرور الزمن في انجازات مختلفة الانواع وفي حقول متعددة ، وهذا الفهم اليوناني للتاريخ ، أي عبور الزمن في الواقع واكتشاف روح هذا الواقع في الزمن ، كان يسجل لليوناني ما جعل بلاده سيدة وما مر عليها من منعطفات محددة من خلال ما أرخ من احداث • فماذا كان يهم العربي من معرفة تاريخ اليونان وهو يواجه واقعا او يعرف ماضيا مختلفا كل الاختلاف عنه ؟



والآن ماذا عن عصرنا الحاضر ؟

انني أعتقد للسبب الذي حاولت تبيانه في وعي أجدادنا ان الترجمة لا تقوم اليوم بالمهمة الحضارية التي قامت بها في بدء عصور الازدهار • ويحملني على هذا القول ملحوظات أود ان اطرحها تعدادا تاركا معالجتها معالجة مفصلة الى موضع آخر •

١ ــ اننا خلافا لاجدادنا ، لا نترجم ما يسمى بالعلوم الانسانية النصوص الاصلية ، بل اننا نترجم ترجمات عنها او دراسات حولها • فحتى الآن لم يترجم نتاج هيغل مثلا ، كما ترجم نتاج أرسطو ، بل اكتفينا بترجمة كتب حول هيغل او بترجمة شروح لبعض نصوصه •

٢ ــ ان الترجمة عمل منهك ومكلف لمن يقوم به • لكنه ايضا عمل مربح لمن يتاجر بنتاجه • وقد كان هذا موجودا في السابق ولا يزال هكذا حتى اليوم • الا ان الفرق بين المرحلتين هو ان تحكم من يتاجر اليوم يمس حتى المحتوى ويقتطع حصة الاسد من الريع المادي ، على غير ما كان عليه الامر سابقــا •

٣ ــ ان الترجمة ــ بكل ما في هذه الكلمة من معنى ــ اضحت أداة لاداة أخرى قبل أن تكون حاملة معنى ، انها مثقلة قبل كل شــيء بالاشارة الى مصلحة من تدل على قائلها او مسخرها قبل ان تنقل معنى ، انها اليوم مستعبدة • وهي ليست بمعنى انها غير حرة فحسب او انها مسخرة لاغراض وايديولوجيا

http://www.al-maktabeh.com

وهذا ايضا صحيح مرارا ـ ولكن المقصود هنا هو استعباد الكلمة من حيث كونها في الترجمة آلة توصل آلة أخرى حيث تؤدي الاولى للثانية خدمة الترويج او الاغراء او الاستهلاك ان الترجمة العلمية ـ في الميدانين العلمي والنظري كما يقال ، ـ تنتقل الى عالمنا قبل كل طرائق الآلة وأساليبها ، وصف المنهج وشروحاته ، وشكل اتباع ما هو جاهز وديناميكيته ، قبل ان تنقل معنى ما · ان العلاقة بين اللغة والانسان في عصرنا الحاضر ـ وليس هذا من باب التقييم ـ لم تعد أداة تعبير عن الفكر · كما كان يقول كنت ، بل انها مسخرة للتقنية وكاشفة عن طرائق استخدامها · فيما ان ما ينقل اليوم الى لغتنا نجد ان القدر الاكبر منه والاوسع انتشارا يخدم نقل الآلة والممارسة التكنولوجية لا نقل العلم بها او علمها · فالتقدم التقني الذي نتج من تقدم العلم يعكس اليوم صورة هي على خلاف ما كان عليه التقدم سابقا ، أي اننا في حياتنا وعلمنا واقتصادنا نعتمد قبل كل شيء على استيراد تقنية التقدم ، لاستهلاكها ، لا استخدامها ·

وهنا يكمن صلب المأزق الحضاري للترجمة : انها تعجز اليوم عن نقل عوامل نهضة لانها تنقل الى مجتمعنا وانساننا أطرا تتحكم به · فما يحمل الينا اليوم يغرقنا في طرائق استعمال المادة التي ينقلها الينا واستهلاكها من دون الرقي بنا الى درجة الوعي والفهم ، أي دون ان يكون عامل ابداع وتحرر لانه يعبد امامنا الطريق نحو التبعية ولا بد هنا من الذهاب الى ابعد من ذلك ·

فمنذ أن أصبح بقدرتنا اقتناء تكنولوجيا الحياة واستثمارها أي منذ أن أصبح لدينا ما يتيح شراءها ، تركنا الطريق الذي اتبعه اجدادنا حينما ترجموا العلوم ، بل وجدنا ان بترودولارنا هو اكثر فعالية من عقول مفكري عصر المأمون ، فبترودولارنا يسهل علينا اقتناء آليات العيش واستخدامها وضبط الحياة دون الحاجة الى فهم معطياتها ووعيها · واذا ما تعسر علينا استخدام الآلة او ضبطها استأجرنا او اشترينا ايضا من يقوم بما يجب بدلا منا ·

يتعلق هذا الكلام هنا خاصة بما يدعى بالعلوم التطبيقية ـ أو العلوم العلمية كما يسميها بعض الباحثين ـ وهي ، كما هو واضح اليوم ، تتكاثر تعقيدا وتصل الى درجة احتواء الانسان والمجتمع وتحويلهما الى شيئين · ولكن ما مصير الفن ولا سيما الشعر والمسرح ، أي تلك الفروع من الادب التي أسقطها العرب من اهتمامهم حين ترجموا ؟ وما موضعها في عصرنا الحاضر من الترجمة ؟

تغرق الاسواق اليوم بالترجمات الادبية ، فاذا ما عرف عن شاعر او اديب او روائي انه له كتبا بأية لغة من لغات العالم يمكن ان تكون مربحة

مكتبة المهتدين الإسلامية

لدار نشر ، ترجم سريعا ، وغالبا ما يترجم مرات عدة الى العربية • وقد اتخذنا في هذا المضمار الطرف النقيض من اجدادنا • فقد وجد عربي الماضي في العلم خيرا مشتركا فاكتسبه ، وفي الفن تعبيرا اصيلا لتفرد انسان وحضارة فأبقى عليه • واليوم تتدفق علينا اصالة غيرنا سيلا جارفا • لقد ترك عربي اليوم عصور الترجمة الاولى ، لسبب قد نجهل حقيقة واقعه ، الشعر والفن لاصالة بداوته وعبارات لغة قرآنه وشعره فوضع هنا حدا للنقل والترجمة • أما اليوم ، وقد أخذت السماعيات والمرئيات تدخل كل بيت ، معتمدة التجارة والربح والتقليد وايصال كل شيء الى المستهلك بأسهل السبل •

ان مأزق الترجمة مأزق حضاري بمعنى التغرب عن الذات • ويعني هذا التغرب قبل كل شيء فقدان الاصالة ، وأولى معطياتهـا ومتطلباتهـا المشاركة والابداع في التحكم بالذات وتحقيقها • فيبدو وكأن عصر الازدهار العربي في القرون الاسلامية الاولى قد أبقى على الانسان في صلب الحضارة على حين يحاول الكثيرون اليوم ابعاده عنها وتسييره بوساطتها • لقد كانت الترجمة في تلك المرحلة اسهاما في فتح الافق امام الانسان والمجتمعات ، وهي اليوم عامل على الاحاطة به بأطر تحمله على التبعية وفقدان الشخصية فيسهل التحكم به •

ومن هذا المنطلق أعود فأجيب مرة أخرى عن التساؤل المطروح في البداية ، هل كانت الترجمة تستطيع القيام بالمهمة الحضارية التي قامت بها في عصور الازدهار العربي أولا • الاجابة هي نعم ، ان وظفت الترجمة في حقل اعادة سيطرة المجتمع العربي والانسان العربي على ما يغمرهما من أشياء وآليات وتقنيات ، أولا • وان أعادت ـ ثانيا ـ للانسان وللمجتمع سبل تحررهما من التبعية في جميع الميادين ، ولا يستثنى واحد منها ، وبذا تظهر لهما سبل الاصالة والابداع •

http://www.al-maktabeh.com

طب العيون في عصر الترجمة

الدكتور نشات حمارنة

كلية الطب ـ جامعة دمشق

اولا :

من المعروف ان اهم الكتب التي ألفت في طب العين في عصر الترجمة هي التالية :

١ ـ دغل العين	ليوحنا بن ماسويه
٢ ـ معرفة محنة الكحالين	ليوحنا بن ماسويه
٣ ـ العشر المقالات في العين	لحنين بن اسحق
٤ ـ المسائل في العين	لحنين بن اسحق

وقد اصبح الكتابان الاخيران في متناول القراء حيث حققا وترجما ٠

وقد انتهى كاتب المقال من تحقيق كتاب (معرفة مهنة الكحالين على نسختين) :

ـ نسخة تيمور التي أشار اليها « مايرهوف » ٠
ـ ونسخة أخرى موجودة في مكتبة نور عثمانية في اسطنبول ، غير معروفة ٠

أما نسخة لينننغراد (التي أشار اليها « مايرهوف ») ، فلم يتمكن بعد من الحصول عليها ٠

★ ★ ★

وقد تبين مؤخرا وجود عدة نسخ من كتاب (دغل العين) في الاسكندرية ، لذلك فلابد أولا من الحصول على هذه النسخ قبل ان يشرع بتحقيق الكتاب ٠

ولكن قراءة مخطوط (دغل العين) المحفوظ في مكتبة (تيمور) والذي وصفه « مايرهوف » ، « وبروفر » تقودنا الى مجموعة من الاستنتاجات لا تتفق جميعها مع ما ذهب اليه هذان الباحثان المحترمان من آراء حول

★ لم يرد هذا البحث حسب التسلسل الابجدي لكنيات الباحثين نظرا لوروده الينا متأخرا ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

المـؤلف .

فالكتاب يبدو أنه كتب بيد طلبة الاستاذ يوحنا بن ماسويه الذي ألقى الدروس عليهم . فثمة جمل عديدة تظهر فيها لهجة الاستاذ المحاضر . وثمة فجوات في تسلسل الفقرات تشير الى انتقال مفاجىء من موضوع الى موضوع آخر بسبب القاء الدرس الذي هو بطبيعة الحال « ارتجالي » . وثمة نقص في التعداد ، او عدم توافق بين التعداد الذي يرد في مطلع الدرس وبين الشرح الذي يأتي متأخرا .

وعلى ذلك فان « الركاكة » التي أشار اليها « مايرهوف » لا يمكن ان ينعت بها ابن ماسويه بسبب لغة هذا الكتاب .

ونتاكد من ذلك اذا قارنا لغة كتاب « معرفة محنة الكحالين » بلغة « دغل العين » ذلك ان ابن ماسويه كتب الكتاب الاول بنفسه فجاء صحيح العبارة غنيا بالمفردات العربية (في وصف العين) .

ويعطي المحاضر أمثلة على ما يذهب اليه .



ثانيــا :

ويثير كاتب البحث المشكلة القديمة التي سبق أن أثارها بعض المستشرقين (مؤرخي الطب واللغويين) وهي القول بأن ثمة اختلاف واضح في **الاصطلاحات الطبية** بين يوحنا بن ماسويه وحنين بن اسحق ، وان ذلك يعود الى اختلاف المراجع التي استعملها هذان المؤلفان ، فبينما استعمل ابن ماسويه مصادر سريانية وفارسية بالدرجة الاولى ، ويونانية بالدرجة الثانية ، اقتصر حنين على استعمال كتب جالينوس بالدرجة الاولى ، وبعض المراجع اليونانية الاخرى بشكل ثانوي .

ويبين الباحث هنا ، انه بعد تحقيق (معرفة محنة الكحالين) فقد اصبح من الضروري اعادة النظر في هذه المسألة . ويوافق الباحث جمهرة المستشرقين في القضايا العامة ، الا انه يركز على الاهمية الخاصة للترجمات القديمة التي ظهرت قبل عصر ابن ماسويه وحنى (قبل القرن التاسع الميلادي = القرن الثالث الهجري) وعلى الكتابات الطبية الاقدم التي خلفها لنا عدد كبير من المؤلفين في القرن الثامن الميلادي (وقد لحق بعضهم القرن التاسع) والتي حفظها لنا الحاوي على شكل مقتبسات .

http://www.al-maktabeh.com

ويعدد الباحث أهم هؤلاء الاطباء الذين كتبوا كتبا خاصة في (الكحل) او الذين أفردوا في مؤلفاتهم الطبية العامة فصولا للكحل ·

فيذكر ماسرجويه البصري الذي أشار اليه الرازي في الحاوي بكلمة (اليهودي) ، وتياذوق ، وابا جريج الراهب ، وجورجيس بن جبرائيل بن بختيشوع ، وابنه بختيشوع بن جورجيس ، وماسرجويه الجنديسابوري ، وجابر بن حيان ، ويحيى بن البطريق ، وعيسى بن حكم الذي أشار اليه الرازي بقوله (مسيح الدمشقي) ، وجبرائيل بن بختيشوع بن جورجيس ·

كما ينبه الى ضرورة أجراء دراسة مقارنة للاصطلاحات الطبية التي ظهرت في القرن الثامن الميلادي باللغتين السريانية والعربية ، وذلك لتبيان الدور الذي لعبته المراجع اسريانية من جهة ، ولتحديد عبقرية التراجمة في اللغتين ومدى تمكنهم من فنهم وامتلاكهم لناحية اللغة والتعبير ·

● ● ●

ثالثـــا :

ويحدد كاتب البحث الدور التاسيسي الذي لعبه حنين بن اسحق في العلوم النظرية وفي الممارسة العملية في حقل اختصاص (أمراض العين) ·

ويشيد بدور « مايرهوف » و « سباط » في اظهار هذه الحقيقة ، وفي الوقت نفسه يوجه بعض الملاحظات النقدية لبعض آراء « مايرهوف » ·

● ● ●

رابعـا :

وينبه الباحث الى دور حبيش بن الحسن الاعسم الدمشقي ، وثابت بن قرة الحراني ، في هذا الحقل (التاليف في الكحل) ، هذا الدور الذي لم تتضح خفاياه بعد ·

ويشير الى أن دورا مماثلا يمكن ان يكون قسطا بن لوقا البعلبكي قـد قـام به ·

★ ★ ★

خامسـا :

كما يلفت انظار الدارسين الى المساهمات الفعالة التي اضطلع بهـا محمد بن زكريا الرازي في حقول (علم غرائز العين) ، (وأمراض العين) ، (وجراحة العين) ، مبديا أسفه لضياع هذه المؤلفات الهامة ·

مكتبة المهتدين الإسلامية

ثم يذكر انه وجد مخطوطة فريدة لرسالة قصيرة كتبها الرازي بعنوان (المشجرة في أمراض العين) سبق ان استعملها خليفة بن أبي المحاسن في جملة ما استعمل من مصادر لكتابه (الكافي في الكحل) ٠ ثم يعلن الكاتب انه قام بتحقيق هذه الرسالة ٠ ويسوق بعض الادلة على صحة نسبة هذه (الرسالة) الى الرازي معتمدا على (المحتوى) العلمي لهذه المخطوطة ٠ فبعض الحقائق الهامة التي انفرد الرازي بذكرها في كتابه (المنصوري) نجدها واضحة هنا ٠

● ● ●

سادسا :

ويؤكد الكاتب ان عصر الترجمة الذي اتسم بسرعة فهم وتمثل واستيعاب العلوم القديمة لم يخل من الابداع والابتكار ويسوق أمثلة على ذلك في حقول (غرائز العين) ، (ومداواة العين) ، (وجراحة العين) ٠



http://www.al-maktabeh.com

محتويات الكتاب

al-maktabeh www. .com مكتبة المهتدين

مكتبة المهتدين الإسلامية

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية